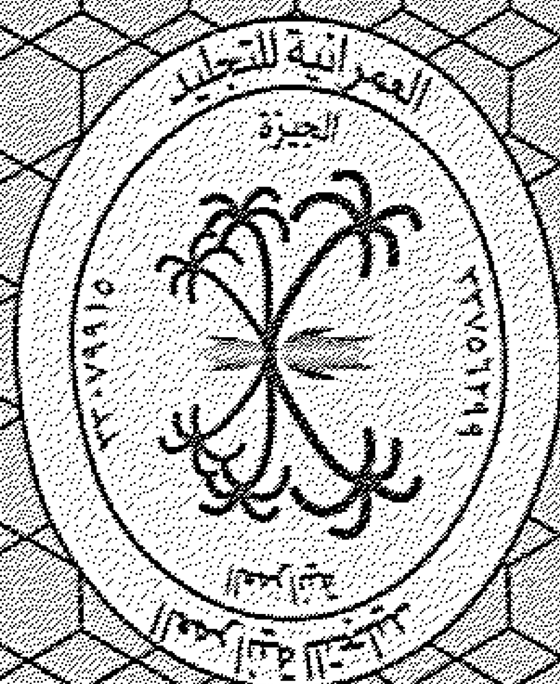
الحِوارُ المثلى

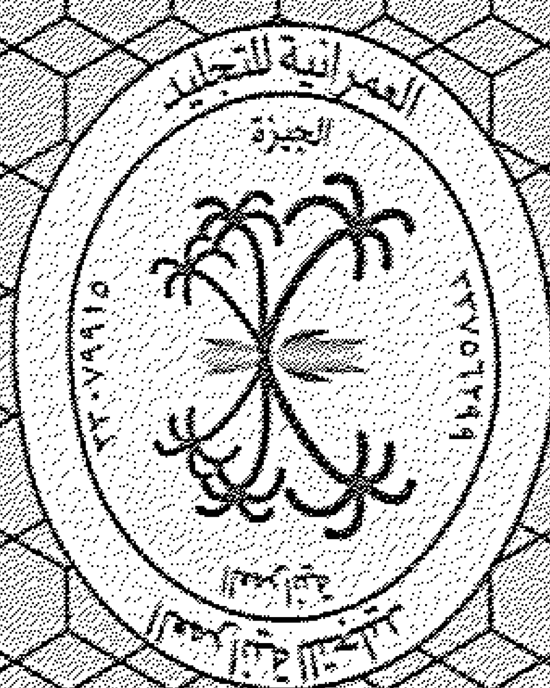
مَنهَجًا وَثَقافَةً



تأليف
أبي عبد الرحمن
محمد بن محمود بن إبراهيم عطية

مكتبة السنة


العمرانية للتجليد
الجيزة
٣٣٧٥٦٣٤٩
٣٣٠٧٩٩١٥


العمرانية للتجليد
الجيزة

الحوار
منهجاً وثقافة

تأليف

أبي عبد الرحمن
محمد بن محمود بن إبراهيم عطية

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

رقم الإيداع	٢٠٠٩/١٣٢٤١

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

ALSUNNA LIBRARY
Publishers



٨١ ش البستان - ناصية ش الجمهورية - ميدان عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٠٠٣١٨ فاكس: ٢٣٩١٣٥٣٢ تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB

81 Al-Bostan St., Abdeen Square - Cairo - EGYPT
Tel.: 23900318 Fax : 23913532 Tlex : 21719 TLTHRB
E-mail:sounna_bookshop@hotmail.com

دار تراثية للنشر والتوزيع والطباعة والبحث العلمي وتصدير واستيراد الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن وتقبل

المقدمـــة

الحمد للَّه العليم الحكيم ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وأحاطهم بعلمه ورحمته ، وجعلهم مختلفين لحكمة أرادها من حكمته ؛ والذي أرسل الرسل مبشرين من آمن بعفو اللَّه ورحمته ، ومنذرين من عاند بعقوبته ونقمته .

والصلاة والسلام على من اصطفاه خاتما لرسالاته ، وجعله للعالمين رحمة بمنته ، فبلغ رسالة ربه للناس وألزمهم بحجته .. وبعد :

فمنذ بدء الخليقة كان الحوار ؛ ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ ! قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ : فَذَاكِ لَكِ** »(1) .

وقبل خلق آدم عليه السلام كان حوار : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٣٠] ؛ وبعد خلق آدم كان حوار : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة : ٣١: ٣٣] ؛ وحوار آخر : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا

---

(١) البخاري (٤٨٣٢) ، ومسلم (٢٥٥٤) .

فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢: ١٨]، وكان بعد دخول آدم الجنة حوار: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠: ٢١]، ثم بعد معصية آدم وحواء وظهور شؤم المعصية كان حوار: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٢: ٢٥].

ثم كان حوار ابني آدم، ثم حوارات الرسل مع قومهم الكفار؛ وحواراتهم مع المؤمنين، وحوارات المؤمنين مع الكافرين .. وهكذا؛ فالحياة لا تخلو من حوار حق أو باطل، جاد أو هزلي، نافع أو ضار؛ وطبيعة الحياة تستلزم الخلاف ففيها صراع دائم بين عقول مختلفة أو قوى مختلفة.

فيمكن القول: إن قضية الحوار سنة كونية، ومبدأ شرعي، وأسلوب حياة لا غنى للخلق عنه.

والحوار قاسم مشترك على مستوى الأمم والجماعات والأديان والأفراد؛ بل حدث الحوار في عالم الحشرات، فتلك نملة نصحت قومها: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

وحدث الحوار بين الإنسان والطير؛ بين سليمان والهدد: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٠: ٢٢] .. إلى قوله تعالى: ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ

كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧].

ومن أعجب أنواع الحوار .. حوار الإنسان مع أعضائه التي تشهد عليه يوم القيامة: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١].

ولحكمة أرادها الباري تعالى لا يزال الناس مختلفين؛ والناس عندما يختلفون لا يخرج علاج هذا الخلاف عن أمرين: **أما بقوة السنان وإما بقوة اللسان**، ونعني **بالأول: الحرب والقتال**؛ وهذا النوع من العلاج قديم قدم الخلاف، وهو منطق الظلمة على مر التاريخ واجهوا به الأنبياء والعلماء والمؤمنين بعد أن أقيمت الحجة على الظالمين، وظهر بعد الحوار أنهم مغلوبون، ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢].

أما **النوع الثاني** لمعالجة الخلاف فهو: **الحوار للوصول إلى الحق**، وهو منهج الرسل، فالسبيل إلى الوصول للآخر ليس إلا عن طريق الحوار، لأن القناعات الداخلية هي طريق الإيمان الخالي من الشوائب، وأما القوة فقد تصنع موافقة ظاهرة ومعاندة باطنة، أي تصنع نفاقا متربصا ليس من ورائه خير.

إن الحوار ترياق فعال لمعالجة كثير من الأدواء الفكرية والعقدية، فبالحوار تنفتح مغاليق الشبهات، وبه تدرأ الكثير من مكنونات النفس وتراكمات العقائد الضالة المضلة، وبه يتضح الحق ويستبين سبيله.

فللحوار قوة قد تكون أقوى من قوة السلاح الفتاك، لأنه يعتمد على القناعات الداخلية والتي بلا شك لها تأثير كبير في واقع الفرد والمجتمع.

والمتصفح أوراق التاريخ يقف على ما يدهش العقل من أثر الحوار الجاد في تغيير الفرد .. بل في تغيير الأمم؛ وهل آمن من آمن إلا بالحوار؟ وهل عاند من عاند إلا بعد حوار؟ وهل رضي من رضي بالمعايشة دون قتال إلا بعد حوار؟

وللحوار في القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة مساحات استوعبت جميع حالات الحوار: حوار النفس، وحوار الأخوة الإسلامية، وحوار المخالفين في الرأي، وحوار المخالفين في الدين. إذ الحوار بكل صوره وأبعاده وأهدافه وآثاره مادة علمية لها ظلال عميقة في واقع التطبيق والتغيير.

فارتباط الحوار بمعنى الرجوع عن الشيء وإلى الشيء - كما يقول د صالح بن حميد - يثبت في الضمير الإنساني فضيلة الاعتراف بالخطأ، ويركز على قيمة عظمى من قيم الحياة الإنسانية، وهي القبول بمبدأ المراجعة، بالمفهوم الحضاري الواسع الذي تجاوز الرجوع عن الخطأ إلى مراجعة الموقف برمته، إذا اقتضت لوازم الحقيقة وشروطها هذه المراجعة، واستدعى الأمر إعادة النظر في المسألة المطروحة للحوار على أي نحو من الأنحاء، وصولًا إلى جلاء الحق.

فالحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية، المستندة أساسًا إلى مبادئ الدين الحنيف وتعاليمه السمحة، وهو موقف فكري وحالة وجدانية وهو تعبير عن أبرز سمات الشخصية الإسلامية السوية، وهو سمة التسامح، لا بمعنى التخاذل والضعف بوازع من الهزيمة النفسية، ولكن بمعنى الترفع عن الصغائر، والتسامي عن الضغائن، والتجافي عن الهوى والباطل(١).

ولا شك أن الحوار يختلف من حال إلى حال ومن ظرف إلى ظرف: فالحوار مع الكبير ليس كالحوار مع الصغير؛ والحوار مع العالم ليس كالحوار مع الجاهل؛ والحوار مع الجبابرة ليس كالحوار مع غيرهم، والحوار مع المؤمنين ليس كالحوار مع الكافرين .. إن الحوار عملية تهدف إلى إقناع الخصم أو رد شبهته أو إقامة الحجة عليه أو إيقاف جبروته وطغيانه؛ وللوصول إلى هذه الأهداف كلها أو بعضها يجب أن ننظر بخبرة وبصيرة في حال المحاور، وفي القضية التي يتعلق بها الحوار، وفي الأسلوب الذي ينبغي

---

(١) من محاضرة بعنوان (الإسلام وحوار الحضارات) للشيخ صالح بن عبد الله بن حميد ألقاها مساء يوم الاثنين ١٤٢٣/٧/٢٣هـ في إطار فعاليات معرض الكتاب الدولي الذي نظمته جامعة الملك سعود في مقرها بالرياض.

استخدامه معه ، وفي الحد الذي نقف عنده .

والحوار باق طالما أن هناك حياة ؛ إذًا هو باق إلى قيام الساعة ؛ إذ البشر لا يستغنون عن الحوار عند الاتفاق أو عند الاختلاف ، ولما كان الخلاف بين البشر لا ينتهي سواء بين المناهج المختلفة أو بين المناهج المتوافقة - وهذا لا يخلو منه زمان حتى يأذن اللَّه تعالى بزوال الأرض ومن عليها ؛ فقد قال اللَّه تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] - فسيظل الحوار كذلك لا ينتهي حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها ؛ بل إن هناك حوارات أخرى يوم القيامة : حوار في ساحة العرض يوم تبدل الأرض غير الأرض ، وحوار بين البشر والرسل للشفاعة العظمى ، وحوار عند الحساب ، وحوار بين الإنسان وأعضائه ، وحوار بين أهل المظالم ، وحوار في الجنة ، وحوار في النار ، وحوار بين أهل الجنة وأهل النار ..

هكذا يأخذنا هذا العرض من بدايته إلى منتهاه إلى الوقوف على أهمية الحوار ، وأنه من لوازم الحياة .

وفي عالمنا المعاصر بات الحوار من المصطلحات التي تتردد كثيرًا ، وترددها أطراف متعددة مختلفة مشاربهم متباينة أفكارهم متنوعة أهدافهم ؛ أراد منه بعضهم أعظم الحق ، وأراد منه آخرون أعظم الباطل ، والأصل في ذلك هو منهج المحاور وهدفه من الحوار وطريقته فيه ، وسيرته العلمية والعملية .

وفي عالم اليوم الذي تقاربت فيه كل القوى المعادية للإسلام وأهله ، وتداعت أمم الأرض على الأمة الإسلامية كما تتداعى الأكلة على قصعتها ؛ واتحد كثير من هذه الشعوب على اختلاف اللغة والمشارب والمعتقدات في أمور كثيرة ، أهمها الحرب على الإسلام ، وإن اتخذوا في ذلك أسماء عديدة آخرها الحرب على الإرهاب .

في ظل هذه التداعيات بات من المهم جدا أن تراجع الأمة واقعها ومواقفها وهويتها في مواجهة هذه الهجمة الشرسة ؛ ولابد أن تتخذ في ذلك القرارات العملية المبنية على حسن الدراسة للواقع الذي انتهت إليه الأمة وأسبابه ووسائل العلاج .

فلابد إذا من إعادة بناء الذات مع النظر في مواجهة الآخر.

ولإعادة بناء الذات لابد أن نتحاور - نحن المسلمين - فيما بيننا حتى نتفق، ولابد أن نتعلم أسلوب المحاورة السليم حتى لا نتجاوز الخطوط الحمراء.. ولابد أن نعلم من هو مثلنا الأعلى في كل من الحوار والجدل حتى نقتدي به.. ولابد أن نحدد القضايا التي تخضع للحوار والقضايا التي لا تخضع له.. ولابد.. ولابد.. أمور كثيرة متعددة فرض الحديث فيها والخوض بتفاصيلها تعدد الفرق، واختلاف المناهج، وازدياد اتساع الشقة بين المسلمين، وخروج كثير منهم عن جادة الصواب ومنهج الحق.. حتى غدا الحوار السليم مفقودا، وحل محله الحوار الذي هدفه إخراس الخصم لا التفاهم معه، وإظهار خيبته لا الاعتذار عنه، والتعالي أمام الناس بقوة الجدل وشدة التفلسف لا ببساطة الفكر وسهولة الفهم... هذا في أحسن الأحوال؛ أما أسوأها؛ وعلى صفحة أخرى بين الفئات الإسلامية فإن حبل الحوار قد انقطع منذ أمد، والأمل بقيام وسيلة أو وسيط للتفاهم قد خبا منذ مدة، وأصبح كل في واد، وغدا كل فريق على انفراد حتى خيل إلى كل فريق أن الآخر ضال فاجر أو فاسق نافر.

والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة.. أليس من سبيل لإيقاف هذا التفتت في صخرة الإسلام والتصدع في بنيانه؟.. أليس من أسلوب يجمع الشتات ويلم الشمل ويؤصل بذور الوحدة وينميها ويرعاها.. لمواجهة الهجمة الشرسة الموجهة إلى الإسلام وأهله؟[(١)]

ولما كان الحوار لابد منه لإعادة بناء الذات وجب على الجميع السعي الحثيث ليكون هذا الحوار مثمرًا، ولا يمكن أن يكون مثمرًا إلا إذا حفه أدب الحوار، والالتزام بشروطه، مع حسن القصد والتوجه إلى الله تعالى بإخلاص أن يبارك في مجالس الحوار المنعقدة، وأن يسدد أهلها، ويلهمهم الصواب، ويوفقهم لما فيه رضاه سبحانه.

فأما ما نشاهده اليوم في الواقع وفي وسائل الإعلام - كالفضائيات والإذاعات والشبكة العنكبوتية وغيرها - فيختلف تمامًا عما يجب من لوازم أدب الحوار؛ فهناك الاستئثار، والصراخ، والعصبية، والتنابز، والازدراء، والنظرة الدونية؛ حتى ليخيل إليك

(١) انظر مقدمة (نحو كلمة سواء) ص ٥، ٦ باختصار وتصرف.

في بعض البرامج الحوارية أنك في حلبة مصارعة؛ أيهما يطرح الآخر أرضا بضربة قاضية !![1] . يقول د عمر عبيد حسنة : ولعل من المشاهد الحوارية المزرية ، الحوارات التي تتم على مستوى الذات في الكثير من المحافل الثقافية والفضائيات بين اتجاهين متناقضين أو رأيين مختلفين، والتي غالبًا ما يسودها الضجيج والصياح والزعيق والاستخفاف بعقل المشاهد والسامع والمشارك ، والتي هي أقرب لمناقرة وصراع الديكة منها للحوار الهادئ ... إنها ملاكمة ومصارعة - لكن بالكلمات - باسم الحوار ، وإن كانت لا تعدم استعراض العضلات وحركات الأيدي ، فبدلًا من أن يؤدي مثل هذا الحوار للوصول إلى مشترك إنساني ، يزيد الفرقة ، ويثير الأحقاد ، ويعمق الخلاف ، ويغتال المشترك ، وينتهي إلى العداوة والتربص والسعاية وسوء النية . إن مثل هذه الندوات والمشاهد التي تسمى حوارية هي أقدر على الهدم والمنابذة منها على البناء ومعالجة الفجوات والوصول إلى التفاهم وبناء المشترك الإنساني ، وقد لا ينتج عنها إلا إبراز شخصية مقدمي الحوار والبرهنة على أهميتهم وطول باعهم في العلم والثقافة ، واتخاذ ساحة الحوار مجالًا للغطرسة ومصادرة الآراء وتقطيعها وطرح اتجاهاتهم الفكرية والسياسية ، حتى ولو كان ذلك على حساب المتحاورين والحوار نفسه (!)[2]

وحتى لا تضيع الأوقات ، ويضيع الحق في وسط المهاترات ، ويضيع الناس بين ذلك ، فلابد من إعادة النظر في ضبط هذه المحاورات والخروج بها من الاستخفاف بعقلية المشارك والمشاهد معا ، إلى الطرح الجاد والمناقشة العلمية الهادئة في جو من الأدب وحسن المجاوبة للوصول إلى الفائدة المرجوة من هذه الحوارات .

وأما مع الآخر فلابد من قراءة جيدة محيطة بالآخر وفكره وتاريخه وأهدافه وواقعه ومواقفه مع الأمة ، ثم النظر فيما يكون من التعامل معه وفق الضوابط الشرعية مع دراسة الواقع والمصالح والمفاسد .

إن الأمة التي اختارها الله لتكون خاتمة الأمم وخير الأمم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

---

(١) في حوار مع سلمان العودة أجراه موقع الإسلام اليوم ، بتصرف .

(٢) انظر تقديم د حسنة لكتاب الحوار .. الذات والآخر لعبد الستار الهيتي ؛ ص ٢٧.

لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، واختار لها خير الرسل وخاتمهم محمد ﷺ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، وأنزل إليه خير الكتب ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة : ٤٨] ، ورضي لها الإسلام دينا ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] ، وجعلها معيارية الأمم والشاهدة عليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؛ إن الأمة التي هذه صفاتها يتوجب عليها أن تحمل مسئولية دعوة البشرية إلى خير ما آتاها اللَّه تعالى ، وأن تنهض بالأمر كما نهض به أولها ؛ وأن تعود إلى معينها الصافي (الكتاب والسنة) بالفهم الصحيح لهما ، ليكون سيرها صحيحا موفقا .

ولما كان الحوار مع الذات ومع الآخر من أصول الدعوة الإسلامية المباركة ؛ كان لابد لمن يتصدى لها أن يكون على فقه تام بقضية الحوار ؛ وإن كان الأولون قد عدوا الجدل علما ووضعوا له ضوابط وشروطا وآدابا ، فيمكن أن يقال : إن (**علم الحوار**) في عصرنا هذا قد حل مكان علم الجدل ، وقد حوى أبوابه وزاد عليها .

من أجل ذلك كان هذا البحث (**الحوار منهجًا وثقافة**) ، وقد جعلته في مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة فأشرت فيها إلى أهمية الحوار وأنه يمتد منذ بدء الخليقة وإلى أن تقوم الساعة ، بل امتداده إلى ما بعد قيام الساعة ، وحتى بعد أن يستقر أهل الجنة في الجنة منعمين ، ويبقى أهل النار الذين هم أهلها فيها معذبين .

وأما التمهيد : فتحدثت فيه عن معاني ألفاظ متقاربة أو متناظرة : الحوار والجدل والمناظرة والمحاجة والمماراة ؛ ونوهت إلى معاني مصطلحات أخرى يجب اجتنابها في الحوار ؛ ثم تحدثت عن أنواع الحوار الشرعي ، وفوائد الحوار .

وأما الباب الأول فهو (منهجية الحوار) وفيه أربعة فصول :

الأول : مقومات الحوار ؛ في هذا المبحث : عرفت المقومات ، ثم تحدثت عن

مقومات الحوار الستة : المتحاورَين ، وموضوع الحوار ، وحدود الحوار ، وغاية الحوار ، وقانون الحوار ، ومدير الحوار .

الثاني : شروط الحوار ؛ وفي هذا المبحث : عرفت الشرط ، ثم تحدثت فيه عن شروط المحاور المسلم ، وعن أهم شروط الحوار .

الثالث : آداب الحوار ؛ وفي هذا المبحث : عرفت الأدب ، ثم تحدثت فيه عن أهم الآداب التي لابد أن يراعيها المتحاورون .

الرابع : عوائق الحوار ؛ وفي هذا المبحث : تكلمت عن معنى العائق وأقسامه في الحوار ، ثم تحدثت عن العوائق التي تمنع من انعقاد الحوار ؛ والعوائق التي تمنع من إتمامه بعد انعقاده .

وأما الباب الثاني فهو (مشروعية الحوار في الكتاب والسنة) ، ففيه ثلاثة فصول :

الأول : مشروعية الحوار في الكتاب ؛ وقد تناولت فيه الآيات التي تحدثت عن الحوار ، وبينت أن الحوار ورد في القرآن على سبعة أضرب .

الثاني : مشروعية الحوار في السنة ؛ وقد تناولت طائفة من الأحاديث الدالة على مشروعية الحوار ، وبينت أن الحوار جاء في السنة النبوية على أربعة أضرب .

الثالث : حكم الحوار ؛ تحدثت فيه عن حكم الحوار في الإسلام وأنه يجري عليه الأحكام الشرعية الخمسة .

وأما الباب الثالث فهو (الحوار بين الذات والآخر) ، ففيه تمهيد وفصلان :

الأول : الحوار الداخلي (بناء الذات) ؛ وتحدثت فيه عن معنى الذات ؛ والحوار مع النفس وبناء الذات الفردية ، والحوار مع من ينتسب إلى الذات الجمعية ؛ ومن الذات ومن الآخر ؟ والطريق إلى وحدة المسلمين ، ومعالم الحوار مع الذات ، والحوار مع الآخر الداخلي .

الثاني : الحوار الخارجي (التعايش وبناء المشترك الإنساني مع الآخر) ؛ فتحدثت فيه عن الإسلام والآخر ، ونشأة مصطلح الآخر ، ومن الآخر ؟ ومعيارية الجدل بين الذات (الأنا) والآخر ، ومشروعية الحوار مع الآخر ، وجدوى الحوار مع الغير (الآخر) ، وأنواع

الحوار مع الآخر ، والحوار بين الأديان ، ومعالم الحوار الديني مع أهل الكتاب ، والحوار مع غير أهل الكتاب من ملل الكفر الأخرى ، وأهم معالم الحوار مع غير أهل الكتاب من الكفار ، والحوار بين الحضارات ، والحوار بين الإسلام والعلمانية ، ومعالم الحوار بين الإسلام والعلمانية ، والحوار من أجل التعايش وبناء المشترك الإنساني مع الآخر .

وأما الباب الرابع فهو (الإسلام بين الحوار والمواجهة (صراع الحضارات) ففيه تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة : فمهدت له بالحديث عن الحوار والصراع ، ثم في **الفصل الأول** تحدثت عن الإسلام بين الحوار والمواجهة ، والدعوة حوار أم صراع ؟ وأما **الفصل الثاني** فتحدثت فيه عن الآخر بين الحوار والمواجهة ، والفكر الغربي ومفهوم (الحضارة : حوار أم صراع ؟) ، ثم في **الفصل الثالث** تحدثت عن أوجه الصراع الحضاري وميادينه ، ثم جعلت له **خاتمة** فيها خلاصة المبحث .

وأما الباب الخامس (ثقافة الحوار وثمراته) ؛ ففيه فصلان :

الأول (**وسائل بناء ثقافة الحوار**) وهو فصل لم أجد أحدا تعرض له ، فاستعنت بالله تعالى وكتبت فيه رؤية - أرجو أن أكون قد وفقت فيها - بدأتها بتعريف الثقافة ، ثم الحديث عن ثقافة الحوار وأن لها شقين : نظري وعملي ، ثم تحدثت عن وسائل بناء الشق النظري من ثقافة الحوار ، ثم أتبعته بالحديث عن وسائل بناء الشق العملي .

وأما الفصل الثاني فهو (من ثمرات الحوار في الدعوة والتربية والثقافة والإعلام) ، وفيه أربعة مباحث :

الأول : من ثمرات الحوار في الدعوة ؛ وتناولت فيه الحديث عن مفهوم الدعوة وثمرات الحوار في الدعوة .

الثاني : من ثمرات الحوار في التربية ؛ وتحدثت فيه عن مفهوم التربية ، وأن الحوار بالتربية نوع من أنواع التربية الذي له بالغ الأثر في بناء عقلية الأجيال ؛ ثم ذكرت ثمرات الحوار في التربية .

الثالث : من ثمرات الحوار في الثقافة ؛ وتناولت فيه أثر الحوار في تفعيل ثقافة المجتمع ، وثمرات الحوار في الثقافة .

الرابع : من ثمرات الحوار في الإعلام ؛ وفيه تحدثت عن مفهوم الإعلام وأثره على المجتمع ، وأثر الحوار في تفعيل دور الإعلام .

وأما الخاتمة ، ففيها اعتذار وختام .

هذا ، والله الكريم أسأل أن يتقبله كما أعان على الانتهاء منه ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والدال عليه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، لا رب غيره ولا أرجو إلا خيره له الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون ؛ وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله .

وكتبه

أفقر العباد إلى عفو رب البرية

محمد بن محمود بن إبراهيم عطية

تمهيـــد

- معنى الحوار
- معنى الجدل
- معنى المناظرة
- معنى المحاجاة أو التحاج
- معنى المخاصمة
- معنى المنازعة
- معنى المماراة أو التماري
- العلاقة بين هذه الألفاظ
- معنى المعاندة
- معنى المغالطة
- معنى المشاغبة
- أنواع الحوار
- نشأة الحوار في المصطلح السياسي والثقافي الحديث

معاني الحوار

الحوار .. الجدل .. المناظرة .. المحاجة أو التحاج .. المراء أو التماري .. الخصومة .. ألفاظ قد تتداخل في قضية الحوار، وقد تفيد معنى مشتركا بينها؛ لذلك رأيت أن أبدأ بتعريفها وبيان وجه الائتلاف والاختلاف بينها؛ ثم أعرج بذكر معنى المعاندة والمشاغبة والمغالطة لارتباطها أيضا بقضية الحوار.

معنى الحوار :

الحوار هو الرجوع بالقول على من تكلم، وهو المجاوبة، يقال : كلَّمته فما رَجَعَ إِلَيَّ حَوَارًا وحِوارًا ومُحاوَرَةً وحَوِيرًا ومَحُورَةً، بضم الحاء بوزن مَشُورَة، أي : جوابًا. وأَحارَ عليه جوابه : ردَّه. وَأَحَرْتُ له جوابًا وما أَحارَ بكلمة، والاسم من الْمُحَاوَرَةِ الحَوِيرُ، تقول : سمعت حَوِيرَهما وحِوَارَهما. والمُحَاوَرَةُ : المجاوبة. والتَّحاوُرُ : التجاوب؛ ولم يُحِرْ جوابًا، أي : لم يرجع ولم يَرُدَّ. وهم يَتَحاوَرُون أي يتراجعون الكلام. والمُحَاوَرَةُ : مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة(١) وقال ابن عطية : المحاورة مراجعة القول ومعاطاته(٢).

وعلى ذلك فكل حديث بين اثنين أو أكثر على سبيل المراجعة والمجاوبة يسمى حوارا، وفي التنزيل : ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ إلى قوله تعالى : ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف : ٣٤ : ٣٧]. قال ابن جرير : يخاطبه، وقال ابن كثير : يجادله ويخاصمه، وقال ابن حجر : يراجعه، وقال القرطبي : أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب(٣). والقول بأن يجادله ويخاصمه ليس له في اللسان أصل يدل على الحوار، غير مُسَلَّمٍ؛ لأن هذا المعنى مفهوم من سياق

---

(١) انظر لسان العرب باب الراء فصل الحاء، ومختار الصحاح (ح و ر)،

(٢) المحرر الوجيز : ١٤ / ٣٣٦ من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر.

(٣) انظر تفسير ابن جرير : ١٥ / ٢٤٧، وتفسير ابن كثير : ٣ / ٨٤، وتفسير القرطبي : ١٠ / ٤٠٣، ومقدمة فتح الباري ص ١٠٩.

الحوار ، وبين الجدال والحوار عموم وخصوص ، فكل جدال حوار ولا عكس[(١)] .

فالحوار بهذا المعنى هو : **مجاوبة بين طرفين أو أكثر حول قضية ما بهدف الوصول إلى وجه الحق فيها .**

فهو إذًا تلاقح الأفكار والثقافات بين بعضها ، وما يحصل جراء ذلك من تلاقي المتحاورين وتصويب بعضهم لبعض وتأثير بعضهم في بعض ؛ فمن ألصق معاني الحوار – كما يقول سلمان العودة : التردد والرجوع ، فالمحاورة والحوار هي المرادة في الكلام ؛ فالحوار فيه معنى ترداد الفكر في العقل ، والأخذ والرد ، وفيه معنى الاستعداد لدى الإنسان للرجوع إلى الحق إن استبان له . وهذا معنى شريف في لفظ الحوار ، ولا يستلزم ذلك الرجوع من قول لآخر ، لكن يحدث للإنسان نوعًا من التحوير أو التعديل أو ينظر في دقة وتحرير ما قاله .

إذن الحوار فيه نوع من الرجوع ، وعدم الاستئثار بالرأي دون الطرف الآخر ، وفيه نوع من الملاينة في الكلام ، والملاطفة ، بخلاف المجادلة والمحاجة ؛ وفيه نوع من رفع سقف المناقشة قدر الطاقة بين المتحاورين ؛ فالحوار ليس جدالًا ولا مقارعة ولا منابذة في ميدان قتال تراق فيه دماء المتحاربين بسيوف الألفاظ النابية والفكر المعقد والمسلك المتشنج . فهناك تلازم بين الحوار والأدب .. بين الحوار واللطف .. بين الحوار واللغة الراقية ؛ وهذا كله من شأنه أن يجعل الحوار يؤتي أكله ، ويصل إلى أهدافه من بيان الحق ، وإقناع الآخر به[(٢)] .

والأصل في الحوار في الثقافة العربية الإسلامية – كما يقول د عبد العزيز التويجري – هو المراجعة في الكلام ؛ وهو التجاوب والتفاعل والتعامل الراقي مع الأفكار والآراء جميعا ؛ وبهذا المعنى يتأكد لدينا بما لا يرقى إليه الشك أن الحوار أصل من الأصول الثابتة للحضارة العربية الإسلامية ا.هـ[(٣)] .

---

(١) كما ذهب إليه د عبد العزيز التويجري في (الحوار والتفاعل من منظور إسلامي) ص ١٠.

(٢) في حوار مع سلمان العودة أجراه موقع الإسلام اليوم .

(٣) الحوار والتفاعل من منظور إسلامي ص ١١.

والحوار يستوعب كل أنواع وأساليب التخاطب سواء أكانت منبثقة عن خلاف بين المتحاورين أو عن اتفاق بينهما ؛ لذا فالحوار أعم من الجدال والمناظرة والمخاصمة والمناقشة والتحاج والمماراة .

معنى الجدل :

جدل الشيءَ يَجْدُله ويَجْدِله جَدْلًا أَحكم فَتْله ؛ والجَدَلُ : اللَّدَدُ [الشدة] في الخصومَةِ والقُدْرَةُ عليها ، وقد جادله مجادلة وجِدالًا . ورجل جَدِل ومِجْدَل ومِجْدال : شديد الجَدَل . ويقال : جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدْلًا ، أَي : غلبته . وجادَله ، أَي : خاصمه ، مُجادلة وجِدالًا ، ويقال : إِنه لَجَدِل إِذا كان شديد الخِصام[1] ، وقال الراغب في (المفردات) : الجدال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأُصله من : جدلت الحبل ، أي : أحكمت فتله .. فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه . وقيل : الأصل في الجدال : الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة ، وهي الأرض الصلبة[2] . وقال ابن الأثير في (النهاية) : الجدَل : مُقابَلة الحُجَّة بالحجَّة . والمُجَادَلَةُ : المُناظَرةُ والمخاصَمة[3] . فالجدال : مصدر جادل ، وهو المناقشة على سبيل المخاصمة ؛ وذكر ابن الأثير أن المناظرة والمخاصمة والمجادلة بمعنى .

الْجَدَلُ فِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ ؛ فَتْلُ الْخَصْمِ عَنْ قَصْدِهِ لِطَلَبِ صِحَّةِ قَوْلِهِ وَإِبْطَالِ غَيْرِهِ ، مَأْمُورٌ بِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِنْصَافِ ، وَإِظْهَارِ الْحَقِّ ؛ ذكره في (الكوكب المنير) قال شارحه : أَيْ رَدُّهُ بِالْكَلَامِ عَنْ مَا يَقْصِدُهُ مِنْ نَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ مِنْ حُكْمٍ لِطَلَبِ صِحَّةِ قَوْلِ الْقَائِلِ لَهُ وَإِبْطَالِ قَوْلِ غَيْرِهِ[4] . وقال الفَيومِيُّ : هو التَّخاصُمُ بما يَشْغَلُ عن ظُهورِ الحَقّ ووُضُوح الصَّواب ثم استُعمِل على لِسانِ حَمَلَةِ الشَّرع في مُقابَلَةِ الأَدِلَّة ؛ لظُهور أَرْجَحِها وهو محمودٌ إن كان للوُقوفِ على الحَقّ وإلّا فمذمومٌ .

---

(١) انظر لسان العرب باب اللام فصل الجيم ، والقاموس المحيط ومختار الصحاح مادة (جدل) .

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (جدل) .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة (جدل) .

(٤) انظر شرح الكوكب المنير : ٤ / ٣٥٩، ٣٦٠ - العبيكان .

وقد تكلم العلماء في علم الجدل وصنفوه من فروع أصول الفقه ؛ وجعله بعضهم وعلم المناظرة علما واحدا ؛ قال صديق حسن خان في (أبجد العلوم) : ولا يبعد أن يقال : إن علم الجدل هو علم المناظرة ، لأن المآل منهما واحد ، إلا أن الجدل أخص منه[(١)] . وقال ابن خلدون في (المقدمة) : وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة ، التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعًا ، وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه ما يكون صوابًا ، ومنه ما يكون خطأً ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابًا وأحكامًا يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والمجيب ، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلًا ، وكيف يكون مخصومًا منقطعًا ، ومحل اعتراضه أو معارضته ، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال ، ولذلك قيل فيه : إنه معرفة بالقواعد من الحدود ، والآداب في الاستدلال ، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه ، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره[(٢)] .

معنى المناظرة :

التَّناظُرُ التَّراوُضُ في الأَمر ، وناظَرَه من المُناظَرَة ؛ قال الجرجاني في (التعريفات) : المناظرة **لغة** : من النظير ، أو من النظر بالبصيرة ؛ **واصطلاحًا** : هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب[(٣)] . وقال الراغب : المناظرة : المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته ؛ والنظر : البحث ، وهو أعم من القياس ، لأن كل قياس نظر وليس كل نظر قياسا . قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -

---

(١) انظر أبجد العلوم ص ٤٢٨، ٤٢٩ طبعة بهوبال ١٢٩٥ هـ ؛ ونقل حاجي خليفة في (كشف الظنون) عن أبي الوليد الحفيد قوله : لا يقال الظاهر أن الخلاف والجدل باب من أبواب المناظرة سمي باسم ، كالفرائض بالنسبة إلى الفقه ، لأنا نقول الغرض في المناظرة إظهار الصواب ، والغرض من الجدل والخلاف الإلزام .ا .هـ . قلت : الإلزام يكون - غالبا - في إظهار الصواب ، وبهذا يمكن التوفيق بين قول أبي الوليد وقول غيره ممن ذهب إلى أن المآل واحد ، على أنه أغلبي .

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٢٦٣؛ وتاريخ ابن خلدون : ١ / ٤٥٧.

(٣) التعريفات ص ٢٩٨.

رحمه الله: وهي في الاصطلاح، أي المناظرة: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق[(١)]؛ وقيل: **المناظرة**: إقامة الدليل على ما يخالف دليل الخصم[(٢)]. وهي تنقسم إلى **محمودة ومذمومة**، وبيان ذلك أن المناظر إما أن يكون عالما بالحق، وإما أن يكون طالبا له، وإما أن لا يكون عالما به ولا طالبا له، وهذا **الثالث هو المذموم**؛ وأما الأولان فمن كان عالما بالحق فمناظرته التي تحمد أن يبين لغيره الحجة التي تهديه إن كان مسترشدا طالبًا للحق، أو تقطعه إن كان معاندا غير طالب للحق ولا متبع له، أو توقفه وتبعثه على النظر في أدلة الحق إن كان يظن أنه على الحق وقصده الحق[(٣)].

معنى التحاجّ:

الحُجَّةُ: الدليل والبرهان، وقيل الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم، وقال الأَزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة، إنما سميت حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن القصد لها وإليها؛ وحَاجَّهُ فحَجَّهُ: غلبه بالحجة؛ ومن أَمثال العرب: لَجَّ فَحَجَّ؛ معناه: لَجَّ فَغَلَبَ مَنْ لاجَّه بحُجَجِه. ومِحْجَاجٌ بالكسر أي: جَدِلٌ، و التَّحَاجُ: التخاصم، و المحَجَّةُ بفتحتين جادة الطريق. وفي حديث الدجال: «**إن يَخْرُجْ وأَنَا فِيكم فأنا حَجِيجُه**» أي: مُحَاجِجُه ومُغالِبُه بإِظْهار الحُجَّة عليه، ومنه الحديث: «**فحجَّ آدمُ ومُوسى**» أي: غَلَبَه بالحُجَّة؛ والمحاجة: أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته، قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٨٠]، ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١][(٤)].

---

(١) آداب البحث والمناظرة: ٢ / ٣.

(٢) انظر لسان العرب باب الراء فصل النون؛ والمصباح المنير والقاموس المحيط ومفردات الراغب مادة (ن ظ ر).

(٣) الصواعق المرسلة لابن القيم: ٤ / ١٢٧٥.

(٤) انظر لسان العرب باب الجيم فصل الحاء، والقاموس المحيط ومختار الصحاح مادة ومفردات الراغب (حجج).

معنى المخاصمة :

الخُصومَةُ : الجَدَلُ ؛ وهي الاسم من التَّخاصُمِ والاخْتِصام ، يقال : خاصَمَه خِصامًا ومُخاصَمَةً فَخَصَمَهُ يَخْصِمهُ خَصْمًا : غلبه بالحجة ، والخَصْمُ المُنازِع ، واخْتَصَمَ القومُ وتَخاصَموا ، وخَصْمُكَ : الذي يُخاصِمُكَ ، وجمعه خُصُومٌ ، وقد يكون الخَصْمُ للاثنين والجمع والمؤنث ؛ وفي التنْزيل العزيز : ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ جعله جمعًا لأَنه سمي بالمصدر ؛ والخَصِيمُ كالخَصْمِ ، والجمع خُصَماءُ وخُصْمانٌ . وقيل للخَصْمَيْنِ خَصْمان لأَخذ كل واحد منهما في شقٍّ من الحِجاج والدَّعْوى . ورجل خَصِمٌ : جَدِلٌ شديد الخُصُومَةِ ، قال سبحانه : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف : ٥٨] . وخاصَمْتُ فلانًا فَخصَمْتُه أَخْصِمهُ بالكسر ؛ وأَخْصَمْتُ فلانًا إذا لَقَّنْته حُجته على خَصْمِهِ . والخُصمُ بالضم : الجانبُ والزاويةُ والنَّاحيةُ ؛ قال الراغب : الخصم مصدر خصمته ، أي : نازعته ، يقال : خاصمته وخصمته مخاصمة وخصاما ، قال تعالى : ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة : ٢٠٤] ، قال : وأصل المخاصمة : أن يتعلق كل واحد بخُصم الآخر ، أي جانبه . ا.هـ [1] .

معنى المنازعة :

نازَعَهُ مُنَازَعَةً ونِزاعًا : جاذَبَهُ في الخُصُومَةِ ، والمُنازَعةُ في الخُصومةِ : مُجَاذَبَة الحُجَجِ فيما يَتَنازَعُ فيهِ الخَصْمانِ ، يُقَالُ : نازَعَهُ الكَلامَ ونازَعَه في كذا ؛ والتَّنازُعُ في الأَصْلِ : التَّجاذُبُ كالمُنَازَعَةِ ويُعَبَّرُ بِهِمَا عن التَّخَاصُمِ والمُجَادَلَةِ ، ومِنْهُ قَوْلُه ﷻ : ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟﴾ [الأنفال : ٤٦] ، ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [طه : ٦٢] [2] . قال ابن حجر – رحمه الله : التنازع من المنازعة ، وهي في الأصل المجاذبة ، ويعبر بها عن المجادلة ؛ والمراد بها المجادلة عند الاختلاف في الحكم إذا لم يتضح الدليل ؛ والمذموم منه اللجاج

(١) انظر لسان العرب باب الميم فصل الخاء ؛ والمصباح المنير والقاموس المحيط ومفردات الراغب مادة (خ ص م) .

(٢) انظر لسان العرب باب العين فصل النون ؛ والمصباح المنير والقاموس المحيط ومفردات الراغب مادة (ن ز ع) .

بعد قيام الدليل(١) .

معنى المماراة :

المِراءُ : الجدال . والتَّماري والمُماراة : المجادلة على مذهب الشك والرِّيبة ، يقال : ماريته مماراة : جادلته ولاججته ، ومعناه المحالبة ، كأن كلًّ واحد يحلب ما عند صاحبه . ويقال للمناظرة مُماراة لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويَمْتَريه به كما يَمْتري الحالبُ اللبنَ من الضَّرْع ؛ المِراءُ المُماراةُ والجدَل ، وفي التنزيل العزيز : ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ ؛ وأَصله في اللغة الجِدال ، وأَن يَستخرج الرجلُ من مُناظره كلامًا ومعاني الخصومة وغيرها منْ مَرَيْتُ الشاةَ إِذا حلبتها واستخرجت لبنها ، وقد ماراهُ مُماراةً ومِيراءً . ومارَيْتُ الرجلَ ومارَرْتُه إِذا خالفته وتَلَوَّيْتَ عليه ، وهو مأْخوذ من مِرار الفَتْل ومِرارِ السِّلسِلة تَلَوّي حَلَقها إِذا جُرَّتْ على الصَّفا .

والمِراءُ أَيضًا : من الامْتِراءِ والشكِّ . وامْتَرى فيه وتَمارى : شَكَّ ؛ وقوله ﷻ : ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ وقرئَ : « أَفتَمْرُونَه على ما يَرَى » فمن قرأَ أَفتُمارونه فمعناه أَفتجادلونه في أَنه رأَى اللَّه ﷻ بقلبه وأَنه رأَى الكُبْرى من آياته ؛ ومن قرأَ : « أَفتَمْرُونَه » فمعناه أَفتجحدونه ، وقال المبرد : أَي : تدفعونه عما يرى ، قال : وعلى في موضع عن . وقال الراغب : المرية : التردد في الأمر وهو أخص من الشك . قال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [الحج : ٥٥](٢) . قال الزمخشري : والمماراة المجادلة ، من مرى الناقة ؛ لأنه يستخرج ما عنده من الحجة ، ويقال : دع المراء لقلة خيره . وقيل : المراء مخاصمة في الحق بعد ظهوره ، كمرى الضرع بعد دروره ، وليس كذلك الجدال(٣) . وبهذا يظهر الفرق بين الجدال والمماراة . وفي الحديث : « **أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ**

---

(١) فتح الباري : ١٣ / ٢٧٨.

(٢) انظر لسان العرب باب الألف فصل الميم ؛ والمصباح المنير ومختار الصحاح ومفردات الراغب مادة (م ر ى) .

(٣) الفائق في غريب الحديث : ١ / ٢٢٩.

وَإِنْ كَانَ مَازِحًا ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ »[١] ومن أمثالهم : دع المِراء لقلّة خيره ؛ ولذا قيل : المماراة تفسد الصداقة القديمة ، وتحل العقدة الوثيقة وتكسب الإحنة والبغضاء . قال الشاعر :

إِيَّـاكَ إِيَّـاك الـمِـرَاءَ فَـإِنَّـه إلى الشَّرِّ دَعَّاءٌ ولِلشَّر جالِبُ

قال الغزالي - رحمه الله : وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه ؛ إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم[٢] .

* * *

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٠) ، الطبراني في الأوسط (٤٦٩٣) عن أبي أمامة ، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٧٣) وصحيح الجامع الصغير (١٤٦٤) ؛ وروى نحوه الترمذي (١٩٩٣) عن أنس وحسنه .

(٢) انظر إحياء علوم الدين : ١ / ١٢٦.

العلاقة بين الحوار والجدل والتحاج والمناظرة والمخاصمة والمنازعة والمماراة

تقدم أن الحوار هو مراجعة في الكلام بين طرفين أو أكثر دون ما يدل بالضرورة على وجود خصومة بينهما ؛ وبالتالي فهو يدخل فيه هذه الألفاظ فهي لا تخرج عن كونها حوارًا ، كما تقدم معنى الجدل والتحاج والمناظرة والمخاصمة والمنازعة والمماراة ؛ وأنها نظائر ؛ ولكن هناك فروق دقيقة بينها ، فالمماراة جدال علي سبيل الشك ؛ والمجادلة : هي المخاصمة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين ؛ والمخاصمة : منازعة بين اثنين على وجه الغلظة ؛ والمناظرة : ما يقع بين النظيرين ؛ والمُنازَعةُ في الخُصومةِ مُجاذَبةُ الحُجَجِ فيما يَتنازَعُ فيه الخَصْمانِ ؛ وقد يكون الجدل والتحاج والمناظرة بمعنى إذا خلا موضوعها عن النِّزاع والمماراة . وقد يراد بالجدال مطلق المخاصمة ، ومنه قوله تعالى : ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٩] . وقد يكون الجدل والحوار بمعنى واحد إذا خلا الجدل من العناد والتعنت للرأي كما قال تعالى في سورة المجادلة : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ فسمى الله سبحانه وتعالى مجادلة المرأة للرسول ﷺ ومجاوبته لها محاورة ، والعلم عند الله تعالى .

وعلى أية حال فالحوار كلمة غالبًا ما تستعمل في المناظرة الهادئة التي يسود عليها الألفة والبحث عن الحق . والجدال غالبًا ما يكون جوه صاخبًا وقد ينشأ عنه خصومة وعناد[1] . وذهب محمد حسين فضل الله إلى أن هناك فارقا بين معنى كل من الكلمتين : فكلمة حوار تتسع لكل أساليب التخاطب سواء كانت منطلقة من وضع لا يوحي بالخلاف أو يوحي به ؛ بينما كلمة الجدل تختزن في داخلها معنى الخلاف والشجار وتحمل في عمقها أيضا معنى التحدي والصراع الذي يبتعد عن العدوانية والسادية ؛ لذلك

---

(١) انظر مقال (إنما أعظكم بواحدة) عبد العزيز بن ناصر السعد - مجلة البيان عدد البيان العدد ٢٣ ص ١٧ - جمادى الأولى ١٤١٠ هـ - ديسمبر ١٩٨٩م .

كان التصنيف المتوازن : جدال بالتي هي أحسن ، وبغير التي هي أحسن .. وعلى هذا الأساس وباختصار قال : ربما كانت كلمة الحوار تضفي جوا يلطف من الخلاف ؛ بينما الجدل يعبر عن حركة الصراع والجدلية(١) . قلت : ولا يخرج ذلك الجدل عن كونه حوارا .

وصفوة القول : أن الحوار أوسع دلالة من الجدل والمناظرة والتحاج والمخاصمة والمنازعة والمماراة ؛ فبينه وبينها عموم وخصوص ، فكل من هذه الألفاظ نوع حوار ، فكل جدل حوار ، وكل مناظرة حوار ... وهكذا ، ولا عكس ؛ وقد تستعمل هذه الألفاظ لمعنى واحد ، ولكن ينفرد كل منها بمعنى خاص في نفسه .

تتمة :

لكي يكون الحوار نافعا مفيدا ، وليصل المتحاورون فيه إلى نتيجة مرضية ، لابد من مراعاة ما نبه عليه العلماء فيما تقدم ؛ وسيأتي الحديث عن شروط الحوار وآدابه مفصلا إن شاء اللَّه ؛ ولكن هاهنا ألفاظ أخرى تتعلق بالحوار لابد أن تعرف لتُجْتَنب في الحوار الذي نريد ؛ وهي : **المعاندة ، والمشاغبة أو التشغيب ، والمغالطة** .

أما المعاندة :

فهي أن يعرف الرَّجلُ الشيءَ ويأبى أن يقبلَه أو يُقِرَّ به(٢) ؛ وقال الجرجاني : المعاندة هي المنازعة في المسألة العلمية مع عدم العلم من كلامه وكلام صاحبه(٣) .

وعلى ذلك فيكون الغرض منها فاسدًا ؛ من محاولة إظهار عجز لا إعطاء فائدة يعتقدها المحاور ؛ أو بقصد التمويه والتلبيس ليخيل لمن يحاوره أن ما يقوله حق ؛ فالعناد موضوع للدلالة على الخروج عن الحق والعدول عن الواجب ؛ وفي بيانه يقول ابن حزم - رحمه اللَّه : نحو قوله : هذا الشيء إما واجب ، وإما مباح متساو ، وإما مباح مستحب ، وإما مباح مكروه ، وإما حرام ؛ وهذه الأقسام كما ترى تامة التعاند ،

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي ص ٨ (ط١- دار الملاك - بيروت) .

(٢) انظر العين للفراهيدي : ٢ / ٤٢، ولسان العرب باب الدال فصل العين .

(٣) التعريفات ص ٢٨١.

أي : كل قسم منها مخالف لسائرها[1] .

وأما المشاغبة :

فمن الشَّغْبِ وهو تَهْيِيجُ الشَّرِّ ، كالتَّشْغيبِ ؛ وشَغَبَهُمْ ، و شَغَبَ بِهِم ، وشَغَبَ عَلَيهِمْ ، وشَغَبَ فيهم : هَيَّجَ الشَّرَّ عليهم ، وهو شَغِبٌ ومِشْغَبٌ ، وشَغَّابٌ وشِغَبٌّ ، ومُشاغِبٌ وذُو مَشاغِبَ ، وشَغَبَ فلانٌ عن الطريقِ يَشْغَبُ شَغْبًا ، وفلانٌ مِشْغَبٌ إذا كان عانِدًا عن الحَقِّ ؛ وفي حديث ابن عباس قيل له : ما هذه الفُتْيا التي شَغَبَتْ في الناسِ[2] ؟ أي : خلطت عليهم أمرهم ؛ فالشَّغْبُ بسكون الغين تَهْيِيجُ الشَّرِّ والفِتْنَةِ والخِصام ، والعامَّة تَفْتَحُها ؛ والشَّغْبُ الخِلافُ - أيضا - قاله الباهلي[3] . والمراد به عند الحوار إيراد بعض المسائل لا لغرض موضوع الحوار وإنما لقصد تهييج الخصام ؛ إما لإنهاء الحوار دون نتيجة أو لغرض آخر في نفس المحاور .

وأما الأغلوطة والمغالطة :

فمن الغَلَطِ ، وهو كل شيءٍ يَعْيا الإنسان عن جهة صوابه من غير تعمد ؛ وقد غالَطَه مُغالَطَةً ؛ والمَغْلَطَةُ والأُغْلُوطَةُ : الكلام الذي يُغْلَطُ فيه ويُغالَطُ به ؛ ومنه قولهم : حَدَّثْتُه حديثًا ليس بالأَغالِيطِ ، والتَغْلِيطُ أَن تقول للرجل غَلِطْتَ ؛ والمَغْلَطةُ والأُغْلُوطةُ ما يُغالَطُ به من المسائل ، والجمع الأَغالِيطُ وفي الحديث أَنه ﷺ « **نَهى عن الغَلُوطاتِ** » وفي رواية : « **الأُغْلُوطاتِ** »[4] قال الهرويّ الغَلُوطاتُ تُركت منها الهمزة كما تقول جاء لَحْمَرُ بترك الهمزة قال وقد غَلِطَ مَن قال إِنها جمع غَلُوطةٍ ؛ وقال الخطابي : يقال : مسأَلة غَلُوطٌ إِذا كان يُغْلَطُ فيها ، كما يقال شاة حَلُوبٌ وفرَس رَكُوب ، فإِذا جعلتها اسمًا زِدْتَ فيها التاء

---

(١) انظر مسائل ابن حزم : ٤ / ٢٥٠.

(٢) مسلم (١٢٤٤) ، ونص الحديث : قال رجل من بني الهجيم لابن عباس : ما هذا الفتيا التي قد تشغفت أو تشغبت بالناس : أن من طاف بالبيت فقد حل؟ فقال سنة نبيكم ﷺ وإن رغمتم .

(٣) انظر لسان العرب باب الباء فصل الشين ، والنهاية في غريب الحديث ، ومختار الصحاح والقاموس المحيط مادة (ش غ ب) ، والمنهاج شرح مسلم للنووي : ٨ / ٢٢٩.

(٤) رواه أحمد : ٥ / ٤٣٥، وأبو داود (٣٦٥٦) ، والطبراني في الأوسط (٨٢٠٤) عن معاوية رضي الله عنه .

فقلت : غَلُوطة كما يقال حَلوبة ورَكوبة ، والأُغْلُوطاتُ جمع أُغْلوطة أُفْعولة من الغَلَط كالأُحْدُوثةِ والأُعْجُوبةِ ؛ وهي **المسائل التي يُغالَطُ بها العلماء ليَزِلُّوا فيَهِيجَ بذلك شَرٌّ وفِتنة** ؛ وإنما نهَى عنها لأَنها غير نافعة في الدِّين ولا تكاد تكون إِلا فيما لا يقع(١) . قال الجرجاني : والمغالطة قياس فاسد إما من جهة الصورة وإما من جهة المادة وإما من جهة المعنى(٢) . وقال أبو البقاء العكبري : **المجادلة** هي المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء أكان كلامه في نفسه فاسدا أو لا ؛ وإذا علم بفساد كلامه وصحة كلام منازعه فنازعه فهي **المكابرة** ؛ ومع عدم العلم بكلامه وكلام صاحبه فنازعه فهي المعاندة ؛ وأما **المغالطة** : فهو قياس مركب من مقدمات شبيهة بالحق ، ويسمى **سفسطة** ؛ أو شبيهة بالمقدمات المشهورة ويسمى **مشاغبة**(٣) .

وخلاصة القول : إنه لابد من الحوار والمناظرة ، لكن بالإنصاف والتأني والتأمل دون المماراة والشغب والغضب والمغالطة والمكابرة والمعاندة ، فكل ذلك من عوائق الحوار .

* * *

---

(١) انظر لسان العرب باب الطاء فصل الغين ؛ والقاموس المحيط ومختار الصحاح والنهاية في غريب الحديث مادة (غ ل ط) .

(٢) انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) انظر الكليات ص ٨٤٩.

أنواع الحوار

ينقسم الحوار بشكل عام من الناحية الشرعية إلى حوار شرعي، وحوار غير شرعي.

فالأول: هو الحوار الذي أمر به الشرع وجاءت الأدلة على مشروعيته.

وأما الثاني: فكل حوار لإقرار ما حرم الله ورسوله، أو لتحريم ما أحل الله ورسوله؛ أو لمخالفة ما قررته شريعة الإسلام، فهذا بلا شك حوار غير شرعي.

أنواع الحوار الشرعي:

يقسم د أحمد القاضي الحوار الشرعي إلى نوعين:

الأول: حوار الدعوة: وهو وظيفة المرسلين، وخلفائهم من العلماء الربانيين والدعاة الناصحين، وهو مشروع الأمة الإسلامية، وعنوان خيريتها على سائر الأمم. ومضمون هذا الحوار هي (الكلمة السواء) التي دل عليها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وأسلوبه هو ما دل عليه عموم قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وخصوص قوله: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وترجمته العملية سيرته ﷺ في دعوة أهل الكتاب؛ من يهود المدينة ونصارى نجران، ومكاتباته لملوك الأرض، ثم طريقة السابقين الأولين من الصحابة والتابعين والسلف الصالح، كمحاورة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه للنجاشي وبطارقته، وهدي الصحابة رضي الله عنهم في معاملة أهل البلاد المفتوحة، وأسلوب العلماء الراسخين في مخاطبة أهل الكتاب، ككتاب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى سرجوان (ملك قبرص).

وأبرز خصائص هذا الحوار ما يلي:

١ - مبادأة أهل الكتاب بالدعوة الصريحة إلى الإسلام، وعدم الاشتغال بأمور أخرى

تصرف عن ذلك، أو توهنه، أو تؤجله.

٢ - مجادلتهم بالتي هي أحسن في القضايا العقدية الفاصلة، ومحاجتهم، ومناظرتهم، لدحض شبهاتهم، ونقض حججهم، بأسلوب علمي رفيع، ثم مباهلتهم إن لزم الأمر.

٣ - أخذ زمام المبادرة في دعوتهم، كما يدل عليه قوله: ﴿تَعَالَوْا﴾ [آل عمران: ٦٤]؛ باستضافتهم في دار المسلمين، واستقبال وفودهم، والكتابة إليهم، وغشيانهم في محافلهم وبيوتهم لدعوتهم، وكل ذلك ثابت من هدي النبي ﷺ.

٤ - تألفهم بالقول الحسن، كمناداتهم بما يليق بهم من ألقاب حق، وتحيتهم تحية مناسبة، كقوله ﷺ: «**إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى**»، وبالفعل الحسن، كعيادة مريضهم، وتمكينهم من الصلاة في المسجد لعارض، وإكرام وفدهم، تأسيًا بالنبي ﷺ.

الثاني: حوار السياسة الشرعية: وهو ما تفرضه حركة الأمة الإسلامية، وتمليه طبيعة التعايش بين البشر؛ بحكم الجوار والمصالح المتبادلة.

وهذا النوع من الحوار والمفاوضات والمعاهدات يوكل إلى أولي الأمر، وأهل الحل والعقد، وتضبطه القواعد العامة في الشريعة، وتقدير المصالح والمفاسد.

وقد رافق هذا اللون من (حوار التعايش) نشأة الدولة الإسلامية في المدينة، حيث عقد النبي ﷺ عهودًا مع يهود المدينة، وأبرم صلح الحديبية مع كفار قريش، كما زخر الفقه الإسلامي المؤسس على فقه الكتاب والسنة بتراث ضخم في مجال العلاقات الدولية بأهل الكتاب؛ ذميين كانوا، أو معاهدين، أو مستأمنين، أو حربيين.

أما الحوار البدعي؛ فهو حوار المداهنة، والابتذال، والخضوع بالقول، وكتم الحق، والسكوت عن الباطل، والموادة والموالاة لغير المؤمنين؛ مما يقع فيه كثير من محترفي الحوار المذموم اليوم.

ولا ريب أن في ديننا فسحة وسعة تنافي التقوقع والانكماش، وتمكن دعاة الإسلام مستفيدين من التسهيلات الإعلامية الحديثة من التقدم إلى العالم أجمع بخطاب متين

يتضمن دعوة المرسلين إلى توحيد رب العالمين، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩][١].

* * *

(١) انظر مقال (الحوار الإسلامي النصراني أو الحوار بين مسلمين ونصارى) د أحمد بن عبد الرحمن القاضي - مجلة البيان - العدد (١٨٤) ص ٢٠ - ذو الحجة ١٤٢٣ هـ - فبراير ٢٠٠٣ م.

نشأة الحوار في المصطلح السياسي والثقافي الحديث

لم تعرف السياسة مصطلح الحوار بالمعنى المطروح حديثا في تاريخها الطويل ؛ وإنما الأمور كانت تجري سياسيا بمفاوضات سلمية أو إثر معركة يرى أحد طرفيها أو كلاهما عقد هدنة لوقف القتال ، لأهداف استراتيجية عند كلٍّ من الطرفين . وإن كانت هذه المفاوضات تقوم على الحوار غير أنه حوار خاص ليس بالمعنى المطروح على الساحة الفكرية اليوم ؛ ويتحدث د . عبد العزيز التويجري عن نشأة الحوار في الفكر السياسي فيقول : مفهومُ الحوار في الفكر السياسي والثقافي المعاصر ، من المفاهيم الجديدة حديثة العهد بالتداول . ولعلَّ مما يدلُّ على جدة هذا المفهوم وحداثته ، أن جميع المواثيق والعهود الدولية التي صدرت (في الخمسين سنة الأخيرة) بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة ، تخلو من الإشارة إلى لفظ الحوار ، بينما تعتمد معانيَ إنسانية أخرى مثل : التسامح ، والتعاون ، والتعايش ، وإنماء العلاقات الودية بين الأمم ، وتحقيق التعاون الدولي ، والدفع بالرقيِّ الاجتماعي قدمًا ، والرفع من مستوى الحياة في جوٍّ من الحرية أفسح ، تعزيزًا للعمل الجماعي المشترك لما فيه الخيرُ للإنسانية .

فليس الحوار من ألفاظ القانون الدولي ، فهو لا يوجد له ذكرٌ أصلا في ميثاق الأمم المتحدة ، ولا في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، ولا في العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ولا في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ، ولا في إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي . وعلى هذا الأساس ، فإن الحوار بهذا المعنى هو مفهومٌ سياسيٌّ إيديولوجي ثقافي حضاري ، وليس مفهومًا قانونيًا . ولقد اقترن ظهورُ مصطلح الحوار في دلالته الجديدة ، بتزايد حدّة ما كان يُعرف بالحرب الباردة بين المعسكرين السابقين بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفياتي السابق ، وتَزَامَنَ هذا الظهور للفظ الحوار ، مع تصاعد ضراوة الصراع الإيديولوجي والسياسي بين القوتين العظميين ؛ فكان الحوار الذي طرح الغرب فكرته ، مقابل التعايش الذي رفع المعسكر الشيوعي شعاره وتبنَّى فلسفته ؛ فالغرب ينادي بالحوار بين الأديان ، ثم

بالحوار بين الثقافات والحضارات ، والشرق الذي كان فيما مضى يتمثل في الاتحاد السوفياتي ، يدعو إلى التعايش السلمي ، والتعايش بين الأمم والشعوب . ولكلٍّ دعوةٍ غايتها ، وفي كلتا الحالتين فإن الكاسب هو صاحب الدعوة والمنادي بها والمدافع عنها .

ويلاحظ في هذا السياق ، أن الحوار الذي كان الغرب هو السابق إلى الدعوة إليه بهذا المفهوم ، وبهذه الدلالة ، استند في أول الأمر على الهدف الديني ، حيث وقع التركيز على الحوار الإسلامي المسيحي ، وكانت الكنيسة الغربية هي التي وجَّهت الدعوة إلى هذا الحوار ، وذلك في أعقاب نشوء أزمةٍ حضاريةٍ جديدة في العالم العربي الإسلامي نتيجة تصادم بين الإرادتين ؛ الإرادة العربية الإسلامية ، والإرادة الغربية ، وبلوغ حدَّة الصراع بين الجانبين مبلغًا قدَّر الجانبُ الغربيُّ أنه بات يهدّد مصالحه ، فكانت الدعوة إلى الحوار في المجال الديني ، في صيغة (الحوار الإسلامي المسيحي) ، ثم في المجال السياسي في صيغة (الحوار الأوروبي العربي) ، في مرحلة أولى أعقبتها مرحلة ثانية نشطت فيها الدعوة إلى (حوار الشمال والجنوب) . وكان الغرب في كل الأحوال وفي جميع الظروف هو صاحب المبادرة إلى هذا الحوار في أشكاله المتعددة وبِصِيَغِه المتنوعة ، سعيًا منه إلى أهداف رسمها وإلى غايات حدَّدها ، يكتنفها جميعًا قدرٌ من الغموض الذي لم تنفع وسيلة في إخفائه ، لأننا هنا بإزاء دعوة صادرة من جهة تملك شروط القوة الاقتصادية والنفوذ السياسي والقدرة على صنع الحدث والتحكم في مساره . ومن هنا وجب التعامل مع الحوار في هذا الإطار بقدرٍ كبيرٍ من الفطنة والتنبُّه[١] .

❊ ❊ ❊

(١) الحوار الحضاري والثقافي : أهدافه ومجالاته – د . عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو .

فوائد الحوار

للحوار فوائد جمة نذكر منها :

١ - **الدعوة إلى الله تعالى** : المحاورة أو المجادلة بالتي هي أحسن وسيلة مهمة من وسائل تبليغ الحق والهدف منها الوصول إلى الحقيقة ، وهي في إطار الحركة الإسلامية أداة التصحيح والبناء والتقويم الذاتي ، فالحوار أداة وعي مشتركة تتحدد فيها الآراء وتُستعرضُ فيها المسائل ويستخلص منها ما دل عليه الدليل الشرعي أو النظري وهو وسيلة من وسائل الشورى والتناصح والتعاون على البر والتقوى ، وهذا هو طريق النضج وسبيل الكمال ، ولن يتم تصحيح الأخطاء وتدارك النقص وتقويم المسيرة الشرعية والدعوية إلا إذا اتسعت صدورنا معشر الدعاة إلى الحق للحوار ، وروضنا أنفسنا على قبول النقد والمراجعة وعندها تكون حواراتنا حوارات تربوية منهجية ، تثري الساحة الإسلامية بالدراسات الشرعية والطروحات العلمية[1] .

٢ - **ومن فوائد الحوار الوقوف على أبعاد من القضية** لم يكن المحاور على علم بها فيراجع نفسه وفكره وأدواته من جديد لفهم القضية ، مما يجعله يغير حكما أو رأيا حسب ما وقف عليه ، وبالتالي يرجع إلى الحق وينساق له ، فمداولة المحاور آراءه وفق الموقف الجديد تجعله يتراجع عنها أو يزداد بها وثوقًا .

٣ - **للحوار دوره وضرورته** في بناء التعايش والتعارف والتعاون والحيلولة دون الحروب والمواجهة ، وأهميته في بناء المشترك الإنساني والارتقاء بالإنسان وتحقيق كرامته واسترداد إنسانيته ، وأنه سبيل الإسلام إلى الانتشار والانتصار والاستقرار[2] .

٤ - **الحوار يزيل الصورة الضبابية للأمور ويجليها** ويحولها من الغموض والتعقيد

---

(١) انظر مقال (التجرد في الحوار) لأحمد عبد الرحمن الصويان _ مجلة البيان عدد العدد ٧١ ص ١٥ - رجب ١٤١٤ - ديسمبر ١٩٩٣.

(٢) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار الذات والآخر) للدكتور عبد الستار الهيتي ص ٢٤ - كتاب الأمة ٩٩.

إلى الوضوح والسهوله والفهم والدقة ؛ وكم من حوار كان سببا في تصحيح مفهوم ، أو إزالة شبهة ، أو هداية إنسان إلى الحق .

٥ - ومن فوائد الحوار التعارف بين الأفراد والقبائل والشعوب ومحاولة التعايش ، وفي قول اللّٰه تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات : ١٣] دليل واضح على ذلك ؛ وكما يقول د ناصر العمر : قال اللّٰه سبحانه : ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ ولم يقل : لتعاركوا ؛ فالأصل التعارف في كل شيء اسمًا وشخصًا وثقافة وتاريخًا وعملًا وموقفا وكتابًا ودراسات بحيث يكون الحديث عن وعي وبصيرة .ا.هـ .

٦ - تشييد جسر للتواصل السلمي البناء وسد الطريق أمام المواجهات والمصادمات مما يبدد الجهود . فكثيرًا ما يوقف الحوار أنواعًا من الصدامات التي لا حاجة لها ولا داعي إليها ؛ وإذا كان الجهاد فريضة قائمة إلى قيام الساعة وماضية أيضًا ، وهذا معنى متواتر وهو مرتبط بخلود هذه الأمة ، واستعدادها للصبر والمقاومة ، وهو من المعاني التي تميز هذه الأمة ، وربما لولا المقاومة في فلسطين والعراق وغيرها لكان وضع الأمة أسوأ مما هي عليه . لكن الجهاد فريضة لها أسبابها وظروفها ، وقد أجمع الفقهاء على أن الهدنة والصلح أمر جائز ، وقد صالح النبي ﷺ على الهدنة في الحديبية . فللحوار مكانه وللجهاد مكانه ، وهذا مأمور به في وقته وحينه ، وهذا مأمور به في وقته وحينه .

٧ - الحوار يوصل إلى المصالح المشتركة ، فقد تجد قسمة مشتركة بينك وبين الآخر كالدين الجامع ومواطن الإجماع والاتفاق والمحكمات من الكتاب والسنة وأصول الإسلام والإيمان والأخلاق وغير ذلك . فهذه قسمة مشتركة بين المسلمين جميعًا يجب أن ينطلقوا منها ويصدروا عنها .

ومن القواسم المشتركة (المصلحة الجامعة) وهي المصلحة العامة التي أجمع عليها العلماء ، كما يقول الشافعي والغزالي وابن تيمية وغيرهم ؛ وهي أن الدين جاء لتحصيل المصالح ودفع المفاسد .

وقد رهن النبي ﷺ درعه عند يهودي لطعام اشتراه والحديث في البخاري .. والبيع

والشراء فيه مصلحة لليهودي ولم يغب ذلك عن النبي ﷺ. فالسعي يكون لما فيه مصلحة لك ولو تعلق بمصلحة للآخرين، فليس الرشاد هو السعي في حرمان الآخرين من مصالحهم، بل الحكمة أن نسعى في مصالحنا ولو ترتب عليها مصالح لغيرنا، والله أعلم(١).

٨ - العمل على إقناع الطرف الآخر ليتخلص من وجهات نظره ومواقفه كليًا أو جزئيًا في القضايا التي هي موضوع الحوار، ليتقبلها ويعمل على تبنيها بعد اقتناعه بها، سواء بعد الحوار مباشرة أو تدريجيًا على المدى الطويل.

٩- إحباط حجج المتطرفين والمتعدين؛ فكثير من حوارات كبار علماء الإسلام مع الفرق الضالة كشفت زيف أفكارهم، وذلك ما سجلته كتب تراثية خالدة كالملل والنحل للشهرستاني، والفصل بين الملل والأهواء والنحل لابن حزم، والرد على البكري لابن تيمية، والصواعق المرسلة لابن القيم، والمسألة القاديانية للمودودي وغيرها(٢).

وسيأتي - إن شاء الله تعالى - زيادة بيان وإضافات عند الحديث عن ثمرات الحوار في الدعوة والتربية والثقافة والإعلام.

* * *

---

(١) من مقال للدكتور ناصر العمر عن الحوار - موقع الإسلام اليوم بتصرف.

(٢) من (٨) إلى (١٣) مستفاد من كتاب (الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه) للدكتور أحمد بن سيف الدين تركستاني.

الباب الأول

منهجية الحوار

- الفصل الأول : مقوماته
- الفصل الثاني : شروطه
- الفصل الثالث : آدابه
- الفصل الرابع : عوائقه .

منهجية الحوار

النَّهْجُ والمَنْهَجُ والمِنْهاجُ : الطَّريقُ الواضِحُ ، و نَهَجَ الطريق أَبانه وأَوضحه و نَهَجَهُ أيضا سلكه ؛ وقد نَهَج الأمرُ وأنْهَج إذا وَضَح ، وطريق منهج ومنهاج ونهج أي بين واضح ؛ وفي التنزيل : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ واسْتَنْهَجَ الطريقُ صار نَهْجًا ؛ ونَهَجْتُ الطريقَ أَبَنْتُه وأَوضَحتُه ، يقال : اعْمَلْ على ما نَهَجْتُه لك ، ونَهَجتُ الطريقَ سَلَكتُه ، فالمنهج الطريق المنهوج أي : المسلوك ، وفلانٌ يَستَنهِجُ سبيلَ فلانٍ أَي : يَسلُكُ مَسلَكَه ، والنَّهْجُ الطريقُ المستقيمُ[(١)] .

والمنهج في الاصطلاح هو : الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة ؛ والتي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة . وبعبارة أوجز : هو القانون أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية ، وفي أي مجال[(٢)] .

فالمنهجية إذًا : وضع طريقة واضحة لسلوكها وعدم الخروج عنها .

ومما لا شك فيه أن الحوار يختلف من شخص إلى شخص ، ومن حال إلى حال ، ومن ظرف إلى ظرف ؛ فالحوار مع الكبير ليس كالحوار مع الصغير ؛ والحوار مع العالم ليس كالحوار مع الجاهل ؛ والحوار مع الجبابرة ليس كالحوار مع غيرهم ، والحوار مع المؤمنين ليس كالحوار مع الكافرين .. وكذلك الحوار بين متخاصمين ليس كالحوار بين متوافقين ، وحوار المرء في حال الغضب ليس كحواره في حال الرضا .

ولذا كان من أهم الأسس لنجاح أي حوار أن توضع منهجية ضابطة توفر شروطا يلتزم بها جميع المتحاورين للوصول بذلك إلى حوار ناجح يؤدي إلى نتيجة مرضية .

---

(١) انظر لسان العرب باب الجيم فصل النون ، والنهاية في غريب الحديث والقاموس المحيط ومختار الصحاح والمصباح المنير مادة (ن هـ ج) ، وانظر شرح مسلم للنووي : ١٦ / ٤٤، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٦٨١.

(٢) انظر : العلم والبحث العلمي لحسين عبد الحميد رشوان ، ص ١٤٣- ١٤٥، ومنهج البحث العلمي عند العرب لجلال محمد عبد الحميد مرسى ص ٢٧١- ٢٧٣.

إن الحوار عملية تهدف إلى إقناع الطرف الآخر ، أو رد شبهته ، أو إقامة الحجة عليه ، أو إيقاف جبروته وطغيانه ؛ وللوصول إلى هذه الأهداف كلها أو بعضها يجب أن ننظر بخبرة وبصيرة في حال المحاور ، وفي الأسلوب الذي ينبغي استخدامه معه ، وفي القضية التي يتعلق بها الحوار ، وفي الحد الذي نقف عنده .

وإذا كانت عناصر الحوار هي :

١ - المتحاوران ، فردان أو جماعتان .

٢- الحوار .

٣ - مدير الحوار .

فمن الذي يحاوِر ؟ ومن الذي يحاوَر ؟ ومن الذي يدير الحوار ؟ وما هو موضوع الحوار ؟ وما هي كيفية الحوار ؟ أو : ما هي شروط الحوار ومقوماته وآدابه وعوائقه ؟

فبالإجابة عن هذه الأسئلة ترسم المنهجية التي يقوم عليها الحوار ، ويحكم أمره فلا يخرج إلى مماراة ولا إلى معاندة أو مكابرة أو مشاغبة مما يؤدي إلى إنهاء الحوار بلا فائدة .

ولا شك أنه لإنجاح الحوار لابد من قواعد وضوابط لهذا الحوار ، وهذه الضوابط والقواعد فضلًا عن أنها آداب وأخلاق فهي جزء رئيس ومؤثر في فعالية أي عمل يبنى على الحوار .

وفي هذا الباب سنحاول - بإذن اللَّه تعالى - أن نوضح هذه المنهجية من خلال الحديث عن أربعة أمور ينضبط بها الحوار ، وسيكون ذلك في أربعة فصول وهي :

الفصل الأول : مقومات الحوار .

الفصل الثاني : شروط الحوار .

الفصل الثالث : آداب الحوار .

الفصل الرابع : عوائق الحوار .

*   *   *

الفصل الأول

مقوِّمات الحوار

مقومات الشيء هي حقائقه المقومة له ، والتي لا قوام له بدونها ، أي أركانه وعناصره التي يتكون منها وما يفتقر إليه في تحقق وجوده ؛ أو هي الأمور المقومة لخصائصه ومميزاته ليقوم على التمام ، وماهية الشيء إنما تتحقق بجميع المقومات .

ولما كان لا يتصور حوارٌ إلا بين متحاورين يتردد بينهما كلام ؛ كان للحوار ركنان أساسيان :

١ - المتحاوران .

٢ - موضوع الحوار .

ولا يكون حوار إلا وله أول وآخر ومحاور يدور فيها ، فلابد إذًا من بيان **حدود الحوار زمنا وموضوعا** ، كما لابد أن يكون للحوار **مقصد وهدف وغاية** ، وإلا فحوار بلا هدف لا فائدة منه كحوار الطرشان ؛ كما ويجب الاتفاق على قواعد يتفق عليها أطراف الحوار تحكم إدارة الحوار ؛ وقد يحتاج الحوار إلى من يديره لينضبط وقتًا وشرطًا ؛ لذلك فإن أهم مقومات الحوار :

١ - المتحاوران .

٢ - موضوع الحوار .

٣ - حدود الحوار .

٤ - غاية الحوار .

٥ - قانون الحوار .

٦ - مدير الحوار .

ونحاول في هذا المقام أن نبين المراد من هذه المقومات .

أولًا : المتحاوران ؛ وهما **طرفا الحوار** ، ولابد أن يكون كل واحد منهما ذا أهلية في نفسه أولا ، ولما اتفق عليه من الحوار ثانيا ؛ ونعني بالأهلية الذاتية هنا هي الأهلية

العامة ، فكل إنسان يمكن أن يكون أهلا للحوار إذا كان عاقلا ؛ وهكذا جميع الناس في حواراتهم ؛ وأما أن يكون أهلا لما اتفق عليه من الحوار ، فتلكم أهلية خاصة : فإذا كان الحوار في مسائل الفقه مثلا فلابد أن يكون فقيها ؛ وإذا كان في مسائل الطب فلابد أن يكون طبيبا متخصصا في قضية الحوار المختارة .. وهكذا ؛ وأما إذا كان الحوار مع غير مسلمين حول قضايا الإسلام ؛ فهذا حوار يحتاج إلى عالم راسخ في العلم خبير بأبعاد الحوار ، مطلع على صفات المحاورين وعقائدهم ، ذي بصيرة نافذة يدرك بها متوقعات الحوار ومتغيراته ، صاحب فراسة وبديهة . وليس كل عالم يتقن مثل هذه الحوارات ؛ قال ابن تيمية – رحمه اللّٰه : وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظرُ ضعيفَ العلم بالحجة وجواب الشبهة ، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل ، كما ينهى ذلك الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجا قويا من علوج الكفار ، فإنَّ ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة[1] ا.هـ .

ولنتأمل – مثلا – حكمة نبي اللّٰه إبراهيم في حوار النمروذ إذ ألزمه الحجة : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ؛ قال ابن القيم – رحمه اللّٰه : فإن من تأمل موقع الحجاج وقطع المجادل فيما تضمنته هذه الآية وقف على أعظم برهان بأوجز عبارة ، فإن إبراهيم لما أجاب المحاج له في اللّٰه بأنه الذي يحيي ويميت أخذ عدو اللّٰه معارضته بضرب من المغالطة ، وهو أنه يقتل من يريد ويستبقي من يريد ، فقد أحيا هذا وأمات هذا ، فألزمه إبراهيم على طرد هذه المعارضة أن يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي اللّٰه بها منها إذا كان بزعمه قد ساوى اللّٰه في الإحياء والإماتة ، فإن كان صادقًا فليتصرف في الشمس تصرفا تصح به دعواه ؛ وليس هذا انتقالا من حجة إلى حجة أوضح منها كما زعم بعض النظار ، وإنما هو إلزام للمدعي بطرد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل : ٧ / ١٧٣.

حجته إن كانت صحيحة(١) .

ولننظر في محاورة موسى مع فرعون إذ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] ، فإن فرعون إنما استفهم استفهام إنكار وجحد متجاهلا أنه لا يعرفه ! ولهذا قال في تمام الكلام : ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] ، فاستفهامه كان إنكارا وجحدا ، يقول : ليس للعالمين رب يرسلك ، فمن هو هذا ؟ إنكارا له ، فبين موسى أنه معروف عنده وعند الحاضرين وأن آياته ظاهرة بينة لا يمكن معها جحده ، فهو سبحانه أعرف من أن ينكر وأعظم من أن يجحد ، فقال : ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٣: ٢٨] ؛ وكذلك قالت الرسل لمن قال من قومهم : ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ٩، ١٠] .

وهاهنا ضوابط وقواعد تضاف لهذا الركن للوصول إلى حوار ناجح ؛ فبالنظر في معاني الحوار المتقدمة تظهر أمور نجملها في ما يلي :

أ) **تساوي المتحاورين في تداول المقولات** ؛ وهو إقرار تام بحق الآخر في عرض قضاياه ومعانيه التي يجعلها بإزاء ألفاظه بنفس القدر من الحق مع الطرف الآخر ، وهو ما يفيده المعنى اللغوي : (المجاوبة - مراجعة المنطق والكلام) ، ولا يخفى ما في صيغة المفاعلة من معنى مراد ، والحوار على وزن فعال ، وهي جمع فعل ، أي أنه لا يتحقق بفعل طرف واحد ، وإنما بأفعال أطراف متعددين .

وبغير ذلك يتحول الحوار - كما يقول د . صالح بن عبد الله بن حميد - إلى درس أو محاضرة أو إملاء رأي لا يستفيد منه المتكلم ولا السامع ؛ فأما **المتكلم** فلم يستفد شيئًا من الاستماع إلى نفسه ، ولم يضف إلى عقله ومنطقه قوة بتكراره إياه ؛ وأما **السامع** المخالف

---

(١) الصواعق المرسلة : ٢ / ٤٩٠، ٤٩١.

له فقد حُرم من حقه في التعبير عن نفسه ، فهو إلى رفضه كل ما قاله الآخر أو بعضه – ولو كان حقًا – أدنى منه إلى مجرد التفكير فيه فضلًا عن قبوله[(١)] .

وفي حوار إبراهيم ﷺ للنمروذ وموسى لفرعون بيان واضح لهذا الأمر ، فكلا طرفي الحوار تساوى في تداول المقولات ، وهكذا كل حوار في القرآن الكريم ؛ وكذا السنة ناطقة بهذه القاعدة ، فقد روى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى عن جابر رضي الله عنه قال : اجتمعت قريش يوما فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة فقال : يا محمد ! أنت خير أم عبد اللّٰه ؟ فسكت رسول اللّٰه ﷺ ، فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول اللّٰه ﷺ ، فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ؛ وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا واللّٰه ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك : فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتى طار فيهم أن في قريش ساحرا ، وأن في قريش كاهنا ، واللّٰه ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى : أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ! أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وإن كان بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا ، فقال رسول اللّٰه ﷺ : « **فَرَغْتَ ؟** » قال نعم : فقال رسول اللّٰه ﷺ : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ : ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ فقال عتبة : حسبكَ حسبك ، ما عندك غير هذا ؟ فقال رسول اللّٰه ﷺ : « **لَا** » فرجع إلى قريش ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته ، قالوا : فهل أجابك ؟ قال : نعم ، قالوا : فما قال ؟ قال : لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال ؟ قال : لا واللّٰه ما فهمت

(١) محاضرة له بعنوان (الإسلام وحوار الحضارات) ألقاها مساء يوم الاثنين ١٤٢٣/٧/٢٣هـ ضمن فعاليات معرض الكتاب الدولي الذي نظمته جامعة الملك سعود .

شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة[(١)] . وروى هذه القصة ابن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب القرظي قال : حُدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدًا - قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون . فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه ؛ فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : « **قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَع** » قال : يا ابن أخي ! إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال : « **أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟** » قال : نعم قال : « **فَاسْتَمِعْ مِنِي** » قال : أفعل ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه ، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه ، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال : « **قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْتَ وَذَاكَ** » فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني سمعت قولا ما سمعت

---

(١) ابن أبي شيبة (٣٦٥٦٠) ، وعبد بن حميد ١١٢٣) ، وأبو يعلى (١٨١٨) ؛ ورواه الحاكم : ٢ / ٢٥٣، ٢٥٤، وصححه ووافقه الذهبي .

مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي : خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ! قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم[(١)] . فانظر كيف أعطاه النبي ﷺ فرصته كاملة في طرح ما عنده ثم قال له : « **أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟** » قال : نعم قال : « **فَاسْتَمِعْ مِنِّي** » قال : أفعل ، فبدأ النبي ﷺ يلقي عليه حجته ؛ وهكذا أيضا نجد كل حوار للنبي ﷺ .

ب) **لكلا الطرفين الحق في طرح ما يراه صوابا** ؛ ومعنى هذا أن كل طرف من طرفي الحوار غير ملزم بتبني مقولات الطرف الآخر ، بل هو حر في عرض مقولاته من غير قهر ولا جبر ؛ وهو الذي يفيده المعنى اللغوي : (التجاوب) ، فالأصل في الحوار هو المراجعة في الكلام ، بما يوحي إلى ما ينبغي من رحابة الصدر وسماحة النفس ؛ ومن هنا نجد أن النبي ﷺ في حواره السابق مع عتبة أعطاه فسحة ليعرض ما يريده دونما إكراه ؛ وفي حواره ﷺ مع ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ بعد أسره ، قَالَ له : « **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ** » فَقَالَ : عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ : إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : « **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ** » قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ : إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ ، فَقَالَ : « **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ** » فَقَالَ : عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ ! فَقَالَ : « **أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ** » فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ[(٢)] قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؛ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ خَيْلَكَ

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ١ / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ورواه البيهقي في الدلائل : ٢ / ٢٠٤ من طريق ابن إسحاق .

(٢) النجل : موضع قرب المسجد فيه ماء قليل ؛ وفي رواية « نخل » أي : يستتر به عند اغتساله .

أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ .. الحديث[1] .

فتأمل كيف كرر النبي ﷺ السؤال عليه ؟ وكيف كرر ثمامة الإجابة لتقف على حق المحاور في أن يقول ما يراه صوابا .

ج) **حرية القول من غير إكراه** ؛ وهو ما يسميه البعض بالحرية الفكرية ، ويتضمنه أيضا المعنى اللغوي (المجاوبة ، مراجعة المنطق والكلام) وهو ما يعني الحرية في القول والانفعال في الإصغاء إلى الرأي والرأي المقابل دون مصادرة ولا إكراه . وهذا واضح أيضا في الأمثلة السابقة ؛ وقد حكى القرآن ما كان من قريش في مجادلتها للنبي ﷺ وسؤالهم الآيات ، ثم أمره تعالى أن يرد عليهم ؛ قال اللَّه تعالى : ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠: ٩٣] ؛ فانظر كيف كان في حوارهم حرية في قول ما يريدون وإن كان فيه ما فيه من التعنت والعناد !

د) **عدم إكراه المحاور على الرد** ؛ ولذا قيل : (لم يُحِرْ جوابًا ، أَي : لم يرجع ولم يَرُدَّ) فليس من مقتضيات الحوار أن يكون الطرف الآخر ملزما بالجواب ؛ فالسكوت قد يكون - أحيانا - جوابا ؛ وقد مر بنا كيف أن النبي ﷺ لم يلزم عتبة بالرد بعد أن ناشد عتبة النبي ﷺ أن يكف عن القراءة .

فليس شرطًا للحوار الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول الطرف الآخر ويتفقان على موقف واحد ، فهذا نجاح لاشك فيه ؛ وأيضا فإن المحاور قد يحتاج إلى وقت يراجع فيه نفسه ويتفكر فيما عرض عليه من كلام محاوره فيصل إلى الحق ، أو إلى موقف ينتصر به الحق . وكذلك يعتبر الحوار ناجحًا إذا توصل الطرفان إلى أن كل قول يقوله أحدهما هو صحيح أو في الإطار الذي يسعه الخلاف بين المسلمين .

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة : رواه البخاري (٤٣٧٢) ، ومسلم (١٧٦٤) .

أما فشل الحوار فيكون عندما يتشبث كل طرف برأيه ويُخَطِّئ الطرف الآخر بلا برهان واضح .

هـ) **استعداد كلا الطرفين لقبول الحق والرجوع عن رأيه** ؛ فارتباط الحوار بمعنى الرجوع عن الشيء والى الشيء ، يثبت في الضمير الإنساني فضيلة الاعتراف بالخطأ ، ويركز على قيمة عظمى من قيم الحياة الإنسانية ، وهي القبول بمبدأ المراجعة بالمفهوم الحضاري الواسع الذي تجاوز الرجوع عن الخطأ إلى مراجعة الموقف برمته ، إذا اقتضت لوازم الحقيقة وشروطها هذه المراجعة ، واستدعى الأمر إعادة النظر في المسألة المطروحة للحوار على أي نحو من الأنحاء ، وصولًا إلى جلاء الحق(١) .

وهذا يستدعي من المحاور التجرد لطلب الحق وعدم التعصب لفكرة مسبقة ، ولا لهيئة يتبعها ، ولا لمذهب يعتنقه ؛ بل إذا ظهر الحق في جانب محاوره بالأدلة والبراهين فيجب أن يسلم له ؛ ولا يكابر أو يعاند أو يشغب لإنهاء المحاورة أو لإفساد التحاور . وقد أكد القرآن الكريم على هذا الأمر فأمر اللّٰه تعالى رسول اللّٰه ﷺ بأن يقول للمشركين في محاورته لهم : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ : ٢٤] هذا مع علمه أن الحق معه وأن مخالفيه في الضلال المبين ؛ وهذا واضح في الدعوة للتجرد للحق وقبوله والابتعاد عن المكابرة والمعاندة والتعصب لفكرة مسبقة ؛ وهو من الإنصاف في الخطاب الذي كل من سمعه من ولي وعدو قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك ؛ وهو أيضًا مقام التنزل الذي يعطيه المحاور - افتراضًا - للآخرين حتى يجلبهم إلى مائدة الحوار . فالحوار ليس معركة حربية غرضها الانتصار وكسر الخصم . فعلى المحاور أن يفترض - ولو نظريًا - احتمال ثبوت الحق على لسان الخصم ؛ يقول الإمام الغزالي عند ذكره لعلامات طلب الحق : أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة ، لا يفرّق بين أن تظهر الضالة على يده ، أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معينًا لا خصمًا ، ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهر له الحق(٢) . فالرجوع إلى الحق عندما يتضح ، والتسليم بالخطأ حين

---

(١) من محاضرة للدكتور صالح بن عبد اللّٰه بن حميد بعنوان (الإسلام وحوار الحضارات) .

(٢) إحياء علوم الدين ١ / ٥٧.

يستبين ، من الصفات التي يتميز بها المحاور الصادق ؛ فالحق ضالته فحيثما وجده أخذه ، والعاقل هو الذي يسلم بخطئه ويعود إلى الصواب إذا تبين له ، ويفرح بظهوره ويشكر لصاحبه إرشاده ودلالته إليه .

قال الشافعي – رحمه اللَّه : ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته ، ولا كابرني أحد على الحق ودفع الحجة الصحيحة إلا سقط من عيني ورفضته[1] .

وقال : ما ناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من اللَّه وحفظ ؛ وما ناظرت أحدا إلا ولم أبال بين اللَّه الحق على لساني أو لسانه[2] .

ثانيا : موضوع الحوار :

من المهم جدا حتى يثمر الحوار أن يحدد موضوع الحوار بل والمحَاوِر التي يدور في فلكها ؛ ذلك لأن الحوار لا يتحقق من فراغ ، وإنما يدور حول موضوع يستحق البحث والمناقشة وتبادل الآراء ، وعدم وجود القضية التي يجري الحوار بشأنها يجعل عملية التحاور ليست ذات بال ولا فائدة منها ، بل إنها تتحول من محاورة علمية إلى سفسطة كلامية توصل أطرافها إلى اللجاج الذي يقتصر الأمر فيه على النقاش لذاته ، ويكون همُّ المتجادلين إحراز غلبة على الخصم ونيل الشهرة دون هدف علمي منشود .

وأهم ما يتم التركيز عليه في هذا الجانب هو معرفة الطرفين المتحاورين للموضوع المطروح للتحاور ، والوقوف على الفكرة التي يريدان إثباتها أو نفيها ، لأن الجهل بها وعدم الإطلاع على تفاصيلها يعد من أهم أسباب فشل الحوار ؛ ذلك أن المعرفة التامة بالقضية التي يجري الحوار بشأنها تجعل المحاور يعلم كيف يبدأ الحوار ، وكيف يعالج مفرداته ، وكيف ينتهي منه ، في وضوح الرؤية وهدوء الفكر وقوة الحجة ووداعة الكلمة[3] .

---

(١) حلية الأولياء ٩ / ١١٧، وسير أعلام النبلاء : ١٠ / ٣٣.

(٢) حلية الأولياء : ٩ / ١١٨.

(٣) انظر سلسلة كتاب الأمة (الحوار .. الذات والآخر) ص ٥٥، ٥٦ بشيء من الاختصار والتصرف .

ضوابط لموضوعات الحوار :

الحوار ليس مشروعًا من قبيل الترف الفكري ولا الفضول وحب الاستطلاع وتشقيق الجدل في المسائل ، فهناك قضايا يباح الجدل فيها ، وأخرى ليس من الجائز الخوض فيها بحوار أو جدال إما بسبب محدودية العقل البشري إزاءها أو بسبب عدم ترتب أي ثمرة علمية أو عملية من ورائها ، أو لأنها محسومة أساسًا بنص شرعي أو إجماع .

فالبحث في ذات الله تعالى - مثلًا - منهي عنه شرعًا ، فهذا ليس مجال بحث ولا جدال ولا حوار ، لأن القول في ذلك الشأن الجليل هو من قبيل الخوض بلا علم ، والعلم شرط أولي لخوض الحوار وهو معدوم في هذه الحالة ؛ وهو هنا من جملة ما نهى الله عنه في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] .

وكذلك المفردات والبديهيات الجلية لا تجرى فيها المناظرة أصلًا ؛ وهنالك مسائل كثيرة لا يترتب عليها عمل ، فهذه الحوار فيها مما يضيع الوقت والجهد بلا فائدة ، **والقاعدة :** كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي[(١)] .

ومن المسائل التي ينهى عن الجدال فيها كل ما حكم الله ورسوله فيه بنص محكم جلي ، أو ما جاء فيه إجماع لعلماء الإسلام ؛ فالأحكام القطعية في الدين ليست مناطًا للحوار أو الجدال من أجل إعادة النظر فيها أو تقويمها أو تغييرها ؛ فليس في ذلك مجال لحوار بقبول ورد ، وقد يكون فيها حوار لإزالة شبهة ولبيان حسن التشريع ومصلحته .

وهنالك قضايا كثيرة لا ينبغي فيها الحوار لأنها تقود إلى مزيد من الشقاق والفتنة ، كالجدال في شأن الصحابة ﷺ أو تفضيل مواقف بعضهم على بعض في أيام الفتن ؛ وما أجمل الاستدلال في هذا الموطن بقول الله تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة : ١٣٤، ١٤١) .

---

(١) الموافقات للشاطبي : ١ / ٤٦ - دار المعرفة .

ثالثًا : حدود الحوار :

كل حوار لابد له من حدود ضابطة لوقته ومحاور موضوعه ، وإلا سينتهي إلى غير فائدة ؛ فلابد من تحديد زمن الحوار وضوابط محاوره لينضبط أمر الحوار ، ويراعى في ذلك :

بالنسبة للوقت :

١ - تحديد وقت كاف لمحاور الحوار .

٢ - الإنصاف في إعطاء المحاوِر وقتا يسع لكلامه عرضًا أو ردًا .

٣ - حق الطرف الآخر في سعة وقت الرد .

وبالنسبة لِمَحَاوِر الحوار :

١ - التركيز في الموضوع على القضايا التي تحتاج إلى نقاش .

٢ - عدم الخروج عن أصل موضوع محور الحوار إلا فيما يتعلق به .

٣ - متى يغلق الحوار نهائيا أو لاستئنافه بعد ذلك .

رابعًا : غاية الحوار (أهدافه ومقاصده) :

يجب أن تكون غاية الحوار هي الرغبة في الوصول إلى الصواب والحق ؛ لأن التفكير في الوصول إلى الغلبة يلقي بصاحبه في لجاجة الجدل العقيم ؛ مما يؤدي إلى عدم جدوى الحوار ؛ والسبب في ذلك كما يقول الغزالي - رحمه اللّه : اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند اللّه المحمودة عند عدو اللّه إبليس ؛ ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة ؛ وكما أن الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره ؛ فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة(١) .

---

(١) انظر إحياء علوم الدين : ١ / ٥٨ (دار الفكر) .

وليكن معلوما أن تحديد هدف الحوار قبل الدخول فيه أمر مهم ، والمحافظة على الهدف أثناء الحوار أيضًا أمر مهم ، لأن في ذلك المحافظة على التركيز في مهمات الحوار وعدم الخروج عن موضوع الحوار بمناقشة جزئيات أو أمور جانبية بعيدة عن موضوع الحوار ؛ مما يكون له الأثر في عدم ضياع الوقت والوصول إلى نتيجة في آخر الأمر .

ويحدد الدكتور عمر عبد الله كامل أهداف الحوار ومقاصده في أمور أربعة :

١ - **إقامة الحجة** : الغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي . والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق .

٢ - **الدعوة إلى الله تعالى** : فالحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس ، قال تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥] .

٣ - **تقريب وجهات النظر** : فمن ثمرات الحوار تضييق هوة الخلاف ، وتقريب وجهات النظر ، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض والتناحر .

٤ - **كشف الشبهات والرد على الأباطيل** ، لإظهار الحق وإزهاق الباطل ؛ قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥][(١)] ؛ وقال تعالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨] .

ولكي تتحقق هذه الأهداف فلابد من تحقق أمور أهمها **الإخلاص والعلم** ؛ ومعنى **الإخلاص** في موضوعنا هذا تحقيق القصد من الحوار ، فبالنسبة للمحاور المسلم : أن يكون قبوله للحوار ومجلسه فيه وكلامه عرضًا وردًا كله بقصد التقرب إلى الله تعالى والذب عن دينه وإقامة شرعه .

وأما العلم فقد تقدم الإشارة إليه وسيأتي مزيد بيان في شروط المحاور المسلم .

خامسا : قانون الحوار :

هذا الركن من أهم أركان الحوار ، فالاتفاق على منهج النظر والاستدلال قبل البدء في

---

(١) انظر آداب الحوار وقواعد الاختلاف .

أي نقاش علمي يضبط مسار الحوار ويوجهه نحو النجاح ، إذ إن الاختلاف في المنهج سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة لا حصر لها ولا ضابط . ولذلك لابد من الاتفاق على أصل يرجع إليه عند الخلاف .

فلابد أن يكون للحوار بين جانبين منطلقات مشتركة ليكون مجديًا ، وأهمها :

١ - **الاعتماد على أسس مشتركة للحوار** ، كالتحاكم إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة عند المؤمنين بهما ، أو التحاكم إلى القواعد العقلية المسلم بها والقياس الصحيح عند غيرهم ؛ فعندما يكون الحوار بين مسلمين فالمرجعية العليا عند كل مسلم هي : **الكتاب والسنة ، والضوابط المنهجية في فهم الكتاب والسنة .**

وقد أمر اللَّه بالرد إليهما فقال سبحانه : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] .

وأما محاورة المسلم لغير المسلمين فينبغي أن يكون الحوار معهم حسب ما يتفق عليه من قواعد عقلية صحيحة للوصول إلى نتيجة مرجوة من الحوار ، وهذه القواعد تعتمد على العقل والحس والفطرة والعلم ؛ وكل ذلك مضبوط بقواعد الشرع ؛ فيجب أن يعلم أن مرجعية المسلم في أموره كلها هي كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ؛ وقد قال اللَّه تعالى : ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٢] ، أي : وجاهدهم بالقرآن ؛ وقال ﷻ : ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] ؛ فقولنا بأن محاورة غير المسلمين حسب ما يتفق عليه من قواعد عقلية صحيحة ؛ لا يعني أننا نسلم بأمور لا يقرها شرع اللَّه المطهر ؛ والحق أن النقل الصحيح لا يخالف العقل الصحيح ؛ كيف وهو من عند اللَّه تعالى ؟ ! وقال الشيخ السعدي -رحمه اللَّه : فإنْ كان المدعو يرى أنَّ ما هو عليه الحق أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن ، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا . ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها فإنّه أقرب إلى حصول المقصود ، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل

الفائدة منها ، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها[1] .ا.هـ .

قال د جعفر شيخ إدريس : فشرط الحوار أن يستند إلى معايير يؤمن بها الطرفان ؛ فإذا كان حوارًا بين مؤمنين وملحدين كان المعيار هو العقل والحقائق العلمية المتفق على التسليم بها ، وإذا كان بين مؤمنين بوجود الخالق أضيف هذا إلى تلك المعايير ، وأضيف إليه أيضًا المحاكمة إلى حقائق دينية يؤمن بها كل من الفريقين . وإذا كان بين منتسبين إلى دين واحد كالإسلام مثلًا كانت المعايير مراجع دينهم الذي به يؤمنون . هذا هو الحوار كما يعرفه ويدعو إليه كل العقلاء من المفكرين من أهل الأديان وغير الأديان[2] .

وقد يكون الحوار مع غير المسلمين بالنظر في معتقداتهم وإعمال العقل في بيان بطلانها ؛ وقد كان هذا دأب علماء المسلمين في مناظرة غير المسلمين ؛ ومن أمثلة ذلك ما قاله ابن القيم – رحمه اللّٰه : وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة ، فقلت له في أثناء الكلام : أنتم بتكذيبكم محمدا ﷺ قد شتمتم اللّٰه أعظم شتيمة ! فعجب من ذلك وقال : مثلك يقول هذا الكلام ؟ فقلت له : اسمع الآن تقريره ؛ إذا قلتم : إن محمدا ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس برسول من عند اللّٰه ، وقد أقام ثلاثا وعشرين سنة يدعي انه رسول اللّٰه أرسله إلى الخلق كافة ، ويقول : أمرني اللّٰه بكذا ، ونهاني عن كذا ، وأوحي إلي كذا ، ولم يكن من ذلك شيء ؛ ويقول : إنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم ، وغنيمة أموالهم ، وقتل رجالهم ، ولم يكن من ذلك شيء ؛ وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء ومعاداة أممهم ونسخ شرائعهم ؛ فلا يخلو إما أن تقولوا : إن اللّٰه سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه ، أو تقولوا : إنه خفي عنه ولم يعلم به ؛ فان قلتم : لم يعلم به ، نسبتموه إلى أقبح الجهل ، وكان من علم ذلك أعلم منه ! وان قلتم : بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه ، فلا يخلو إما أن يكون قادرا على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أو لا ؛ فان لم يكن قادرا فقد نسبتموه

---

(١) تفسير السعدي : ٣ / ٩٣، عند الآية ١٢٥ من سورة النحل .

(٢) في مقال له بعنوان (الحوار .. مجادلة جادة لا مداهنة) نشر بمجلة البيان عدد (١٩٠) ص ٤٤، جمادى الآخرة ١٤٢٤ – أغسطس ٢٠٠٣.

إلى أقبح العجز المنافي للربوبية ، وإن كان قادرا وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ، ويعليه ويعلى كلمته ، ويجيب دعاءه ، ويمكنه من أعدائه ، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف ، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به ، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له ، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلا عن رب الأرض والسماء ، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه ، وهذه عندكم شهادة زور وكذب ؟ ! فلما سمع ذلك قال : معاذ اللَّه أن يفعل اللَّه هذا بكاذب مفتر ، بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد ؛ قلت : فما لك لا تدخل في دينه ؟ قال : إنما بعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم ، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه ؛ قلت له : غلبت كل الغلب ، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول اللَّه إلى جميع الخلق ، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم ، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب ، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به ؛ فأمسك ولم يحر جوابا . قال ابن القيم : وقريب من هذه المناظرة ما جرى لبعض علماء المسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب ؛ قال له المسلم : في التوراة التي بأيديكم إلى اليوم أن اللَّه قال لموسى : (**إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيا مثلك ، أجعل كلامي على فيه ، فمن عصاه انتقمت منه**) قال له اليهودي : ذلك يوشع بن نون ، فقال المسلم : هذا محال من وجوه : **أحدها** أنه قال عندك في آخر التوراة : (**إنه لا يقوم في بني إسرائيل نبي مثل موسى**) ؛ **الثاني** : أنه قال : (**من إخوتهم**) وإخوة بني إسرائيل إما العرب وإما الروم ؛ فأما الروم فلم يقم منهم نبي سوى أيوب ، وكان قبل موسى ، فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة ؛ فلم يبق إلا العرب ، وهم بنو إسماعيل ، وهم إخوة بني إسرائيل ، فأما وقد قال اللَّه في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب : (إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته) وهم بنو إسرائيل ، وهي الشام التي هي مظهر ملكه كما تقدم من قوله وملكه بالشام ؛ فقال له اليهودي : فعندكم في القرآن ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف : ٨٥] وَ ﴿إلى عاد أخاهم هودا﴾ [الأعراف : ٦٥] ، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف : ٧٣] ، والعرب تقول : يا أخا بني تميم للواحد منهم ، فهكذا قوله : (أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم) قال المسلم :

الفرق بين الموضعين ظاهر : فإنه من المحال أن يقال : إن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل ، وبني تميم إخوة بني تميم ، وبني هاشم إخوة بني هاشم ، هذا ما لا يعقل في لغة أمة من الأمم ، بخلاف قولك : هود أخو عاد ، وصالح أخو ثمود ، أي واحد منهم ، فهو أخوهم في النسب ، ولو قيل عاد أخو عاد وثمود أخو ثمود ومدين أخو مدين لكان نقصًا ، وكان نظير قولك بنو إسرائيل إخوة بني إسرائيل ، فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح ؛ قال اليهودي : فقد أخبر أنه سيقيم هذا النبي لبني إسرائيل ، ومحمد إنما أقيم للعرب ولم يقم لبني إسرائيل ، فهذا الاختصاص يشعر بأنه مبعوث إليهم لا إلى غيرهم ؛ قال المسلم : هذا من دلائل صدقه ، فإنه ادعى أنه رسول اللّٰه إلى أهل الأرض كتابيهم وأميهم ، ونص اللّٰه في التوراة على أنه يقيمه لهم لئلا يظنوا أنه مرسل إلى العرب والأميين خاصة ، والشيء يخص بالذكر لحاجة المخاطب إلى ذكره ، لئلا يتوهم السامع أنه غير مراد باللفظ العام ولا داخل فيه ، وللتنبيه على أن ما عداه أولى بحكمه ، ولغير ذلك من المقاصد ، فكان في تعيين بني إسرائيل بالذكر إزالة لوهم من توهم أنه مبعوث إلى العرب خاصة ؛ وقد قال تعالى : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ (يس : ٦) هؤلاء قومه ، ولم ينف ذلك أن يكون نذيرا لغيرهم ، فلو أمكنك أن تذكر عنه انه ادعى انه رسول إلى العرب خاصة لكان ذلك حجة ، فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادعى انه مرسل إلى بني إسرائيل وغيرهم فلا حجة لك ؛ قال اليهودي : إن أسلافنا من اليهود كلهم على أنه ادعي ذلك ، ولكن العيسوية منا تزعم أنه نبي العرب خاصة ، ولسنا نقول بقولهم ؛ ثم التفت إلى يهودي معه فقال : نحن قد جرى شأننا على اليهودية ، وتاللّٰه ما أدري كيف التخلص من هذا العربي ؟ ! إلا أنه أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء[1] . فتأمل في هذين المثالين وانظر كيف كان أثر إعمال العقل فيهما عَرْضًا وردًا مما أسكت المجادل ولم يحر جوابا .

٢ - **التسليم ببدهيات المعرفة وبدهيات السلوك** ؛ فكيف نتحاور مع من يرى أنه

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٨٩، وانظر مناظرة ابن القيم في زاد المعاد أيضا : ٣ / ٥٥٧.

لابد للنهار من دليل ، أو مع من لا يرى في الصدق فضيلة وفي الكذب رذيلة مثلًا ؟ !

٣ - **عدم مناقشة الفرع قبل الاتفاق على الأصل** ؛ فلا بد من البدء بالأهم من الأصول وضبطها والاتفاق عليها ، ومن ثم الانطلاق منها لمناقشة الفروع والحوار حولها .

٤ - **تحديد المفاهيم والمصطلحات التي يدور حولها النقاش** ؛ إذ يجب أن تكون واضحة جلية ، وهو ما يسميه العلماء تحرير موضع النزاع ، فكثير من النقاشات التي تقدم اليوم مردها إلى خلاف في اللفظ .

سادسا : مدير الحوار :

قد يحتاج الحوار إلى من يديره لضبط الوقت بين المتحاورين ، وكذا لضبط منهج التحاور حسب ما اتفق عليه من قانون التحاور وآداب الحوار وقواعده ؛ ويشترط في مدير الحوار :

أولا : العلم بموضوع الحوار ومحاوره وقانونه ؛ حتى يتمكن من ضبط الحوار والسير به إلى نهايته وفق ما اتفق عليه .

ثانيا : الحياد ؛ فلا ينحاز إلى أحد طرفي الحوار فيؤثر ذلك على مجرى الحوار مما قد يؤدي إلى فشله .

ثالثا : الإنصاف والعدل ؛ فيعطى كل طرف في الحوار راحته وحريته في التعبير عن فكرته والإحاطة بها من جميع الوجوه ، لأن قطع الفكرة أو التشويش عليها يؤثر على تسلسل الأفكار وترابطها .

رابعا : الخبرة في إدارة الحوار : فتحتاج إدارة الحوار إلى حنكة خبير يتصرف مع ما يمكن توقعه من خروج أحد المتحاورين عن نسق الحوار أو أدبه ؛ فللخبرة دور في إعادة هذا المحاور إلى مجرى الحوار المتفق عليه .

* * *

الفصل الثاني

شروط الحوار

الشَّرْطُ إلزامُ الشيءِ والتِزَامُهُ في البيعِ ونحوِهِ، كالشَّرِيطَةِ وجمعه شُرُوطٌ، وقال الراغب: الشرط كل حكم معلوم متعلق بأمر يقع بوقوعه، وذلك الأمر كالعلامة له، ومنه قيل للعلامة: الشرط، وأشراط الساعة علاماتها، قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨]؛ وقال الجرجاني في التعريفات: قيل: الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجًا عن ماهيته، وقيل: الشرط ما يتوقف ثبوت الحكم عليه[١]. والشرط عند الأصوليين: ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته[٢].

والفرق بين الشرط والركن أن الشرط خارج الشيء والركن داخله، قال الناظم:

الركن ما في ذات شيء ولجا   والشرط عن ماهيةٍ قد خرجا

وقد يتعلق الشرط بالمحاور أو بالحوار؛ ولذا سنعرض هنا لأهم شروط المحاور المسلم، وكذا أهم شروط الحوار.

شروط المحاور المسلم[٣]

إن المحاور المسلم يمكن أن يخوض حواره مع جبهات شتى: مع مسلمين من أمثاله، أو مع مسلمين مبتدعين، أو مغالين، أو مفرطين، أو منهزمين فكريًا أمام

---

(١) انظر لسان العرب باب الطاء فصل الشين؛ ومفردات الراغب القاموس المحيط مادة (ش ر ط)، والتعريفات ص ١٦٦.

(٢) انظر الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي: ١ / ٢٠٥، ٢٠٦، و التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للأسنوي ص ٨٣، والقواعد والفوائد الأصولية للبعلي ص ٩٤، وإجابة السائل شرح بغية الآمل للصنعاني ص ٤٩.

(٣) رأيت الدكتور أحمد بن سيف الدين تركستاني في كتابه (الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه) ذكر جملة من هذه الشروط فاخترت منها ما يناسب المبحث مع اختصار وتصرف وإضافات كثيرة خلال المبحث وفروعه.

الأطروحات الغربية ومائلين إلى تفسير الدين بما يساير تلك الأطروحات ؛ أو قد يحاور بعضًا من أهل الكتاب أو من لا دين لهم .

كما تتباين دوافع الحوار ، فمنهم من يستصحب نية حسنة في طلب الحق والاستعداد لقبوله متى ما اتضح ، ومنهم من يتخذ الحوار سبيلًا لعرض آرائه ونشرها مع الإصرار على عدم قبول الحق إذا جاء من طرف آخر حتى ولو اتضح جليًا . والمسلم الذي آمن بالله واليوم الآخر ورضي الإسلام منهجًا لحياته ، لا يجوز له مناقشة قبوله بمنهج آخر للحياة ، ولا يعقل أنه يتحاور مع سواه على إمكانية أن تصوغ حياته شريعة أخرى غير شريعة الله تعالى .

وعلى المحاور المسلم أن يتعرف على خلفيات من يحاورهم جيدًا حتى يتمكن من تسخير معارفه ومواهبه على النحو الكفيل بالتعامل مع كل طائفة من هؤلاء بما يليق ؛ ولذا يشترط في المحاور المسلم أن يكون مؤهلا لمثل هذه المحاورات بمؤهلات ضرورية :

أولها : الإخلاص : فالإخلاص في البحث عن الحق والصدق في طلبه شرط أساسي للوصول إلى ذلك الحق ، وعندما يغيب الإخلاص ينعدم الانقياد إلى الحق حتى ولو كان مثل فلق الصبح ، لأن من تعلق قصده بغير وجه ربه (جل جلاله) ثقل عليه الانقياد للحق وقصرت همته عن بلوغه والعمل به . قال الخطيب البغدادي - رحمه الله - في ذكر آداب الجدل والمناظرة : ويخلص النية في جداله بأن يبتغي به وجه الله تعالى ... وليكن قصده في مناظرته إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم[1] .

فوجب على من أراد معرفة وجه الحق في أي أمر أن يخلص قصده ونيته لله عز وجل ؛ وهو هنا **تحقيق القصد من الحوار** ، فبالنسبة للمحاور المسلم : أن يكون قبوله للحوار ومجلسه فيه وكلامه عرضًا وردًا كله بقصد التقرب إلى الله تعالى والذب عن دينه وبيان شرعه ؛ وهو من أهم شروط المحاور المسلم ؛ فهو يبتغي بمحاورته وجه الله تعالى ، وبافتقاد هذا الشرط يضيع الهدف من الحوار ويكتب له الفشل ؛ لأن المحاور إذا كان يبتغي بمحاورته حظا من حظوظ الدنيا المادية أو الأدبية فإنه سيحرص على إرضاء من عنده هذه الحظوظ ؛

(١) الفقيه والمتفقه : ٢ / ٥.

وبالتالي سيسعى لتحقيقها ولو على حساب الأمانة التي حملها ، وهذا واضح في كثير من ندوات الحوار التي تجرى في هذه الأزمان .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الثاني : العلم : اشترط القرآن الكريم العلم فيمن يحاور عن دين الله القويم وعاب على قوم أنهم يجادلون بغير علم ، يقول تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج : ٨] ؛ وأمر المسلم أن يحاور بعلم وهدى وبصيرة فقال تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف : ١٠٨] ؛ فالعلم شرط أساس لنجاح الحوار وتحقيق غايته ، وبدونه لا ينجح حوار ، ويهدر الوقت ويضيع الجهد .

فيجب على المحاور ألا يناقش في موضوع لا يعرفه ، ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها ، فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها ، ويعرض نفسه للإحراج وعدم التقدير والاحترام . وهذا العلم يتضمن :

ا - **العلم بالأدلة الشرعية من القرآن والسنة** : فعلى من يجادل عن دين الله تعالى أن يلم بأدلته الشرعية من الكتاب والسنة وفهمهما فهما صحيحًا ، وهذا يقتضي العلم بالتفسير وأصوله ، والدراية بالحديث النبوي الشريف وعلوم الشريعة الأساس . وإذا كانت الإحاطة التامة بكل ذلك متعذرة ، فالواجب ألا يحاور المرء ولا يجادل إلا فيما يعرف معرفة أكيدة من أمور الشرع وعلوم الدين .

إن من تمام فقه الفقيه وعلم العالم أن يعرف قدر نفسه ، فلا يتعداه ، وأن يحقق مجاله العلمي فلا يخرج عنه ، ولا يتصدى لما ليس له بأهل . فغني عن الذكر أن نقول : إنه يلزم من يحاور في قضية ما أن يكون ملما بأبعادها وإلا أوتي من حيث لم يحتسب ، وقديما قيل :

إذا ما قتلتَ الشيءَ علمًا فقلْ بِهِ ... ولا تقلْ الشيءَ الذي أنت جاهلُهْ
جَهِلتَ فعاديتَ العلومَ وأهلَها ... كذاكَ يعادي العلمَ مَنْ هو جاهلُهْ
فمن كان يهوي أن يُرى متصدرًا ... ويَكْرَهُ لا أدري ، أصيبتْ مقَاتِلُهْ

ب - **العلم بالقواعد الأصولية ومقاصد الشريعة** : وهذا جانب مهم من العلم لأن

معرفة الأدلة تحتاج إلى المعرفة بتلك القواعد حتى يتم تخريج الأحكام على أساس أصولي صحيح ، وإلا اختل الميزان وجرى التلاعب بالأحكام . ومقاصد الشريعة عليها أيضًا التعويل في استخراج كثير من الأحكام . لقد كان علماء السلف أشد الناس تحريًا لمقاصد الشرع . يقول محمد الطاهر بن عاشور - رحمه اللّٰه : وفي هذا العمل تتفاوت مراتب الفقهاء ، وترى جميعهم لم يستغنوا عن استقصاء تصرفات الرسول ﷺ ولا عن استنباط العلل ، وكانوا في عصر التابعين وتابعيهم يشدون الرحال إلى المدينة ليتبصروا من آثار الرسول ﷺ وأعماله وعمل الصحابة ومن صحبهم من التابعين ، هنالك يتبين لهم ما يدفع عنهم احتمالات كثيرة في دلالات الألفاظ ، ويتضح لهم ما يستنبط من العلل تبعًا لمعرفة الحكم والمقاصد[1] .

جـ - الإحاطة بمواطن الخلاف في القضية المطروحة للحوار والإلمام بأنواع الاختلاف ما يجوز فيه وما لا يجوز ، لأن جهل هذا الأمر يوسع دائرة الاختلاف فيحصل الاختلاف والفرقة حول مسألة قد يسع الخلاف فيها والاجتهاد ، كما ينبغي الإلمام بأسباب الاختلاف بين علماء الأمة والتي ذكرها شيخ الإسلام في رسالته القيمة « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » .

وفي هذه المناسبة ينبغي الإشارة إلى مسائل الخلاف ، وأنواعها ، وما هو المحمود منها ، وما هو المذموم ، وما هي المسائل التي يسعها الخلاف ، والمسائل التي لا يسعها ، إلى آخر ذلك مما يتعلق بموضوع الاختلاف ، فنقول وباللّٰه التوفيق : إن الاختلاف ينقسم إلى قسمين :

١ - **قسم يحمد فيه أحد الطرفين ويذم الطرف الآخر** ، مثل الاختلاف الواقع بين المؤمنين والكافرين ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ ؛ وكذا الخلاف بين أهل السنة وأرباب البدع ؛ فكل ما يتصل بقضايا العقيدة وأصولها والتي لم يختلف عليها سلف

(١) انظر مقاصد الشريعة الإسلامية : ٣ / ٨١ من كتاب محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية .

الأمة وإنما ظهر الاختلاف واستشرى بعدهم فهو داخل تحت هذا القسم .

٢ - **قسم يذم فيه الطرفان المختلفان إذا سبَّبَ هذا الاختلاف الفرقة والعداوة ، ويحمد فيه الطرف الذي لم يجعل هذا الاختلاف سببًا في الفرقة والمفاصلة** ، وهذا النوع من الاختلاف هو الذي وسع السلف رحمهم اللّه تعالى ، ولم يحصل بينهم بسببه افتراق ولا بغضاء ، فكل ما وسع السلف الصالح فيما اختلفوا فيه فيجب أن يسعنا ، ويندرج تحت هذا القسم عدة صور نجملها فيما يلي :

أ - اختلاف في تحديد موضوع الخلاف : وذلك بأن نجد أحد المختلفين قد ذهب إلى موضوع من النزاع غير ما ذهب إليه الآخر ، فذاك سماه باصطلاح معين والآخر سماه باسم آخر فظهر أن هناك اختلافًا ، والحقيقة غير ذلك فلو حددت المصطلحات ودقق في المعاني والألفاظ لظهر أن هناك اتفاقًا وليس اختلافًا ، وهذا الأمر لا يأتي إلا بالتفكير الهادئ مع الإخلاص للّه عَجَّلَ .

ب - قد يتضح بعد التفكير وتحديد موضع النزاع أن هناك اختلافًا لكن هذا الاختلاف ليس اختلاف تضاد ، بمعنى أن المعنى الكلي ليس فيه خلاف إنما الخلاف في تنوع آحاد هذا الكلي وتعدد الأمثلة التي تحته ؛ كمن يذهب إلى معنى جزئي وآخر يذهب إلى معنى جزئي آخر يندرج كلاهما تحت المعنى العام الكلي ، مثال ذلك تفسير ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ في قوله تعالى : ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة : ٦] ، فقائل بأنه القرآن وآخر أنه الإسلام وآخر أنه الرسول ﷺ ، فكل هذه المعاني لا اختلاف بينها لأن مرادها واحد وكل قول داخل تحت الآخر .

ج - ومن صور الاختلاف الذي وسع السلف -رحمهم اللّه تعالى- أن يكون المعنيان متغايرين لكن ليس بينهما منافاة ، لأن هذا قول صحيح ورد فيه دليل ، وذاك قول صحيح ورد فيه دليل أيضًا ، فلا يجوز أن يكون هذا سببًا في الاختلاف ، وهذا كثير في المنازعات لعدم معرفة أحد الطرفين بما عند الآخر من دليل ، ومثال ذلك الاختلاف في صفة الإقامة للصلاة فمن قائل بشفعها وقائل بإفرادها والاختلاف في القراءات ... الخ .

وكل ما ورد في الشريعة عليه دليل صحيح ووسع السلف الصالح فإنه لا يجوز أن

يكون سببًا في الاختلاف المؤدي إلى الفرقة و التباغض ، وهذا بالطبع لا يأتي إلا نتيجة التفكير والبحث وعدم التعجل في رد قول المخالف إلا بعد الاطلاع على كل ما يتعلق بالموضوع من أدلة واستنباطات ، فقد يتضح بعد البحث أن كلا القولين ثابت وصحيح عن الرسول ﷺ وبذلك ينتهي الخلاف .

د - الخلاف حول قضية معينة ورد الدليل عليها وأورد المخالف دليلًا آخر مخالفًا لها لكن أحد الدليلين أقوى من الآخر وأرجح ، فهذا أيضًا لا ينبغي أن يكون سببًا في الفرقة لأن ما وسع أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة السلف ينبغي أن يسعنا ، وهذا يقع في كثير من الأحكام التي اختلف فيها العلماء وعندما يعلم أن هؤلاء الأئمة ما اختلفوا لهوى في نفوسهم بل وقف كل منهم مع ما عنده من الدليل فربما وصل أحدهم ما لم يصل الآخر أو صح عنده ما لم يصح عند غيره كما بين ذلك شيخ الإسلام في رسالته (**رفع الملام عن الأئمة الأعلام**) ولكن مع ذلك فالواجب في هذه الحالة العمل بالدليل الراجح وترك المرجوح عند من تبين له ذلك بوجه شرعي . ولا يعني هذا موافقة من يأخذ بالأقوال الشاذة أو بعض سقطات العلماء والتي يكون الدليل على خلافها ، بل الواجب تصحيح المخالف وإرجاعه إلى الدليل وتوضيح وجه الشذوذ فيما أخذ به . قال النووي - رحمه الله : ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه أما المختلف فيه فلا إنكار فيه ؛ لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب ؛ وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين أو أكثرهم ، وعلى المذهب الآخر المصيب واحد غير متعين لنا ، والإثم مرفوع عنه ؛ لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق ، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع في خلاف آخر .ا .هـ[1] . وإنما أراد - رحمه الله - بقوله : أما المختلف فيه فلا إنكار فيه .ا .هـ مسائل الاجتهاد ؛ قال ابن القيم - رحمه الله : وقولهم : إن مسائل الخلاف لا

---

(١) شرح مسلم : ٢ / ٢٣؛ ومسألة (الإحاطة بمواطن الخلاف) نقلا عن مقال (إنما أعظكم بواحدة) عبد العزيز بن ناصر السعد - مجلة البيان - العدد (٢٤) ص ٢٦ - جمادى الآخرة ١٤١٠هـ - يناير ١٩٩٠م ، باختصار وتصرف .

إنكار فيها ليس بصحيح ، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى أو العمل ؛ **أما الأول** : فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعا شائعا وجب إنكاره اتفاقا ؛ وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله ؛ **وأما العمل** فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار ، وكيف يقول فقيه : لا إنكار في المسائل المختلف فيها ، والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتابا أو سنة ، وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء ؟ ! وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل بها مجتهدا أو مقلدا . وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد ، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم ، والصواب ما عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوبا ظاهرا - مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه - فيسوغ فيها إذا عدم فيها الدليل الظاهر الذي يجب العمل به الاجتهاد لتعارض الأدلة أو لخفاء الأدلة فيها ، وليس في قول العالم : إن هذه المسألة قطعية أو يقينية ولا يسوغ فيها الاجتهاد طعن على من خالفها ولا نسبة له إلى تعمد خلاف الصواب[١] .

وأحسب بعد هذا التحقيق أن على كل محاور أن يراجع نفسه في المسائل المختلف فيها قبل أن يجزم بقول ؛ ثم بعد ذلك يسعه الخلاف فيما وسع السلف رحمهم اللّه تعالى ؛ وقد قرر العلماء من قواعد المناظرة في الخلاف السائغ : أن يُقرأ للمخالف ، ويُعرف مراده ؛ ثم يُعرف دليله ، ويُعرف دليل مخالفه ، ثم يقال : هو في مرتبة عفو اللّه ، لما في الصحيحين عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « **إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ؛ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ** »[٢] .

د - **العلم بموضوع الحوار** : فعلى من يتصدى للحوار في موضوع معين أن يكون على علم شامل أو على الأقل كاف بأساسيات الموضوع وتفاصيله ، وذلك حتى لا يجادل

---

(١) إعلام الموقعين : ٣ / ٢٨٨.

(٢) البخاري (٧٣٥٢) ، ومسلم (١٧١٦) .

عن موقف لا يدرك خلفياته جيدًا فينهزم في الحوار . وعليه كذلك أن يحيط علمًا بوجهة نظر الطرف الآخر حتى لا يسدد سهام حواره بعيدًا عن مدارات الموضوع فتسجل عليه الهزيمة كذلك ؛ وقد أمر القرآن المسلم أن يحاور بعلم وهدى وبصيرة فقال تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف : ١٠٨] .

ومن هنا فإن الواجب على من يتصدى للحوار أن يكون على بينة من الموضوع الذي يحاور فيه ، والقضية التي يجري النقاش فيها ، حتى لا يكون بعيدًا عن منطق المعرفة والموضوعية في عملية التحاور ، كما أنه ينبغي عليه أن يتزود بالثقافة العامة التي تجعله قويًا في حجته أمام خصومه من خلال إحاطته بعناصر القضية التي يتحاور فيها ، كما أن عليه أن يكون ملمًا بالثقافة المضادة التي يملكها الطرف (الآخر) ليسهل عليه الوقوف على نقاط الضعف والقوة عند خصمه ، وليستطيع الموازنة والمفاضلة بين الفكرتين بمنطق العقل والعلم والدليل(١) .

د - تجويد لغة الحوار : لا بد للمحاور أن يسيطر على اللغة التي يحاور بها حتى يتمكن من الإفصاح عن جوهر ما يريد قوله ، وأن يختار الألفاظ والتعابير الأقوى في إيصال تلك المعاني . أما إذا كانت لغة المحاور ضعيفة ، فإن أفكاره مهما كانت صحيحة أو عميقة فإنها تبدو ضعيفة وسطحية وشديدة الاهتزاز ، وكثيرًا ما يحكم الناس على المتحدث بمستوى تمكنه من اللغة والإفصاح بها لا بمستوى تمكنه من العلم والتعمق والتحقيق فيه ، وهكذا كثيرًا ما انهزم محاورون كانوا على حق ، ولكن خانتهم ملكاتهم اللغوية الخائرة . قال د عمر عبيد حسنة : فاللغة بكل صيغها وأساليبها ومبانيها ومعانيها تشكل وعاء الحوار ، ووسيلته لتوصيل الرسالة المطلوب توصيلها . لذلك يعتبر من الشروط الأساس للحوار التمكن من اللغة الأم في الحوار مع الذات ، وإدراك وظائفها الاجتماعية وأبعادها النفسية والتربوية ، والتنبه إلى تأثير الكلمة وسحرها ومفعولها ، واختبار الاستجابة ، وتنويع الأسلوب ، واختيار المفردات والمصطلحات ، والتحقق بالإبانة(٢) .

---

(١) انظر (الحوار .. الذات والآخر) د عبد الستار إبراهيم الهيتي ص ١٧٢- سلسلة كتاب الأمة .
(٢) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار .. الذات والآخر) ص ١٣ - سلسلة كتاب الأمة .

وقال الشافعي - رحمه الله : أقدر الفقهاء على المناظرة من عود لسانه الركض في ميدان الألفاظ ، ولم يتلعثم إذا رمقته العيون بالألحاظ[١] .

وأما إذا كان الحوار مع الغير فيحسن أن يكون عالما بلغته ، وإلا كان معه ترجمان ثقة متمكن من لغة الآخر يترجم له وعنه .

الثالث : منهجة الأفكار : إن التعلم يحتاج إلى الذكاء والمثابرة والدأب والبصيرة ، أما منهجة الأفكار فتحتاج إلى مهارة خاصة تصقل بالمران والدربة ؛ وكثير من العلماء وإن زاد محصولهم من العلم المستند إلى الأدلة ، فإنهم قد لا يحسنون ترتيب مسائله ترتيبًا منطقيًا ، فتبدو معارفهم مشتتة ومختلطًا بعضها ببعض ، وهذا أول ما يفسد على العالم رسالته ويسبب فشله في الحوار .

إن المحاور الناجح هو ذلك الذي يدرب نفسه على منهجة الأفكار وترتيب النصوص والأدلة ، واستخراج مقدمات تخضع للتحليل بغرض استخراج النتائج منها ؛ فإعطاء النتائج بدون ذلك الترتيب المنطقي قد لا يكون محل اقتناع أو تسليم من الطرف الآخر في الحوار ولا من جمهور السامعين .

وعلى المحاور أن يتعهد موضوعه بالمذاكرة الوافية والترتيب المنطقي وأن يعد نفسه للحوار إعدادًا جيدًا ، فالعالم معرض للنسيان كغيره وقد تخذله ذاكرته ويتشتت ذهنه وتنفرط براهينه إذا لم يقم ببذل الجهد الكافي لواجب الحوار ، وهنا قد ينتصر صاحب الرأي الخاطئ والحجة الباطلة فقط لأنه كان مرتب الذهن ولأنه استخدم المنطق جيدًا ، ولأنه واجه محاورًا صاحب حق ولكنه ممثل سيئ لحقه بسبب ما هو عليه من بلبلة وتضعضع وتعثر في المنطق ، وتقدم قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظرُ ضعيفَ العلم بالحجة وجواب الشبهة ، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل ، كما ينهى ذلك الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجا قويا من علوج الكفار فإنَّ ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة .ا.هـ .

الرابع : الجهر بالحق : إن الحوار ينبغي ألا يؤدي إلى المداهنة والدبلوماسية التي

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي : ٤ / ٦٦، وانظر سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٤١.

تغطي على الحقائق وعلى الخلافات وتعمل على ترميمها ظاهريًا وتلفيق موقف اتفاق زائف ؛ وقد ذم اللَّه تعالى من يعمل على كتمان حقائق الدين قائلًا : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة : ١٥٩] ، وذم من أهل الكتاب أولئك الذين يزورون حقائق الأمور فقال : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ٧١] . إن في تزوير الحقائق إجهاضا لجميع مقاصد الحوار والتبادل الثقافي ، فما قام الحوار أساسًا إلا لتبادل المعلومات والآراء وصولا إلى الحق ، فإن جاءت مغشوشة فلن يكون القصد من الحوار إلا الغش والتستر بمواقف هي غير المواقف الأصيلة للحوار .

الخامس : الحوار بالحسنى : فلا مجال للعنف والغلظة في أي حوار بناء ، ولا يلجأ للقسوة على الخصم إلا عند ظلمه وتجاوزه ، فيردع بالقوة إيقافًا له عند ظلمه ، وهذا هو الاستثناء لا الأصل في الحوار ؛ قال اللَّه تعالى : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ ، وجاء قول اللَّه تعالى مؤكدًا استخدام القول اللين في مخاطبة الآخرين في وصية موسى وهارون - عليهما السلام : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ . وأوصى رسول اللَّه ﷺ دومًا بالرفق في القول مع الآخرين والصبر على تطاولهم وإيذائهم ، فمن ذلك ما في الصحيحين عن عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ ! قَالَتْ عَائِشَةُ : فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ! قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ** » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ** »(١) . وفي حوار ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه مع النبي ﷺ شاهد واقعي ؛ فروى البخاري عن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ ، فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ ، فَقُلْنَا : هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ! فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « **قَدْ أَجَبْتُكَ** » فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ **إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ**

---

(١) البخاري (٦٠٢٤) ، و مسلم (٢١٦٥) .

عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ ، فَقَالَ : « **سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ** » فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟ فَقَالَ : « **اللَّهُمَّ نَعَمْ** » قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ قَالَ : « **اللَّهُمَّ نَعَمْ** » قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ ؟ قَالَ : « **اللَّهُمَّ نَعَمْ** » قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **اللَّهُمَّ نَعَمْ** » فَقَالَ الرَّجُلُ : آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي ، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ[١] ؛ وفي رواية للإمام أحمد عن ابن عباس : فَقَالَ : أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ** » قَالَ : مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : « **نَعَمْ** » فَقَالَ : ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي سَائِلُكَ **وَمُغَلِّظٌ** فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ ، قَالَ : « **لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ** » ثم ذكر الحديث[٢] . فانظر - رحمك اللَّه - كيف كان ضمام رضي الله عنه غليظا شديدا في محاورته وكيف كان النبي ﷺ في حسن جوابه ورفقه ولطفه به ؛ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢١] .

إن الحوار بالحسنى يتضمن استخدام أطراف الحوار لبعضها بعضًا ، والرغبة المخلصة في تحقيق النفع المرجو ؛ والغاية من الحوار - بالنسبة للمسلم - هي ابتغاء وجه اللَّه والدعوة إليه فليكن هناك سعة صدر في تقبل ما يمكن أن يتوقع من الحوار ، واللَّه المستعان .

السادس : التثبت واتقاء الزلل : فعلى من يحاور أن يجهد نفسه لضبط أعصابه ليثبت الأمور ، ولا يجازف بالقول ، ولا يتمحل الحجج ، وعليه أن يكون حسن التصور فلا تكون أفكاره متضاربة أو مشوشة ، ولا يتسرع فيزل ويجنح إلى خطأ لمجرد أنه يريد أن ينافس محاوره وينتصر عليه ؛ وكثيرًا ما يزل المتحاورون بسبب الانتصار لأنفسهم ، وهذا ما يوحيه الشيطان ليغلب حق النفس على الحق المحض . وكما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه :

---

(١) البخاري (٦٣) .

(٢) أحمد : ١ / ٢٥٠، ٢٦٤.

وأحذركم زيغة الحكيم ؛ فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم[١] . وقال تميم الداري رضي الله عنه : اتقوا زلة العالم ؛ فسأله عمر : ما زلة العالم ؟ قال : يزل بالناس فيؤخذ به ، فعسى أن يتوب العالم ، والناس يأخذون بقوله[٢] .

السابع : منطق البداهة : وهو أن يكون المحاور سريع البديهة ، فإن من حسن المحاورة أن يكون المحاور ذواقًا للكلام ، مدركًا لأبعاده ، متجاوبًا مع خلفياته ، سريعا في رده بما يناسب المقام .

فالمحاور الناجح هو من يتمكن من التقاط المشاهدات والمسلمات والبدهيات العالية في الحياة والبناء عليها ، لأن البناء على أمثال هذه الفرضيات يكون بمثابة البناء على مقدمات صلبة لا ينازع عليها الطرف الآخر ، بل تثير إعجاب السامع وتدفع إلى اعترافه بالحق وإذعانه له .

إن الإيغال في تركيب البراهين قد يغري المحاور بأن يبتعد كثيرًا عن منطق البداهة ، وعن استخدام المسلمات الأولى التي يتفق عليها الناس جميعًا ، ويعمل بالتالي على الإغراب في توليد الصيغ وسلاسل الاعتماد . وذلك مهما بدا مهمًا لكنه مما يكل الأذهان ويبعد عن التباس حرارة الحق الشاخص .

الثامن : التجرد للحق والتسليم به من أي مصدر جاء : فالوصول إلى الحق هو غاية الحوار . وليس غايته إفحام الخصم وجرجرته إلى التسليم بالرأي الذي يطرحه من يحاوره . وعلى كل من يحاور أن يعد نفسه لقبول نتيجة الحوار إن ظهر ضعف رأيه وحجته إزاء قوة رأي الخصم وحجته . وكثير من العناد الذي يعقب الحوار يرجع أصله إلى عدم تحلي المحاور نفسه بالتواضع لإلزامها بقبول الحق . فليس ثمة منهزم ولا منتصر ، ولكن التزام بالحق وانصراف إليه .

إن على المحاور ألا يشعر خصمه بالدونية وبأنه على الخطأ الذي لا صواب معه ولا

---

(١) رواه أبو داود (٤٦١١) .

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١٤٤٩) ، والخطيب البغدادي في (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) : ١ / ٢١١.

إمكان صدور أي صواب عنه ؛ فحتى الكفار يمكن أن يصدر عنهم بعض الرأي الصائب على ما هم فيه من ضلال ويمكن أن يستدرجوا لينطقوا بالصواب . إن القاعدة العامة هي أن على المحاور أن يهيئ ذهنه لتلقي الصواب من أي جهة ، وقد أثر عن الإمام الشافعي – رحمه الله : قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب .ا.هـ . فعلى المحاور أن يفترض – ولو نظريًا – احتمال ثبوت الحق على لسان الخصم ، وذلك أدب جم من آداب الحوار ، قال تعالى إرشادًا لمسار الحوار : ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] . وهذا هو مقام التنزل الذي يعطيه المحاور – افتراضًا – للآخرين حتى يجلبهم إلى مائدة الحوار . وقد أعطانا النبي ﷺ القدوة في قبول الحق على أعلى ما تكون ، فقد روى أحمد والحاكم عَنْ قُتَيْلَةَ بِنْتِ صَيْفِيٍّ الْجُهَيْنِيَّةِ قَالَتْ : أَتَى حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ ! قَالَ : « **سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا ذَاكَ ؟ !** » قَالَ : تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْتُمْ : وَالْكَعْبَةِ ؛ قَالَتْ : فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ : « **إِنَّهُ قَدْ قَالَ ، فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ** » قَالَ : يَا مُحَمَّدُ نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ نِدًّا ! قَالَ : « **سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا ذَاكَ ؟ !** » قَالَ : تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ! قَالَ : فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ : « **إِنَّهُ قَدْ قَالَ ، فَمَنْ قَالَ : مَا شَاءَ اللَّهُ فَلْيَفْصِلْ بَيْنَهُمَا ثُمَّ شِئْتَ** »(١) .

وقد حفظ لنا التاريخ رسالة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القضاء التي أرسلها إلى أبي موسى رضي الله عنه ، وفيها : ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ، فهديت فيه إلى رشدك ، أن تراجع نفسك اليوم فإن الحق قديم ، وإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل(٢) . وقال ابن تيمية رحمه الله : والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق ، وألا نقول عليه إلا بعلم ،

---

(١) أخرجه : أحمد (٦/ ٢٧١، ٣٧٢) والحاكم (٤/٢٩٧) ، وصححه ووافقه الذهبي وأورده الألباني في الصحيحة رقم (١٣٦) .

(٢) رواه الدارقطني : ٤ / ٢٠٦، والبيهقي في السنن الكبرى : ١٠ / ١١٩، وانظر إعلام الموقعين لابن القيم : ١: ١٥٢.

أمرنا بالعدل والقسط ، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني فضلًا عن الرافضي قولًا فيه حق أن نتركه ، أو نرده كله ، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق[1] .

إن من الفضائل أن لا يستنكف المحاور من قبول الحق ولو جاء ممن هو دونه علمًا أو سنًا أو قدرًا ، وأن يقر به ويرجع إليه بعد أن يتبين له ؛ وقد أخبر القرآن أن ابن آدم الأول تعلم من غُراب كيف يواري سوأة أخيه ؟ ! كما أن سليمان علم من الهدهد ما لم يحط بعلمه ؛ قال الهدهد : ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل : ٢٢] .

التاسع : الاعتراف بوجود الآخر :

وهو من الشروط المهمة في الحوار مع الآخر - كما سيأتي بيانه إن شاء اللّٰه تعالى ؛ ولا يعني هذا إقراره على ما هو عليه من الباطل اعتقادا أو منهجا ؛ لأنه - كما يقول د عمر عبيد حسنة : لا يمكن أن يكون الحوار مع عدم الاعتراف (بالآخر) ؛ وذلك أن الاعتراف به وبخياره ووجوده كواقع شيء ، وإقراره على ما هو عليه شيء آخر ؛ ولقد اعترف الرسول القدوة ﷺ (بالآخر) ؛ لأنه محل الدعوة ، وخاطبه وكاتبه وراسله ، وطلب من الأصحاب تعلم لغته ، وكان ينتقي السفارات المؤهلة للقيام بتلك المهمة الدقيقة ، بل لقد توصل بنتيجة التفاوض والحوار إلى معاهدات ووثائق وبناء نقاط مشتركة ، وما وثيقة المدينة مع يهود بطوائفهم جميعًا ، وما صلح الحديبية مع المشركين ، وما المعاهدات الأخرى ، إلاّ اعتراف بهذا الواقع وعدم إلغائه ونفيه وإقصائه ، ولم يقتصر الأمر على الاعتراف وإنما تجاوز إلى مد جسور الحوار أيضًا . هذا إضافة إلى أن المتأمل في القرآن الكريم والبيان النبوي ، الذي يعتبر الدليل والهادي إلى أفضل السبل في الحوار والتعامل مع (الآخر) ، لا يلبث أن يبصر الاعتراف (بالآخر) وبيان عقائده وسلوكه وواقعه ومناقشته والحوار معه ، من خلال عقيدته نفسها ، ودعوته إلى صيغ عقائدية مشتركة : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] . هذه الدعوة إلى أهل الكتاب تضمنت الانطلاق من مستوى واحد للبحث عن الحقيقة والإيمان

(١) منهاج السنة النبوية : ٢ / ٣٤٢.

بها ، والارتكاز في الحوار إلى النقاط المشتركة التي تشكل أرضية للحوار ومحاور للتفاهم ، للوصول إلى مستوى بناء المشترك الإنساني أو الإيماني ، وإن لم يتحقق ذلك فلا أمل من المهادنة وتحقيق حرية الاختيار والاعتقاد : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون : ٦][(١)] .

شروط الحوار

وأما الشروط التي تتعلق بالحوار فيمكن إجمالها فيما يلي :

١ - **العدل والإنصاف** ؛ إذا الظلم كله محرم ، ولذلك أكدت شريعة الإسلام على العدل المطلق بين الصديق والعدو ، مع القريب والبعيد ، وتكفي الإشارة هنا إلى قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة : ٨] ؛ قال ابن تيمية - رحمه اللّٰه : المناظرة والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف ، وإلا فالظالم يجحد الحق الذي يعلمه وهو المسفسط والمقرمط ؛ أو يمتنع عن الاستماع والنظر في طريق العلم وهو المعرض عن النظر والاستدلال ؛ .. قال : ولما كانت المحاجة لا تنفع إلا مع العدل قال تعالى : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت : ٤٦] فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتي هي أحسن[(٢)] .

قلت : وهذا منتهى العدل والإنصاف ؛ ويوضح شيخ الإسلام في موضع آخر هذه المسألة فيقول : فالظالم لم يؤمر بجداله بالتي هي أحسن ، فمن كان ظالما مستحقا للقتال غير طالب للعلم والدين ، فهو من هؤلاء الظالمين الذين لا يجادلون بالتي هي أحسن ، بخلاف من طلب العلم والدين ولم يظهر منه ظلم ، سواء كان قصده الاسترشاد أو كان يظن أنه على حق يقصد نصر ما يظن أنه حقا ؛ ومن كان قصده العناد يعلم أنه على باطل ويجادل عليه فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن ، لكن قد نجادله بطرق أخرى نبين

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار .. الذات والآخر) ص ١٤، ١٥ - سلسلة كتاب الأمة .

(٢) مجموع الفتاوى : ٤ / ١٠٩.

فيها عناده وظلمه وجهله جزاءً له بموجب عمله[(١)] . ا.هـ .

فهذا أول شروط المحاورة على التحقيق ، وإذا تحقق هذا الشرط انتهى الحوار إلى ظهور الحق وتسليم المخالف به ؛ وقد أثبت التاريخ أن الأطراف المتحاورة إذا كانت من أهل الإنصاف فإنها تعترف بالحق عند ثبوته ؛ ولنذكر هنا حوار أبي سفيان وهرقل كمثال ؛ روى الشيخان عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا ؛ فَقَالَ : أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ ؛ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ؛ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ : كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ؟ قُلْتُ : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ ؛ قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ ؟ قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؛ قَالَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ قُلْتُ : بَلْ يَزِيدُونَ ؛ قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ ؟ قُلْتُ : لَا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا ! قَالَ : وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ؛ قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ ؟ قُلْتُ : الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ ؛ قَالَ : مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ قُلْتُ : يَقُولُ : اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ .. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ : سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا ؛ وَسَأَلْتُكَ : هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ ؛ وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، قُلْتُ : فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ١ / ٢١٩.

قُلْتُ : رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ ؛ وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ؛ وَسَأَلْتُكَ : أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ؛ وَسَأَلْتُكَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ ؛ وَسَأَلْتُكَ : أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ ؛ وَسَأَلْتُكَ : هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ ؛ وَسَأَلْتُكَ : بِمَا يَأْمُرُكُمْ ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ ؛ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ . ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ ، فَإِذَا فِيهِ : « **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ** ، وَ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ ، وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا : لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ ! فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ(١) .

يا لها من محاورة ظهر فيها الحق وأنصف على لسان هرقل عظيم الروم ، ثم على لسان أبي سفيان وقد كان مشركا حينذاك .

إن مما يلزم المتحاورين اجتناب الأحكام الظالمة أو المتجنية ، فالإنصاف مطلوب من كلا المتحاورَين فحتى لو قال محاوِرُك ما يخالف رأيك تمامًا ، أو كشف لك خطأ

---

(١) البخاري (٧) واللفظ له ، ومسلم (١٧٧٣) .

رأيك أو بعض جوانب الخطأ فيه ، فلا تعتبر أنه قال ذلك بدافع إسقاطك أو إهانتك أو التجرؤ عليك ، فالمصارحة والمكاشفة والنقد الموضوعي لا بد منها في سبيل الوصول إلى الحقيقة ؛ فبالإنصاف أي بإقرار ما هو خطأ وما هو صواب تبدو الحقيقة ، وبغياب الإنصاف تغيب حتما الحقيقة ، فالقضية موضوعية .

ومن العدل أن يذكر ماله وما عليه من الحجج والأدلة والبراهين ؛ فلا يجوز أن يُحجب شيء من الحقيقة ، أو يدفن شيء من الأدلة التي تدعم قول المخالف ، فهذه صفة ذميمة تدل على حب الذات وقلة الإنصاف والورع ؛ ونزاهة المحاور وموضوعيته محور أساس من محاور المنهج العلمي ، وهي التي يُعبَّر عنها في الاصطلاح الحديث : بالأمانة العلمية . وقد ذم اللَّه سبحانه وتعالى اليهود لأنهم يتصفون بكتم الحق وتلبيسه بالباطل . قال اللَّه تعالى : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران : ٧١] . وقال اللَّه تعالى : ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة : ٤٢] .

ومن الإنصاف أن يبدي المحاور إعجابه وثناءه على الأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة وحسن الاستدلال والمعلومات الجديدة التي يوردها الطرف الآخر ، ويسلم بها وأن يذكر الطرف الآخر الإيجابيات والحسنات التي تتمثل فيه أو في فكرته وإن ظهر معها جوانب سلبية ، كما أن من الإنصاف وضع النفس موضع الطرف الآخر والظروف المحيطة به والتي أدت به إلى الرأي المخالف . ومن أعلى أمثلة الإنصاف ما ذكره اللَّه ﷻ في وصف أهل الكتاب : ﴿۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ [آل عمران : ١١٣] .

ومن الإنصاف إذا جوَّز أحد المتحاورين لنفسه شيئًا ، أن يجوِّزه للآخر ، لأنهما يقفان على قدم سواء ، والجائز جائز للجميع ، والممنوع ممنوع على الجميع ، وفي كل الأحوال فإنَّ خروج الحوار من (هدف البحث عن الحقيقة) إلى المغالبة واستخدام أي أسلوب للوصول إلى الغلبة ، يحكم على الحوار وعلى المحاور أو المتحاورين بالفشل .

ومن الإنصاف وضع الخطأ في حجمه الطبيعي وتجنب الشماتة عند وضوح خطأ

الطرف الآخر ؛ والتسليم بالخطأ عندما يتبين له وجه الصواب ، بل يشكر لصاحبه فضله في تبصيره له بالخطأ .

ومن الإنصاف إقالة الخصم إن طلبها ؛ قال ابن حزم - رحمه اللَّه : فإن اخطأ أحدهما وأراد الإقالة فذلك له ، وواجب على الآخر أن يقيله ؛ لأن المرء ليس قوله جزءًا منه لكنه واجب عليه ترك الخطأ إذا عرف انه خطأ ، فالمانع من الإقالة ظالم مشغب جاهل ؛ وكذلك إن رأى حجته فاسدة فأراد تركها وأخذ غيرها فذلك له وهو محسن في ذلك وليس في ذلك انقطاع في القول المناظَر عنه ؛ والمانع من ذلك جاهل ضيق الباع والعلم متغفل لخصمه وذلك قبيح جدا .ا .هـ . وقال أيضا : وحقق كل ما تسمعه من خصمك ولا تغفله ، وأقله إن أخطأ ، ولا تدع مشكلا إلا وقفته عليه فإذا استقر سليما من النقص والإشكال فأجب حينئذ . وكل ما تطالب خصمك به فالتزم له مثله سواء بسواء . وبين سؤالك سليما عن النقص والإشكال .ا .هـ . وكل ذلك من الإنصاف .

٢ - **التكافؤ والمساواة** ؛ بمعنى أن يكون الحوار متكافئًا ، تتوَّفر له شروط المساواة والندِّية والإرادة المشتركة ، وهذا يعني أن ينزع الجانب الأقوى فكرة الهيمنة أو السيطرة والشعور بالقوة ، وأن يتعرف على هذا الأساس ، وأن يقتنع أن من يحاوره في الجانب الآخر يتكافأ معه في الجانب الفكري والإنساني ، وأنه مستعد أن ينظر إليه على ذات المستوى ؛ وأن تكون فرصة الحوار متكافئة ، فلا يُشعر طرفٌ بالقهر أو الضعف ، إذ أنه لو كان الحوار بين قوي وضعيف ، أو غالب ومغلوب ، أو مستعمِر ومستعمَر ، أو قاهر ومقهور .. الخ ، فإنه لن يكون هناك حوار عادل ، وإنما سيكون هناك إملاء من طرف والقبول أو الاستسلام من الطرف أو الأطراف الأخرى ... وهذا ما يدل عليه النقل والعقل والواقع ؛ فقد قص علينا القرآن الكريم ما كان من فرعون - رمز الاستبداد السياسي والقهر - حين حاوره المؤمن فقال : ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر : ٢٩] ؛ وتأمل قول الشاعر :

جَلوا صارمًا وتلوا باطلًا وقالوا صدقنا فقلنا نعم

أي : رفعوا السيف فوق الرؤوس وقالوا الباطل ، ثم قالوا لهم : قلنا الصدق ؟ فقال القوم من تحت السيف : نعم قلتم الصدق !!

وأما الواقع فيكفي أن يراجع العاقل مواقف القوى الكبرى منذ احتلالها دول العالم الثالث (كما يسمونه) ليرى كم ضاعت حقوق في مؤتمرات عقدت للحوار حول قضايا هذه الدول ؟ حتى يتجلى له انطباق هذه الحقيقة على الضعفاء ؛ تكفي نظرة سريعة على مجريات المؤتمرات التي عقدت لتحديد مصير تلك الدول المستعمرة حتى يتبين كيف استسلم الضعفاء للأقوياء؟ ويكفي أن يستمع الإنسان أو يقرأ ما قاله رئيس جمهورية البوسنة عقب مؤتمر « دايتون » ليعلم مدى الظلم الذي وقع على المسلمين هناك ... الخ .

من كل ذلك يتبين أن الحوار الذي لا يقوم بين أطراف متكافئة لا يكون حوارا بالمعنى الذي حررناه ، وإنما هو حوار شكلي : إملاء من القوي وقبول واستسلام من الضعيف .

٣ - الاتفاق على أهداف وقضايا الحوار : تحديد موضوع الحوار ومحاوره وأهدافه من الأمور المهمة لنجاح الحوار ؛ لأن الأهداف إذا كانت واضحة يعرفها المتحاورون ويعملون على تحقيقها كان ذلك سبيل لاستمرارية الحوار للوصول إلى الهدف . فلابد من وضوح الغاية من الحوار : هل الحوار لمجرد الحوار ؟ أم إن هناك غاية يراد تحقيقها والوصول إليها ؟ فالمحاور إنما يحاور ليصل إلى غايته التي يحاور من أجلها ؛ والحوارات - كما يقول الدكتور جعفر شيخ إدريس : تتعدد بتعدد أغراضها ؛ فمنها ما يكون هدف المحاور إقناع الآخر بأن اعتقاده أو رأيه أو موقفه هو الأحق بأن يتبع ، ومنها ما يكون هدفه مجرد معرفة ما عنده كي لا يكون هنالك سوء تفاهم بأن ينسب إليه ما لا يرى أو يعتقد ، ومنها ما يكون الغرض منه إمكانية الوصول إلى آراء أو أهداف مشتركة تساعد على التعايش والتعاون ، وهكذا ؛ والمسلم يرى كل هذه أهدافًا مشروعة ولا يتردد في المشاركة فيها ما لم يتصل بها ما يجعل ضررها أكبر من نفعها[(١)] .

وفي محاورة إبراهيم مع المشركين من عبدة الكواكب ، وتدرجه العقلي والنفسي

---

(١) في مقال له بعنوان (الحوار .. مجادلة جادة لا مداهنة) نشر بمجلة البيان عدد (١٩٠) ص ٤٤، جمادى الآخرة ١٤٢٤ - أغسطس ٢٠٠٣.

معهم حتى انتهى بهم إلى الغاية التي يريدها وهي (إثبات وحدانية الله تعالى وأن ما هم عليه من عبادة الكواكب باطل) مثال واضح : ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ ليصل بهم إلى النتيجة بعد أن انتزع اعترافهم بأن الإله لا يغيب ولا ينبغي أن يغيب ، ومن هنا برزت النتيجة : ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨، ٧٩] ، وهكذا ركّز إبراهيم على الغاية من خلال هذه الكلمات الموجزة التي راعى فيها جملة من النواحي ، أبرزها :

١- المحافظة على صلته بالخصوم وتقريبهم إليه بقوله : ﴿يَٰقَوْمِ﴾ أملًا في كسب إيمانهم .

٢- أعلن الحكم على عبادتهم للكواكب بأنها شرك ، وأنه مستنكر له : ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ .

٣- تقديم البديل الصحيح الذي يجب أن يتجهوا إليه وهو الإيمان بالله : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ .

كل هذه المفاهيم التي أراد إبراهيم توضيحها كانت منصبّة على تحديد الغاية وإبراز الهدف من هذا الحوار ، وهو إثبات وحدانية الله تعالى وإبطال ما عداه من الآلهة ، وقد سلك في سبيل تحقيقها كل الوسائل الممكنة لجعلها في غاية الوضوح عن طريق المحاورة التي لا تقصد هدفًا شخصيًا ولا مصلحة ذاتية وإنما تهدف إلى إصلاح العقيدة وتثبيتها في النفوس(١) .

وكذلك تحديد محاور الحوار مهم حتى لا يخرج أطراف الحوار إلى جزيئات لا طائل من ورائها إلا تطويل مدة الحوار أو ربما إفشال الحوار ؛ يقول د عمر عبيد حسنة : فاختيار موضوعات الحوار وإدراك أولويتها وطرحها للمحاورة والمناقشة والمثاقفه والمذاكرة والمراجعة والوصول إلى تفاهم وتعارف حولها ومن ثم التعاون ، له دور كبير في إثراء الحوار والوصول به إلى تحقيق أهدافه ؛ أما انشغال الأمة أو إشغال مثقفيها ببعض

---

(١) انظر (الحوار .. الذات والآخر) د عبد الستار إبراهيم الهيتي ص ٦٣، ٦٤ - سلسلة كتاب الامة

الموضوعات الجانبية ، لاستنزاف طاقاتها وأوقاتها والتحكم بمجالات تفكيرها وإلهائها عن معاركها الأصلية ، ففيه من الخطورة ما اللّه به عليم(١) .

ومن ذلك أيضا **تحديد المصطلحات بين الطرفين بدقة** لتتضح المفاهيم وتحسم مادة الخلاف ؛ ولطالما أخفق الحوار لسوء فهم انتاب المصطلحات المتداولة فيه ، إذ يتكلم طرف عن مصطلح ما بتعريف قائم في ذهنه ، يختلف عن ذاك التعريف الذي قام في ذهن الطرف الآخر ، ولو أنهما اتفقا لقطعا شوطا في الوصول إلى المراد ؛ فتحرير محل الإجمال والإيهام في تلك الألفاظ والمصطلحات ضروري لحسم مادة الخلاف ، قال ابن القيم رحمه الله(٢) :

فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ . . . إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبَّطا الـ . . . أذهان والآراء كل زمان

فإطلاق الألفاظ المجملة ذات المعاني المشتبهة يثير النزاع بين المتخاصمين ، أمَّا التفصيل والبيان فهو إمَّا أن يرفع النزاع أو يقللّه ؛ ولهذا كان كثير من نزاع الناس – كما يقول ابن تيمية – سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة ، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلا عن أن يعرف دليله ؛ ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئا ، بل يكون في قوله نوع من الصواب ، وقد يكون هذا مصيبا من وجه وهذا مصيبا من وجه ، وقد يكون الصواب في قول ثالث(٣) .

٤ – **الموضوعية في الحوار** : الموضوعية بمعنى الدقة التامة والبعد عن المبالغات مع التجرد من العاطفة والمؤثرات الجانبية أمر مهم في الحوار ؛ فلا يمكن إنكار أو تجاهل الخلفية الفكرية للمحاور ، فالمسلم يحاور وهو يحمل الإسلام في داخله عقيدة وشريعة ومنهجا ، والكافر يحاور وهو يحمل آراءه في ذهنه ؛ وتمسك كل من طرفي الحوار

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار .. الذات والآخر) ص ٢٤، ٢٥.

(٢) شرح الهراس على النونية : ١ / ١٤٣.

(٣) مجموع الفتاوى : ١٢ / ١١٤.

بقناعاته قد يجمد الحوار ، لذلك لابد من سحب العقل إلى ساحة الحقيقة بإدراك ؛ وفي قوله تعالى ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤] . بيان واضح لمقام التنزل الذي يعطيه المحاور – افتراضًا – للآخرين حتى يجلبهم إلى مائدة الحوار . فينزل المحاوِر إلى أرضية المحاوَر ليأخذه إلى الحق ، أو يستدرج عقله إلى ساحة الحقيقة دون ضغط وإنما بإدراك أن هذا الذي يقوله الآخر ذو حجة بالغة وبرهان ساطع ودلائل مقنعة ؛ ونجد هذا واضحا في حوار إبراهيم ﷺ مع قومه : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦: ٧٩] ؛ فإبراهيم ﷺ إنما قال ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ لتقرير الحجة على قومه ، فأظهر موافقتهم فلما أفل النجم قرر الحجة وقال : ما تغير لا يجوز أن يكون ربا ؛ فناظرهم إمام الحنفاء ﷺ في بطلان إلهيتها أحسن مناظرة وأبينها ، ظهرت فيها حجته ودحضت حجتهم ؛ فقال بعد أن بين بطلان إلهية الكواكب والقمر والشمس بأفولها وأن الإله لا يليق به أن يغيب ويأفل ، بل لا يكون إلا شاهدا غير غائب ، كما لا يكون إلا غالبا قاهرا غير مغلوب ولا مقهور ، نافعا لعباده يملك لعابده الضر والنفع ، فيسمع كلامه ويرى مكانه ويهديه ويرشده ويدفع عنه كل ما يضره ويؤذيه ، وذلك ليس إلا للّه وحده ، فكل معبود سواه باطل ، فلما رأى إمام الحنفاء أن الشمس والقمر والكواكب ليست بهذه المثابة صعد منها إلى فاطرها وخالقها ومبدعها فقال : ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ﴾(١) . وفي حوار النبي ﷺ مع حصين تجد ذلك أيضًا ، فروى الترمذي وحسنه عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي : « **يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا** » قَالَ أَبِي : سَبْعَةً ؛ سِتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ ! قَالَ : « **فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ ؟** » قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاءِ ؛ قَالَ : « **يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ**

(١) انظر إغاثة اللهفان : ٢ / ٢٥٣.

أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ » قَالَ : فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي ، فَقَالَ : « **قُلْ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي**»(١) .

والموضوعية - أيضا - رعاية الموضوع وعدم الخروج منه إلى بنيات الطريق ؛ فيجب الالتزام بموضوع الحوار وعدم الخروج عليه ، وهذه مسألة منهجية وتنظيمية في غاية الأهمية ، وعدم الالتزام بها يؤدي إلى خلط المسائل بعضها ببعض ، الأمر الذي يؤدي إلى عدم إنضاج أي منها بالبحث والمساءلة والمقارنة والتقويم والاستنتاج ؛ ويمكن معالجة هذه الناحية بضبط أولويات الحوار جيدًا ، وإقامة هيئة تحكيم لتضبط المتحاورين كلما جنحوا للخروج من إطار الموضوع .

ومما يجب التأكيد عليه في أي حوار موضوعية تداول الْمَحَاوِر بين المتحاورين ؛ فيجب الكلام عن المحور الواحد بين الطرفين قبل أن ينتقل إلى المحور الآخر ، بل يجب الانتهاء من تداول الجزئية الواحدة في المحور نفسه قبل أن ينتقل إلى جزئية أخرى ، فلا يكون كلام أحد الأطراف عن جزئية من المحور ، وكلام الآخر عن جزئية أخرى ؛ غير أن ذلك لا يحتِّم أن يكون هناك لغة مشتركة معتمدة ، بل لغة واضحة لسائر أطراف الحوار ؛ بمعنى أن تكون اللغة التي يستخدمها كل طرف مفهومة وواضحة بالنسبة لسائر الأطراف . فتقنيات التواصل التي تُستخدم - إن لم تكن واضحة ومفهومة - من شأنها أن تساهم في فهم خاطئ للمقاصد والنوايا قبل أن تساهم في فهم خاطئ للمعاني لدى أطراف الحوار .

ومن **الموضوعية** ؛ **اتباع المنهج العلمي** والحجة الصحيحة ، وقبول الرأي الآخر إذا كان مقنعًا ، والاعتراف للخصم بالسبق في بعض الجوانب التي لا يسع العاقل إنكارها ، وعدم الإلزام بما لا يلزم ، أو المؤاخذة بالإلزام .

ومن **الموضوعية** ؛ **التدرج والبدء بالأهم** ، فالمحاور الناجح هو الذي يصل إلى هدفه بأقرب طريق ، ولا يضيع وقته فيما لا فائدة منه ولا علاقة له بأصل الموضوع ، فمعرفة الأهم والبدء به يختصر الطريق .

وأوضح الأمثلة على ذلك بدء الأنبياء - صلوات اللّه عليهم وسلامه - بأهم قضية

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٨٣) ؛ ورواه الطبراني في الأوسط (١٩٨٥) .

وأكبر غاية ، وهي الدعوة إلى عبادة اللَّه وحده لا شريك له : ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف : ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥] ، قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام .

٤ - **عدم قبول قول بلا برهان** ؛ وهذا شرط قبول أي دعوى ، فلابد للدعوى من برهان يثبتها ودليل يؤيدها ؛ ولا يكون الحوار مثمرًا في مجال معرفة الحق إلا إذا كان قائمًا على الأدلة والبراهين ، ولذا علمنا الإسلام في مجال إحقاق الحق أن نتحاور مع الآخرين وفق قاعدة : ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ؛ قال اللَّه تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة : ١١١] ، وقال ﷻ : ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٤] ، وقال (جل جلاله) : ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل : ٦٤] .

إن أهم ما ينجح الحوار : الدليل ، ولا بد من إثبات صحة الدليل ، وأن تكون المسائل موثقة من الناحية العلمية والإسنادية فلا يستدل بشيء إلا مسندًا لقائله ومصدره الذي أخذه منه ، كما قيل : إن كنت ناقلًا فالصحة ، أو مدعيًا فالدليل ؛ ولا يحسن بالمحاور أن يستدل بأدلة ضعيفة أو حجج واهية . فدليلان قويان لا يمكن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ والرد فيها ، إذ ربما يستغلها الطرف الآخر ، فيضعف الفكرة ويسيء إلى موقف صاحبها بسبب الأدلة الضعيفة ؛ ومتى وجد الدليل وثبتت صحته ، فلا بد من صحة دلالته على المطلوب ، ولا بد من ترتيب الأدلة حسب قوتها وصراحتها في الدلالة على المقصود . ويمكن أن يستعان بذكر الإحصائيات التي تخدم الفكرة والمراجع التي رجع إليها لأن ذكر الحقائق مدعمة بذكر المصادر والإحصائيات الموثقة أعمق أثرًا في النفوس من ذكرها مجردة .

٥ - **خلو الحوار في الدعوى والدليل من التناقض** ؛ فلابد أن لا يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدمه المحاور تعارض واضح ، أو أن يكون بعض كلامه ينقض بعضه الآخر ، فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطًا ودعواه مرفوضة ، إذ التناقض

دليل على سقوط الدعوى عقلا ؛ فضلا عن أنه يوحي بأن المحاور غير أهل للحوار .

ومن أمثلة التناقض في الدعوى ما حكاه القرآن الكريم على لسان الكافرين في قولهم عن الآيات بأنها سحر مستمر : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر : ١، ٢] ، ففي قولهم هذا تعارض وتناقض واضح لا يستحق ردًا ولا يحتاج مناقشة ، فهو ساقط عقلًا وواقعًا ، لأن من شأن الأمور المستمرة أن لا تكون سحرًا ، فالشيء الواحد لا يكون سحرًا ومستمرًا معًا في آن واحد فذلك جمع بين متضادين ؛ ومن ذلك أيضًا قول فرعون عن موسى حينما جاء بالحجج الدامغة والآيات الباهرة بأنه : ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ وذلك في قوله تعالى : ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات : ٣٨، ٣٩] وهذان أمران متناقضان ، إذ من غير المقبول عقلًا أن يكون الشخص الواحد مترددًا بين كونه ساحرًا وكونه مجنونًا ، لأن من شأن الساحر أن يكون كثير الفطنة والذكاء والدهاء ، وهو أمر يتنافى مع الجنون الذي من شأنه ذهاب العقل وعدم الإدراك(١) .

٦ - تهيئة الأجواء المناسبة للحوار :

إنّ الحوار الذي يدور في جو نفسي رائق أضمن في الوصول إلى النتائج المرضية ؛ فقد يكون الحوار بين اثنين جادًا نافعًا ، ولكن إذا حضر أو استمع إليه غيرهما ، فقد يخرجان أو أحدهما عن وقاره واتزانه ، مما يُدخل الجمهور المشاهد أو المستمع كعامل من العوامل المؤثرة على سير وطبيعة الحوار .

والالتزام بهذا الشرط يقضي على عامل مهم من العوامل التي تغطي الحق أو تشوه وجهه ، وذلك في مثل الأجواء الجماعية والجماهير الجاهلة والتي غالبًا ما تتصف بالغوغائية والتقليد الأعمى واتباع كل ناعق من رؤوس الضلال ، مما قد يؤدي بطالب الحق المخلص إلى اتباع الأكثرية من الناس متهمًا نفسه وظانًا أن الحق مع الأكثرية ، دون أن يدري أن هذه الحركة الغوغائية قد غطت الحق ، وضيعت معالمه ، فاشتبه مع غيره ، خاصة عند من قلت بصيرته وقل نصيبه من هدى الله ﷻ وهدي رسوله ﷺ ، وهذا ما

---

(١) انظر (الحوار .. الذات والآخر) د عبد الستار إبراهيم الهيتي ص ٥٩، ٦٠ - سلسلة كتاب الأمة .

حدث من اتهام قريش للرسول ﷺ بشكل جماهيري غوغائي ، وقولهم ساحر وكاهن ومجنون .. الخ ، فوعظهم الله ﷻ أن يقوموا لله ويخلصوا وجوههم له ويبتعدوا عن هذه الأجواء ويرجعوا إلى أنفسهم ، حيث يقف الإنسان مع نفسه أو معه صاحبه ويصحب ذلك التفكير العميق والتدبر لحال الرسول ﷺ ، فلابد أن يصلوا إلى الحق والهدى(١) ؛ قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦] : قال النسفي – رحمه الله : إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ أي : لوجه الله خالصة لا لحمية ولا لعصبية بل لطلب الحق ، ﴿مَثْنَىٰ﴾ اثنين اثنين ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ فردًا فردًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ في أمر محمد وما جاء به ، أما الاثنان فيتفكران يعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه ، وينظران نظرة الصدق والإنصاف حتى يؤدي النظر الصحيح إلى الحق . وكذلك الفرد يتفكر مع نفسه بعدل وإنصاف ويعرض فكره على عقله . ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ، ويعمي البصائر ويمنع الرؤية ، ويقل الإنصاف فيه ويكثر الاعتساف ، ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب . اهـ(٢) .

وقال سيد قطب – رحمه الله : وهنا يدعوهم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ الآية ، إنها دعوة إلى القيام لله ﷻ بعيدًا عن الهوى .. بعيدًا عن المصلحة .. بعيدًا عن ملابسات الأرض .. بعيدًا عن التأثر بالتيارات في البيئة والمؤثرات الشائعة في الجماعة ، بعيدًا عن الهواتف والدوافع التي تستشجر في القلب فتبعد به عن الله تعالى . دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط لا مع القضايا والدعاوى الرائجة ولا مع العبارات المطاطة التي يبتعد القلب والعقل عن مواجهة الحقيقة في بساطتها ، دعوة إلى منطق الفطرة الهادي الصافي بعيدًا عن الضجيج والخلط واللبس

---

(١) اقتباس من مقال (إنما أعظكم بواحدة) للأستاذ عبد العزيز بن ناصر السعد – مجلة البيان العدد ٢٣ ص ١٧ – جمادى الأولى ١٤١٠ – ديسمبر ١٩٨٩.

(٢) انظر تفسير النسفي عند الآية (٤٦) من سورة سبأ .

والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة ، وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة ، منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والمؤثرات ، وعلى مراقبة اللَّه ﷻ وتقواه وهي ﴿وَٰحِدَةٍ﴾ إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق : القيام للَّه لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة .. التجرد .. الخلوص .. ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون للَّه المتجردون .. ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ مثنى ليراجع أحدهما الآخر ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ ، ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء ، وفرادى مع النفس وجهًا لوجه في تمحيص هادئ عميق ؛ ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ فما عرفتم عنه إلا العقل والتدبر . وما يقول شيئًا يدعو إلى التظنن بعقله ورشده . إن هو إلا القول المحكم القوي المبين اهـ[1] .

قال الأستاذ عبد العزيز السعد : ونخرج من هذه الآية وهي : أن القاصد للحق أو الباحث في مسألة خلافية كبيرة أو صغيرة عليه أن يتجنب المناظرة في جو جماعي ، لأن المناظر يكون أقرب إلى ترك رأيه إذا تبين أن الحق في خلافه إذا كان التفكير مع شخص واحد ، بخلاف حال الجماعة فقد يعز عليه الاعتراف بالخطأ أمام مؤيديه أو مخالفيه المجتمعين حوله ، واللَّه تعالى عليم بمسارب نفوس خلقه ، خبير بطبائعهم فلذلك وعظهم موعظة من يعلم حالهم ويعلم ما يصلحهم ويهديهم إلى صراطه المستقيم ومنهجه القويم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤] ا.هـ .

وقد تكون الأجواء المحيطة بأصل انعقاد الحوار أجواء غير ملائمة نتيجة الحساسيات التي تتحرك في الساحة التي ينحدر منها المتحاوران ، أو الآراء المسبقة التي يحملها كل منهما عن الآخر ، ولذا توصف مثل هذه الحوارات بأنها تولد ميتة ، لأن الأجواء المحيطة التي يحصل فيها الحوار لا تفسح المجال للمتحاورين أن يتحاورا بطريقة صحيحة بعيدا عن المشوشات وصولًا للحقيقة . فلا بد من الابتعاد عن الأجواء الجماعية والغوغائية ، لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء ؛ كما ينبغي اختيار المكان الهادئ وإتاحة الزمن الكافي للحوار .

---

(١) انظر في ظلال القرآن الآية (٤٦) من سورة سبأ .

ومن التهيئة : عدم التسرع في الإقناع ؛ لأن ذلك مما يجرح مشاعر الطرف الآخر ؛ فالأفضل أن يظهر المحاور وجهة نظره بصورة واضحة ، ويعطي الفرصة كاملة للطرف الآخر - حتى ولو كان خصمًا - ليظهر وجهة نظره ، ثم تعطى فرصة زمنية للاثنين حتى يتأمل كل إنسان وجهة نظر صاحبه ، فتتضح الرؤية مع هدوء الخواطر وفتور الانفعال الوقتي الذي يصاحب لحظات الحوار .

ومن التهيئة - أيضا : الحوار بهدوء وروية ؛ لأن الانفعال والتوتر النفسي في الحوار يعني بالنتيجة فشل المحاورة وعدم الإفادة منها ، فلا داعي للاستمرار فيها ، بل إن ضرر الحوار الذي يسوده الانفعال يكون أكثر من نفعه . وهذا يعني أن يكون الحوار مبنيًا على المرونة والتسامح ، فقد يكون المحاور على خطأ في الفكرة أو المعلومة التي يطرحها ولكن المرونة والهدوء يعملان على استمرار الحوار واستكمال موضوعاته ، أما التوتر والتعصب فهي حالات لا تشجع على الحوار ولا تخدم أهدافه ، وإذا جرى الحوار في ظل تلك الأجواء فمصيره إلى الإخفاق والفشل . ولتحقيق ذلك ينبغي على المحاور أن يكون صوته هادئًا دون ارتفاع أو صراخ حتى لا ينقلب الحوار إلى مهاترات كلامية عقيمة .

يقول د عبد الستار الهيتي : والواقع أننا نجد هذه الأجواء الانفعالية في أكثر من مناسبة عندما يكون الأمر متعلقًا بالصراع الذي يخوضه الإسلام مع أعدائه ، حيث يتم إطلاق الاتهامات بلا حساب ولا روية ، ويرفض الطرف (الآخر) الجلوس للحوار ، وأبرز دليل على ذلك ما يجري هذه الأيام من اتهام لبعض الدول أو الجماعات الإسلامية واعتبارها مسؤولة عن تنفيذ جملة من أعمال العنف من دون تقديم دليل مقنع على تلك الاتهامات .

فنحن نرى أنه في ظل هذه الأجواء الانفعالية المشحونة ترفض الدول الغربية مجرد إبداء الرأي أو سماع الطرف (الآخر) ، فضلًا عن الدخول معه في حوار هادئ للوقوف على حقيقة الأمور والبحث عن حلول أو معالجات منطقية لها .

إن الأجواء الانفعالية والمشحونة تجاه الإسلام تأخذ اليوم أشكالًا متعددة وصيغا مختلفة لتأليب الناس على هذا الدين وأحكامه ؛ ومن الأمثلة على ذلك ما يفعلونه في تصويرهم القانون الإسلامي بقطع يد السارق بأنه من الأساليب الوحشية التي لا تنسجم مع

قوانين العصر الحديث ، الذي يحاول معالجة الجريمة بالطرق المعتمدة على أساس قواعد علم النفس والاجتماع بعيدًا عن جانب العنف والقسوة ، وهكذا ينطلقون من أجواء انفعالية وعاطفية ، ويتناسون أن التجارب المعاصرة الكثيرة لم تستطع أن تحقق أية نتيجة ملموسة في هذا المجال ، في حين أن حكم الإسلام بقطع يد السارق كان عاملًا مهمًا من عوامل منع السرقة في المجتمعات الإسلامية وأمن الناس على أموالهم وممتلكاتهم . وقد نجد تلك الأجواء الانفعالية عند معالجة عدد من القضايا الإسلامية كقضية الطلاق ، وتعدد الزوجات ، وقضية الحجاب والسفور حيث يتم الحوار فيها وفقًا لما تمليه العاطفة والرغبات الشهوانية دون الالتفات إلى الإيجابيات التي يرمي الإسلام إلى تحقيقها في تشريعاته وأحكامه ، مما لا يدع مجالًا للمحاور المسلم أن يبدي رأيه ويبين وجهة نظره في توضيح المفاهيم الشرعية التي تتعلق بمجمل القضايا المطروحة ، الأمر الذي يؤدي إلى طغيان الجو الانفعالي المحموم على الأجواء الهادئة التي تتيح التفكير السليم والحوار العلمي البنّاء[(١)] .

٧ - التزام أخلاق الحوار[(٢)] :

الخُلُق - بضم اللام وسُكونها - : الدِّين والطَّبْع والسَّجِيَّة ؛ وحقيقتُه أنه لِصُورة الإنسانِ الباطنة وهي نفْسُه وأوْصافُها ومَعانِيها المُخْتصَّة بها ، بمنزلة الخَلْق لِصُورته الظاهرة وأوْصافِها ومَعانيها ، ولهما أوصاف حَسَنة وقَبيحة ، والثَّواب والعِقاب ممَّا يَتَعلَّقان بأوصاف الصُّورة الباطنة أكثر مما يَتَعلَّقان بأوصاف الصورة الظاهرة .ا .هـ[(٣)] .

وأما الخلق في الاصطلاح فعرفه الجرجاني بقوله : الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة

(١) انظر (الحوار .. الذات والآخر) د عبد الستار إبراهيم الهيتي ص ٦٥ ، ٦٦ - سلسلة كتاب الأمة .

(٢) ترددت كثيرا في تأصيل هذا الشرط لأن بين الأخلاق والآداب اشتراك في المفهوم العام ، ولذا يصعب التفريق بينهما عند التأصيل ؛ غير أني ألحقت هنا ما يكون ألصق بتعريف الأخلاق وأنها سجايا ؛ ثم أحاول استيعاب الآداب عند الحديث عن أدب الحوار .

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (الخاء مع اللام) .

بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة : خلقا حسنا ؛ وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك : خلقا سيئا ؛ وإنما قلنا : إنه هيئة راسخة ، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال : خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال : خلقه الحلم . ا.هـ [(١)] .

إذا كان التأصيل العلمي والمنهجي في الحوار ذا أهمية كبيرة ، فإن الجانب السلوكي والتربوي له أثر كبير جدًا في هذا الباب ، إذ إن الممارسة الناضجة والتخلق الكريم بأخلاق القرآن العظيم ، هما الترجمان الحقيقي والأثر الحي الصادق للعلم الصحيح ، فليست المشكلة في قضية الحوار علمية فحسب وإن كان لها أثر كبير وإنما هي تربوية ونفسية كذلك[(٢)] .

وعليه فمما يلزم المحاور أثناء الحوار :

ا - **الحلم وتجنب الغضب** ؛ فعلى المحاور أن يقَدِّر فِي نَفْسِه الصَّبْرَ وَالْحِلْمَ ؛ وَليعلم أنه لَا يَنْقُصُ بِالْحِلْمِ إلَّا عِنْدَ جَاهِلٍ وَلَا بِالصَّبْرِ عَلَى شَغَبِ السَّائِلِ إلَّا عِنْدَ غَبِيٍّ ؛ ويتجنب الغضب لأنَّ الغضب يفقد التوازن ، ويغيِّب العقل ، ويفسح المجال للكلمات العنيفة والنابية للطغيان على الحقيقة ؛ وَفِي رَدِّ الْغَضَبِ الظَّفَرُ وَلَا رَأْيَ لِغَضْبَانَ ؛ وللقروي :

إِذا احتدمَ الجدالُ فكنْ رزينًا   وأجملْ في المناقشةِ الخِطابا
فإن حملَ السفيهُ عليكَ فاجعلْ   تمنيه الجوابَ له جَوابا
وهبكَ إذا غضبتَ على صوابٍ   فقد ضيعتَ بالغضبِ الصوابا

ب - **التواضع في طلب الحق والالتزام به** ؛ فالتواضع فضيلة تهدي صاحبها للحق ، وأما الكبر والإعجاب بالنفس فيصد عن الحق البين الظاهر ، وفي صحيح مسلم : « **الْكِبْرُ**

---

(١) التعريفات ص ١٣٦.

(٢) انظر مقال (التجرد في الحوار) لأحمد عبد الرحمن الصويان بمجلة البيان العدد ٧١ ص ١٥ - رجب ١٤١٤ - ديسمبر ١٩٩٣.

بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ »[١] ، و « **بَطْر الْحَقِّ** » فَهُوَ دَفْعه وَإِنْكَاره تَرَفُّعًا وَتَجَبُّرًا ؛ وَالْغَمْط : الِازْدِرَاء وَالِاحْتِقَار ، والمحاور المسلم لا يصدر في نشدان الحق عن طلب المغالبة غرورًا ، أو الجدال بالباطل ؛ كما أن تواضع الطرف المصيب أمر مهم حتى لا يداخله الشيطان فيشعر بالتعالي على الطرف الآخر أو يشمت به وبفكرته الخاطئة ، فالمسلم المخلص يقصد من الحوار إظهار الحق ولو على لسان مخالفه .

والتزام الأدب وحسن الخلق عمومًا ، والتواضع على وجه الخصوص له دور كبير في إقناع الطرف الآخر وقبوله للحق وإذعانه للصواب ، فكل من يرى من محاوره توقيرًا وتواضعًا ويلمس خلقًا كريمًا ، ويسمع كلامًا طيبًا ، فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره ، ويفتح قلبه لاستماع رأيه ؛ وفي الحديث الصحيح : « وما تواضع أحدٌ للّٰه إلا رفعه اللّٰه »[٢] . أي يرفع منزلته في الدنيا عند الناس ، وكذلك يرفعه في الآخرة ويزيد من ثوابه فيها بتواضعه في الدنيا .

جـ - **تجنب العجب** ؛ وهو الزُّهُوُّ . يقال : رجل مُعْجَبٌ : مَزْهُوٌّ بما يكون منه حَسَنًا أَو قَبِيحًا . وقيل : العُجْب فَضْلَةٌ من الحُمْق صَرَفْتَها إِلى العُجْبِ .[٣] . فإعجاب المحاور بنفسه هو شعور بالغرور والتعالي على نظيره المحاور الآخر ، مما يفقد المحاورة جوَّها الهادئ المتزن ، وينقلها إلى جو نفسي ضاغط قد يؤثر على مسار الحوار .

د - **الأمانة في نقل المعلومات** ؛ لابد من الأمانة في العرض والنقل ، واحترام الحقيقة ، وأن لا يقطع المحاور عبارة عن سابقتها أو لاحقتها عند الاقتباس ليخضعها لخدمة فكرته ، فهذا نقص في الدين والإخلاص لأنه أخو الكذب ؛ فضلًا عن أنه يُعرِّض من هذه صفته للسخرية وعدم الثقة به لتلاعبه بالنصوص . ومن هذه صفته لا يكون أهلا للمحاورة .

هـ - **الصدق والحذر من الكذب والغموض واللف والدوران والمداهنة** : فقد يلجأ

---

(١) مسلم (٩١) .

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨) .

(٣) انظر لسان العرب باب الباء فصل العين ، ومختار الصحاح مادة (ع ج ب) .

المحاور إلى الأساليب الغامضة بل الكذب أحيانًا إذا أحس بضعف حجته ، أو أنه يريد أن يلبس على الطرف الآخر ويوهمه بما ليس له حقيقة ، وهذه صفة ذميمة يرفضها الإخلاص للَّه تعالى والخلق الكريم ، بل إن الحوار المبارك هو الحوار الصادق الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر ، وإذا طرح سؤال لا يريد أحد الطرفين الإجابة عليه فيعتذر عن الإجابة ، ولا يلجأ إلى الغموض واللف والدوران لأنه إذا فقدت الثقة بين الطرفين فقد فشل الحوار(١) . يقول الأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس : هنالك مشكلة في الحوار مع العلمانيين في العالم الإسلامي .. العلمانيون بل الملحدون في أوروبا يعلنون عن آرائهم بصراحة ويدافعون عنها . وإخوانهم في العالم الإسلامي يودون أن لو استطاعوا أن يفعلوا ذلك ، لكنهم لا يستطيعون ؛ لأن المجتمع لا يقبل مثل هذا التصريح بالكفر ، وربما تعرض قائله للأذى . فماذا يفعلون ؟ يلجؤون إلى النفاق : يتظاهر أحدهم بأنه مسلم ولو لم تكن في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، ويحاول أن يجد لكفره سندًا من الدين وهيهات فتأتي حججه المعلنة واهية لا تنطلي إلا على بعض الجهلاء أو ضعيفي الإيمان ، لكن هؤلاء لا يفيدونه بشيء . أما طلاب العلم وصادقو الإيمان فيرون نفاقه في فلتات لسانه ويجزمون به ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [محمد : ٣٠] .. لكن بعض الناس في بلادنا يتصور الحوار على غير هذه الصورة العقلانية المثمرة . يراه بعضهم مداهنة ، واللَّه تعالى يقول : ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم : ٩] . وكلمة يدهن كلمة معبرة جدًا في تصوير هذا الموقف ؛ لأنها مأخوذة من الدهن ، فهي عكس الثبات والاستمساك . يظنون بل يعتقدون أن من شرط الحوار مع الآخر أن تعترف بأنه على حق أيضًا . قال لي أحدهم هذا فقلت له : لِمَ أحاوره إذن ؟ ألكي أزحزحه عن الحق وأجره إلى الباطل ؟ إنك لا تحاور إنسانًا إلا إذا كنت معه مختلفًا . هذا هو الأمر الطبيعي حتى بين المنتسبين إلى الدين الواحد . قال تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩] ، فالرد إلى كتاب اللَّه

---

(١) نقلا عن مقال (إنما أعظكم بواحدة) للأستاذ عبد العزيز بن ناصر السعد - مجلة البيان العدد ٢٣ ص ١٧ - جمادى الأولى ١٤١٠ - ديسمبر ١٩٨٩.

وسنة رسوله ﷺ إنما يكون في حال التنازع ؛ أما إذا لم يتنازعوا فلا يحتاجون إلى هذا الرد ، بل إن عدم تنازع علماء المسلمين دليل على أنهم على حق . ولذلك استدل العلماء بهذه الآية الكريمة على حجية الإجماع .

ومن أشكال المداهنة أيضًا اللجوء إلى دعوى **نسبية الحق** . فخصمك المخالف لك على حق من وجهة نظره ، وأنت على حق من وجهة نظرك ؛ فلا داعي إذن لأن تخطئه أو تجهله . هذه دعوى باطلة ، وهي فوق ذلك مضرة بالمجتمع غاية الضرر . ثم هي بعد ذلك مما لا يمكن لأحد أن يلتزم به . سمعت أحدهم قريبًا في ندوة تلفازية يقول إنه إذا قال لي أحد : أريد أن أبين لك الحق ، أقول له : لا داعي للحوار إذن . هيأت نفسي للاتصال لأقول له : لكنك أنت الآن بقولك هذا تريد أن تبين لنا ما تراه حقًا بالنسبة للحوار ؛ وإلا فلماذا قلت ما قلت ؟

وقد وجدت شبهة نسبية الحق هذه مؤثرة حتى في بعض الشباب المتدينين . قال لي أحدهم : إذا كنا نحن نرى أنفسنا على حق فهم أيضًا يرون أنهم على حق . قلت له : وماذا في هذا ؟ إن الحق واحد ، سواء كان حقًا متعلقًا بدين أو بدنيا ؛ لأنه وصف لواقع ، ولا يمكن أن يكون الواقع على صفتين متضادتين . فإذا اختلفنا اختلاف تضاد ، فيستحيل أن يكون كلانا على حق . هب أن إنسانًا قال إنه ما يزال يرى أن الأرض مسطحة وأنت تعتقد أنها مكورة . ماذا تقول له ؟ هل تقول له : أنت على حق من وجهة نظرك ، وأنا على حق من وجهة نظري ؟ إن الاختلاف في الحق لا يعني نسبيته .

إن صاحب الحق لا بد أن يكون لديه دليل على صحة دعواه ؛ فمن حقه أن يقول لمخالفه إنني لا أطلب منك إلا أن تكون عاقلًا تخضع للدليل إذا تبين لك ... ما أجمل وأصدق ما قال الإمام الشاطبي في موافقاته : الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها وإن كثر الخلاف ، كما أنها في أصولها كذلك . ولا يصلح فيها غير ذلك . والدليل على ذلك أمور .ا .هـ[١] .

ومن أشكال المداهنة أن يكون الحوار بين أبناء الوطن الواحد دعوة إلى العلمانية .

---

(١) الموافقات : ٤ / ١١٨.

كيف ؟ يقولون : إذا كنا جميعًا أبناء وطن واحد فيجب أن تكون العلاقة الأساس بيننا هي علاقة المواطنة التي تفترض أن كل مواطن مخلص في حرصه على مصلحة وطنه ، وعليه يكون الحوار بيننا حوارًا بين مواطنين متساوين ؛ لا العلاقة الدينية التي تميز بين المواطنين . وهذه مغالطة سخيفة ؛ لأن تصور الإنسان لما يعده مصلحة له أو لبلده تؤثر فيه معتقداته دينية كانت أم غير دينية . فإذا كان المواطن شيوعيًا مثلًا فقد يكون مخلصًا في اعتقاده بأن النظام الشيوعي هو الذي يحقق مصلحة بلده ، ولذلك يرى أن الذين يقفون في طريق تحقيقها هم أعداء للوطن .

وكذلك قل عمن يعتقد في العلمانية الغربية ، أو من يعتقد في الإسلام . إنهم جميعًا مواطنون لكن معتقداتهم مختلفة إلى درجة أن ما يراه أحدهم مصلحة في بعض جوانب الحياة يراه الآخر أكبر خطر على الوطن . رأيت أحد إخواننا يستغرب آسفًا لموقف ينم عن شيء من خيانة وقفة بعض العرب من قضية عربية كبيرة ، فقلت له : هوِّن عليك ولا تستغربن . إن غزوة بدر الكبرى لم تكن بين عرب ويونان ، إنما كانت بين عرب أقحاح أقارب ينتمون إلى أشرف قبيلة عربية ، ولم يكن اختلافهم في أن بعضهم كان محبًا لوطنه والآخر كاره له ، إنما كان الخلاف بينهم في الحق والباطل والخير والشر . وكذلك سيظل إلى يوم القيامة ، سواء كان الناس أبناء وطن واحد أو أوطان مختلفة(١) .

٨ - **التركيز على نقاط الاتفاق** : أي الانطلاق من الأصول الثابتة المتفق عليها وإن كان الحوار في مسائل الاختلاف ، فبين كل متناظرين مختلفين حد مشترك من النقاط المتفق عليها بينهما والتي يسلم بها الطرفان ، والمحاور الناجح هو الذي يظهر مواطن الاتفاق ؛ فالبدء بالأمور المتفق عليها يساعد على تقليل الفجوة ، ويوثق الصلة بين الطرفين ، ويعيد الحوار هادئًا هادفًا .

أما إذا كان البدء بذكر مواضع الخلاف وموارد النزاع فإن فرص التلاقي تقل ، وفجوة الخلاف تتسع ، كما أنه يغير القلوب ، ويثير النفوس للغلبة دون النظر إلى صحة الفكرة .

---

(١) في مقال له بعنوان (الحوار .. مجادلة جادة لا مداهنة) نشر بمجلة البيان عدد (١٩٠) ص ٤٤، جمادى الآخرة ١٤٢٤ - أغسطس ٢٠٠٣.

فالبدء بالنقاط المشتركة يساعد على تحرير محل النزاع ، وتحديد نقطة الخلاف ، ويفيد في حسن ترتيب القضايا والتدرج في معالجتها .

فالحوارات التي تبدأ بمناقشة نقاط الاختلاف والتوتر ، أو ما يسمَّى بالنقاط الحادة والساخنة فهي حوارات كتبت على نفسها الفشل سلفًا ، فلا تسقط الحوار بإثارة مشاعر محاورك في نقاط الاختلاف وإنّما أكِّد على نقاط الالتقاء أو ما يسمَّى بـ (الأرضية المشتركة) حتى تمهِّد الطريق لحوار موضوعي ناجح ، والقرآن الكريم يدلنا على هذه القاعدة الحوارية المهمة من خلال الآية الكريمة : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

قال الأستاذ عبد العزيز بن ناصر السعد : إن البدء بنقاط الاتفاق لدى الطرفين كالمسلمات والبديهيات وغيرها من الأمور المتفق عليها كل ذلك يقلل الفجوة ويوثق الصلة بين الطرفين ويحس كل منهما أن هوة الخلاف قليلة ، وهذا له مردوده النفسي في الحوار ؛ وبالتالي فإن البدء بنقاط الخلاف يوسع فجوة الخلاف ولو من الناحية النفسية ، ولذلك يحرص أن يلقى على الطرف الآخر الأسئلة التي سيكون جوابها « بنعم » ويتجنب ما يكون جوابه النفي لأن كلمة « لا » عقبة كؤد يصعب التراجع عنها ، والأمثلة في القرآن الكريم كثيرة فمثلًا في سورة المؤمنون يقول تعالى : ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ فهنا نجد أن اللّه سبحانه وتعالى ألقى عليهم الأسئلة التي يُعرف جوابهم عليها مسبقًا لكي يصل إلى تقرير توحيد الألوهية لأن ما وافقوا عليه مستلزم لما أنكروه[1] .

٩ - **ألا يخرج الحوار إلى المعاندة أو المكابرة أو المغالطة أو المشاغبة** ؛ فإن ذلك

---

(١) في مقال له بعنوان (إنما أعظكم بواحدة) - مجلة البيان عدد ٢٤ ص ٢٦ - جمادى الآخرة ١٤١٠ - يناير ١٩٩٠.

مما يؤدي إلى فشل الحوار وذم أصحابه .

١٠ - **لا تكون هناك شروط مسبقة يفرضها أحد الطرفين على الآخر** تخالف الشروط أو القواعد العامة للحوار ؛ فذلك من شروط الحوار الهادف إلى الوصول إلى قاعدة الفهم المتبادل المبني على وضوح البرهان ونصاعة الدليل .

فائدة :

قال الراغب في (محاضرات الأدباء) **شروط المناظرة** : اجتمع متكلمان فقال أحدهما : هل لك في المناظرة ؟ فقال : على شرائط : أن لا تغضب ، ولا تعجب ، ولا تشغب ، ولا تحكم ، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلًا ، ولا تجوِّز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوَّزت لي تأويل مثلها على مذهبي ، وعلى أن تؤثر التصادق وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلًا منا يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته .ا .هـ .

* * *

الفصل الثالث

آداب الحوار

قال أهل اللغة : أَدُبَ الرَّجلُ يَأْدُبُ أَدَبًا ، فهو أَدِيبٌ ، وفلان قد اسْتَأْدَبَ : بمعنى تَأَدَّبَ ، وأَدُبَ بالضم ، فهو أَدِيبٌ ، من قوم أُدَباءَ . وأَدَّبه فَتأدب : عَلَّمه . ويقال للبعيرِ إِذا رِيضَ وذُلِّلَ : أَدِيبٌ مُؤَدَّبٌ . فالأَدَبُ : الذي يَتَأَدَّبُ به الأَديبُ من الناس ؛ سُمِّيَ أَدبًا لأَنه يَأْدِبُ (أي : يدعو) الناسَ إِلى المَحامِد ، ويَنْهاهم عن المقَابح . وأَصل الأَدْبِ الدُّعاءُ ، ومنه قيل للصَّنِيع يُدْعَى إِليه الناسُ : مَدْعاةٌ ومَأْدُبَةٌ . وقيل : الأَدَبُ : أَدَبُ النَّفْسِ والدَّرْسِ . والأَدَبُ : الظَّرْفُ وحُسْنُ التَّناوُلِ[١] . قال الجواليقي في (شرح أدب الكاتب) : والأدب الذي كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم ، مثل ترك السفه ، وبذل المجهود ، وحسن اللقاء[٢] . ا .هـ . فالأدب إذًا : اجتماع خصال الخير في العبد ، ومنه المأدبة وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس . وقيل : الأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا . وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق . وقيل : هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك . **وعلم الأدب** : هو علم إصلاح اللسان والخطاب وإصابة مواقعه وتحسين ألفاظه وصيانته عن الخطأ والخلل ؛ وهو شعبة من الأدب العام[٣] . قال الجواليقي : واصطلح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على أن يسموا العالم بالنحو والشعر وعلوم العربية أديبًا ، ويسمون هذه العلوم أدبًا ، وذلك كلام مولد ، لأن هذه العلوم حدثت بعد الإسلام[٤] .ا .هـ . واللَّه أعلم .

والذي يعنينا في (**أدب الحوار**) **ما يحسن قوله أو فعله مع المحاور** ؛ فأدب الحوار

---

(١) انظر لسان العرب باب الباء فصل الهمزة ، و مدارج السالكين : ٢ / ٣٧٥، ٣٧٦، وفتح الباري : ١٠ / ٤٠٠.

(٢) شرح أدب الكاتب ص ١٩ - دار الكتاب العربي .

(٣) انظر مدارج السالكين: ٢ / ٣٧٥.

(٤) شرح أدب الكاتب ص ١٩ - دار الكتاب العربي .

يعني أدب تجاذب الحديث عمومًا ، وقد ذكر الذين تناولوا الحديث عن الحوار آدابا كثيرة ؛ وفي هذا البحث ذكرت من شروط الحوار (**التزام أخلاق الحوار**) وذكرت هناك الحلم والتواضع والأمانة وتجنب العجب وتجنب الكذب ، لأنها سجايا للنفس ؛ وأما الآداب فهي أقرب ما تكون تفاعلا مع من يُتعامل معهم ؛ يؤخذ هذا من التعريفات السابقة للأدب : **استعمال ما يحمد قولا وفعلا ... الأخذ بمكارم الأخلاق ... تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك .**

ولما كانت آداب الحوار كثيرة بدا لي أن أذكر أعظمها تأثيرًا وفائدة للمتحاورين وهي :

١ - **احترام شخصية المحاور** ، ويعني هذا عدم احتقاره وعدم الاستهانة به ابتداءً لأن ذلك يثيره وقد يخرجه عن حد اللياقة مما قد يكون سببا في فشل الحوار ؛ ومن الاحترام كذلك الإنصات له وعدم الانصراف عنه أثناء حديثه ، وفسح المجال له لإبداء رأيه كاملا دون مقاطعة ، لأن قطع الفكرة أو التشويش عليها يؤثر على تسلسل الأفكار وترابطها و اضطرابها . ومن ذلك تجنب السخرية من شخص المحاور وأفكاره ؛ وتجنب كل ما يشعر باحتقاره أو ازدراء فكرته ، وتجنب وسمه بالجهل أو قلة الفهم ؛ وكذلك تجنب التبسمات والضحكات التي تدل على السخرية .

٢ - **المرونة في الحوار وعدم التشنج** ، فينبغي مقابلة الفكرة بفكرة تُصححها أو تكملها ، وقبول الاختلاف الذي يتسع قبوله ، والصبر على فكرة المحاور حتى لو أُعتقد خطؤها منذ البداية حتى تُقام الحجة على خلافها .

وتأمل هذا الحوار الذي كان بين النبي ﷺ وبين حبر من أحبار يهود لتقف على هذا الأدب في الحوار ؛ فقد روى مسلم في صحيحه عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ؛ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ : لِمَ تَدْفَعُنِي ؟ فَقُلْتُ : أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي** » فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : جِئْتُ أَسْأَلُكَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« **أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ** ؟ » قَالَ : أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ ! فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ ، فَقَالَ : « **سَلْ** » فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ** » قَالَ : فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً ؟ قَالَ : « **فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ** » قَالَ الْيَهُودِيُّ : فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : « **زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ** » قَالَ : فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا ؟ قَالَ : « **يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا** » قَالَ : فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : « **مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا** » قَالَ : صَدَقْتَ ! قَالَ : وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ؟ قَالَ : « **يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ** ؟ » قَالَ : أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ ! قَالَ : جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : « **مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ** » قَالَ الْيَهُودِيُّ : لَقَدْ صَدَقْتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنْ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِيَ اللَّهُ بِهِ** »(١) .

٣ - **اختيار أحسن الكلام** ؛ وهذا يعني اختيار الألفاظ وانتقائها والمفاضلة بينها ، فالكلمات بين يدي المحاور فيها (حسن) وفيها (أحسن) ، فليختر الأحسن ما أمكنه ذلك ؛ قال اللَّه تعالى : ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء : ٥٣] ؛ إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان والعرض من العوامل في إيضاح الفكرة وأدلتها ، ومما يكون له أكبر الأثر على قبول الطرف الآخر للفكرة ، وإقناعه بحسن الاستدلال عليها .

وإليك بعض اعتبارات أحسن الكلام :

أ - **التعبير بلغة بسيطة غير ملتبسة ولا غامضة دون تقعّر أو تكلف** ، فيجب تجنب الألفاظ الغريبة صعبة الفهم أو الألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معان من غير توضيح للمعنى المراد منها . ففي صحيح مسلم عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **أَلَا**

---

(١) رواه مسلم (٣١٥) .

هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[(١)] ؛ قال النووي - رحمه الله : أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[(٢)] ، وروى الترمذي عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا ؛ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ** » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ ؟ قَالَ : « **الْمُتَكَبِّرُونَ** » [(٣)] . قَالَ ابن القيم - رحمه الله : والثرثار : هو الكثير الكلام بتكلف ؛ والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه الذي يتكلم بملء فيه تفاخما وتعظيما لكلامه ؛ والمتفيهق : أصله من الفهق وهو الامتلاء ، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه تكثرا وارتفاعا وإظهارا لفضله على غيره[(٤)] ، ولا يفعل ذلك إلا المتكبرون .

ب - **ومن حسن الكلام الرفق فيه :** ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه : ٤٤] . وروى أحمد والطبراني عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا عُزِلَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ** »[(٥)] ، والكلمات الجافة القاسية توصد أبواب الاستجابة وتغلق طريق الحوار ، وقد قال اللَّه تعالى لرسوله ﷺ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

جـ - **التأدب في الخطاب ؛** قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة : ٨٣] ، وذلك باستخدام اللغة المهذبة ، فبعض العبارات قد تفتح مغاليق النفوس وهي يسيرة على من يسرها اللَّه عليه من الكلمة الطيبة التي تقرب النفوس وتزيل الجفوة وتهيء المخالف لاستقبال الحق ، والأمثلة في ذلك كثيرة كمناداة

(١) مسلم (٢٦٧٠) ؛ ورواه أحمد : ١ / ٣٨٦، وأبو داود (٤٦٠٨) .
(٢) انظر المنهاج شرح مسلم بن الحجاج للنووي : ١٦ / ٢٢٠.
(٣) الترمذي (٢٠١٨) وحسنه ،
(٤) في حاشيته على أبي داود : ١٣ / ٩١ (الكتب العلمية) .
(٥) أحمد : ٦ / ٢٠٦، والطبراني في الأوسط (٢١٨٠) ، ورواه ابن حبان (٥٥١) عن أنس رضي اللَّه عنه .

الطرف الآخر بكنيته أو بأحب الأسماء إليه ، وإذا كان أكبر سنًا أو علمًا بيا أستاذي وشيخي .. اسمح لي .. عفوًا ؛ وقد تأدب الأنبياء بهذا الأدب في خطابهم لأقوامهم ، فقد كان يقول الرسول لخصومه المعاندين : (يا قوم) في تودد وسماحة وتذكير بالروابط التي تجمعهم ليستثير مشاعرهم ، ويطمئنهم فيما يدعوهم إليه ؛ وعندما حاور إبراهيم ﷺ أباه لم تفارق كل جملة من كلامه : ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ ؛ ثم بعد أن عاند أبوه وأغلظ عليه كان رده : ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم : ٤٧] .

وأما الكلمات التي تخرج من قاموس الشتائم والسباب والتشهير والتسقيط فهي ليست كلمات جارحة ونابية فقط وإنما هي كلمات هدَّامة لا تبقي مجالًا للحوار بل تنسفه نسفًا ؛ وقد قال اللَّه تعالى وهو يعلِّمنا كيفية التخاطب حتى مع المسيئين : ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، وروى أحمد وأبو يعلى عَن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : وَأَبِي سَمُرَةُ جَالِسٌ أَمَامِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **إِنَّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ ؛ وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا** »(١) .

إن من أقبح الصفات أن يتنزل العلماء في حوارهم إلى جارح اللفظ وسيئ العبارة ، معللين ذلك بضيق الصدر ونفاذ الصبر ، فقد قِيلَ لرسول اللَّه : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، قَالَ : « **إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً** »(٢) ، كما قال : « **سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ** »(٣) . والمتتبع للحوارات التي يزخر بها تراثنا يدرك الأدب الرائع بين المتحاورين في أدق قضايا الإسلام وأحكامه ، ويطلع على النماذج المشرقة التي حواها ذلك التراث الفكري والمعرفي(٤) .

---

(١) أحمد : ٥ / ٨٩؛ وأبو يعلى (٧٤٦٨) ، وقال المنذري في الترغيب : ٣ / ٢٧٥: وإسناد أحمد جيد ورواته ثقات .ا.هـ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ٨ / ٢٥: رجاله ثقات .

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٩) عن أبي هريرة .

(٣) البخاري (٤٨) ، ومسلم (٦٤) عن ابن مسعود .

(٤) انظر (الحوار .. الذات والآخر) د عبد الستار إبراهيم الهيتي ص ٨١، ٨٢ – سلسلة كتاب الأمة .

د - **طرح اللغو** ، واللغو ما لا فائدة منه من القول ، فلا يخوض المحاور فيما لا يثري المحاورة ، وانظر كيف وصف اللَّه تعالى من أثنى عليه بخير من عباده فقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون : ٣] وقال : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص : ٥٥] ، وقال : ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان : ٧٢] ، وصان عنه أسماع أهل الجّنة وألسنتهم فقال : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة : ٢٥، ٢٦] ؛ وروي أنّ رجلًا خاطب معاوية فأكثر اللّغو في كلامه فضجر معاوية وأعرض عنه ، فقال : أأسكت يا أمير المؤمنين؟ فقال : وهل تكلّمت ؟ !(١)

قال الشاعر :

اللهو منقصة بصاحبه ... فاحذر مذلة مؤثر اللهو
واللغو نزه عنه سمعك لا ... تجنح له لا خير في اللغو

والابتعاد عما لا يفيد في الحوار يحفظ هيبة المحاور ، ويحفظ وقته وأوقات الآخرين .

هـ - **التقديم للحوار بكلمات مناسبة** ومقدمات لطيفة تلفت انتباه الطرف الآخر ، وتكون توطئة لحوار مفيد ؛ فإن كان الحوار مع مسلم فليقدم له مثلا بالحديث عن دعوة الإسلام للوحدة بين المسلمين وذم التفرق - مثلا ؛ وإن كان مع غير المسلمين ؛ فإن كانوا أهل كتاب فليقدم بآية : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] . وإن لم يكونوا أهل كتاب فليقدم لبعض الآيات الكونية مثلا .. وهكذا ؛ ومن أمثلة ذلك ما رواه مسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ ؛ فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ : إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ ! فَقَالَ : لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ ، قَالَ : فَلَقِيَهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر : ٣٣ / ٢١٢ - دار الفكر .

شَاءَ ، فَهَلْ لَكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ أَمَّا بَعْدُ** » فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ : فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ ؛ فَقَالَ : هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَبَايَعَهُ .. الحديث[1] . فلما قدم النبي ﷺ بمقدمته هذه - وكان ضماد قد وقف على كلام الكهنة وقول الشعراء والسحرة علم أن كلامه ﷺ ليس من قبيل ذلك فأسلم .

و - **ضرب الأمثال** ؛ إذ المحاور الناجح هو الذي يحسن ضرب الأمثلة ، ويتخذها وسيلة لإقناع محاوره ، فالأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحًا وبيانًا ؛ ولما كان للأمثلة دور كبير في تقريب المعاني والإقناع بها ، فقد اعتنى القرآن بها كثيرًا ، وأشار إلى أهميتها وبيان هدفها : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٢١] ، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم : ٢٥] ، فمن فوائد الأمثال أنها تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه المستمع ؛ كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء حيث لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب : ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

٤ - **حسن الاستماع إلى الحجج والإصغاء في الحوار** ، قيل : رأس الأدب : الفهم والتفهم والإصغاء إلى المتكلم . والمتحدث البارع مستمع بارع ، فلابد من حسن الاستماع والانتباه لما يقوله الطرف المقابل وعدم مقاطعته وتركه حتى ينتهي ، ويدون أي فكرة تطرأ أثناء كلامه حتى يفرغ تمامًا ؛ فالحوار مسألة تبادل للآراء وليس مجرد إرسال من طرف واحد واستقبال من الطرف الثاني ؛ فليس الحوار من حق طرف واحد يستأثر فيه بالكلام دون محاوره ، وهناك فرق بين الحوار الذي فيه تبادل الآراء وبين الاستماع إلى

(١) مسلم (٨٦٨) ، ورواه أحمد : ١ / ٣٠٢.

خطبة أو محاضرة ؛ ولذا فمن آداب الحوار أن يحسن كل طرف الاستماع إلى آراء الطرف الآخر ، فلا يغفل عن الاستماع استهوانًا أو تسفيهًا لآراء الآخرين ، ولا يتمادى في الحديث حتى يجور على الوقت المخصص للآخرين . ومن حسن آداب الأنبياء أنهم كانوا يصغون جيدًا لمحاوريهم بل كانوا يتفضلون فيمنحونهم الفرصة الأولى للإدلاء بآرائهم وحججهم فعندما قال السحرة لنبي الله موسى : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه : ٦٥] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾ [طه : ٦٦] ، فأعطاهم الفرصة الأولى للإدلاء بالبينات . وتقدم حوار النبي ﷺ مع عتبة بن ربيعة وكيف استمع النبي ﷺ له وأعطاه فرصته كاملة لإبداء ما عنده . والاستماع إلى الطرف الآخر وحسن الإنصات له يمكن أن يهيئه لقبول الحق ويمهد نفسه للرجوع عن الخطأ .

٥ - **التعريض والتلميح بدلًا عن التصريح** ؛ فلفت النظر إلى الأخطاء من طرف خفي ، وتجنب اللوم المباشر ، وعدم تخطئة الطرف الآخر بعبارة صريحة ، كل ذلك له أثره في تسليم الخصم للحق والرجوع عن الخطأ ، فالنفوس غالبًا لا تتحمل أن تواجه بقوة وصرامة ، وهناك من الألفاظ الموحية والكلمات اللطيفة والتي تؤدي الغرض نفسه ، دون جرح لمشاعر الآخرين ، أو إشعارهم بالذل والهزيمة ؛ وروى أبو داود عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنْ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ : مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ : « **مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا** »[(١)] ، ينهى ولا يسمي فاعله . وأمثلة ذلك في السنة كثيرة[(٢)] . إنه أدب جم يوصل للغاية ويحفظ على الآخر ماء وجهه فليس الغاية من الحوار إحراجه ، ولكن الغاية الأخذ بيده إلى الحق .

٦ - **التغاضي عن هفوات الآخر** ؛ فلا يستخدم في مواجهته - ولو كان ما يصدر عنه غير لائق - إلا اللائق ؛ قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان : ٦٣] ؛ قال سفيان بن عيينة - رحمه الله : كان ابن عياش المنتوف يقع في عمر بن ذر ويشتمه ، فلقيه عمر بن ذر فقال : يا هذا لا تفرط في شتمنا وابق للصلح موضعا ، فإنا لا

---

(١) أبو داود (٤٧٨٨) .

(٢) ذكر طرفا منها الألباني في صحيح الجامع ج ٥، ص١٣١ إلى ص ١٣٣.

نكافىء من عصى اللَّه فينا بأكثر من أن نطيع اللَّه فيه(١) . وكم لهذا الخلق من تأثير في نفس المحاوِر ؛ وقد قال اللَّه تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤] .

٧ - **العدول عن الإجابة** ؛ فقد يكون الرد عدم إجابة السؤال لما فيه من التعنت ؛ فيكون رده بكلام يأخذ بالسائل إلى فهم خطأ عرضه ؛ فالأصل في الحوار الناجح أن يبنى على الإخلاص والتجرد للحق والصدق والوضوح ، ولكن قد تتعذر هذه الصفات في الخصوم ، فقد يكون الخصم يهوى الجدال والمراء ، ويقصد إضاعة الوقت والتهرب من الحوار الجاد ، وقد يلقي أسئلة لا قيمة لها ولا تفيد شيئًا بالحوار ؛ ففي مثل هذه الأحوال يعدل المحاور الناجح عن الجواب المباشر للسؤال المطروح ، إلى جواب مفيد مهم . وهذا من أدب المحادثة والحوار ؛ قَالَ ﷻ : ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج : ٦٩] ، قال مقاتل - رحمه اللَّه : ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ بالباطل فدافعهم بقولك : ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب ؛ فأمره اللَّه تعالى بالإعراض عن مماراتهم صيانة له عن الاشتغال بتعنتهم ، ولا جواب لصاحب العناد .ا .هـ . وقال القرطبي في قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في هذه الآية أدب حسن علمه اللَّه عباده في الرد على من جادل تعنتا ومراء ألا يجاب ولا يناظر ، ويدفع بهذا القول الذي علمه اللَّه لنبيه ﷺ(٢) . وفي سورة الإسراء : ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ ؛ فأمره اللَّه تعالى أن يجيبهم بقوله : ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ .

٨ - **تجنب أسلوب التحدي والإفحام** ؛ لأنه يترك في نفس المحاور حقدًا وغيظًا

---

(١) حلية الأولياء : ٥ / ١١٣، وسير أعلام النبلاء : ٦ / ٣٨٩.

(٢) تفسير القرطبي : ١٢ / ٩٤.

وكراهية ، والهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق ، وقد يكون ذلك مانع منه ، فعلى المحاور أن يتجنب أسلوب الإفحام والإسكات .

لكن قد يستخدم المحاور أسلوب التحدي والإفحام مع من استطال وتجاوز حدود الأدب ، وطغى وظلم وعادى الحق وكابر مكابرة بينة ولجأ إلى الاستهزاء والسخرية ، ونحو ذلك ؛ وفي مثل هؤلاء جاءت الآية الكريمة : ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] ؛ ولما أمر الله (جل جلاله) بالتلطف في الحوار – حتى مع الكفار – استثنى فقال : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] ؛ فمع الظلم والبغي والتعدي لا ينفع الرفق واللين ، بل تستعمل الغلظة والشدة .

٩ – **تلطيف أجواء الحوار حينًا بعد حين** ، وذلك بإسداء بعض عبارات الاحترام والتقدير للطرف الآخر ، فإن ذلك أدعى إلى كبح جماح الانفعال لديه وتهدئة جموحه نحو التعدي وعدم الموضوعية .

١٠ – **الاعتدال في كل شيء** ؛ في الصوت ، وفي الجلسة ، وفي الحركات ، وفي سياق الحجج ، وفي الوقت من أول المحاورة إلى آخرها .

١١ – **العزة والثبات على الحق** ؛ فالمحاور المسلم يستمد قوته من قوة الدين وعظمة الإيمان ، فلا يجوز أن يؤدي الحوار بالمسلم إلى الذلة والمهانة ؛ والعزة الإيمانية ليست عنادًا يستكبر على الحق ، وليست طغيانًا وبغيًا ، وإنما هي خضوع للّه وخشوع ، وخشية وتقوى ، ومراقبة للّه سبحانه .

١٢– **حسن الظن بالمخالف المسلم** ، فالأصل في المسلم بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق غير ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي ؛ فلا يتهم بشيء بغير بينة ولا برهان ؛ وإن ظهر في كلامه شيء خفي عليه ، فعلى المحاور المسلم أن يبينه له دون تجريح ؛ فهذا من حق المسلم على المسلم .

هذه أهم الآداب التي يجب مراعاتها أثناء الحوار ليكون حوارًا علميًا رزينًا جديرا بأن يحقق أهدافه .

الفصل الرابع

عوائق الحوار

من المفيد بعد أن بينا معنى الحوار وعلاقته بغيره من الألفاظ ومقوماته وشروطه وآدابه أن نتحدث عن الأسباب المانعة للحوار ؛ ذلك لمحاولة التغلب عليها وإزالتها لينعقد الحوار على أسسه ومقوماته وشروطه وآدابه فيبدأ سليما خاليا من المعوقات والعلل فينتهي - بإذن اللّٰه تعالى - بالنتيجة المرجوة من انعقاده ؛ وكما يقول د عمر عبيد حسنة : وهذا لا يعني العدول عن الحوار أو التقليل من أهميته ، على مستوى الذات أولًا ومن ثم (الآخر) ، ذلك أن الحوار مع الذات هو الأساس والمرتكز للحوار مع (الآخر) ، ففاقد الشيء لا يعطيه ؛ وإنما يعني أنه لابد من أن ننأى بالحوار عن هذه الإصابات ، وذلك بتصويب مسيرته واختبار أدواته ووضوح أهدافه[(١)] .

والعوائق جمع عائقةٌ ؛ يقال : عَاقَهُ وعَوَّقَه وتَعَوَّقَه واعْتاقَه : صرفه وحبسه ؛ والعَوْق : الصارِفٌ والمُثَبِّطٌ والشاغِلٌ ؛ وعَوائِقُ الدهر : الشواغل من أَحداثه . يقال : عاقَني عن الوجه الذي أَردتُ عائِقٌ وعاقَتْني عوائق ، والتَّعْوِيقُ : تَرْبِيثُ[(٢)] الناس عن الخير . ورجل عُوَقَة وعُوَق وعَوِق : ذو تَعْوِيقٍ للناس عن الخير وتربيث لأَصحابه ، لأَن علل الأُمور تحبسه عن حاجته ؛ والعَوْق : الرجل الذي لا خير عنده . والتَّعْوِيقُ : التَّثْبِيط . وفي التنزيل : ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب : ١٨] ؛ المُعَوِّقون : قوم من المنافقين كانوا يُثَبِّطون أَنصار النبي ﷺ[(٣)] .

والمراد بعوائق الحوار : الأمور التي تصرفه عن الانعقاد أو عن إتمامه بعد انعقاده ؛ إذ المتأمل في أكثر حواراتنا الإسلامية يجد أن بعضنا يحمل في كيانه جراثيم تمنع الحوار الصحي ، أو تعوق إتمامه للوصول إلى الهدف المراد منه .

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار .. الذات والآخر) ص ٢٤.

(٢) الرَّبْثُ : حَبْسُكَ الإِنسانَ عن حاجته وأَمره بعِلَلٍ .

(٣) انظر لسان العرب باب القاف فصل العين ، ومختار الصحاح والقاموس المحيط مادة (ع و ق) .

ويمكن إجمال هذه العوائق في فقدان أي من المقومات أو الشروط أو الآداب ، بالإضافة إلى عوائق أخرى تنظيمية أو تاريخية أو حضارية .

أقسام عوائق الحوار :

يمكن تقسيم عوائق الحوار تبعا لتأثيرها على الحوار إلى قسمين : **الأول** : عوائق تمنع من انعقاد الحوار ؛ **والثاني** : عوائق تمنع من إتمامه بعد انعقاده . كما يمكن تقسيمها بحسب متعلقها إلى ثلاثة أقسام : **الأول** : عوائق تتعلق بتنظيم الحوار ؛ **والثاني** : عوائق تتعلق بالمتحاورين ؛ **والثالث** : عوائق تتعلق بالحوار . وقد يقسمه البعض تقسيما زمنيا إلى ضربين : عوائق تاريخية نابعة من الماضي ؛ وعوائق راهنة قائمة في الحاضر .

وسأحاول الإلمام بأهم العوائق فيما يلي :

عوائق تمنع من انعقاد الحوار

وهي الأمور التي تكون سببا في منع انعقاد الحوار وتتلخص في :

١ - **سوء الظن بالطرف الآخر** ؛ مما يؤدي إلى الاعتقاد الخاطئ بصعوبة أن يقبل الطرف الآخر الحق إذا ظهر ؛ أو استحالة ذلك منه ، وهي نتيجة مبكرة تقضي على كل جهد قبل بدئه ؛ وهذا لعله السبب الرئيس الذي يعوق الحوارات الداخلية بين الجماعات ؛ مع أن الأصل في المسلم حسن الظن به ، وسوء الظن بالمسلم بدون برهانٍ ظاهرٍ إثم ، قال اللَّه تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات : ١٢] ، وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا** »[1] ، فلابد من إزالة سوء الظن حتى ينعقد الحوار ويصل إلى نتيجة مرجوة .

وقد يصل سوء الظن بالطرف الآخر إلى كره المحاور له ، ذلك الكره الذي يدفعه - إن انعقد الحوار - إلى رفض ما عنده وإن كان صوابًا ؛ فيكون حاله كحال اليهود مع

(١) البخاري (٦٠٦٦) ، ومسلم (٢٥٦٣) .

النبي ﷺ ؛ فقد كانوا يعرفون الحق قبل ظهوره ﷺ ، فلما جاءهم هو به لم ينقادوا له حسدًا وكرهًا ؛ ذلك لأن من يدخل الحوار وقد انطوت نفسه على كره الآخر تراه يشتد في الحوار حول ما يعرضه الآخر عليه من أمور لو أتته من غير هذا المحاور لقبلها بلا جدال .. ومن هنا : فإن أمثال هذه الحوارات تفتقد الاعتماد على الحجة ، بل هي في الحقيقة حوارات (طرشان) لا يسمع طرفٌ فيها الآخر ، وإنما يتفنن كل طرف في أساليب العداء تجاه الآخر ، تلك الأساليب التي تبدأ بوصم المخالف بأقبح الألقاب وأحط الأسماء ، ثم تنتقل خطوة أخرى في العداء : فيبدأ المكر والكيد والتربص بأمر السوء حتى يصل العداء إلى أسلوب لأقتلنك حيث يرى الآخر أن قتل محاوره هو البديل للحجة والبيان ، فيحل السيف والسنان محل القلم واللسان ، وتصبح المواجهة الوحشية والإرهاب والعدوان هي وسائل التحاور .. أو إن شئت قلت : وسائل فرض الرأي على الآخر التي تحرق جسور التواصل بين المتحاورين لتصل بهم إلى الفرقة والتشرذم والشتات[1] .

٢ - **عدم الإيمان بالحوار أصلًا** ، واعتقاد أن الآخر ليس أهلا للتحاور معه ، بل عليه أن يقبل ما يملى عليه ويقر به ؛ وسيطرة فكرة الغلبة والهيمنة وصراع الحضارات ، واتخاذ الحوار ذريعة ومدخلًا لدراسة (الآخر) واستطلاع مواقعه الدفاعية ، ووضع الخطط المطلوبة لمواجهته والسيطرة عليه .

إن انطلاق مبدأ الحوار إنما يكون من الإيمان ابتداءً بالحرية والاختيار الإنساني في الوجهة والاعتقاد ، والاقتناع بأن التنوع حقيقة وواقع ، وأن الاختلاف حق من حقوق الإنسان وكرامته ، وأن الحوار لا يعني ولا يُطلب منه إلغاء التنوع ومصادرة حق الاختلاف وإكراه الناس على ما لا يختارون .. **فأصحاب الرؤية الآحادية** ، الذين لا يمتلك تراثهم وقيمهم حق التنوع والاختلاف غير مؤهلين ثقافيًا وحضاريًا لتقنية الحوار ، ولو ادعوا ذلك ؛ لأنهم يعتقدون أن الصراع هو السبيل الوحيد للقضاء على (الآخر) ، وترويضه وتعبيده للسيد المهيمن . لذلك نجد أن كل المعلومات والمعارف والمخترعات

---

(١) انظر مقال (لمحات في فن الحوار الحلقة الثالثة [معوقات الحوار]) لمحمد محمد بدري - مجلة البيان (٨٩) ص ٥٢- المحرم ١٤١٦ - يونيو ١٩٩٥؛ بتصرف .

والتكنولوجيا ، إذا قُرئت أهدافها بدقة تبين منها أنها إنما أنتجت للسيطرة والصراع والمواجهة وتأمين الغلبة ، ولعل هذا يفسر التقدم الهائل في العلوم التكنولوجية على حساب الإنسان نفسه . لذلك قد لا يكون مستغربًا أن نجد دولًا حديثة وحضارات قام كيانها كله وأدواتها ومكوناتها ومخترعاتها وأنظمتها السياسية وأدبياتها على المواجهة ، لأنه من الصعب عليها البقاء والاستمرار بدون وجود عدو ، وعند عدم وجوده فعلًا لا بد من اصطناعه ، حتى ولو كان شبحًا غير موجود . ولعل هذا يفسر الكثير من الأبعاد الإعلامية والاستراتيجية واللوجستية والتحالفية التي تخطط لها الدول المهيمنة اليوم ، وأن الندوات ودعوات الحوار لا تخرج عن كونها غطاءً لا بد منه للظهور بالمظهر الإنساني[1] .

فالنظرة الأحادية هي لون من ألوان الأمراض الحوارية التي يمكننا أن نطلق عليه : عمى الألوان ، حيث تسيطر على صاحبه فكرة واحدة ، يرفض ما عداها من الأفكار .. ففكرته في حقيقتها سجن يمنعه من الاطلاع على أفكار الآخرين ، ونظرته عمى يحول بينه وبين رؤية البدائل المطروحة من الآخرين ، فضلًا عن الإفادة منها .

إن أصحاب النظرة الأحادية يرون أنهم يملكون كل المعرفة ، بينما لا يرون أن الآخرين يمكن أن يملكوا ولو جزءًا من هذه المعرفة .. وحالهم في ذلك يشبه حال من ذكرهم الإمام الغزالي في الإحياء في قصة رمزية تستحق التأمل مفادها : أن ثلاثة من العميان أُدخلوا على فيل ولم يكونوا عرفوه من قبل فوضع أحدهم يده على رجله ، ووضع الآخر يده على ذيله ، ووضع الثالث يده على بطنه ، فلما خرجوا سألوهم : ما الفيل ؟ فقال الأول : الفيل : كسارية المسجد ، وقال الآخر : الفيل : كخرطوم طويل به شعر كثيف ، وقال الثالث : الفيل : الجبل العظيم الأملس ... وهكذا أصحاب النظرة الأحادية ، يرى الواحد منهم جزءًا من الحقيقة ، ويظن أنه يرى كل الحقيقة ؛ فيصف الأمور بغير أوصافها .. فإن حدَّثه الآخر عن بقية الحقيقة التي يجهلها ، لم يكلف نفسه مجرد محاولة التعرف على ما يريد الآخر قوله ، بل يَنْقَض عليه متهمًا إياه بالضلال والانحراف والجهل .. ولا يترك له فرصة الحوار ، بل يسعى لمصادرة آرائه والحجر عليه ، فيصم أذنيه ويغلق

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار .. الذات والآخر) ص ٢٧، ٢٨.

عينيه ، فلا يسمع له رأيًا ولا يقبل له طرحًا .. هكذا .. مهما بلغ الآخر من الفهم والتخصص فيما يحدثه فيه ويعرضه عليه !!

إن النظرة الأحادية هي نظرة تفتقد إلى الشمولية والتوازن وضبط النِسبِ ، ولذلك فهي من المعوقات الكبيرة في طريق نجاح حواراتنا ، فهل نتخلص منها ؟[1] .

٣ - **شروط مسبقة من أحد طرفي الحوار لا تتفق مع إقامة حوار حر نزيه** ؛ مما يؤدي إلى فقدان أكثر المقومات والشروط التي يقوم عليها الحوار ، فلا يرى الطرف الآخر إلا رَفْضَ مثل هذه الشروط وبالتالي لا ينعقد الحوار ، وإذا انعقد تحت التهديد والهيمنة فإنه لا يكون حوارا حقيقيا ؛ كمثل اشتراط أن يتخلى المحاور عن اعتقاداته وثوابته أثناء الحوار ؛ أو اشتراط موضوعا للحوار ليس ذي بال ولا له أهمية ، أو وضع محاور هامشية للموضوع لا تؤدي إلى النتيجة المطلوبة ، أ و المنع من تناول محاور ذات أهمية في موضوع الحوار ؛ أو اشتراط صفات في المحاور يمكن أن تؤثر سلبا على مجرى الحوار ، أو اشتراط مكانا لا يكون مهيئا لإقامة حوار ؛ أو غير ذلك من الاشتراطات التي تمنع من انعقاد الحوار ؛ يقول د . عمر عبيد حسنة : ونستطيع القول اليوم : إن معظم موضوعات الحوار وأنديته وندواته ومشاهده بعامة إنما تأتي من قبل (الآخر) ؛ هو الذي يحددها حسب أجندته السياسية والفكرية وأولوياته الاستراتيجية ، وما علينا إلا الاستجابة والإجابة ، وبذلك يمكن وضع الموضوعات المختارة للحوار بالنسبة لعالم المسلمين في نطاق الفكر الدفاعي ، خاصة فيما يجري بعد الحادي عشر من أيلول سبتمبر . ويترتب على ذلك ما يمكن أن يكون إحدى آفات الحوار الكبرى ، وهي فقدان الحرية ، التي هي من أهم مقومات الحوار وشروطه .. وهذه الآفة تتمثل في المسموح له والممنوع من الموضوعات في الحوار ، لذلك فوجود بعض الموضوعات المحظورة والمحرمة على ساحات الحوار ، حيث لا يسمح بطرحها ولا مناقشتها ولا حتى الاقتراب منها ، يحوِّل ندوات الحوار ومنتدياته إلى مخافر تدار بعقليات أمنية ، وليس علمية موضوعية ، الأمر

---

(١) انظر مقال (لمحات في فن الحوار الحلقة الثالثة [معوقات الحوار]) لمحمد محمد بدري - مجلة البيان (٨٩) ص ٥٢- المحرم ١٤١٦ - يونيو ١٩٩٥.

الذي يتناقض ابتداءً مع الشروط الموضوعية والضرورية المطلوب توفيرها لإنجاح الحوار[1] .

عوائق تمنع من إتمام الحوار بعد انعقاده

وهي الأمور التي تتسبب في فشل الحوار بعد انعقاده ؛ إما ظاهرا بعدم إكماله ؛ أو حقيقة بعدم الوصول إلى أهدافه التي انعقد من أجلها ؛ وهي تنقسم إلى عوائق تنظيمية ، وعوائق تتعلق بالمحاور ، وثالثة تتعلق بالحوار .

أولا : عوائق تنظيمية : وهي التي تتعلق بسير الحوار من الناحية التنظيمية ، فتسعى الهيئة المنظمة للحوار إلى إيجاد حوار شكلي لا يقوم على أسس الحوار الصحيح ؛ وقد يكون للحوار - كما قدمنا في مقومات الحوار - مديرا ، فيسعى إلى إقامة حوار مهزوز مفتقد لشروطه أو مقوماته فيفشل الحوار ؛ وأهم عوائق هذا النوع :

١ - **غياب عنصر التكافؤ والمساواة** ؛ وهو شرط من شروط الحوار كما تقدم ؛ فغيابه يمنع من حوار صحيح مما يترتب عليه - يقينًا - فشل الحوار ؛ يقول د عمر عبيد حسنة : لعل من أخطر الآفات التي تلحق بمشهد الحوار اليوم : غياب عنصر تكافؤ الفرص في الحوار بين المتحاورين ، وغلبة أجواء الهيمنة والتسلط والإذعان ، حيث يتحول الحوار إلى رسالة تلقى على الآخرين بإرادة منفردة ، يستخدم معها الكثير من وسائل الإرهاب الخفي لتمريرها وبلوغها أهدافها . وفي حالات كثيرة يتحول الحوار المعَنون له بالحوار مع (الآخر) إلى الحوار مع الذات في حقيقته ، فالكثير من ندوات الحوار اليوم ، التي يفترض فيها وجود عناصر متنوعة ومتباينة في فكرها وعقيدتها وتاريخها ، وبكلمة مختصرة : في حضارتها ، نراها لا تخرج عن أن تكون حوارًا مع الذات ، حيث يستدعى للحوار من لا يمثلون الطرف (الآخر) في عملية الحوار ، وأن الكثير ممن يستدعون كممثلين (للآخر) ، وخاصة من الجانب الأقوى المهيمن ، هم الذين يعيشون رجع الصدى لأفكاره ، ويكونون مسكونين بثقافته وحضارته ، فكريًا وثقافيًا وسياسيًا ، ولو لم يكونوا

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار .. الذات والآخر) ص ٢٥.

يسكنون عنده جغرافيًا ، وفي هذه الحالة يتحول الحوار إلى حوار مع الذات .. إلى حوار الطرشان ، الذي لا يؤدي إلى نتيجة ، ويكون أقرب للاحتواء والتضليل الفكري والسياسي . لذلك قد نجد كثيرين ممن يُختارون اليوم للمشاركة في ندوات الحوار بين الغرب والمسلمين ، أو أمريكا والمسلمين ، على المستوى الحضاري أو الديني أو السياسي ، إنما يُختارون غالبًا من المتشبعين بالثقافة الغربية ، أو من تلامذة الغرب ، من الذين يمارسون العمالة الثقافية (للآخر) ، وبذلك يفقد الحوار طعمه وهدفه ، وينتهي إلى ما يريده الغرب ، ويتحول إلى وسيلة للهيمنة السياسية تزيد المشاكل تعقيدًا ، وتستدعي المواجهة ، وتغيّب الحوار والتفاهم ، وتؤدي إلى صراع الحضارات الذي يريده الكثير من فلاسفة الغرب ، فيحل محل حوار الحضارات ، الذي يحرص عليه المسلمون ، بحجة أن وسائل الحوار لم تجد نفعًا ، ولم توصل إلى نتيجة . وأعتقد أن استقراء سيرورة الأحداث في العالم الإسلامي ، وما صارت إليه من الصور الدامية من المواجهة مع الذات و (الآخر) ، يدلل على الخلل الكبير في بنية الحوار ، سواء مع الذات أو مع (الآخر) ، كما أن ظهور الكثير من المفاجآت غير المحسوبة أو المتوقعة دليل أيضًا على أن حوار الغرب مع العالم الإسلامي كان حوارًا مع الذات وليس مع (الآخر) ؛ لأن ما نتج عنه في أكثر من منطقة جغرافية دليل على فشل عمليات الحوار عن أن تستقرئ (الآخر) وتنجح في حواره وتقدر كيفية التعامل معه . وآفة الحوار هذه لا تقتصر على الحوار مع (الآخر) وإنما تصيب في كثير من الأحيان - إن لم نقل في الأحيان كلها - الحوار مع الذات ، حيث لا تصعب مشاهدة ذلك في الحوار بين الجماعات والتنظيمات والأحزاب وحتى حوار الأمة والدولة[١] .

٢ - **تغييب الطرف الآخر** : ونعني بهذا نوعي التغييب ؛ البدني والفكري معا أو الفكري وحده ؛ فإما أن يغيب الطرف الآخر بدنيا وفكريا معا ؛ ويناقش فكره وعقائده دون حضوره ؛ وإما أن يغيب فكريا ويأتي ممثل له من جلدته ويتكلم بلسانه ، ولكنه في الواقع يمثل فكر الطرف الحاضر لا الطرف الغائب (الآخر) ، فيكون الحوار كما سبق حوار مع

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار .. الذات والآخر) ص ١٩، ٢٠.

ذات واحدة ؛ كما يقول د عمر عبيد حسنة : ولعل من أخطر آفات الحوار وإصاباته : ما يعتريه من تدليس والتباس وزيف ، وذلك عندما يُغيَّب الطرف (الآخر) عن ساحة الحوار -كما أسلفنا- ولا تتاح له الفرصة لطرح أفكاره وبيان دوافعه وأهدافه ومناقشتها مناقشة موضوعية ، وإنما يُكتفى بإحضار بعض الأشخاص للحوار نيابة عنه ، أو بالوكالة عنه ؛ وليس هذا فقط وإنما قد يصار إلى طرح أفكار (الآخر) ومناقشتها من خلال خصومه وأعدائه ، لذلك نجد أن الأحكام الفكرية اليوم في ساحات الحوار تفتقد البيّنات وفي مقدمتها الاستماع إلى وجهة نظر المدعى عليه ، فهي أشبه بالأحكام القضائية التي يغيب فيها المتهم ويستمع فيها إلى الشاهد (الذي لا يعلم شيئًا) ؛ فكيف لمثل هذه الحوارات أن تؤدي رسالتها وتحقق أهدافها ، وفصولها أقرب إلى الملهاة والمهازل الفكرية والثقافية ؟[1] . ولقد رأينا مؤتمرات حوار يشارك فيها أسماء مسلمين لهم ألقاب علمية وبحوث تنظيرية و.. و.. ولكن عندما يتكلمون يقول المستمع في نفسه : هل هذا مسلم ؟ ! (فما يسمى اليوم ندوات للحوار الحضاري بين الإسلام والغرب ، أو ندوات لدراسة التيارات الفكرية في العالم الإسلامي : كالصحوة وتياراتها ، أو الأصولية وأسبابها ودوافعها وأهدافها ، وما إلى ذلك من العناوين التي باتت تملأ الصحف والمجلات ، يدعى للحوار والمشاركة وتمثيل الإسلام - أو الطرف الذي يحاور عن الإسلام في هذه الندوات - بعض العلمانيين الذين يسكنون جغرافيًا فقط في العالم الإسلامي ، يُدعي هؤلاء الذين لا يمثلون الثقافة والحضارة الإسلامية ، ولا يعبرون عن ضمير أمتهم ، لقلة بضاعتهم فيها من جانب ، ولأنهم منحازون بطبيعة دراستهم وثقافتهم للغرب ؛ لذلك فالحوار معهم ليس حوارًا مع الآخر ، وإنما هو لون من النرجسية الثقافية والتخاطب مع الذات ، فالمؤسسات الغربية ومراكز البحوث والجامعات عندما تدعوهم ، فهي لا تدعو الآخر المسلم ، وإنما تدعو تلامذتها وخريجيها وحاملي ثقافتها ، وتحاور بهم نفسها ، وعلى ذلك فهي تزداد جهلًا بالإسلام والعالم الإسلامي ، وتعجز عن فهمه من الداخل ، وتكرس

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦.

الصورة المشوهة والتفسيرات البعيدة عن الحقيقة ، هذا إذا أحسنا النية بأسباب الحوار وأهدافه .. كل هذا يتم اليوم باسم الحوار(١) .

في مقال له بعنوان (شاهد عيان على ما جرى في مؤتمر حوار الأديان) يقول : الأستاذ إدريس المراكشي : لقد التقيت بأحد المشاركين الرئيسيين قبل محاضرته ، وهو المتخصص في الديانة الكاثوليكية النصرانية ، فأخبرني أنه وبعد دراسته المعمقة هذه توصل إلى نتيجة قررها القرآن الكريم بقوله : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، فاستغربت لجرأة الرجل وحاولت التخفيف من حدة خطابه حتى لا يحول الخطاب - خصوصا مع النصارى - إلى عبوة ناسفة تنفجر فنصاب بمعظم شظاياها ؛ وإذا بالرجل الذي لاقيته على انفراد غير الرجل الذي وقف أمام الجمع محاضرا ومنظرا !! لقد انقلب الأسد إلى فأر ، والزعيم إلى ذليل ، والمدافع إلى مجلود يعين جلاده على جلد ذاته ؛ ألقى هذا الفرنكفوني كلمته باللغة الفرنسية وهو القادم من بلاد عربية !! حيث لم يترك تهمة إلا وأعطى السبق فيها لأمته التي يفترض فيه الدفاع عنها ... لم يترك وصفًا من قبيل الإرهاب والتطرف والتقتيل إلا وألصقه بأمة الإسلام ؛ ولو وقف عند هذا الحد لهانت المصيبة .. بل زاد على ذلك أن وصف الإسلام مقارنة مع الأديان الأخرى كذاك الواقع في بئر لا يملك بعد النظر ولا سعة التصور !! ... في حين نكلم من قبله من النصارى فكان نعم السفير ، وتكلم اليهودي فكانت عيناه تشعان اعتزازا وافتخارا ، فأسررت حينها في نفسي قائلا : رأيت نصرانيا ، ورأيت يهوديا ، ولم أر مسلما !!(٢) .

ولا شك أن من يتكلم بهذا لا يمثل الإسلام يقينا ، وإنما يمثل الفكر الذي ينطق به ؛ والكثير من الحوارات والندوات التي يُعَنْوَن لها (بالحوار مع الآخر) - كما يقول د عمر عبيد حسنة : إنما تتم غالبًا بغيابه أو بالوكالة عنه أو بالوصاية عليه ، أو بطرح أفكاره وإدارة

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الإسلام وصراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٢٥، ٢٦ - كتاب الأمة ٤٤.

(٢) مجلة الاستقامة العدد (٣٢) رمضان ١٤٢٦ - وهي مجلة شهرية تصدر عن قسم البحوث والدراسات بمركز الشيخ عيد الإعلامي التابع لمؤسسة عيد الخيرية .

الحوار حولها ومناقشتها وتحليلها وتحديد أهدافها واستنبات نواياها من خلال خصومه ، إن لم نقل أعدائه ، بحيث يصدق فيها قول الشاعر : (فيك الخصام وأنت الخصم والحكم) ، مع ادعاء الموضوعية والحياد والنزاهة في التناول دون استكمال شروط وعناصر الحوار الضرورية ، من الحرص على حضوره والاستماع إليه ، والتبصر في دوافعه ودفاعه وأهدافه وحججه ومسوغاته . لذلك نجد الكثير من مشاهد الحوار وندواته تقصي (الآخر) فعليًا وإن أعلنت غير ذلك نظريًا ، فهي تغلق دونه الأبواب وتتجاهله ، وعلى ذلك تزداد من الجهل به واتهامه ، وبذلك فبدلًا من أن يكون الحوار حلًا لمشكلة التجافي والتباعد وعدم التفاهم وتوسيع دائرة المشترك وتفكيك التعصب والتحزب ، يصبح مشكلة يساهم سلبيًا في تصليب التعصب والانغلاق والتحزب والتشرنق ، ويتحول لتسويغ وتأجيج المواجهة والصراع[1] . فهذا من أخطر عوائق الحوار .

٣ - **عدم اعتبار الآخر وإسقاطه** ؛ مما يؤدي - كما يقول د عمر عبيد حسنة - إلى عدم توفير الاحترام وتكافؤ الفرص للأطراف المشاركة في الحوار ، الأمر الذي يحول الحوار لأن يكون نوعًا من التقرير والإملاء لأفكار ورغبات الأقوى المهيمن ، والتاريخ والحاضر يحمل لنا الدلالات الكثيرة لموضوعات حوارية كانت المشاركة فيها على مستوى الأمم جميعًا للوصول إلى توصيات ومقررات وصيغ إنسانية ، فتأتي الدول المهيمنة لتصادرها ولتضرب بها عرض الحائط ، وتستبدلها بما تريد ، وتحمل الكثير من الدول قسرًا على الموافقة عليها ، خشية فوات مصالحها ؛ وكثيرًا ما تحرم الدول المهيمنة طرح الكثير من الموضوعات والمشروعات بالإرادة المنفردة ، بعيدًا عن تكافؤ الفرص .. فكيف - والحالة هذه - يمكن أن تصدق دعاوى الحوار ، أو أن يؤدي الحوار رسالته البشرية ؟[2] .

ثانيا : عوائق تتعلق بالمحاور :

ما يتعلق بالمحاور من العوائق كثير ، ولكن يمكن إجمالها في ثلاثة أنواع : **الأول** :

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار الذات والآخر) ص ١٨، ١٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥، ٢٦.

عوائق تتعلق بشرط الإخلاص ، **والثاني** : عوائق تتعلق بشرط العلم ؛ **والثالث** : عوائق تتعلق بالأخلاق والآداب .

الأول : عوائق تتعلق بشرط الإخلاص :

ومن أهم عوائق الحوار المتعلقة بهذا الشرط : **إظهار النفس ، وعدم الرغبة في إظهار الحق** : فافتقاد شرط الإخلاص يحكم على الحوار بالفشل ؛ إذ من آثار ذلك أن يطلب المحاور مدح الناس أو حظا من حظوظ النفس أو مطلبًا دنيويا ماديًا أو معنويًا ، مما يترتب عليه عدم قبول الحق إذا ظهر على لسان محاوره ، ومحاولة الانتصار للنفس ولو على حساب الحق . مما قد يحول الحوار إلى الجدل العقيم الذي ليس من ورائه فائدة ؛ وهذا غالبا ما يكون في الحوار الداخلي (مع الذات) .

أما في حالة الحوار مع الآخر فافتقاد الإخلاص يؤدي إلى مصائب عظيمة وتبعات خطيرة ، فإن المحاور قد يقر المخالفة لثوابت ، أو يوافق على مبدأ يهدم قيمًا .. إلى غير ذلك من التنازلات التي لا يتوانى في إعطائها للآخر في سبيل ما قد يحصله من الحظوظ الأدبية أو المادية ، وتلكم التنازلات جلبت على الأمة من البلايا ما اللّٰه به عليم ؛ ولا أحسب ما تعيشه الأمة الآن إلا من آثار تلكم التنازلات .

وليس من نافلة القول أن نقول : إن فقدان الإخلاص سبب لجل عوائق الحوار الآتي ذكرها ؛ فليتأمل ذلك .

الثاني : عوائق تتعلق بشرط العلم :

تقدم أن المحاورة شأن العلماء ، فمن شرط المحاور أن يكون عالما ؛ وليس كل عالم يصلح للمحاورة أو المناظرة ، بل هناك شروط - سبق ذكرها - تؤهل صاحبها لهذه المهمة ، فإذا اختل شيء من تلك الشروط ترتب على ذلك مانع من إتمام الحوار على الوجه المراد منه ، وأهم هذه العوائق :

١ - **السطحية في التفكير** ؛ فلا يغوص في أعماق المسائل وأدلتها والترجيح بينها ، مما يجعله مترددا أحيانا ، ومتحيرا أخرى ، بل قد لا يدرك العلاقة بين الدليل والمدلول فيورد ما يظنه دليلا وليس بدليل ؛ كما قد لا يستوعب المتغيرات في الحوار فيفاجأ بما لم

يعد له ، مما يكون سببا في هزيمته .

٢ - **اللجوء إلى المراء واللجاجة في الجدل** ، باختيار الألفاظ والمعاني التي تقود إلى المراء والجدل ، أو تستثير الفتن والمشكلات ، مما يسوق إلى المشاغبة والمغالطة والمعاندة والمكابرة وعدم قبول الحق ، والذي بلا ريب ينتهي بالحوار إلى طريق مسدود .

٣ - **التسرع في إصدار الأحكام** ، وإنما يكون ذلك من قلة العلم بالمسألة ، أو عدم وضوحها لدى المحاور ، أو عدم وضوح بعض جوانبها ، وكل ذلك يرجع لعدم أهلية المحاور المتعلقة بشرط العلم .

٤ - **عدم الوضوح في العرض** ؛ وذلك يرجع إما إلى عدم الوقوف على محاور الموضوع المعروض للمحاورة ، أو جهل المحاور بأصل الموضوع ، أو قد يكون من باب التشغيب إذا شعر المحاور أنه سيحاج ، أو محاولة من المحاور لإظهار قدرات فكرية صادقا كان أو كاذبا ؛ فكل ذلك يؤدي في النهاية إلى عدم إنجاح الحوار .

٥ - **غياب الأدلة والبراهين** ؛ تقدم في شروط الحوار أنه لا يقبل قول بلا برهان ؛ وهذا أصل في كل دعوى ، وعدم إيراد الأدلة والبراهين دليل على ضعف المحاور علميًا ، مما يكون عائقا لاستكمال الحوار . ومن المغالطات أن يستدل بعضهم على ما يراه بمؤهلاته العلمية ، أو قناعته الشخصية ، أو يمينه المغلظة .. هكذا ، وكأن مؤهلاته تصلح بديلًا عن الحجة الواضحة .. أو أن قناعته الشخصية يمكن أن تحل محل الفكرة المقنعة .. أو أن يمينه المغلظة يمكن أن تكون دليلًا ؟ !

٦ - **الإطناب** ، وهو - كما في لسان العرب - البلاغة في المَنْطِق والوَصْف ، مدحًا كان أَو ذَمًّا ؛ وأَطْنَبَ في الكلام : بالَغَ فيه .ا.هـ ، وقال الصاحب بن عباد في (المحيط في اللغة) : والإِطْنَابُ : البَلاَغَةُ في المَنْطِقِ ، والإِبْعَادُ أيضًا .ا.هـ . وقال في أساس البلاغة : حاجات أطانيب : طويلة كثيرة لا تكاد تنقضي ؛ وغارات أطانيب : متصلة لا آخر لها . قال ابن هرمة :

شطت وفي النفس مما لست ناسيه ... همٌ بعيد وحاجات أطانيب

والمراد هنا التطويل في الكلام عرضا أو ردا من غير موجب ، والإبعاد في طرح

الموضوع ، فيخرج عن حد المحاور التي وضعت للمناقشة إلى ما لا داعي له ؛ وهذا مما يسبب غضب الطرف الآخر ، خاصة إذا اهتم المحاور بتنميق الكلام وتزويقه والتقعر فيه إظهارًا للتفاصح والتشدق في الكلام تيهًا على الآخرين واستعلاء ؛ وهنا ينبغي على الطرف الآخر تنبيه المحاور بأن هذا مما يضيع الوقت ولا فائدة منه ؛ وإن كان هناك مدير للحوار فيأخذ بيد المحاور إلى الجادة وينبهه إلى عدم الإطناب .

٧ - **اللف والدوران** ، وهو الخروج عن صلب موضوع المحاورة إلى موضوعات جانبية لا علاقة لها بالموضوع ، محاولة من المحاور للهرب من الالتزام بما يجب الالتزام به لظهوره ؛ أو لعدم استحضار أدلة كلامه ، أو لعدم وجود أدلة أصلا ، فيلجأ المحاور للف والدوران ليخرج من هذا المأزق .

٨ - **التصنيف المتعسف** : أصحاب هذه الطريقة في التفكير يسيطر عليهم التصنيف المتعسف وغير الحقيقي للآخر ، وليس عندهم أدنى استعداد لتغيير هذا التصنيف مهما أتى الآخر من أقوال أو أفعال تدل على تغير أفكاره !! فالحوار يبدأ بالتصنيف وتُفسر الأقوال والأفعال بناءً على هذا التصنيف حتى ولو كانت لا تدل عليه !! ومثل هذه الحال يشبه تمامًا ما ذكره الذهبي - رحمه اللّه - عن الحافظ عبد الرحمن بن منده - رحمه اللّه - مع أهل زمانه ، قال : قد تعجبتُ من حالي مع الأقربين والأبعدين ، فإني وَجَدتُ بالآفاق التي قصدتها أكثر من لقيتُه بها - موافقًا كان أو مخالفًا - دعاني إلى مساعدته على ما يقوله ، وتصديق قولي ، والشهادة له في فعله على قبولٍ ورضى ؛ فإن كنت صَدَّقته سماني مُوافقًا ، وإن وقفت في حَرْف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفًا - وإن ذكرتُ في واحدٍ منهما أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك ، سماني خارجيًا . وإن روَيتُ حديثًا في التوحيد ، سماني مشبهًا . وإن كان في الرؤية ، سماني سالميًا . وأنا متمسك بالكتاب والسنة ، مُتَبرىء إلى اللّه من التشبيه ، والمثل والضد والند ، والجسم والأعضاء والآلات ، ومن كل ما ينسب إليَّ ويُدَّعى عليَّ ، من أن أقول في اللّه تعالى شيئًا من ذلك أو قلتُه ، أو أراه ، أو أتوهمه ، أو أتخذه ، أو أنتحله[1] .

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء : ١٨ / ٣٥١.

فانظر - رحمك الله - إلى تلك الحال التي حكاها الحافظ ابن منده ، وقارنها بواقعنا .. هل تجد فرقًا ؟

إن الكثيرين منا يدخلون الحوار مع الآخر وقد صنفوا هذا الآخر على أنه من معسكرات الخصوم .. ومن ثم يبدؤون في مصارعته عبر حوار شعاره : قاتل أو مقتول ، تستخدم فيه الأدلة لتشويه الآخر واتهام نواياه والطعن في مقاصده ، ثم يحشد المحاور مع الأدلة الأتباع المقربين عبر تعبئة عامة مفادها أن من ليس منا فهو علينا ، وأنه لا يمكن بناء كياننا إلا عبر تدمير كيانات الآخرين !! .

ويبدأ الأسلوب العجيب في التصنيف ؛ فيدان الفرد عبر تصنيف خاطئ متعسف ، ثم يدان كل شخص ينتسب إليه مجرد انتساب .. فتكون النتيجة الحتمية هي ضمور الحوار الإيجابي ، ثم يتطور الأمر عبر الروح الانفعالية ليصل إلى موت الحوار تمامًا .. ومن ثم : تحدث الفرقة المقيتة والتصارع المخزي .. تلك الفرقة وذلك التصارع اللذان ينتجهما الزهد في سماع الآخر ، فضلًا عن الرغبة في التعاون معه بسبب من أخطر أمراضنا الحوارية وهو : التصنيف المتعسف(١) .

الثالث : عوائق تتعلق بالأخلاق والآداب :

لما كان الحوار كلاما ، والكلام يتعلق باللسان ، وللسان سقطات ، وللكلام زلات ، كان النظر في هذه العوائق متعلقا بآداب اللسان وآفاته ؛ ومعلوم أن المسلم مأمور بحفظ لسانه ، كما أنه مأمور بطيب الكلام ، وأن يقول خيرًا فيغنم ، أو يسكت فيسلم ، ويسلم الآخرون منه ؛ ومعلوم أيضا أن هناك أمور قد يقع فيها اللسان فتورد صاحبها الموارد ، وقد تهوي بالحوار وتعطل سيره أو تحوله إلى جدل عقيم ، أو تبادل سباب وشتائم ، مما يؤدي إلى إعاقة الحوار وصرفه عن حقيقته ومنعه أن يصل إلى غايته وهي إظهار الحق ؛ ولذلك ينبغي للمحاور أن يحذر هذه الآفات ، ومنها :

١ - **الكبر** : وهو مرض قلبي خطير يؤدي إلى الشعور بتضخم الذات مع العجز

---

(١) انظر مقال (لمحات في فن الحوار الحلقة الثالثة [معوقات الحوار]) لمحمد محمد بدري - مجلة البيان (٨٩) ص ٥٢- المحرم ١٤١٦ - يونيو ١٩٩٥؛ بتصرف .

والفشل ، وهو ما يسميه البعض بمرض الذوات المتورمة ؛ وهؤلاء على ما هم عليه من سطحية وضيق في الأفق ، والخلو من عمق الفهم يرون الآخرين قاصرين في تفكيرهم ، لم يصلوا بعد إلى النضج الذي وصلوا هم إليه ! بل إنهم يرون أنفسهم الأساتذة الذين يفهمون كل شيء ، ويعرفون كل الأمور .. يرون أنفسهم أساتذة يجب أن يُعَلِّموا ولا يتعلَّموا ، ومن ثم : لا يقبلون الاستماع إلى الآخر أيًا كان هذا الآخر وإذا جلس أحدهم في حوار مضطرًا ، فهو يحس في أعماق نفسه أنه أعلى من المكان الذي يجلس فيه ، وأنه لا حاجة له في سماع ما يقوله الآخر !!

إن الواحد من هؤلاء يمارس ما لا يصلح له من العلوم دون تأهل اغترارًا بقدرته وذهولًا عن حقيقة علمه ومجاله ، وتسمعه يتكلم فيما لا يحسنه ، ولم يبلغ الدرجة التي تؤهله للخوض فيه وإبداء الرأي في مسائله ، فيضع الأمور في غير موضعها فيَضِلَ ويُضِل . ويدفعه تورم ذاته إلى ترك الحق الذي عليه الآخر ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ : « **الكبرُ بَطَرُ الحقِ وغَمْطُ الناس** »[1] ، ولا شك أن هذا الصنف من المحاورين لا يمكن أن يكون حوارهم إلا فرصة لتورم ذواتهم ، وليس لحل المشكلات أو الاختلافات المعروضة للحوار ، ولذلك تراهم يستبدون بآرائهم ، ويسرقون الأدلة والبراهين لتسفيه الآخر والتهكم منه والاستخفاف به ، مع اعتقاد خفي بأن ما يصدر عنهم سداد لا خطأ فيه ، وأن ما يصدر عن الآخرين خطأ لا سداد فيه ، ومن ثم يعز عليهم الرجوع عما هم عليه ، فيبقون على أخطائهم لا يجدي معهم تفهيم ولا محاورة !!

إن المحاور أجدر الناس بالبعد عن الكبر بشتى صوره ، فإن الطرف الآخر إذا رأى منه ازدراءً له واحتقارًا بالقول أو الفعل فإن ذلك ينفره منه ، ويؤدي إلى كراهته وكراهة ما عنده من الحق ، لأن الناس جبلوا على محبة المتواضعين وكراهية المتكبرين ، وما أفسد أكثر الحوارات إلا التعالي على الآخرين وتجاهلهم والزهد فيما عندهم[2] .

---

(١) رواه مسلم وتقدم .

(٢) انظر مقال (لمحات في فن الحوار الحلقة الثالثة [معوقات الحوار]) لمحمد محمد بدري – مجلة البيان (٨٩) ص ٥٢- المحرم ١٤١٦ – يونيو ١٩٩٥؛ بتصرف .

٢ - **الثَرْثَرَةُ** : وهي كثرة الكلام وترديدُهُ . يقال : ثرثر الرجل ، فهو ثَرْثارٌ مِهْذارٌ ؛ تقول : رجل ثَرْثارٌ وامرأة ثَرثارَةٌ ، وقوم ثَرْثارُونَ ، وقد قال النبي ﷺ : « **أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ الثَّرْثارُون المُتَفَيْهِقُونَ** » هم الذين يكثرون الكلام تَكَلُّفًا وخروجًا عن الحق[١] . والمراد هنا كثرة الكلام مع إعادته دون فائدة تذكر بل يظهر فيها التكلف والخروج عن الجادة لإضاعة الوقت وإفشال الحوار .

٣ - **الكذب** : ويلجأ إليه المحاور حين لا يقدر على محاورة خصمه ، فينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ، تغطية لعجزه فيقع في الكذب ؛ كما قد يغطي الحقيقة ويستر بعضها ، فيقع في الكذب ؛ يقول الغزالي - رحمه اللّه : وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها ، فيقال له : ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة ؟ فيقول : هذا ما ظهر لي ، فإن ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه ؛ فيصر المعترض ويقول : فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها ، إذ لا يلزمني ذكرها ! ويقول المستدل : عليك إيراد ما تدعيه وراء هذا ؛ ويصر المعترض على أنه لا يلزمه ، ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ؛ ولا يعرف هذا المسكين أن قوله : (إني أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمني) كذب على الشرع ، فإنه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب ، عصى اللّه تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفةٍ هو خال عنها ؛ وإن كان صادقا فقد فسق بإخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه ، فإن كان قويا رجع إليه ، وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم[٢] . وهذا بلا ريب من عوائق الحوار ؛ إذ من أخلاق الحوار الصدق حتى يصل الحوار إلى غايته المرجوة منه .

٤ - **الاستئثار بالكلام دون الطرف الآخر** ، والإطالة الزائدة عن حدها ، وعدم

---

(١) انظر لسان العرب باب الراء فصل الثاء ؛ والقاموس المحيط والنهاية في غريب الحديث (مادة : ث ر) ، والحديث تقدم تخريجه .

(٢) انظر إحياء علوم الدين ١ / ٥٩، ٦٠ (دار الفكر) .

مراعاة الوقت في أثناء الكلام؛ وليس هذا من أدب الحديث؛ وقد يوغر صدر الطرف الآخر مما يؤثر سلبا على مجريات الحوار، وقد يكون سببا في إعاقته وإفشاله.

٥- **اللوم المباشر عند وضوح خطأ الطرف الآخر**، كقوله: أخطأت ... سأثبت لك أنك مخطئ جاهل.. ونحو ذلك مما يجرح الطرف الآخر ويحرجه، وقد يؤدي إلى تحويل المحاورة إلى مباراة من الشتائم والسباب؛ ولا يخفى ما في ذلك من الإثم، وأن ذلك ليس من صفات المؤمنين فـ «**ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللعَّان ولا الفاحش ولا البذيء**» كما أخبر بذلك النبي ﷺ[1]، وهو ليس من أدب الحوار، بل قد يؤدي إلى نسف الحوار نسفًا.

٦- **الاستهزاء والسخرية بالطرف الآخر، وكل ما يشعر باحتقار الطرف الآخر**؛ فإن ذلك مما يؤدي إلى إعاقة الحوار؛ ومن أدب الحوار كما تقدم احترام الطرف الآخر.

٧- **رفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع**، ففي ذلك رعونة وإيذاء، وتقدم أن من الأدب في الحوار الاعتدال في كل شيء.

٨ - **أخلاقيات الطرف الآخر**؛ فيصعب - مثلا - إقناع المعتد برأيه المتكبر الذي يزعم أن رأيه هو الصواب ورأي غيره خطأ لا يحتمل الصواب؛ وتتعاظم الصعوبة إذا كان المعتد بنفسه جاهلًا جهلًا مركبًا؛ وكذلك إذا كان قصده من المحاورة الغلبة والانتصار للنفس أو الكذب وإخفاء الحقيقة، أو المعاندة والمكابرة عند ظهور الحق.

٩ - **الغضب والانفعال**؛ فالغضب - كما تقدم - يفقد التوازن، ويغيِّب العقل، ويفسح المجال للكلمات العنيفة والنابية للطغيان على الحقيقة؛ مما يؤثر سلبا على الحوار ويكون سببا في إعاقته؛ ويجدر بأطراف الحوار حينئذ أخذ فسحة من الوقت لتهدئة الأعصاب وإعادة الهدوء، مع الاستعانة باللّه تعالى والاستعاذة من الشيطان؛ فإن عادت النفوس إلى طبيعتها وهدوئها استؤنف الحوار، وإلا أرجئ إلى وقت يسوده الهدوء وعدم

---

(١) رواه أحمد: ١ / ٤١٦، والبخاري في الأدب المفرد (٣١٢)، والترمذي (١٩٧٧) وحسنه عن ابن مسعود.

الانفعال ، وفي الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لَا يَحْكُمْ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ** »[١] ، والمحاور يحكم في القضية المعروضة للمحاورة ، والغضب يؤثر - بلا شك - على الحكم ، قال ابن حجر - رحمه الله : لَمَّا نَهَى عَنْ الْحُكْم حَالَة الْغَضَب فُهِمَ مِنْهُ أَنَّ الْحُكْم لَا يَكُون إِلَّا فِي حَالَة اِسْتِقَامَة الْفِكْر[٢] ا.هـ . فعلى المحاور أن يمسك عند غضبه عن الحكم ، وليتروى حتى يعود إليه هدوؤه فيكون الحكم أقرب للصواب .

عوائق تتعلق بالحوار :

وهي كثيرة أيضا وأهمها :

١ - **التحكم في وضع عناوين وأهداف الحوار مسبقًا** ؛ وتحديد محاوره ، واستدعاء (الآخر) المختار بعناية لملء المربع المرسوم له مسبقًا ، دون أن يكون عنده حرية الرأي والنظر في غير ما حدد لها[٣] .

٢ - **تباين المفاهيم في المصطلحات المستخدمة في الحوار** ؛ وكذا استخدام المصطلحات غير المفهومة مثل الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها أمام محاور لا يفهم معانيها ، أو استعمال الألفاظ الغريبة ، والأساليب الغامضة ، والعبارات المحتملة تلبيسا على الطرف الآخر ، وتمويها للحقيقة .

٣ ـ **التعصب الشديد للآراء والمذاهب والأفكار والأشخاص** ؛ والتَّعَصُّبُ من العَصَبِيَّة ، والعَصَبِيَّةُ : أَن يَدْعُوَ الرجلَ إِلى نُصْرةِ عَصَبَتِه والتَّأَلُّبِ معهم على من يُناوِئُهُم ظالمين كانوا أَو مظلومين ، فالعَصَبِيُّ هو الذي يَغْضَبُ لعَصَبَتِه ويُحامي عنهم ؛ وفي الحديث : « **العَصَبِيُّ مَنْ يُعِين قومَه على الظُّلْم** »[٤] . فالعصبية معاونة ظلم للتعصب والمحاماة والموافقة عمن يلزمك أمره أو تلتزمه لغرض ؛ قال ابن القيم - رحمه الله : ومثله

---

(١) البخاري (٧١٥٨) ، و مسلم (١٧١٧) .

(٢) انظر فتح الباري : ١٣ / ١٣٧.

(٣) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار .. الذات والآخر) ص ٢٦.

(٤) رواه أحمد : ٤ / ١٠٧، والبخاري في الأدب المفرد (٣٩٦) ، وأبو داود (٥١١٩) عن واثلة .

التعصب للمذاهب والطرائق والمشايخ ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية ، وكونه منتسبًا إليه ، فيدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه ، ويزن الناس به ، كل هذا من دعوى الجاهلية[١] . وروى أحمد وأبو داود عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَ فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنَبِهِ**[٢] » ؛ قَالَ الْخَطَّابِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي الْإِثْم وَهَلَكَ كَالْبَعِيرِ إِذَا تَرَدَّى فِي بِئْر فَصَارَ يُنْزَع بِذَنَبِهِ وَلَا يَقْدِر عَلَى الْخَلَاص[٣] . قال ابن تيمية رحمه الله : غاية المتعصب لواحد منهم أن يكون جاهلًا بقدره في العلم والدين ، وبقدر الآخرين ، فيكون جاهلًا ظالمًا ، والله يأمر بالعلم والعدل ، وينهى عن الجهل والظلم ... إلى أن قال : فالواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين وعلماء المؤمنين ، وأن يقصد الحق ويتبعه حيث وجده ، ويعلم أن من اجتهد منهم فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد منهم فأخطأ فله أجر لاجتهاده ، وخطؤه مغفور له[٤] .

والتعصب ظاهرة قديمة وجدت في مختلف المجتمعات البشرية ، وهي ظاهرة تمثل انحرافًا مَرَضيًا حينما لا تكون ذات مضمون أخلاقي ، كالانتصار للحق أو لدعاته ، والتعصب ينشأ عن اعتقاد باطل بأن المرء يحتكر الحق لنفسه ؛ والمتعصب لا يفكر فيما يتعصب له ، بل يقبله كما هو فحسب ، فالتعصب حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة ؛ وهذا من ظلم المتعصبين الذين عرفوا الحق وغمضوا أعينهم عنه ؛ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص : ٥٠] .

والواقع أنه قد تؤثر على المحاور أحيانًا اتجاهات فكرية ونفسية غير مرئية تعوقه عن الوصول إلى الحقيقة العلمية التي طرحها صاحبه : فبعض الناس – غفر الله لنا ولهم – يتقنع

---

(١) زاد المعاد : ٢ / ٣٧ (المكتبة العلمية) .

(٢) أبو داود (٥١١٧) موقوفا ومرفوعا ، ورواه أحمد : ١ / ٤٠١ ، ٤٤٩ مرفوعا ، وفيه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وفي سماعه من أبيه خلاف ، قال الألباني في الصحيحة : ١ / ٣٣٨: ثبت سماعه منه بشهادة جماعة من الأئمة منهم سفيان الثوري وشريك القاضي وابن معين والبخاري وأبو حاتم . ا .هـ فالحديث صحيح مرفوعا إن شاء الله تعالى .

(٣) نقلا عن عون المعبود شرح سنن أبي داود : ١٤ / ١٨ – دار الكتب العلمية .

(٤) مجموع الفتاوى : ٢٢ / ٢٤٢.

بقوالب فكرية معدة مسبقًا ، ويدخل ساحة الحوار لا للبحث عن الحق ، ولكن لتقرير الرأي ، والمدافعة عنه ، والتعصب له ، فليس عنده الاستعداد أبدًا أن يتنازل عن رأيه ، حتى ولو تبين له خطؤه(١) .

ولا شك أن هذا التعصب الأعمى يكون عائقا من عوائق الحوار ؛ إذ من شروط المحاور أن يتجرد للحق ويقبله إن جاء بدليله على لسان محاوره ، فإن تعصب لرأيه ولم يقبل الحق بعد ظهوره فأي فائدة من الحوار معه ؟ !! وقديما قال الكافرون عندما ألزموا الحجة : ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف : ٢٣] . ومن عجيب ما ورد في ذلك ما حكاه الماوردي - رحمه الله - قال : ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلًا يناظر في مجلس حفل ، وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة فكان جوابه عنها أن قال : إن هذه دلالة فاسدة ووجه فسادها أن شيخي لم يذكرها ، وما لم يذكره الشيخ لا خير فيه ! فأمسك عنه المستدل متعجبًا !!(٢) .

* * *

---

(١) انظر مقالة أحمد عبد الرحمن الصويان (التجرد في الحوار) بمجلة البيان العدد العدد ٧١ ص ١٥ - رجب ١٤١٤ - ديسمبر ١٩٩٣.

(٢) أدب الدنيا والدين ، ص ٧٨.

إنهاء الحوار

من المعلوم بداهة أن أي حوار له نهاية ، فإما أن ينتهي بقناعة أحد الأطراف فيسلم للطرف الآخر ، وإما أن يعجز أحد الأطراف عن الرد مع عدم الاقتناع فيكون من باب إقامة الحجة عليه وإن لم يسلم ، وإما أن يغلق باب النقاش لعدم اقتناع أي من طرفي الحوار بأدلة الآخر ؛ وقد يطلب أحد الطرفين إرجاء الحوار لعارض على أن يستكمل في وقت لاحق .

وقد حكى لنا القرآن نهايات لحوارات فيها عظة وعبرة ؛ منها :

أ) **إنزال العقوبة** .. كما في شأن قوم نوح وعاد وثمود ولوط وشعيب وآل فرعون .

ب) **قبول الحق والاقتناع به والندم على مخالفته** ؛ كما في قصة قارون : ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [القصص : ٧٩: ٨٢] .

متى يغلق المحاور باب النقاش؟

لكل من الطرفين الحق في طلب إغلاق النقاش إذا حصل أحد الأمور الآتية :

أ) عندما يغلق على الخصم عقله ، ولا يقبل الحق مع وضوح دليله . فإن الحوار عندئذ ليس بذي جدوى ؛ فإذا انتهى المتحاورون إلى طريق مغلق فلا بد من إنهاء الحوار ؛ قال الغزالي - رحمه الله - في (المستصفى) : إِذَا ظَهَرَ لَهُ أَنَّ الْمُخَالِفَ لَا يَرْجِعُ عَنْ رَأْيِهِ مع وضوح الحق فَإِنَّ الْمُنَاظَرَةَ فِي ذَلِكَ قَدْ تُتْرَكُ لِعَدَمِ الْفَائِدَةِ .ا.هـ .

وقال ابن القيم رحمه الله : قوله : ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورى : ١٥] أي : لا خصومة ، فإن الرب واحد فلا وجه للخصومة فيه ، ودينه واحد ، وقد قامت الحجة وتحقق البرهان فلم يبق للاحتجاج والمخاصمة فائدة ، فإن فائدة الاحتجاج ظهور الحق ليتبع ،

فإذا ظهر وعانده المخالف وتركه جحودا وعنادا ، لم يبق للاحتجاج فائدة ؛ فلا حجة بيننا وبينكم أيها الكفار ، فقد وضح الحق واستبان ، ولم يبق إلا الإقرار به أو العناد ؛ و ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ﴾ يوم القيامة فيقضي للمحق على المبطل ﴿وإليه المصير﴾[(١)] ا.هـ

ب) عندما تتحول جلسة المحاورة إلى استهزاء وسخرية من المحاور أو من أنصاره إن كانوا حضورا ؛ فإن هذا وإن كان دليل إفلاس للخصم فإنه لا جدوى بعده في المحاورة .

ج) أن يتحول الحوار إلى افتراءات وتكذيب مستمر مع وضوح الحجة .

د) كما ينبغي قفل النقاش عندما يتبين أن الطرف الآخر في الحوار غير جاد أو مستهتر أو كان دون المستوى المطلوب للخوض في القضايا المعدة للحوار .

وعندما تتسع شقة الاختلاف ، أو يتضح أثناء النقاش أن هناك أمورًا أساسية برزت لم يتم التحضير لها ، أو لا يكفي الوقت لمناقشتها ، فيحسن في مثل هذه الأحوال إقفال النقاش وتأجيله إلى وقت آخر يتم التحضير والاستعداد الجيد له .

* * *

(١) مفتاح دار السعادة : ٢ / ٥٩.

الباب الثاني

مشروعية الحوار في الكتاب والسنة

○ الفصل الأول : مشروعية الحوار في القرآن الكريم

○ الفصل الثاني : مشروعية الحوار في السنة المشرفة

○ الفصل الثالث : حكم الحوار .

تمهيد

لا يختلف اثنان أن الحوار من لوازم الحياة ، إذ لا يتصور أن يعيش الإنسان في مجتمع بلا حوار ، بل قد يعقد الإنسان حوارا مع نفسه إن لم يجد من يحاوره .. وقد تكون هذه صورة مَرَضية ، وقد تكون صورة صحيحة حسابا للنفس أو معاتبة لها ؛ وحكى لنا القرآن عن امرأة العزيز أنها قالت : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ﴾ [يوسف : ٥٣] .

ولما اقتضت حكمة الباري تعالى أن يجعل الناس مختلفين في عقولهم وفهومهم ، وكان الحوار هو الوسيلة المثلى للتقارب والتعارف والتواصل والتعاون والتعايش ، لا جرم إذًا أن يظهر الحوار كأساس في دعوة الرسل جميعا ؛ إذ به يظهر الحق ويُدحض الباطل ؛ فكثير من آيات القرآن أبرزت الحوار كعامل أساس في الدعوة إلى اللّٰه تعالى ، فأظهرت أراء الخصم وحاورته بالبرهان والدليل والحجة الدامغة ؛ قال اللّٰه تعالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى : ١٦] .

والمتدبر لنصوص الكتاب والسنة يجدها معالم هادية إلى الصحيح من كل ما يحتاجه طالب الحق ؛ ولما كان الحوار مما يحتاجه طالب الحق - ردا على سؤال أو جوابا لشبهة أو محاجة لأهل الباطل - وجدناه مقررا مشروعا في الكتاب والسنة ؛ قال ابن القيم - رحمه اللّٰه : القرآن من أوله إلى آخره حجج وبراهين على أهل الباطل قطعية يقينية ، وأجوبة لمعارضتهم ، وإفسادًا لأقوالهم بأنواع الحجج والبراهين ، وإخبارًا عن أنبيائه ورسله بإقامة الحجج والبراهين ، وأمر لرسوله بمجادلة المخالفين بالتي هي أحسن ؛ وهل تكون المجادلة إلا بالاحتجاج وإفساد حجج الخصم ؟ وكذلك أمر المسلمين بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، وقد ناظر النبي ﷺ جميع طوائف الكفر أتم مناظرة ، وأقام عليهم ما أفحمهم به من الحجج حتى عدل بعضهم إلى محاربته بعد أن عجز عن رد قوله

وكسر حجته ؛ واختار بعضهم مسالمته ومتاركته ، وبعضهم بذل الجزية عن يد وهو صاغر ؛ كل ذلك بعد إقامة الحجج عليهم وأخذها بكظمهم وأسرها لنفوسهم ، وما استجاب له من استجاب إلا بعد أن وضحت له الحجة ولم يجد إلى ردها سبيلا ، وما خالفه أعداؤه إلا عنادا منهم وميلا إلى المكابرة بعد اعترافهم بصحة حججه وأنها لا تدفع ؛ فما قام الدين إلا على ساق الحجة(١) ا.هـ

وقال د عمر عبيد حسنة في تقديمه لكتاب (الحوار .. الذات والآخر) : إن مشهد الحوار في الكتاب والسنة ، وما عرض له من حوار الأنبياء مع أقوامهم ، ابتداءً من نشأة الخلق الأولى ، والامتداد به في الرسالة الخاتمة ، حتى النشأة الآخرة ، استغرق كل جوانب الحياة ، وعرض لكل الحالات ، وطرح كل الموضوعات ، وناقش جميع المعتقدات ، والملفت حقًا أنه أفرد لمعتقدات (الآخر) المساحات التعبيرية الكبيرة .

لقد كان الحوار هو وسيلة الأنبياء في دعوتهم إلى أقوامهم ، مع أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة المؤيدة بالوحي المسدده به ، وأن النبوة تاريخيًا لم تعمد إلى المواجهة وكان شعارها الكبير : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ﴾ ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ ، ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ ، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍۖ﴾ .. إلا في حالات استثنائية جدًا ، وذلك لحماية عملية الحوار وضمان استمرارها ؛ لأنها تؤمن أن القوة والمواجهة ليست وسيلة إقناع ودعوة ، الأمر الذي يشكل رصيدًا ثمينًا ومنجمًا ضخمًا لأصحاب الرسالة الخاتمة ، ورثة النبوة التاريخية ، وذلك عندما يكونون حقًا من ورثة النبوة ، ويمارسون باستمرار حوار أنفسهم ومراجعتها لتصويب أدائهم ومحاولة الإفادة من الأساليب الحوارية بكل أجناسها وأشكالها وموضوعاتها ، والتدرب عليها عمليًا ، ولا يكتفون بالفخر والمباهاة بها ، ويعلمون علم اليقين أن فاعليتهم أو سلاحهم الفاعل ونصرة مبادئهم الإنسانية إنما هو الحوار (٢) .ا.هـ .

إن الحوار ضرورة حياتية يحتاجها كل حي ؛ فالحوار - كما يقول د ناصر العمر - هو

---

(١) مفتاح دار السعادة : ٢ / ٥٨، ٥٩.

(٢) انظر تقديم د حسنة لكتاب الحوار .. الذات والآخر لعبد الستار الهيتي ؛ ص ٢٩.

سبيل إيصال الدين، وتعليم الجاهلين، وإقناع المعارضين، ومعرفة ما عند الآخرين، وهو القدرة على التفاعل المعرفي والعاطفي والسلوكي مع الناس، وبه يسهل تبادل الخبرات والمفاهيم بين الأجيال[١].

وفي هذا الباب سأتكلم عن مشروعية الحوار في الكتاب والسنة، ثم أثني بحكم الإسلام في الحوار.

* * *

(١) في مقال له بموقع (المسلم).

الفصل الأول

الحوار في القرآن الكريم

ولنبدأ – في حديثنا عن مشروعية الحوار – بالقرآن العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قدمنا في (التمهيد) أن المجادلة والمحاجة والمخاصمة والمماراة كل ذلك من أنواع الحوار ؛ والمتأمل في آي القرآن الكريم يجد أن الحوار جاء بهذه الإطلاقات ، كما ورد أيضا بذكر حوارات دارت بين أصحابها ؛ فيمكن القول بأن الحوار ورد في القرآن على سبعة أضرب :

الأول : الحوار بصفته ؛ لقد كان للقرآن باع طويل في الحوار وسرد وقائعه .. فأنت ترى جزءا من الآيات يتناول شبهات الكفار ويناقشها ويورد اعتراضاتهم ثم يرد عليها ويفندها ؛ أو ترى الآيات تستعرض بتوسع أحيانا وبإيجاز أخرى مواقف للحوار بين الرسل وأممهم ، أو بين المؤمنين والكافرين ، أو بين الكافرين وملائكة العذاب الموكلين بالنار ، أو بين الإنسان ونفسه ، أو بين الشيطان وربه جل وعلا ، أو بين الإنسان وأعضائه ، أو بين الإنسان وغيره من المخلوقات ؛ كالحوار بين سليمان ﷺ والهدهد .. أو غير ذلك[1] .

الثاني : الحوار بلفظه : ورد لفظ الحوار ببعض مشتقاته في أربعة مواضع من القرآن :

الأول : ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] .

الثاني : ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ [الكهف: ٣٧] .

الثالث : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] .

الرابع : ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] .

والثلاثة الأولى بمعنى المجاوبة في الكلام ، والرابع بمعنى الرجوع .

---

(١) انظر نحو كلمة سواء وحوار كريم لعبد الله نجيب سالم ص ٢١، ٢٢ بتصرف .

الثالث : الحوار بلفظ المجادلة : وهو كثير في القرآن ، فمن ذلك : ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء : ١٠٧] ؛ ﴿۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [النحل : ١١١] أي : تخاصم وتحاج عن نفسها ؛ ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ؛ ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل : ١٢٥] .

الرابع : الحوار بلفظ المخاصمة : كقوله تعالى : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص : ٦٤] .

الخامس : الحوار بلفظ المحاجة : كقوله تعالى : ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ [الأنعام : ٨٠] . وقوله ﷻ : ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر : ٤٧، ٤٨] .

السادس : الحوار بلفظ المنازعة : كقوله تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩] ، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ [الأنفال : ٤٦] ، ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ [طه : ٦٢]

السابع : الحوار بلفظ المماراة : كقوله تعالى : ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم : ١٢] ؛ وقوله ﷻ : ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [الكهف : ٢٢] .

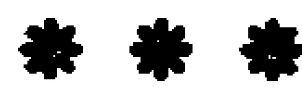
إذًا فقد استوعب ذكر الحوار في القرآن الألفاظ التي يمكن أن تستخدم في أي محاورة بأنواعها ، ولا يخفى أن القرآن دعا إلى الأحسن منها ؛ وقد تقدم معنى هذه الألفاظ في (التمهيد) .

وقد يَرِدُ على بعض هذه الأدلة شبهات منها أن البعض زعم آيات مجادلة أهل الكتاب منسوخة بآية السيف ؛ والحق أنها ليست منسوخة بل محكمة ، ودعوى النسخ لا تثبت

هنا ؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الرد على هذه الدعوى : فإنَّ من الناس من يقول : آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآية السيف لاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة ؛ وهذا غلط فإنَّ النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضا للحكم المنسوخ ، كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس بالشام .. إلى أن قال : وقوله : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٦] ، فهذا لا يناقض الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم ، ولكن الأمر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار على المجادلة . فأما مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به والقتال المأمور به فلا منافاة بينهما وإذا لم يتنافيا بل أمكن الجمع لم يجز الحكم بالنسخ ، ومعلومٌ أن كلا منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر ، وأن استعمالهما جميعا أبلغ في إظهار الهدى ودين الحق ، ومما يبين ذلك وجوه ... ثم عدَّدَ - رحمه الله - تسعة أوجه للقول بذلك وكلامه نفيس للغاية[1] .

ولا يشك عاقل في أن نصوص القرآن التي تناولت قضية الحوار كثيرة جدا ؛ بحيث لا تدع مجالا للشك في أن الحوار مشروع بالقرآن الكريم .

ويبقى مهمّا بيان حكم هذه المشروعية ، وسنتناوله - إن شاء الله تعالى - بعد ذكر مشروعية الحوار في السنة النبوية .



(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ١ / ٢١٨: ٢٤٦.

الفصل الثاني

الحوار في السنة المطهرة

السنة النبوية هي الأصل الثاني للتشريع ؛ وهي معين ثر للحوار ؛ وسواء في ذلك العهد المكي والعهد المدني ؛ وجاء الحوار في السنة النبوية على أربعة أضرب :

الأول : الحوار بصفته ؛ فلقد حاور رسول الله ﷺ أهل مكة ومن كان يدخل مكة من غيرهم ، وحاور أهل الطائف لما ذهب إليهم ؛ وكذلك حاور النبي ﷺ - بعدما هاجر إلى المدينة - اليهود والنصارى والمجوس ووفود القبائل ورسل الملوك .

الثاني : أمره ﷺ لرسله وأمراء جيشه أن يحاوروا من يأتوهم ؛ ففي الصحيحين عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : « **إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ** » ، وفي رواية لابن خزيمة : « **فإن هم أجابوا لذلك** » [1] . وعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ؛ ثُمَّ قَالَ : « **اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ؛ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ؛ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا**

---

(١) البخاري (١٤٩٦، ٤٣٤٧) ، ومسلم (١٩) ، وابن خزيمة (٢٣٤٦) .

عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ » رواه مسلم(١) .

الثالث : إقراره ﷺ لحوار صحابته ؛ ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً فَقَالَ لَهَا : مَا شَأْنُكِ ؟ قَالَتْ : أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا ! فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا ، فَقَالَ : كُلْ ، قَالَ : فَإِنِّي صَائِمٌ ، قَالَ : مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ ، قَالَ : فَأَكَلَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ ، قَالَ : نَمْ ، فَنَامَ ؛ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ ، فَقَالَ : نَمْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ : قُمْ الْآنَ فَصَلَّيَا ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ : إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ؛ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **صَدَقَ سَلْمَانُ** »(٢) .

الرابع : ما نقله لنا النبي ﷺ من حوارات الأمم السابقة : فقد نقل لنا النبي ﷺ حوارات كانت في الأمم السابقة ، كما في قصة الملك والساحر التي رواها أحمد ومسلم عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ ، فَقَالَ : إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي ، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَالَ : الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ ! فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا**

---

(١) مسلم (١٧٣١) ؛ ورواه أبو داود (٢٦١٢) ، والترمذي (١٦١٧) ، وابن ماجة (٢٨٥٨) .

(٢) البخاري (١٩٦٨) . ورواه الترمذي (٢٤١٣) .

وَمَضَى النَّاسُ ؛ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي ، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى ، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ ؛ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ : مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ ؛ فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟ قَالَ : رَبِّي ، قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ ؛ فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ ! فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ ؛ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ! فَأَبَى ، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ! فَأَبَى ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ؛ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ! فَأَبَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا ، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ ؛ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ ؛ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ ؛ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ قُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي ؛ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ

قَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ ؛ فَقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ؛ فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ ، قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ ؛ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ ، وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا ، أَوْ قِيلَ لَهُ : اقْتَحِمْ ؛ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ : يَا أُمَّهِ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ »(١) . ومن ذلك – أيضا – ما رواه الشيخان عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى ؛ فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ ؛ قَالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا ؛ قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِبِلُ [أَوْ قَالَ : الْبَقَرُ ، شَكَّ إِسْحَقُ ، إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ أَوِ الْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ] قَالَ : فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ؛ قَالَ : فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : شَعَرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ ، قَالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا ؛ قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْبَقَرُ ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا ، فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ؛ قَالَ : فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ ، قَالَ : فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ ؛ قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْغَنَمُ ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا ؛ فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا ؛ قَالَ : فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ ؛ قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي ؛ فَقَالَ : الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ ! فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ! فَقَالَ :

---
(١) أحمد : ٦ / ١٦، ومسلم (٣٠٠٥) .

إنْ كُنتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنتَ ؛ قَالَ : وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا ؛ فَقَالَ : إِنْ كُنتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنتَ ؛ قَالَ : وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي ، فَقَالَ : قَدْ كُنتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ ، فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ »[1] .

وفي ذلك كله - بلا ريب - دليل على مشروعية الحوار في السنة .

* * *

(١) البخاري (٣٤٦٤) ، ومسلم (٢٩٦٤) .

الفصل الثالث

حكم الحوار في الإسلام

الحوار كلام فيجري عليه ما يجري على الكلام من الأحكام ؛ وعليه فيمكن القول بأن الحوار ينسحب عليه الأحكام الشرعية الخمسة ؛ **فقد يكون واجبا** فيمن تعين عليه لرد شبهة أو جواب مسألة أو محاورة ومجادلة بالتي هي أحسن - لأهل كتاب أو غيرهم - في الدعوة إلى الله تعالى ؛ وقد قرر العلماء أن المجادلة - في الأصل - فرض على الكفاية ؛ ولكنها تكون فرض عين لمن تعينت عليه ؛ وكذلك يكون واجبا كفائيًا في الإصلاح بين الناس ؛ قال ابن حزم - رحمه الله - في تقرير وجوب المناظرة : قال تعالى : ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ فأمر ﷻ - كما ترى - بإيجاب المناظرة في رفق ، وبالإنصاف في الجدال ، وترك التعسف والبذاء والاستطالة إلا على من بدأ بشيء من ذلك فيعارض حينئذ بما ينبغي[1] .ا.هـ . وقال ابن تيمية - رحمه الله : والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهذا واجب على الكفاية منهم ؛ وأما ما وجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم[2] ؛ وقال أيضا : فأما المجادلة الشرعية كالتي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء عليهم السلام وأمر بها في مثل قوله تعالى : ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ ، وقوله : ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ ، وقوله : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ ، وقوله : ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥] .. وأمثال ذلك فقد يكون واجبا أو مستحبا ، وما كان كذلك لم يكن مذموما في الشرع[3] .

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام : ١ / ٢١.

(٢) درء تعارض العقل والنقل : ١ / ٥١، ٥٢.

(٣) درء تعارض العقل والنقل : ٧ / ١٥٦.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعليقا على قصة وفد نصارى نجران : ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم ، بل استحباب ذلك ، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم ، وإقامة الحجة عليهم ، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة[1] .ا.هـ، وقال ابن حجر - رحمه الله - تعليقا على نفس القصة : وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب ، وقد تجب إذا تعينت مصلحته[2] .

وقد **يكون الحوار مندوبا** ، إذا كان يتعلق بالمناقشة حول أمور مستحبة بالشروط والآداب الآنفة الذكر ، مع انتفاء مصاحبة المكروه والحرام من الأقوال والأفعال ؛ كذلك الحوار مستحبٌ في مدارسة العلم النافع .

وقد **يكون الحوار مكروها** ؛ إذا كان موضوع الحوار مما لا فائدة منه ، أو صحبه من الأقوال والأفعال ما هو مكروه .

وقد **يكون الحوار محرمًا** ؛ إذا كان الموضوع يناقش محرما على سبيل الإقرار له ، أو كان المحاور ليس أهلا للحوار فإنه يكون في حقه محرما ؛ أو صحبه من الحرام شيء كالكذب ورد الحق والسب والسخرية وغير ذلك مما هو معلوم بالضرورة أنه محرم .

كما قد **يكون الحوار مباحا** ، إذا كان في الأمور المباحة بالشروط والآداب التي سبق ذكرها ، وانتفى عنه مصاحبة المكروه والحرام من الأقوال والأفعال .

الحوار بين الحمد والذم :

الكلام محمود ومذموم ؛ وما ذكرناه من الحوار والمجادلة والمناظرة والتحاج وغيره فهو من أنواع الكلام ؛ فيجري عليه ما يجري على الكلام ؛ فمنه محمود ومنه مذموم ؛ وقد روى أحمد والترمذي وابن ماجة عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ** » ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[3] . قال ابن الأثير - رحمه الله : والمراد به في

---

(١) انظر زاد المعاد : ٣ / ٦٣٩.

(٢) انظر فتح الباري : ٨ / ٩٥.

(٣) أحمد : ٥ / ٢٥٢، ٢٥٦، والترمذي (٣٢٥٣) وصححه ، وابن ماجة (٤٨) ؛ ورواه الحاكم : ٢ / ٤٨٦ وصححه ووافقه الذهبي .

الحَديث الجدل على الباطل ، وطَلبُ المغالَبة به ؛ فأما الجَدَل لإظْهار الحقّ فإنَّ ذلك مَحْمودٌ ، لقوله تعالى : ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥][1] . قال الأوزاعي - رحمه اللّه : وإذا أراد اللّه بقوم شر فتح عليهم باب الجدل وسد عنهم باب العلم والعمل[2] ؛ وقال ابن تيمية - رحمه اللّه : والمناظرة والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف وإلا فالظالم يجحد الحق الذي يعلمه وهو المسفسط والمقرمط ؛ أو يمتنع عن الاستماع والنظر في طريق العلم وهو المعرض عن النظر والاستدلال .... إلى أن قال : ولما كانت المحاجة لا تنفع إلا مع العدل قال تعالى : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتي هي أحسن[3] ؛ وقال - أيضا : والمناظرة تارة تكون بين الحق والباطل ، وتارة بين القولين الباطلين لتبين بطلانهما ، أو بطلان أحدهما ، أو كون أحدهما أشد بطلانا من الآخر ؛ فإن هذا ينتفع به كثيرا في أقوال أهل الكلام والفلسفة وأمثالهم ممن يقول أحدهم القول الفاسد وينكر على منازعه ما هو أقرب منه إلى الصواب ، فيبين أن قول منازعه أحق بالصحة إن كان قوله صحيحا ، وأن قوله أحق بالفساد إن كان قول منازعه فاسدا ، لتنقطع بذلك حجة الباطل ، فإن هذا أمر مهم إذ كان المبطلون يعارضون نصوص الكتاب والسنة بأقوالهم ، فإن بيان فسادها أحد ركني الحق وأحد المطلوبين ، فإن هؤلاء لو تركوا نصوص الأنبياء لهدت وكفت ، ولكن صالوا عليها أصول المحاربين للّه ولرسوله ، فإذا دفع صيالهم وبين ضلالهم كان ذلك من أعظم الجهاد في سبيل الله[4] .. قال : وأما جنس النظر والمناظرة فهذا لم ينه السلف عنه مطلقا بل هذا - إذا كان حقا - يكون مأمورا به تارة ومنهيا عنه أخرى ، كغيره من أنواع الكلام ، فقد ينهى عن الكلام الذي لا يفهمه المستمع أو الذي

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة (جدل) ج ص .

(٢) البداية والنهاية : ١٠ / ١١٧؛ ورواه أبو نعيم في الحلية : ٨ / ٣٦١، والبيهقي في الشعب (١٨٣٢)، والذهبي في سير أعلام النبلاء : ٩ / ٣٤٠، عن معروف الكرخي .

(٣) مجموع الفتاوى : ٤ / ١٠٩.

(٤) درء تعارض العقل مع النقل : ٢ / ٢٨١.

يضر المستمع ، وعن المناظرات التي تورث شبهات وأهواء فلا تفيد علما ولا دينا ، ومن هذا الباب أنه خرج ﷺ على طائفة من أصحابه وهم يتناظرون في القدر فقال : « **أبهذا أمرتم ؟ أم إلى هذا دعيتم ؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما نزل القرآن ليصدق بعضه بعضا لا ليكذب بعضه بعضا** »[1] ، فإذا كانت المناظرة تتضمن أن كل واحد من المتناظرين يكذب ببعض الحق نهي عنه لذلك[2] . ولذلك قال الآمدي رحمه الله : الأمة مجمعة على تجويز المناظرة بين المجتهدين ، ولو كان كل واحد مصيبا فيما ذهب إليه لم يكن للمناظرة معنى ولا فائدة ، وذلك لأن كل واحد يعتقد أن ما صار إليه مخالفه حق وأنه مصيب فيه ؛ والمناظرة إما لمعرفة أن ما صار إليه خصمه صواب ، أو لرده عنه ؛ فإن كان الأول ففيه تحصيل الحاصل . وإن كان الثاني فقصد كل واحد لرد صاحبه عما هو عليه ، مع اعتقاده أنه صواب يكون حراما[3] .ا.هـ .

فالإنصاف أن الجدل لإظهار الصواب على مقتضى قوله تعالى : ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥] لا بأس به ، وربما ينتفع به في تشحيذ الأذهان ، وتصقيل الخواطر ، وتمرين الطبائع ؛ والممنوع هو الجدل الذي يضيع الأوقات ، ولا يحصل منه طائل ، وكثيرًا ما لا يخلو عن التحاسد والتنافس المذمومين في الشرع ، فعليك الاحتياط لئلا تقع في المهالك من حيث لا تشعر [4] .

مسألة :

قال العز بن عبد السلام – رحمه الله : إِنْ قِيلَ : هَلْ يُثَابُ الْمُتَنَاظِرَانِ عَلَى الْمُنَاظَرَةِ أَمْ لَا ؟ قُلْنَا إِنْ قَصَدَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمُنَاظَرَتِهِ إرْشَادَ خَصْمِهِ إلَى مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ الْحَقِّ فَهُمَا مَأْجُورَانِ عَلَى قَصْدِهِمَا وَتَنَاظُرِهِمَا ، لِأَنَّهُمَا مُتَسَبِّبَانِ إلَى إظْهَارِ الْحَقِّ ، وَإِنْ قَصَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ

---

(١) رواه بنحوه الطبراني في الأوسط (٥١٥) عن ابن عمرو ، وحسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ؛ ورواه بمعناه الترمذي (٢١٣٣) عن أبي هريرة ؛ ورواه أبو يعلى (٣١٢١) ، والطبراني في الأوسط (٧٠٥٢) عن أنس .

(٢) درء تعارض العقل مع النقل : ٣ / ٣٧٤.

(٣) إحكام الأحكام : ٤ / ١٨٩.

(٤) انظر أبجد العلوم : ٢ / ٢٠٩.

يَظْهَرَ عَلَى خَصْمِهِ وَيَغْلِبَهُ ، سَوَاءٌ أَكَانَ الْحَقُّ مَعَهُ أَوْ مَعَ خَصْمِهِ فَهُمَا آثِمَانِ ، وَإِنْ قَصَدَ أَحَدُهُمَا الْإِرْشَادَ وَقَصَدَ الْآخَرُ الْعِنَادَ ، أُجِرَ قَاصِدُ الْإِرْشَادِ ، وَأَثِمَ قَاصِدُ الْعِنَادِ ؛ ثُمَّ إِنْ قَصَدَا أَوْ أَحَدُهُمَا الْعِنَادَ وَأَظْهَرَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ خَصْمِهِ ، فَإِنْ تَمَادَى عَلَى عِنَادِهِ أَثِمَ ، وَانْفَرَدَ صَاحِبُهُ بِالْأَجْرِ إِنْ قَصَدَ وَجْهَ اللَّهِ ، وَإِنْ قَطَعَ عَزْمَهُ عَنِ الْعِنَادِ وَعَادَ إِلَى اتِّبَاعِ الرَّشَادِ وَانْقَطَعَتْ مَعْصِيَتُهُ أُثِيبَ عَلَى رُجُوعِهِ إِلَى الرَّشَادِ ، وَإِنْ أَصَرَّ عَلَى الْعِنَادِ أَثِمَ عَلَى عَزْمِهِ وَعِنَادِهِ ، وَوَجَبَ تَعْزِيرُهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنْ لَمْ يُعَزَّرْ فِيهَا فَهُوَ مُتَعَرِّضٌ لِعِقَابِ الْآخِرَةِ كَغَيْرِهِ مِنَ الْعُصَاةِ .

وَلَوْ عَزَمَ أَحَدُهُمَا عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ إِذَا ظَهَرَ عَلَى لِسَانِ خَصْمِهِ فَعَانَدَهُ فَهُوَ مَأْثُومٌ لِعِنَادِهِ ، مَأْجُورٌ عَلَى عَزْمِهِ ؛ وَالَّذِي يَسْخَرُ مِنْ خَصْمِهِ وَيَضْحَكُ مِنْهُ وَيَسْتَضْحِكُ النَّاسَ مِنْهُ أَشَدُّ وِزْرًا مِمَّا ذَكَرْنَاهُ ، لِأَنَّهُ زَادَ عَلَى تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ السُّخْرِيَةَ بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَالْأَوْلَى بِذَوِي الْأَلْبَابِ أَلَّا يُنَاظِرُوا مَنْ هَذَا شَأْنُهُ ، لِئَلَّا يَتَسَبَّبُوا بِمُنَاظَرَتِهِ إِلَى إِيقَاعِهِ فِي الْآثَامِ الْمَذْكُورَةِ[1] .

* * *

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ١ / ٢٥٣.

الباب الثالث

الحوار الداخلي والحوار الخارجي

○ تمهيد .

○ الفصل الأول : الحوار الداخلي (بناء الذات) .

○ الفصل الثاني : الحوار الخارجي

(التعايش وبناء المشترك الإنساني مع الآخر) .

تمهيد

الحوار ضرورة حياتية ، فكل حي يحتاج إلى حوار حسب حاله وحاجته لاستمرار حياته ؛ إذ حوائج البشر المتبادلة لا تكون إلا بحوار ، فلابد لمن يحيا من حوار .

ولا شك - كما يقول د عمر عبيد حسنة - أن مجالات الحوار وآفاقها تتسع لكل استطاعة ، وتتوفر في كل حين ، وتستوعب كل موضوع ، وتتطلب أكثر من أسلوب ، لتحقيق التطلعات والأهداف ، ابتداءً من الحوار مع النفس ، ومراجعة الفعل والسلوك ، واختبار القناعات ، والتأمل في الأفكار الذاتية ، وما ينتج عن ذلك من التوبة الفكرية والسلوكية : ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة : ١٤: ١٥] ، والانطلاق في هذه الرحلة الداخلية من منطلق الإدانة : ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف : ٥٣] ، ذلك أن مطالب النفس دائمًا بحاجة للمراجعة ، فـ : « **الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ** »[(١)] ؛ مرورًا بالامتداد بالحوار إلى الأسرة - المحضن الأساس - بكل مكوناتها : الزوج والزوجة والأولاد والأرحام ؛ والجوار ، والجماعة ، والنادي ، والمدرسة ، والجامعة ، والمجتمع ، والتعليم بشكل أخص ، وانتهاءً بالحوار مع (الآخر) ، ذلك أن التعايش ، والتعارف ، والتكامل ، والتفاهم ، وإزالة الحواجز النفسية ، وبناء الشخصية ، واكتشاف الميول ، ومعرفة المؤهلات ، والتعرف على المداخل الحقيقية للوصول إلى (الآخر) والتفاهم معه ... هذا التفاهم هو الذي ينتج القوانين والأعراف ووسائل الضبط الاجتماعي ، ويحرر الحقيقة العلمية ، ويؤدي إلى التراكم المعرفي وتبادل الخبرات وترسيخ الأعراف وبلورة القيم الخلقية واكتشاف وسائل التنمية المستدامة[(٢)] .

ولما كان الحوار إما أن يكون مع الذات المفردة (أي مع النفس) أو الجمعية (مع

---

(١) رواه أحمد : ٤ / ١٢٤، والترمذي (٢٤٥٩) وحسنه ، وابن ماجة (٤٢٦٠) ؛ والحاكم (١٩١، ٧٦٣٩) وصححه .

(٢) انظر تقديم د حسنة لكتاب الحوار .. الذات والآخر لعبد الستار الهيتي ؛ ص ١٢، ١٣.

الأمة الواحدة) ؛ أو مع غيرها ؛ فيمكن تقسيم الحوار إلى :

أولا : الحوار مع الذات : وينقسم إلى :

١ - الحوار مع الذات المفردة ؛ وهو الحوار مع النفس .

٢ - الحوار مع من ينتسب إلى الذات الجمعية .

ثانيا : الحوار مع الغير (الآخر) ؛ وينقسم إلى :

١ - الحوار مع الآخر الداخلي ؛ وهم غير المسلمين الذين يعيشون في دولة الإسلام .

٢ الحوار مع الآخر الخارجي ؛ وهم غير المسلمين خارج دولة الإسلام (أفراد وهيئات ودول) .

ومن هنا ينقسم هذا الباب إلى فصلين :

الأول : الحوار الداخلي مع الذات والآخر الداخلي ؛ **والثاني** : الحوار الخارجي .

* * *

الفصل الأول

الحوار مع الذات

- معنى الذات .
- الحوار مع النفس وبناء الذات الفردية .
- الحوار مع من ينتسب إلى الذات .
- من الذات ومن الآخر ؟
- لنجتمع على ما اتفقنا عليه ولنتحاور فيما اختلفنا فيه .
- الطريق إلى وحدة المسلمين .
- معالم الحوار مع الذات .
- الحوار مع الآخر الداخلي .

الحوار الداخلي (بناء الذات)

الحوار الداخلي في دولة الإسلام قد يعني حوارا مع الذات فقط إذا لم يكن في دولة الإسلام غير مسلمين ، وقد يعني حوارًا مع الذات وحوارًا مع الغير (الآخر) ممن ليسوا بمسلمين ولكنهم يعيشون في دولة الإسلام . وعلى ذلك فالحوار الداخلي (بناء الذات) يستلزم الحديث عن :

١ - الحوار مع الذات .

٢ - الحوار مع الآخر الداخلي .

ولنبدأ الحديث بالحوار مع الذات .

الحوار مع الذات

من الأمور التي تكاد تكون ظاهرة في مجتمع المسلمين الآن أن الحوار الصحيح غائب أو مغيب ؛ وذلك على مستوى الفرد والمتمثل في محاسبة النفس ، وكذا على مستوى الجماعة الصغيرة المتمثلة في الأسرة والجماعة الكبيرة المتمثلة في المدرسة والجامعة والنادي ، والكبرى المتمثلة في الدولة ، والأكبر وهي الأمة . فيكاد يكون الحوار غائبا بمعنى أنه ليس موجودا لا في الفكر ولا في الواقع ؛ أو مغيبا فهو ليس مرغوبا فيه فتفتعل الأسباب لعدم انعقاده .

فقليل أولئك الذين يحاسبون أنفسهم ؛ وقليل من له حوار مع زوجه وأبنائه ؛ ونادرا ما نسمع عن حوار حقيقي في مدرسة أو جامعة أو ناد يناقش قضايا المسلمين الفردية والجماعية ؛ وأما على مستوى الدولة فيكاد الإسلام أن يكون مغيبا في حوارات الساسة ومن بيدهم أزمة الأمور ؛ وينسحب ذلك على الأمة ؛ إذ الأمة هي مجموعة الأفراد والجماعات والدول التي تدين بالإسلام .

وهذا من أعجب الأمور ؛ ذلك لأن أمة الإسلام هي أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وهذا يقتضي حوارا دائما مع الموافق والمخالف .. فيمكن القول أن الأمة هي أمة الحوار .. الحوار الذي يأخذ بيد الغير إلى الخير ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ

يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، وقال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

يقول الدكتور عمر عبيد حسنة : الحقيقة التي لا بد من الاعتراف بها في عالم المسلمين ، أن الحوار يكاد يكون غائبًا تمامًا على مستوى الفرد ، أو إن شئت على مستوى النفس ، فالقليل القليل في أدبياتنا أن نجد من يقوم بعملية المراجعة والاعتراف بمسالكه الخاطئة ، والكثير من تأخذهم العزة بالخطأ ، ويكاد يكون الحوار غائبًا على مستوى الأسرة والمدرسة والنادي والأمة والدولة ؛ وأن حديثنا عن الحوار في الكتاب والسنة والسيرة والتراث ، وأن الموضوعات كلها ، على دقتها وخطورتها ، خاضعة للحوار ، كما قرر القرآن والبيان النبوي ، إنما هو في غالبه للمباهاة والتفاخر وتجاوز مركب النقص الذي نعاني منه ، والمؤسف أننا نرى هذه الحالة المرضية على المستويات كلها ، حتى على مستوى الجماعة الواحدة ، فهي ليست تجمعًا له رؤية مشتركة وإطار واحد لنظرته للحياة ، وإنما هي مجموعة آحاد ، لكلٍ عالمه ورؤيته ، وهذا الاختلاف ليس على مستوى التنوع ، الذي يغني الفكرة ويثري المسيرة ، وإنما هو اختلاف تضاد وتنازع وإنهاك ، وهو بحاجة للكثير من فتح قنوات الحوار المسدودة .. فالجماعة آحاد ، والجماعات طوائف .. وهكذا ، ونلحظ هذا بجلاء حتى على المستوى السياسي ، وتستوي في ذلك الحكومات والمعارضات . ولا شك عندنا أن بعض المعارضات لو وصلت إلى الحكم لكانت أشد وأعتى ؛ لأن غياب الحوار آفة ووباء يلف الجميع ، وإن شئت فقل : (ثقافة) ؛ وقد لا يكون مستغربًا في هذا المناخ أن نجد حتى بعض الرموز والنماذج الذين يتقدمون المجتمعات ويعتلون المنابر هم أكثر إصابة وصلفًا وادعاءً بأنهم هم الأفهم والأعلم ولا يحق لغيرهم الكلام ، حتى ولو كان الحوار سبيلًا إلى إيصال علمهم ؛ إنهم يخافون الحوار خشية أن يسويهم بغيرهم . هذا على مستوى الحوار مع الذات ، الذي يكون ضمن أرضية واحدة ، وتاريخ واحد ، وقيم عامة واحدة ، ووجهة تقريبًا واحدة ، لما يكون في دواخل هذه الذوات من رؤى وتوجهات وأفكار وتفسيرات وفوارق فردية وتفاوت ثقافي

واختصاصات معرفية ، لأنه يستحيل عقلًا وواقعًا أن يكون الناس نسخة مكررة عن بعضهم ، ولو كان ذلك كذلك لانعدمت حرية الاختيار ، حيث لا اختيار إلا اختيار واحد ، وتعطلت إنسانية الإنسان ، وتوقف نمو الحياة وتكاثر الأشياء . فالتنوع هو مجال الاختيار وسبيل النمو والتكاثر والارتقاء ، والحوار تجسيد لهذا التنوع ، والإفادة منه في إثراء وبناء المشترك الإنساني ، لأن التعارف الذي يأتي ثمرة الحوار هو سبيل العمران والتكامل والتعاون وإغناء النفس ، بميولها النفسية للاجتماع واستدراك حاجاتها الحياتية ومتطلبات تربيتها طويلة المدى ، التي لا بد أن تتوفر ضمن جماعة ، وإنجاز مشاريعها الكثيرة التي يعجز عنها الأفراد[١] .

وفي حديثنا عن الحوار مع الذات كقاعدة للبناء الداخلي ؛ سنتناول معنى كلمة (الذات) والمراد منها في موضوعنا ؛ ، ومن (الذات) ومن (الآخر) ليتميز الحديث عن كليهما ، فلكلٍ حوار يخصه ، ثم بناء الذات وتوحيد الأمة ؛ ومعالم الحوار مع الذات للوصول إلى غاية الوحدة . ثم بعد ذلك تناول الحديث عن الحوار مع الآخر الداخلي ، فإنه ضروري لبناء الذات .

معنى الذات :

إن وجود الذات الثابتة الواضحة ذات الهوية الثابتة الواضحة هو الشرط الأول للحديث بعد ذلك عن الآخر وعن أي نوع من أنواع العلاقة معه ؛ ولا يكون هذا إلا بمعرفة المراد بـ (الذات) .

كلمة **ذات** في اللغة : تأنيث ذو ؛ وتطلق الذات لتعبر عن النفس والخاصة ؛ وفي إطلاقاتها المستحدثة يراد بها الذات الفردية والذات الجمعية ؛ قال الراغب في مفرداته : وقد استعار أصحاب المعاني الذات فجعلوها عبارة عن عين الشيء جوهرا كان أو عرضا ، واستعملوها مفردة ومضافة إلى المضمر بالألف واللام ، وأجروها مجرى النفس والخاصة ، فقالوا : ذاته ونفسه وخاصته ؛ وليس ذلك من كلام العرب[٢] .

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب الحوار .. الذات والآخر لعبد الستار الهيتي ؛ ص ١٧، ١٨.

(٢) انظر مفردات الراغب مادة (ذ و) .

وقال الجرجاني في (التعريفات) : الذاتي لكل شيء ما يخصه ويميزه عن جميع ما عداه ؛ وقيل : ذات الشيء نفسه وعينه وهو لا يخلو عن العرض ، والفرق بين الذات والشخص : أن الذات أعم من الشخص ، لأن الذات تطلق على الجسم وغيره ، والشخص لا يطلق إلا على الجسم(١) .

وتعني كلمة (الذات) أو (الأنا) أو (نحن) في كثير من كتابات المحدثين : (الذات الجمعية) ، فيقولون : (نحن والآخر) ، و (بناء الذات) و (نقد الذات) و (جلد الذات) .. وهي بهذه المعاني محدثة ، غير أنه إذا انضبط المعنى وعرفت المقاصد فلا مشاحة في الاصطلاح كما يقول العلماء .

ومرادنا بالذات هنا الذات الفردية المعبرة عن الفرد المسلم ؛ والذات الجمعية المعبرة عن الأمة ، باعتبار الأمة ذاتًا واحدة وجسدًا واحدًا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . ولا يمكن التحدث عن الذات الجمعية وبنائها إلا مرورا بالحديث عن الذات الفردية وبنائها ؛ إذ الذات الجمعية تتكون من أفراد فإذا اتضحت هوية هؤلاء الأفراد اتضحت هوية الذات الجمعية .

وعلى ذلك فيمكن أن يقال : إن الحوار مع الذات ينقسم إلى : **الحوار مع النفس** ، **والحوار مع من ينتسب إلى الذات الجمعية** .

أولًا : الحوار مع النفس وبناء الذات الفردية

يثير البعض شغبا حول الحوار مع النفس زاعما أن الحوار لا يكون إلا بين اثنين متخالفين ؛ والحق أنه لا يشترط في الحوار التخالف ، وإنما ذلك في المناظرة والجدال والمماراة والمحاجة كما تقدم ، وإن كان كل من ذلك نوع حوار وقد يجري مع النفس داخليا شيء من ذلك ، إلا أنه إذا أطلق الحوار فليس بالضرورة أن تكون مخالفة ؛ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن المراد بالنفس مجموع الروح والجسد ؛ وهي الإنسان نفسه وذاته ؛ وهي تلك التي توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها ؛ فإذا سكنت

---

(١) التعريفات ص ١٤٣.

لأمر ربها وأذعنت واستسلمت وجاهدت شهواتها كانت النفس المطمئنة ، قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر : ٢٧، ٢٨] ؛ وإذا لم يتم سكونها ولكنها كانت مدافعة لشهواتها ورغباتها ومعترضة على ما لا يجوز من تلك الشهوات والرغبات صارت النفس اللوامة ؛ لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة ربه وخالقه (جل جلاله) ، قال الله تعالى : ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة : ٢] ؛ وإن تركت الاعتراض على الشهوات والرغبات ، وأطاعت لدواعي الشهوات ووساوس الشيطان ، فهي النفس الأمارة بالسوء ، قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف : ٥٣] ؛ ومن تأمل ذلك يجد أن لكل حالة حوارها ، ورحم الله الحسن البصري قال : إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه يقول : ما أردت بكلمتي ؟ يقول : ما أردت بأكلتي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ فلا تراه إلا يعاتبها ؛ وإن الفاجر يمضي قدما فلا يعاتب نفسه(١) . وقال أيضا : إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه(٢) . وروى ابن أبي شيبة عنه – رحمه الله – قال : إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ؛ إن المؤمن يفجؤه الشيء فيعجبه فيقول : والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ، ولكن والله ما من وصلة إليك هيهات ، حيل بيني وبينك ؛ ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا ؟ مالي ولهذا ؟ والله لا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله ؛ إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئا حتى يلقى الله ، يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله(٣) .

فقد تبين من ذلك ثبوت الحوار مع النفس ؛ ومن ذلك حديث النفس ، ففي داخل الإنسان تدور حوارات الله تعالى أعلم بها ، قال ﷻ : ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ

(١) الزهد لابن أبي عاصم : ١ / ٨٣.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية : ٢ / ١٤٦.

(٣) ابن أبي شيبة (٣٥٢٠٩) ، ورواه أبو نعيم في الحلية : ٢ / ١٥٧.

بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] ، إلا أن الله ﷻ برحمته قد رفع عن الأمة الحرج فيه ، ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ** »(١) .

تبين من ذلك أن للإنسان حوارًا مع نفسه ، وهذا الحوار هو أصل محاسبة النفس ومجاهدتها لبناء الذات ؛ فمن أهم الأمور في تأديب النفس وإلزامها طريق الحق : المحاسبة ، إذ بها يتابع حالات نفسه وانتقالها من حالة إلى أخرى ؛ فزكاة النفس وطهارتها موقوف على محاسبتها ، فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح البتة إلا بمحاسبتها ؛ فبمحاسبتها يطلع على عيوبها ونقائصها فيمكنه السعي في إصلاحها .

ومحاسبة النفس شأن العقلاء ، فعند الترمذي وابن ماجة عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ** » قَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ؛ وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « **مَنْ دَانَ نَفْسَهُ** » يَقُولُ : حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا ؛ وَيُرْوَى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ : لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ(٢) ؟ ولهذا قيل : النفس كالشريك الخوَّان إن لم تحاسبه ذهب بمالك .

ولما كان أول طريق تأديب النفس هو التوبة مما سبق واستقبال ما بقي من العمر بأخذ النفس بالأدب ؛ كانت هذه المرحلة (مرحلة الانتقال) بين محاسبتين - كما يقول ابن القيم رحمه الله - محاسبة قبلها تقتضي وجوبها ، ومحاسبة بعدها تقتضي حفظها ، فالتوبة محفوفة بمحاسبتين ؛ وقد دل على المحاسبة قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر : ١٨] .

فأمر سبحانه العبد أن ينظر ما قدم لغد وذلك يتضمن محاسبة نفسه على ذلك والنظر

---

(١) البخاري (٥٢٦٩) ، ومسلم (١٢٧) .

(٢) انظر الترمذي (٢٤٥٩) ، وابن ماجة (٤٢٦٠) .

هل يصلح ما قدمه أن يلقى اللّٰه به أو لا يصلح(١) .

طريق محاسبة النفس :

وطريق محاسبة النفس كما يقول الإمام الغزالي - رحمه اللّٰه : فرابطوا أنفسهم أولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ، ثم بالمحاسبة ، ثم بالمعاقبة ، ثم بالمجاهدة ، ثم بالمعاتبة .. وأصل ذلك المحاسبة ، ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ، ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة .ا .هـ(٢) .

وقال ابن القيم - رحمه اللّٰه : وقد مثلت النفس مع صاحبها بالشريك في المال ؛ فكما أنه لا يتم مقصود الشركة من الربح إلا بالمشارطة على ما يفعل الشريك أولا ، ثم بمطالعة ما يعمل والإشراف عليه ومراقبته ثانيا ، ثم بمحاسبته ثالثا ، ثم يمنعه من الخيانة إن أطلع عليه رابعا ، فكذلك النفس : يشارطها أولا على حفظ الجوارح السبعة التي حفظها هو رأس المال ، والربح بعد ذلك ؛ فمن ليس له رأس مال فكيف يطمع في الربح ؟ وهذه الجوارح السبعة وهي العين والأذن والفم والفرج واليد والرجل ، هي مراكب العطب والنجاة ، فمنها عطب من عطب بإهمالها وعدم حفظها ، ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها ؛ فحفظها أساس كل خير ، وإهمالها أساس كل شر ، قال تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور : ٣٠] ، وقال تعالى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء : ٣٧] ، وقال : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء : ٣٦] ، وقال : ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء : ٥٣] . وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب : ٧٠] . وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر : ١٨] .

فإذا شارطها على حفظ هذه الجوارح انتقل منها إلى مطالعتها والإشراف عليها ومراقبتها ، فلا يهملها فإنه إن أهملها لحظة رتعت في الخيانة ولا بد ، فإن تمادى على

---

(١) انظر مدارج السالكين : ١ / ١٧٠.

(٢) انظر إحياء علوم الدين : ٤ / ٤١٨ (دار الفكر) .

الإهمال تمادت في الخيانة حتى تذهب رأس المال كله ، فمتى أحس بالنقصان انتقل إلى المحاسبة ، فحينئذ يتبين له حقيقة الربح والخسران ، فإذا أحس بالخسران وتيقنه استدرك منها ما يستدركه الشريك من شريكه : من الرجوع عليه بما مضى والقيام بالحفظ والمراقبة في مراقبته ومحاسبته وليحذر من إهماله .

ويعينه على هذه المراقبة والمحاسبة : معرفته أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غدا إذا صار الحساب إلى غيره ، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غدا ؛ ويعينه عليها أيضا : معرفته أن ربح هذه التجارة سكنى الفردوس والنظر إلى وجه الرب سبحانه ، وخسارتها دخول النار والحجاب عن الرب تعالى ؛ فإذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم ، فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها ، فكل نَفَسٍ من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها ، يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد ، فإضاعة هذه الأنفاس أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه خسران عظيم ، لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلا ، فإن الإهمال وترك المحاسبة وتسهيل الأمور وتمشيتها يؤول به إلى الهلاك وهذه حال أهل الغرور : يغمض عينيه عن العواقب ويُمَشِّي الحال ويتكل على العفو فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة ؛ وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب وأنس بها وعسر عليه فطام نفسه عنها ، ولو حضره رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد ، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران : ٣٠] .

وجماع ذلك : أن يحاسب نفسه أولا على الفرائض فإن تذكر فيها نقصا تداركه إما بقضاء أو إصلاح ؛ ثم يحاسبها على المناهي فإن عرف أنه ارتكب منها شيئا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية ؛ ثم يحاسب نفسه على الغفلة فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى ؛ ثم يحاسبها بما تكلم به أو مشت إليه رجلاه أو بطشت يداه أو سمعته أذناه : ماذا أرادت بهذا ؟ ولمن فعلته ؟ وعلى أي وجه فعلته ؟ ويعلم

أنه لابد أن ينشر لكل حركة وكلمة منه ديوانان : ديوان لمن فعلته ؟ وديوان كيف فعلته ؟ فالأول سؤال عن الإخلاص ، والثاني سؤال عن المتابعة ؛ قال تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر : ٩٣] . وقال تعالى : ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب : ٨] . فإذا سئل الصادقون وحوسبوا على صدقهم ؛ فما الظن بالكاذبين ؟ قال قتادة : كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ فيسأل عن المعبود وعن العبادة . قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص : ٦٥] . وقال تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨] ، قال ابن جرير – رحمه الله : يقول تعالى : ثم ليسألنكم الله ﷻ عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا : ماذا عملتم فيه ؟ من أين وصلتم إليه ؟ وفيم أصبتموه ؟ وماذا عملتم به[1] ؟ والنعيم المسئول عنه نوعان : نوع أخذ من حله وصرف في حقه ، فيسأل عن شكره ؛ ونوع أخذ بغير حله وصرف في غير حقه فيسأل عن مستخرجه ومصرفه ؛ فإذا كان العبد مسئولا ومحاسبا على كل شيء حتى على سمعه وبصره وقلبه ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء : ٣٦] . فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يُناقش الحساب . وقد دل على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر : ١٨] ، يقول تعالى : لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال : أمن الصالحات التي تنجيه أم السيئات التي توبقه ؟ قال قتادة : ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد[2] .

أنواع محاسبة النفس :

محاسبة النفس نوعان : نوع قبل العمل ونوع بعده ؛ فأما **النوع الأول** : فهو أن يقف عند أول همه وإرادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه ؛ قال الحسن – رحمه الله : رحم الله عبدا وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر ا.هـ . وشرح هذا بعضهم فقال : إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهم به العبد وقف أولا

---

(١) تفسير ابن جرير : ٣٠ / ٢٨٥.

(٢) انظر تفسير ابن جرير : ٢٨ / ٥٢.

ونظر : هل ذلك العمل مقدور له أو غير مقدور ولا مستطاع ؟ فإن لم يكن مقدورا لم يقدم عليه ، وإن كان مقدورا وقف وقفة أخرى ونظر : هل فعله خير له من تركه أو تركه خير له من فعله ؟ فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه ، وإن كان الأول وقف وقفة ثالثة ونظر : هل الباعث عليه إرادة وجه الله ﷻ وثوابه أو إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق ؟ فإن كان الثاني لم يقدم عليه وإن أفضى به إلى مطلوبه ، لئلا تعتاد النفس الشرك ويخف عليها العمل لغير الله ، فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالى حتى يصير أثقل شيء عليها ؛ وإن كان الأول وقف وقفة أخرى ونظر : هل هو معان عليه وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجا إلى ذلك أم لا ؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه كما أمسك النبي ﷺ عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وأنصار ؛ وإن وجده معانا عليه فليقدم عليه فإنه منصور ، ولا يفوت النجاح إلا من فوت خصلة من هذه الخصال ، وإلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح .

فهذه أربعة مقامات يحتاج إلى محاسبة نفسه عليها قبل العمل فما كل ما يريد العبد فعله يكون مقدورا له ، ولا كل ما يكون مقدورا له يكون فعله خيرا له من تركه ، ولا كل ما يكون فعله خيرا له من تركه يفعله لله ، ولا كل ما يفعله لله يكون معانا عليه ، فإذا حاسب نفسه على ذلك تبين له ما يقدم عليه وما يحجم عنه .

وأما **النوع الثاني** : محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع :

أحدها : محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى ، فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي من الإخلاص في العمل ومتابعة الرسول ﷺ فيه .

الثاني : أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تَرْكُهُ خيرا له من فعله .

الثالث : أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد : لم فعله ؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة فيكون رابحا ، أو أراد به الدنيا وعاجلها فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به[1] ؟

فوائد محاسبة النفس

في محاسبة النفس عدة مصالح ؛ منها : **الاطلاع على عيوبها** ، ومن لم يطلع على

---

(١) إغاثة اللهفان : ١ / ٨١، ٨٢.

عيب نفسه لم يمكنه إزالته ، فإذا اطلع على عيبها مقتها في ذات الله تعالى . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا(١) . ومعنى (يمقت الناس في جنب الله) أي لما يرى من تقصيرهم في حقه تعالى أو مخالفتهم لأمره ونهيه ؛ فإذا رأى من نفسه ذلك كان أشد مقتا لها في الله تعالى .

ومن فوائد محاسبة النفس : أنه يعرف بذلك حق الله تعالى ، ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه وهي قليلة المنفعة جدا ؛ فمن أنفع ما للقلب النظر في حق الله على العباد فإن ذلك يورثه مقت نفسه والإزراء عليها ، ويخلصه من العجب ورؤية العمل ، ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه واليأس من نفسه ، وأن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته ، فإن من حقه أن يطاع ولا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ، فمن نظر في هذا الحق الذي لربه عليه علم عِلم اليقين أنه غير مؤد له كما ينبغي ، وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة ، وأنه إن أحيل على عمله هلك ، فهذا محل نظر أهل المعرفة بالله تعالى وبنفوسهم ، وهذا الذي أيأسهم من أنفسهم وعلق رجاءهم كله بعفو الله ورحمته .

وإذا تأملت حال أكثر الناس وجدتهم بضد ذلك ينظرون في حقهم على الله ولا ينظرون في حق الله عليهم ، ومن ههنا انقطعوا عن الله ، وحجبت قلوبهم عن معرفته ومحبته والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره ، وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه .

فمحاسبة النفس هو نظر العبد في حق الله عليه أولا ، ثم نظره هل قام به كما ينبغي ثانيا ، وأفضل الفكرِ الفكر في ذلك ، فإنه يُسَيِّرُ القلب إلى الله ، ويطرحه بين يديه ذليلا خاضعا منكسرا كسرا فيه جبره ، ومفتقرا فقرا فيه غناه ، وذليلا ذلا فيه عزه ، ولو عمل من الأعمال ما عساه أن يعمل فإنه إذا فاته هذا فالذي فاته من البر أفضل من الذي أتى(٢) .

ما أحوج المسلمون إلى هذا الحوار .. حوار مع النفس .. محاسبة النفس .. إنه إعداد

---

(١) رواه ابن جرير : ١ / ٢٥٨.

(٢) هذا الكلام مستفاد من كلام ابن القيم رحمه الله في كتابه إغاثة اللهفان .

وبناء لنفس مسلمة أسلمت قيادها للّٰه ، فلا تتكلم إلا بما يرضيه ، ولا تفعل إلا ما أمر به ، ولا ترضى إلا بشرعه منهجا وشريعة ؛ فإذا تم هذا وضحت الهوية واستبان أمر الذات .

ومن أمثلة الحوار مع النفس ومحاسبتها ما ذكره ابن الجوزي - رحمه اللّٰه - قال : ترخصت في شيء يجوز في بعض المذاهب ، فوجدت في قلبي قسوة عظيمة ، وتخايل لي نوع طرد عن الباب ، وبُعْدُ ظلمةٍ تكاثفت ؛ فقالت نفسي : ما هذا ؟ أليس ما خرجت عن إجماع الفقهاء ؟ فقلت لها : يا نفس السوء جوابك من وجهين : **أحدهما** أنك تأولت ما لا تعتقدين ، فلو استُفْتِيتِ لم تُفْتِ بما فعلت ! قالت : لو لم أعتقد جواز ذلك ما فعلته ؛ قلت : إلا أن اعتقادك ما ترضينه لغيرك في الفتوى . **والثاني** : أنه ينبغي لك الفرح بما وجدت من الظلمة عقيب ذلك ، لأنه لولا نور في قلبك ما أثر مثل هذا عندك . قالت : فلقد استوحشت بهذه الظلمة المتجددة في القلب . قلت : فاعزمي على الترك وقدري ما تركت جائزًا بالإجماع ، وعدي هجره ورعًا ، وقد سلمت[1] .

ثانيا : الحوار مع من ينتسب للذات

إن الأمة الإسلامية تمر بمنعطف خطير في تاريخها لم تمر به من قبل ، وتواجه في عصرنا هذا تحديات كثيرة ، من خارجها ومن داخلها ؛ فهي تواجه من خارجها مكر أعدائها وكيدهم وعملهم الدؤوب بكل ما أوتوا من دهاء وقوة لاستئصال شأفتها وطمس معالمها ؛ ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

والأمة أيضا تواجه من داخلها أمراض التعصب والهوى واتباع الرؤوس الجهال ، وما ينتج عنها من فرقة واختلاف ، ناهيك عن أمراض أخرى خطيرة كالحقد والحسد والبغضاء التي تفعل الأفاعيل في توسيع شقة الخلاف ومساعدة أعداء الأمة على الوصول إلى ما يريدون .

والحق أن التحديات الداخلية - فيما أحسب - هي الخطر الحقيقي الذي يعوق

(١) انظر صيد الخاطر ص ١٥٥، ١٥٦؛ وفي هذا الكتاب القيم حوارات كثيرة مع النفس فلتراجع .

مسيرة الأمة ويباعد بينها وبين أهدافها ؛ فالمتأمل في حال الأمة الآن يرى جسدها قد اشتكى معظم أعضائه ، وأصبح يخشى عليه من تقطع أوصاله من شدة تنافر الأعضاء بعضها عن بعض ؛ ويجمع المخلصون على أن الفرقة والخلاف هي الآفة الكبرى التي تهدد الأمة وتشل حركتها وتطمع فيها أعداؤها ، وأنه لا سبيل إلى علاج هذا الوضع المؤلم والمؤثر في حياة الأمة إلا بسعي العلماء العاملين إلى رأب الصدع ومحاولة إزالة هذه الآفة من الطريق .

فلو استطاعت الأمة أن تتغلب على هذه الآفة ، فيجتمع شملها ويوحد صفها ، فستكون – والذي نفسي بيده – مرهوبة من أعدائها ، منصورة من ربها ؛ قال الله تعالى : ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

ويبقى البحث عن العلاج هو هم المخلصين ودأب الصالحين من هذه الأمة ، فالخلاف هو الآفة المهلكة ؛ ولذلك جاءت النصوص المتواترة بالنهي عن الخلاف والتحذير منه فمن ذلك : قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال : ٤٦] ، وقوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران : ١٠٥] ، ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم : ٣٢] . والآيات في ذلك كثيرة ؛ وكذلك الأحاديث ومنها : ما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا : فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ** »[1] .

والمتفق عليه بين العقلاء أن سبيل التقارب بين المتخالفين هو الحوار ، فالحوار بشروطه وآدابه – السالفة الذكر – من شأنه أن يزيل الخلاف ، أو يقرب بين المتخالفين إن

---

(١) مسلم (١٧١٥) ، ورواه مالك : ٢ / ٩٩٠ (٢٠) ، وأحمد : ٢ / ٣٦٧، والبخاري في الأدب المفرد (٤٤٢) ، وابن حبان (٣٣٨٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان : (٧٣٩٩) .

كان الاختلاف مما يسع الجميع ، أعني خلاف التنوع .

إن المحاورة أو المجادلة بالتي هي أحسن وسيلة مهمة من وسائل تبليغ الحق والهدف منها الوصول إلى الحقيقة ، وهي في إطار الحركة الإسلامية أداة التصحيح والبناء والتقويم الذاتي ، فالحوار أداة وعي مشتركة ، تتحدد فيها الآراء ، وتُستعرضُ فيها المسائل ، ويستخلص منها ما دل عليه الدليل الشرعي أو النظري ، وهو وسيلة من وسائل الشورى والتناصح والتعاون على البر والتقوى ، وهذا هو طريق النضج وسبيل الكمال ، ولن يتم تصحيح الأخطاء وتدارك النقص وتقويم المسيرة الشرعية والدعوية إلا إذا اتسعت صدورنا - معشر الدعاة - إلى الحق للحوار ، وروضنا أنفسنا على قبول النقد والمراجعة وعندها تكون حواراتنا حوارات تربوية منهجية ، تثري الساحة الإسلامية بالدراسات الشرعية والطروحات العلمية(١) .

ومن فوائد الحوار الوقوف على أبعاد من القضية لم يكن المحاور على علم بها فيراجع نفسه وفكره وأدواته من جديد لفهم القضية ، مما يجعله يغير حكما أو رأيا حسب ما وقف عليه ، وبالتالي يرجع إلى الحق وينساق إليه .

إن الأمة بكامل شرائحها تحتاج إلى مراجعة في كثير من الأمور التي بعدت فيها عن دين ربها ، والتي - بلا شك - هي سبب أزمتها الحالية على جميع الأصعدة ؛ وكما يقول الدكتور عمر عبيد حسنة : وما لم نبصر أنفسنا بدقة ، ونعترف بأمراضنا بصراحة ، وننتقد أداءنا بصدق ، ونتفاكر ونتشاور ، ونقوم بعملية تحاور (مراجعة شاملة) من خلال عيون خبيرة فاحصة وعقول متخصصة ونوايا مخلصة ، وننتهي بهذه المراجعة إلى إنضاج الرؤية التي تتوفر على الأهداف الواضحة والاستطاعات الممكنة ، والظروف المحيطة ، ومن ثم ممارسة عملية الحوار مع الذات في ضوئها ، حتى تصبح ثقافة شائعة في الأمة ، قبل الحوار مع (الآخر) لتوسيع دائرة الرؤية والتفاهم حتى تشمل الأمة وتزيل الحواجز من بينها وتحقق القاعدة الثقافية المشتركة لاستيعاب الواقع وإبصار المستقبل واستشعار

---

(١) انظر مقال (التجرد في الحوار) لأحمد عبد الرحمن الصويان - مجلة البيان العدد ٧١ ص ١٥ - رجب ١٤١٤ - ديسمبر ١٩٩٣.

المسؤولية ، كلٌّ في الثغر الذي يقف أمامه ، فسوف تستمر رحلة التيه والضياع والعجز عن الحوار مع (الآخر) ، ويمكن أن أقول : رحلة الضلال ، بالمعنى اللغوي ، الذي يعني الضياع عن بلوغ الهدف(١) .

من (الذات) ومن (الآخر) ؟

إننا نعيش عصرًا اختلطت فيه الثقافات ، فأفرزت اختلافًا في المفاهيم ، بل واضطرابًا في موازين الحكم عند البعض ، وما لم تتميز الذات بأصولها ومرجعيتها وظاهرها وباطنها ، فإنها ستذوب في غيرها حتما .. وهذا الذي يريده أعداء الإسلام والمسلمين ؛ وإذا لم تدرك الأمة ذلك قبل فوات الأوان فسيندم الجميع ولات حين مندم .

إننا نذوق مرارة هذه الثقافات التي غزت المسلمين وأصبحت تشكل عند البعض ثقافة الحياة ، فتغيرت سلوكيات حياتهم تبعا لما أشربوه من هذه الثقافات ، وأصبح الخلاف بين المسلمين في عصرنا هذا ليس خلافا في مسألة فقهية ، أو في بعض مسائل العقيدة التي تنازع فيها أسلافهم ، ولكن اتسعت رقعة هذا الخلاف اتساعا شديدا فشملت كثيرا من أبجديات الدين عقيدة وسلوكا ، وتشريعا وحكما ؛ حتى بات من هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا يناصبوننا العداء ويدعوننا إلى التنازل عن مسلمات وثوابت في ديننا لنوافق العصر ولا نستغضب الغير !! ! .. وإنا للّٰه وإنا إليه راجعون .

وههنا **سؤال مهم جدًا** قد يقف عنده الكثير من الناس ، ويبحثون عن إجابة واضحة عنه ، وقد يجدون إجابات متعددة حسب قربهم أو بعدهم من الفهم الصحيح للإسلام ، فإن الأمر أصبح مشوشا حتى عند بعض من يُلقبون بالمفكرين .. هذا السؤال هو : **من الذات ومن الآخر** ؟ وإجابة واضحة صحيحة عن هذا السؤال ستكون موضحة للسبيل الذي ينهج في الحوار للوصول إلى نتيجة مرضية ؛ إذ لكل من الذات والآخر حوار يخصه .

إن الإجابة الواضحة الصريحة عن هذا السؤال : **مَن الذات ومَن الآخر** ؟ من أهم النقاط التي لابد أن تأخذ حقها من الحديث ، كما لابد من تفصيل البيان فيها : من

---

(١) انظر تقديمه لكتاب (الحوار الذات والآخر) للدكتور عبد الستار الهيتي ص ٨.

الذات ؟ وهل كل من ينتسب إلى الإسلام يكون من الذات ، وإن كان منه ما ينقض إسلامه ؟

مَنْ مِن هؤلاء المريض الذي يرجى برؤه ، ومن منهم المريض الذي لا يرجى برؤه ؟ أو بمعنى آخر : من المغرر به فإذا ذُكِّرَ أبصر وعاد ، ومن الذي اعتقد غير الإسلام منهجا لحياته ومع ذلكِ لا يزال يتبجح بأنه من الذات ؟ مَن مِن هؤلاء يُحاوَر على أنه من الذات ؟ ومن يحاور على أنه من الآخر ؟

إنها أسئلة في غاية الأهمية ؛ وهي تحتاج إلى إجابة واضحة لا لبس فيها ولا تدليس ولا مواربة ، إجابة تضع النقاط على الحروف بحيث يمكن لمن يقف عليها أن يحكم على هذه الطوائف : من منهم من الذات ومن من الآخر ؟ ؟

لهذا كان بيان ذلك من أهم ما يجب أن يضبط عند الحديث عن الحوار مع الذات .

والإجابة السريعة التي يمكن أن يجاب بها : (الذات) هو المسلم ، وما عداه فهو الآخر .. والوقوف عند هذه الإجابة فقط ليس دقيقًا ، فقد أصبحنا في عصر لابد فيه من توضيح مَنْ المسلم الذي هو (الذات) .

فقد رأينا ممن ينتسب إلى الإسلام وهو لا يرضى به حَكَمًا ، ويأبى أن يذعن لحكم اللَّه وحكم رسوله ، بل ويعتقد ويدين بأن الحكم بغير ما أنزل اللَّه أفضل من شريعة اللَّه تعالى وأنفع للبشر !! كالعلمانيين والشيوعيين والليبراليين والديمقراطيين والاشتراكيين والقوميين وغيرهم .

ومن هؤلاء من يستهزئ بأحكام الشريعة ، ومنهم من لا يؤدي فريضة من فرائض اللَّه تعالى كالصلاة والصيام والزكاة والحج ..الخ ، بل بعضهم بلغت به الوقاحة والبجاحة إلى إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة - أمرا ونهيا - ثم هو يدعي أنه مسلم !!

ولا يخفى على أحد لمن ولاء هؤلاء ؟ فهم يوالون أعداء الإسلام ويستنصرون بهم على المسلمين ؛ فهل أتباع هذه المناهج الذين عادوا الإسلام واتهموه ونصبوا الحراب لأهله - وإن كانوا ممن يتسمون بأسماء المسلمين - هم من الذات فيتحاور معهم على أنه تحاور مع الذات ؟ أم أنهم أصبحوا من (الغير) .. من (الآخر) ويتحاور معهم على أنهم

من الآخر ؟

وللإنصاف نقول : إن بعضًا من هؤلاء مغرر به فهو لا يزال ينتمي إلى الإسلام لكنه مفتون ببعض المبادئ التي يدعو إليها بعض هذه المذاهب كالعدل والمساواة وحقوق الإنسان ؛ والتي هي في الأصل في منهج الإسلام على أعلى مثال ، لكنها مفقودة في مجتمع المسلمين لغياب حكم الإسلام ؛ وهؤلاء لا يخرجون من الذات ، لكن وجب نصحهم وبيان وجه الحق لهم لإزالة هذه الشبهة عنهم .

وفريق آخر يتبعون الشهوات ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، ويدعون لذلك جهارا ، ليلا ونهارا ، ويبغونها عوجا .. وقد فتحت لهم وسائل الإعلام أبوابها على مصارعيها ، فتراهم يدعون - من غير حياء - إلى تبرج النساء ، والاختلاط الحر ، وشيوع الجنس ، قد استباحوا ذلك واستحلوه ؛ ترى ذلك في كتاباتهم وتصريحاتهم ، قد أسفروا عن وجوههم ، ويمكن أن يطلق عليهم (الواجهة الثقافية الإعلامية للعلمانية) .

وهؤلاء منهم الجهلة الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه ، ولا يدرون أن مستحل ذلك ليس بمسلم ، فإن ذُكِّروا فمنهم من يرجع ويتوب عن ذلك ؛ ومنهم من هو من أصحاب المذاهب التي تدعو إلى هذه الإباحية ، قد اتخذ ذلك منهج حياته ويأبى أن يرجع عنه ؛ وهؤلاء - بلا شك - ليسوا من الذات .

وآخرون يلقبون أنفسهم بالحداثيين ويستبيحون لأنفسهم نقد كل شيء حتى الثوابت العقائدية ، وهو مذهب باطل نقل إلينا عن الغرب الكافر عبر تلامذتهم المفتونين بهم ممن ينتسبون إلى الإسلام .

ومصيبة المصائب أن هناك طائفة ممن ينتسبون للإسلام اعتنقوا أفكارا ومبادئ تخالف أصول دينهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ثم لما ظهر ضلال فكرهم وانهزموا واقعيا تحول بعضهم لمحاولة التلفيق بين ما اعتنقوه وبين الإسلام ؛ ومن هنا تكمن الخطورة ؛ يقول الأستاذ جمال سلطان في كتابه (أزمة الحوار الديني) : أصبح الداخل الإسلامي خليطًا بفعل توافد جماعات من المفكرين والباحثين ممن يحملون تراثًا شخصيًا علمانيًا أو قوميًا أو شيوعيًا إلى الساحة الإسلامية ، واتجاههم إلى البحث ومخاطبة

الجماهير تحت شعارات الإسلام .. وهذه النماذج الفكرية التي دلفت إلى (الداخل) الإسلامي قد نجحت في إحداث بعض التأثير في توجهات وهموم بعض المفكرين والدعاة الإسلاميين .... وهذه النماذج لم تدخل عن إيمان راسخ أو إسلام صادق وإنما دخلوا على أساس أن الأرضية التي يمكن أن يكون لهم وجود على أساسها تحولت كلية نحو الإسلام ... وهم يبحثون عن كيفية إزاحة علماء الأمة ودعاتها ورموزها لكي يتبوءوا هم ريادة العمل الإسلامي لأنهم هم الممثلون (للعقلانية) و (للاستنارة) الدينية !!! وهذا التيار يلقى ترحيبًا ودعمًا من أجهزة ذات سلطان نافذ ؛ ومن تأمل المساحات الإعلامية المتاحة لهم يعلم ذلك[١] . لقد أصبح الهم الداخلي همًّا متشعبا ، فماذا عن هؤلاء أيضا ؟

كما أن هناك من الطوائف والفرق التي لا يزال لها وجود فعلي ممن ينتسبون إلى الإسلام ولكنهم خالفوا بعض أصول أهل السنة والجماعة ... هل هم من الذات ؟

وهناك طوائف ممن ينتسبون إلى التصوف ؛ وهم أصناف شتى : بين زاهد عارف ، ومبتدع مصر ، وغال مقيت .

بل إن هناك فرقًا أخرى مارقة كالدروز والبهائية والقاديانية وغير ذلك ممن هم يقينا ليسوا من المسلمين ويتسمون بأسماء المسلمين ولهم معتقدات كفرية وعبادات خاصة ؛ وهؤلاء ليس لهم من الإسلام نصيب ؛ وليسوا من الذات يقينا .

هكذا الهم الداخلي أصبح متشعبًا ؛ وكما يقول د عمر عبيد حسنة : وقد يكون من أخطر إشكاليات الصراع الحضاري ، التي يعاني منها عالم المسلمين اليوم - إضافة إلى وجود العلمانيين والحداثيين المرتهنين لحضارة الآخر بسبب تشكيلهم الثقافي وتاريخهم التعليمي ونظامهم المعرفي ، الذين يشكلون طلائع متقدمة للحضارة الغربية في الداخل الإسلامي ، ويفعلون فعلهم في الإفساد والتخريب لصالح الغرب - هو في أنظمة الاستبداد وما يلازمه من القمع السياسي والظلم الاجتماعي التي وجدت لصالح الغرب ، بحيث أصبحت عوامل الطرد للطاقات المتميزة والخبرات والسواعد ، والأموال ، متوفرة في معظم بلاد العالم الإسلامي ، إلا من رحم الله ، وبذلك يدمر المسلمون طاقاتهم ،

---

(١) انظر أزمة الحوار الديني من ص ٨: ص ١٨.

ويكسرون أسلحتهم، ويكرسون تخلفهم بأنفسهم، أو بمعنى آخر: يخربون بيوتهم بأيديهم، في الوقت الذي نرى فيه عوامل الجذب والإغراء بالهجرة متوفرة في مجتمعات الحضارة الغربية؛ ونستطيع أن نقول: إن خيرة الطاقات الإسلامية اليوم في العلوم التطبيقية والإنسانية على سواء مسخرة لخدمة الحضارة والتقدم والتحكم والسيطرة الغربية[١].

هذه أهم الطوائف التي تنتسب أو تُنسب إلى الإسلام، وقد أشرنا إلى أن بعضها ليسوا من الإسلام في شيء، ولكن ماذا عن بقيتهم: هل هم من الذات أم هم من الآخر؟

إنه من الواجب أن نبين الحكم عليهم بدليله دون مواربة، فالإجابة الصريحة هي المطلوبة في هذا المقام، فقد تميز أتباع كل منهج من المناهج الباطلة، وهم يرفضون أن ينتسب إليهم من ليس منهم، بل ويطردون من مجتمعهم من يخالفهم وينبذونه وربما اغتالوه؛ فإن كان ذلك كذلك فلا جرم أن أهل الحق أولى بالتميز.

إن الوحدة التي تنشأ عن ضم الطوائف المختلفة في الأُصول في دائرة واحدة، وإعطائها مسمى واحد على اختلاف عقائدها، هي وحدة غير شرعية، وإن الصف الذي ينشأ عنها ليس مرصوصًا متينًا، وإنما هي وحدة هشة معرضة للضياع والتشتت مع أول ريح يمكن أن تقابلها، ولنقرأ التاريخ ونقف على دروسه وعبره، كيف دخل التتار والصليبيون بلاد المسلمين؟ وكيف تولى كفارٌ حكم بلاد المسلمين بعد خروج المستعمرين الغربيين منها؛ بل كيف سقطت الخلافة الإسلامية العثمانية؟ إن هذا لم يحدث إلا بخيانات عظمى لمن وثق بهم واعتبروا من الذات!!

ولنتأمل في قول الله ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ وحبل الله قيل: هو الإسلام، وقيل: القرآن؛ وكلاهما متلازم، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، يقول الشاطبي - رحمه الله: تبين أن التأليف إنما يحصل عند الائتلاف على التعلق بمعنى واحد، وأما إذا تعلقت كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الأخرى فلابد من التفرق، وهو معنى قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

(١) انظر تقديمه لكتاب الأمة (الإسلام وصراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٣٤، ٣٥.

عَن سَبِيلِهِۦ﴾[١] .

لقد قسم القرآن الناس إلى **ثلاثة أقسام** : مؤمنون ، وكافرون ، ومنافقون ؛ قال ابن كثير في تفسيره بعد أن انتهى من بيان المثل الناري والمثل المائي من سورة البقرة : إذا تقرر هذا صار الناس أقساما : **مؤمنون خلص** : وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول سورة البقرة . **وكافرون خلص** : وهم الموصوفون بالآيتين بعدها . **ومنافقون** وهم قسمان : **خلص** : وهم المضروب لهم المثل الناري ؛ **ومنافقون مترددون** ، تارة يظهر لهم لمع من الإيمان ، وتارة يخبو ، وهم أصحاب المثل المائي[٢] .

والناس جميعا لابد أن يندرج كل واحد منهم تحت قسم من هذه الأقسام الثلاثة ؛ من هنا وجب أن يكون لهؤلاء الطوائف الذين ذكرنا حكم واضح : **هل هم من الذات أم هم من الآخر ؟**

فأقول مستعينا بالله وحده : لكي يكون الأمر واضحا لابد من تعريف المسلم الذي يحق أن نقول إنه من (الذات) ؛ ومن لم ينطبق عليه هذا التعريف فهو من الآخر ؛ لكن يبقى له من الحق علينا أن يحاور لإقامة الحجة عليه ، فإن عاد إلى الإسلام كان من الذات ، وإلا فهو من الآخر .. شاء أم أبى .

والأصل الذي اتفقت كلمة أهل العلم عليه أن النطق بالشهادتين يكفي لاعتبار الناطق بهما مسلمًا من حيث الظاهر ، بحيث يجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا ، وأنه لا يكفي للنجاة من الخلود في النار حتى يقترن بالتصديق القلبي ، فمن نطق بالشهادتين عومل بمقتضى أحكام الإسلام في الحياة الدنيا ، وإن كان منافقا في حقيقة أمره ؛ لأننا مأمورون بإجراء الأحكام على الظاهر ، وأما السرائر فهي لمن يعلمها سبحانه وتعالى .

ولا خلاف بين أهل العلم في أن النطق بالشهادتين والتصديق بهما لا يكونان كافيين في دخول الإسلام إذا كانا قد اقترنا بما ينقضهما أو ينقض إحداهما ، فلا يحكم بإسلام لإنسان جاء يقول : أقر بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولكني لا أقر بوجوب

---

(١) الاعتصام للشاطبي : ٢ / ١٩٢.

(٢) انظر تفسير ابن كثير : ١ / ٤٩ (مكتبة العبيكان) .

الزكاة أو الحج ، أو بحرمة الزنا أو الربا ، أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها القرآن أو الرسول محمد ﷺ ؛ أو قال : ولكني أعتقد أنها كانت خاصة بقوم أو بجيل معين . وكذلك من قرن إقراره بالشهادتين بتفسير خاص يؤول إلى إنكار توحيد اللّه تعالى في بعض صفاته وأسمائه ، أو أقر بهما وهو ينكر بعض القرآن ولو آية أو كلمة أو حرفا ؛ فلا تنفعه الشهادتان وقد جاء معهما بما يكذب به القرآن أو الرسول ﷺ .

ومثل هؤلاء يُعلَّمون أنهم لا ينجون من عذاب اللّه في الآخرة حتى يصح إسلامهم ، ولا يصح إلا بجزم الاعتقاد الخالي من الشكوك ونطق الشهادتين ، مع عدم إنكار شيء مما هو معلوم ضرورة من دين الإسلام .

قال الإمام النووي – رحمه اللّه : اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار ، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادا جازما خاليا من الشكوك ، ونطق بالشهادتين ا.هـ[(١)] .

فقوله : (اعتقادا جازما خاليا من الشكوك) تضمن ما فصلناه قبله .

وعلى ذلك **فكل من شهد شهادة الحق واستيقن بها قلبه ولم يأت بناقض لها** ، فهو مسلم فيكون من (الذات) وإن كان له بعض معاصٍ ، فواجب على من يعلم ذلك منه أن ينصحه ويأخذ بيده إلى اللّه تعالى .

وقد ذكر العلماء في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض ، تُحل دمه وماله ، ويكون بها خارجا عن الإسلام ، وأهم هذه النواقض والتي لها صلة بموضوعنا :

١ – **الشرك في عبادة الله** : وهو صرف شيء من العبادات – والتي لا تجوز إلا للّه تعالى – لغير اللّه ، قال اللّه تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة : ٧٢] ، ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم ؛ فالدعاء والنذر

---

(١) شرح مسلم : ١ / ١٤٩.

والاستغاثة من العبادات التي لا تجوز إلا للّٰه تعالى .

٢ - **جحود معلوم من الدين بالضرورة** : كأن يجحد أحد أركان الإسلام أو الإيمان ، أو جزءا من ذلك : فمن جحد نبوة نبي من الأنبياء أو كتابا من الكتب المنزلة مثلا ، فهو كافر مرتد ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١] ، وقول النبي ﷺ : « **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** » رواه مسلم(١) ، وكذلك من جحد آية من كتاب اللّٰه تعالى أو كلمة أو حرفا ، أو جحد متواترا من السنة مجمعًا عليه ، كأن يجحد أن الصلوات المكتوبات خمس ، أو يجحد كيفية الصلاة أو كيفية أداء المناسك أو أنصبة الزكاة ، أو غير ذلك مما علمنا النبي ﷺ وأجمعت الأمة عليه ، فمن جحد شيئا من ذلك كفر بإجماع . قال الطحاوي : ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه . ا.هـ(٢) . والجحود ضد الإقرار ، وقيل : الجحود : الإنكار مع العلم . فأما إن ارتكب المعصية وهو يعلم أنه مذنب ، ولم يجحدها أو يستحلها فليس بكافر إنما هو فاسق ، وتلزمه التوبة .

٣ - **المعاندة للّٰه ولرسوله** : قال ابن تيمية : فأما إن اعتقد أن اللّٰه لم يحرمه ، أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن يذعن للّٰه وينقاد ، فهو إما جاحد أو معاند . إلى أن قال : وتارة يعلم أن اللّٰه حرمها ويعلم أن الرسول ﷺ حرم ما حرم اللّٰه ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم ويعاند المحرِّم ، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه اللّٰه وعذبه ؛ ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حرمة الآمر وقدرته فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته ؛ وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمردا أو اتباعا لغرض النفس ، وحقيقته كفر ؛ هذا مع أنه يعترف للّٰه ورسوله بكل ما أخبر به ،

---

(١) مسلم (١٥٣) عن أبي هريرة .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٣٣١ (الكتب الإسلامي) .

ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون ، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه ، ويقول أنا لا أقر بذلك ولا ألتزمه ، وأبغض هذا الحق وأنفر عنه . وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع ، بل عقوبته أشد .ا.هـ[1] .

قال اللّٰه تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] .

٤ - **من اعتقد أن هدي غير النبي أكمل من هديه** ﷺ ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ؛ فهو كافر لقوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] ، ويدخل في ذلك من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو مساوية لها ، أو أن شريعة الإسلام لا يصلح تطبيقها في هذا العصر ، أو أن الإسلام كان سببا في تخلف المسلمين ، أو أن رجم الزاني وقطع يد السارق وغيرها من الحدود لا يناسب العصر .

٥ - **استحلال الذنب** : وهو إنكار حرمته بقلبه ؛ أما لو فعل الذنب مع اعتقاد حرمته فهو وإن كان آثما بحسب ذنبه ، لكنه لا يكفر بذلك . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وبيان ذلك أن من فعل المحارم مستحلا لها فهو كافر بالاتفاق ؛ **فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه** ، وكذلك لو استحلها من غير فعل ، والاستحلال : اعتقاد أن اللّٰه لم يحرمها ، وتارة بعدم اعتقاد أن اللّٰه حرمها ، وهو يكون لخلل في الإيمان بالربوبية ، ولخلل في الإيمان بالرسالة . ا.هـ . قال الطحاوي في عقيدته : ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله . ا.هـ . قال ابن أبي العز في (شرح الطحاوية) : اعلم - رحمك اللّٰه وإيانا - أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه ، وكثر فيه الافتراق ، وتشتت فيه الأهواء والآراء ، وتعارضت فيه دلائلهم ؛ فالناس فيه على طرفين ووسط : فطائفة تقول لا نكفر من أهل القبلة أحدا ؛ فتنفي التكفير نفيا عاما ، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين

---

(١) انظر الصارم المسلول ص ٥٢١، ٥٢٢.

الذين هم أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع ؛ وفيهم من يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم ، وهم يتظاهرون بالشهادتين . وأيضا فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة ، ونحو ذلك ؛ فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل . ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحدا بذنب ، بل يقال : لا نكفرهم بكل ذنب . وفرق بين النفي العام ونفي العموم ، والواجب إنما هو نفي العموم ، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب ؛ ولهذا - والله أعلم - قيده الشيخ - رحمه الله - بقوله : ما لم يستحله .ا.هـ[1] .

٦- **الاستهزاء بالله أو بآياته أو برسوله** : قال الله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة : ٦٥، ٦٦] . قال ابن العربي المالكي في أحكام القرآن : لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدا أو هزلا ، وهو - كيفما كان - كفر ، فإن الهزل بالكفر كفر ، لا خلاف فيه بين الأمة .ا.هـ[2] .

قال الرازي في تفسيره : قوله تعالى : ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يدل على أحكام : الحكم الأول : أن الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله ؛ وذلك لأن الاستهزاء يدل على الاستخفاف ، والعمدة الكبرى في الإيمان : تعظيم الله تعالى بأقصى الإمكان ، والجمع بينهما محال . انتهى المراد منه .

٧ - **من لم يكفر المشركين المعلوم كفرهم وشركهم** ، أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم ، أو اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر ، لقوله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

٨ - **من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به** ؛ لقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد : ٩] .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٦، ٣١٧ (المكتب الإسلامي) .

(٢) أحكام القرآن : ٢ / ٥٤٣.

٩ - **مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين** ، لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة : ٥١] .

فهذه أخطر النواقض وأكثرها وقوعا ، والمستقرئ لأدلتها المتأمل فيها يجد أنها لا تصدر إلا عن المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ؛ وقد أردنا بذكر هذه النواقض هنا أن نُذكِّر المغرر به والجاهل من هذه الطوائف التي ذكرنا ، ليكون على بينة من أمره .

وعلى ذلك فـ (الذات) : **كل من شهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه واستيقن بها قلبه ولم يأت بناقض لها** ؛ وضابط ذلك أنه يدعى إلى كتاب اللّه ﷻ وسنة رسوله ﷺ : فإن قبل ذلك فهو من الذات ، وإن لم يقبل فهو من الآخر ؛ قال اللّه تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور : ٤٧ : ٥٢] .

وقال ﷻ : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء : ٦٥] .

* * *

الأمة بين الخلاف والحوار

إن واقع الأمة اليوم يهتف بها : إلى أين ؟ فمع ما أسلفناه من أثر الثقافات الدخيلة وافتراق الناس كل حزب بما لديهم فرحون ؛ فقد اشتد – أيضا – النزاع والشقاق بين المسلمين في تلك المسائل التي كانت بين أسلافهم واحتدم فيها النقاش عن بعد فتراشق أطرافها بالاتهامات والسباب والتبديع والتفسيق وربما التكفير .. فيا لها من حال لأمةٍ ربهم وإلههم واحد ، ودينهم واحد ، ورسولهم واحد ، وأصولهم محفوظة لم ولن ينلها تحريف .. وقد أمرهم ربهم ﷻ بأن يرجعوا إلى هذه الأصول إذا تنازعوا ويسلموا لحكم اللّٰه ورسوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] ... فهلا عادوا مذعنين وسلّموا راضين ليسلموا وتسلم الأمة مما يحيق بها من أخطار ؟ !

اللهم من كان من أمة محمد على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فرده إلى الحق ردا جميلا حتى يكون من أهل الحق .

إن العودة إلى الكتاب والسنة تعني الحوار بشروطه وآدابه ليزال الغبش وتتضح الشبهة ويظهر الحق الذي يجتمع عليه المتحاورون بإذن اللّٰه تعالى .

لنجتمع على ما اتفقنا عليه ولنتحاور فيما اختلفنا فيه

لما كان الداء قد سرى في جميع شرائح الأمة ، فمن الضروري إذًا أن يكون **الحوار على مستوى الجماعة الصغيرة المتمثلة في الأسرة** ؛ فيكون حوار بين الزوجين ، وبين الآباء والأبناء ، وقد يكون أيضا بين الأبناء بعضهم مع بعض ؛ فما كان عندهم فيه علم ردوا به الباطل ، وما ليس عندهم فيه علم رجعوا فيه إلى أهل العلم الموثوق بهم .

كما يكون أيضا حوار على مستوى الجماعة الكبيرة المتمثلة في المدرسة والجامعة والنادي ، فيكون الحوار بين الأستاذ وتلامذته والمدير والأساتذة ، والطلاب بعضهم مع بعض بالضوابط التي أسلفنا ؛ وكذا يكون الحوار في النادي ويستدعى له من العلماء من يقوم به ويحاور هذه الشريحة المهمة من المجتمع .

ولابد أن يكون هناك حوار دائم على مستوى الجماعة الكبرى المتمثلة في الدولة المسلمة ، بين العلماء والساسة لتتميز سياسة الدولة المسلمة ، وينظر في جميع القضايا التي تمس الدولة وحكم الشرع فيها وضوابط المصالح والمفاسد المتعلقة بتلك القضايا ، لتبحر السفينة إلى بر الأمان بإذن الله تعالى .

كما أنه يلزم أن يكون حوار دائم أيضا على مستوى الجماعة الأكبر وهي الأمة ، فيكون حوار بين دول الإسلام علماء وساسة لمحاولة رأب الصدع وجمع الكلمة وتوحيد الصف .

كما لابد – أيضا – أن يكون هناك حوار بين علماء الأمة والمسلمين في مجمعات حوارية تعد لذلك ، لبيان الحق وإزاحة ما علق في فكر الناس وطفح على سلوكياتهم من المخالفات .

فيكون أطراف الحوار علماء الإسلام (أو ما يسميهم البعض بالنخبة) من جهة ؛ وأفراد الأمة من الجهة الأخرى ، فتطرح قضية الحوار بأبعادها النظرية والواقعية ويبدي أهل العلم حكم الإسلام فيها ويحاورون كل من كان على غير فهم للقضية ، فينفون عن دين الله انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وأباطيل أهل الباطل .

ومن الضروري جدا أن يكون حوار بين جماعات أهل السنة العاملين في الساحة بضوابطه ومنهجيته التي أسلفنا ذكرها ؛ فإن من أبرز مشكلات العمل الإسلامي – كما يقول الأستاذ محمد قطب : تفرق الجماعات العاملة في الساحة الإسلامية وتمزقها ، وقيام بعضها بحرب بعض[1] ؛ وإني على ثقة من أنه إذا قام العلماء المخلصون من كل جماعة من الجماعات الموجودة على الساحة ، فتوجهوا إلى الله تعالى داعين أن يوفقهم لجمع الكلمة والتئام الصف صادقين ، ثم التقوا وتحاوروا بشروط الحوار وآدابه ، فإن الله الكريم القريب المجيب سيوفقهم لذلك ؛ وليكن شعار هذه المبادرة :

(فلنجتمع على ما اتفقنا عليه ولنتحاور فيما اختلفنا فيه)

ولعل ما نعيشه من محنة تكون فرصة للعاملين في الحقل الإسلامي ليوقفوا التراشق

---

(١) واقعنا المعاصر ص ٥٢٥.

فيما بينهم وليعيدوا النظر في مهمتهم ، ويدركوا أنهم يحملون أشرف دعوة ويعملون لأنبل غاية ، فيوطنوا أنفسهم ، ويعاهدوا الله أن يكونوا بمستوى إسلامهم وعصرهم فيتخلص العمل للإسلام من التمحور حول النفس والطواف حول الذات(١) .

فإذا وفق الله ﷻ لجمع كلمتهم واتحاد صفهم ، فسيكون هذا دافعا لأن يكون حوار قوي متميز مع غيرهم ، وسيأتي الحديث - إن شاء الله - عن سبيل وحدة المسلمين .

بهذا يصير الحوار ثقافة عامة للأمة ، يلجأ إليه في حال التنازع والخلاف الذي لا يخلو منه زمان ولا يسلم منه مجتمع في الدنيا .

السبيل إلى وحدة المسلمين

لا شك أن الوحدة والائتلاف بين العاملين للإسلام هي أمنية كل مسلم غيور ، والذي يجعل تحقيق هذه الأمنية الغالية ممكنًا هو أن ندرك متطلباتها ونعرف الأسس الصحيحة التي تكفلها .

إن وحدة المسلمين مطلب شرعي ومقصد عظيم من مقاصد الشريعة ، فهي قربة يجب أن يتقرب بها الجميع إلى الله ﷻ ، ووحدة المسلمين بمعناها الشرعي الصحيح تعني أن يعود جميع المسلمين إلى الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فهذا هو السبيل الوحيد لوحدة الصف : الاجتماع على الأصول الثابتة من الكتاب والسنة ؛ ولا أحسب أن مسلما يؤمن بالله واليوم الآخر إلا ويوافق على ذلك ، ثم ما كان بعد ذلك من مسائل الاجتهاد التي قد يكون فيها خلاف فهنا يكون الحوار الذي يحفه الإخلاص والصدق والتسليم للحق .

إن وحدة الأمة تقتضي أن لا يصر كل من المختلفين على رأيه واجتهاده ويصعد الخلاف حوله ، وإنما يتساهل فيه ليقدم وحدة العمل على اختلاف الاجتهادات والآراء ؛ ومن هنا قال النبي ﷺ لمعاذ وأبي موسى - رضي الله عنهما - عندما أرسلهما إلى اليمن : « **وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا** »(٢) .

---

(١) انظر : نظرات في مسيرة العمل الإسلامي - د عمر عبيد حسنة ص ١٧١.

(٢) البخاري (٣٠٣٨) ، ومسلم (١٧٣٣) عن أبي موسى .

في كتاب (مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي) للأستاذ جمال سلطان يقسم الخلاف إلى : **خلاف تخصيبي** : هو ذلك الخلاف الناتج عن الاجتهاد الجاد الذي يبحث ويتفحص لكي يخرج برأي يزيد الآخرين تبصرًا بأبعاد الموقف ، ويزيدهم فهمًا للقضية محل النظر ، دون إملاء هذا الرأي على الآخرين كحل نهائي لا يجوز خلافه ، وهذا خلاف محمود ؛ **وخلاف تفريقي** : وهو ذلك الخلاف في الرأي الاجتهادي ، الذي يتعدى الموقف الفكري ليتشخص في موقف عملي يلزم الآخرين باتباعه ، ويؤسس على ذلك سلوكًا يشكل خطرًا على وحدة الأمة المسلمة . وهذا خلاف مذموم ؛ ثم جزم - جمال سلطان - بأن الخلاف في واقعنا الإسلامي المعاصر : هو خلاف تفريقي مذموم ، متجه إلى شق الصفوف وتفريقها ، وذكر له سبعة أسباب هي :

١- **ضعف المحصلة العلمية** : وهذا يؤدي إلى تعظيم الصغائر ، وتصغير العظائم ، كمن تنازعوا قديمًا في دم البعوضة واستباحوا دم أصحاب رسول الله ﷺ ، وكهؤلاء الذين عندهم استعداد لتدمير الحركة كلها من أجل خلاف فقهي بسيط .

٢- **عدم فهم مقاصد الشريعة** : فيؤدي ذلك إلى عدم فقه ترتيب الفروض وهو فقه عزيز لا سيما الآن ، حيث يصعب أن تقيم فريضة إلا على حساب أخرى ، وأن تحقق مقصدًا شرعيًا إلا بتفويت آخر .

٣- **الهوى والاستبداد** : ويتمثل ذلك في تقديم الولاء للحركة على الولاء للإسلام ، مما يؤدي إلى إقامة حاجز بين أفراد هذه الحركة وبين غيرهم من المسلمين .

٤- **عقم العقل المبدع** : الذي يبحث عن الأفكار الجديدة ويولد القضايا العملية الجادة التي تشغل العقل بدلًا من أن ينشغل بالجدل وبما لا يجدي من قضايا ، كما هو حادث الآن ، فيؤدي هذا إلى انشطار الصف .

٥- **غياب المشروع الحركي المتكامل** : أو ما يطلق عليه (استراتيجية الحركة) ، فالكثير من الفصائل الإسلامية يتحرك بعشوائية وحسب الظروف ، فتكون عرضة للاختراق والتدمير من الداخل والتورط والانزلاق والغرق أحيانًا .

٦- **أوهام الورع التي تصل بالبعض إلى حد الوسوسة** ؛ فيصير بذرة للفتنة ، خاصة

عندما يبدأ في إعلان انتقاداته للسلوكيات المخالفة للمستحب ، فيرسّب ذلك حزازات في النفوس تنبه روح التمرد .

٧- **العجز عن إدراك طبيعة حركة الفكر وقوانينها** : ومن أهم هذه القوانين قانون : الحرية ، فلا فكر بلا حرية ، والمفكر اليوم عليه مراجعة نفسه ألف مرة قبل إطلاق فكرته ، لأنه سوف يتهم بالتبديع والتجهيل والتضليل ثم الاتهام بالعمالة . وقانون آخر يهمل وهو قانون : تراكم الخبرة المعرفية وتلاقح الأفكار ، فالفكرة الآن ترفض دون أن تنقد أو تهذب أو يضاف إليها .ا .هـ .

وأضيف إليها :

٨ - **عدم قيام العلماء بالعمل الدؤوب الساعي إلى رأب الصدع** والاجتماع على المتفق عليه والتحاور في المختلف فيه ، للوصول إلى الوحدة المنشودة ؛ وإن كنا نسمع دائما دعوة من هنا أو هناك إلى الوحدة ولم الشمل ؛ لكن إذا لم نتجاوز الكلام إلى العمل .. والعمل الحثيث المتواصل حتى تكون هذه الوحدة .. فلا فائدة ، أم أن كل طرف قد رضي بما عنده فهو ينتظر السعي من غيره ؟ !

٩ - **غياب التواصل الحقيقي بين العلماء والساسة** ؛ واختلاف الغاية التي يعمل لها كل من الفريقين ؛ بل وإن شئت قل : وضع العراقيل لضمان عدم وقوع هذا التواصل .

العلاج :

لن يكون العلاج إلا بطريقة تربوية شاملة تراعي التوجيه الفني الذي يلفت ولا يصدم ، وينصح ولا يحرج ، ومن ذلك :

١- تربية العاملين على التجرد لقضايا الإسلام العامة ، وأن حفظ الإسلام أقدس من حفظ الحركة .

٢ - توظيف الطاقات في ضبط الرؤية الفكرية وفي ضبط منهج العمل .

٣- إحياء وممارسة أدب الاختلاف في الإسلام ، فالسلفية ليست مجرد ثراء فقهي ، ولكنها في المقام الأول تأسٍ تربوي وأخلاقي وسلوكي بما كان عليه سلفنا الصالح . ونحن في حاجة أولًا إلى (فقه الخلاف) ، بتحليل ظواهره والكشف عن أسبابه ، ثم نفهم

التناول الشرعي له ، وبعد ذلك يأتي (أدب الاختلاف) .

٤- ترسيخ قاعدة الشورى في العمل الإسلامي ، حتى يدرك كل مسلم أن رأيه محترم وله دوره وفعاليته ، وأحيانا قد يحسم المسألة .

٥- إحياء وتوسيع أبحاث (فقه السيرة) ، خاصة فقه السيرة في الخلاف وكيف عالجته السيرة .

٦- تعميق الفهم في أبعاد ظاهرة الخلاف وكيفية التعامل مع كل بعد .

٧- تربية الأفراد على ضبط قواعد الحوار واحترامها ، وفي مقدمة هذه القواعد : السماع الجيد للرأي الآخر ، وتجريد عرض الفكرة بعيدًا عن المزايدات ، وتحديد نقطة الخلاف بدقة .

٨- الاهتمام بالنقد الإيجابي البنّاء ، الذي يعطي البديل لما يُرفض لا الذي يقف عند حد الرفض المجرد(١) . **وأضيف :**

٩ - سعي العلماء الحثيث دون يأس أو ملل للعمل على جمع الكلمة وتوحيد الصف بين العاملين للإسلام .

١٠ - تواصل الأمراء والعلماء لعمل خطة عمل تشمل كل الجهات المعنية في دولة الإسلام لهذه الوحدة ؛ مع تذليل جميع العقبات التي تؤخرها أو تمنعها .

ولابد أن يعلم أن الطريق ليس ممهدا ، بل هو طريق وعر مليء بالصعوبات ، ولكن لابد من سلوكه إن كنا نريد الخير لأنفسنا ولأمتنا .. إنه طريق بناء الذات .. طريق إحياء الأمة وبعثها من جديد ، وهذا لا يكون إلا باجتماع أهل السنة على كلمة واحدة لسلوك طريق البناء وتحمل مشاقه .

لابد من سلوك الطريق الطويل الشاق البطيء الثمرة لإحياء الأمة التي تسند حكم الإسلام حين تقوم ، وتظل تسنده لكي يستمر في الوجود بعد أن تقوم ؛ ولا يتم إحياء الأمة إلا على دعوة التوحيد الواضحة التي جاء بها الرسول ﷺ دون خلط أو نقص .

---

(١) انظر تلخيص الكتاب في مقال للدكتور حسن حسن إبراهيم ، بمجلة البيان (عدد ٤١) ص ٥٧ - المحرم ١٤١٢ - يوليو ١٩٩١.

ويتم ذلك عبر مراحل من البناء ترتكز على :

١ - تصحيح مفهوم العقيدة ، وتخليصها مما شابها .

٢ - بناء الشخصية المتميزة لأفراد الأمة التي تفهم الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، فيقيموا حياتهم على قواعد الإسلام ، فتتميز شخصيتهم ، ويصبح عندهم الحس بما يؤخذ وما يُترك من الآخر .

٣ - إحياء التوجه الإسلامي في حياة المسلمين ، بالانطلاق بهذا المفهوم انطلاقًا جادًا يتربى خلاله الأفراد على العقيدة والأخلاق الإسلامية ومنهج الإسلام في التعامل مع جميع المعسكرات والمجتمعات البشرية ؛ عندها تتميز الذات الجمعية .

ولا يتم ذلك إلا بأمور :

الأول : الوحدة - التي أسلفنا القول عنها - بين جماعات أهل السنة ، والتي سبيلها كما ذكرنا (**الاجتماع على ما اتفقنا عليه والحوار فيما اختلفنا فيه**) .

الثاني : **إعداد الكوادر التي تقوم ببناء الأمة على جميع الأصعدة** : عقديا وتربويا وعسكريا وإعلاميا ، إعدادًا صحيحًا يهتم ببناء هذه الكوادر على الصبر والاحتساب والتحمل والفهم لحقيقة البناء وصعوبة الطريق وبطء الثمرة .

فلابد من صفوة (نخبة) تحمل الحق .. و أمة تحمي هذا الحق ؛ أمة قامت على مرتكزات عقائدية ثابتة ؛ فصار لها ولاء ثابت ، وهوية ثابتة ، وشخصية متميزة ثابتة ، وتوجه ثابت .

الثالث : اجتماع العلماء لعمل خطة عمل شاملة لهذا البناء منهجا وزمنا ، على أن توضع هذه الخطة موضع التنفيذ .

وبهذا يمكن للأمة أن تنطلق من واقع : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة : ٢١٧] ؛ لتصل إلى مستقبل : ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة : ٣] ، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران : ١٢٠] وذلك بحول الله وتوفيقه ثم بجهدنا على إحياء وبناء الأمة .

* * *

معالم الحوار مع الذات

الحوار مع الذات هو حوار رحمة وتعاطف وتواد وشفقة ، يحفه الإخلاص والتجرد ، وينطلق من تقوى الذات للّه تعالى ؛ هكذا يجب أن يكون ، ولذلك فإن لهذا الحوار معالم لابد أن تكون ظاهرة فيه ليتم في جو إيماني أخوي ، قلوب أطرافه متعلقة باللّه يرجون رحمته ويخافون عذابه ؛ وأول هذه المعالم :

التقوى والإخلاص والتجرد

إنها مصطلحات يعرفها المسلمون ، وتتجلى معانيها في جوانح جميعهم ، على اختلاف في فهم المراد منها قربا وبعدا حسب العلم والعمل ؛ ولسنا بصدد بيان ذلك ، ولكن يكفينا أن نقول : أن التقوى باعثة على الخوف من اللّه تعالى الباعث على العدل والإنصاف وعدم الظلم والاعتساف ؛ وأن **الإخلاص** هو شرط قبول العمل وحصول الأجر ، وهو باعث على إتقان الحوار ومحاولة إقامته على ما يرضي اللّه تعالى ؛ وأما **التجرد** فمرادنا منه هنا ؛ ألا يحمل المحاور أحكاما ونتائج مسبقة يدور حولها ، وإنما يكون مهيئا لقبول الحق إن ظهر على لسان أخيه المحاوَر .

فإن صدق المتحاوران في ذلك ، فأنا على ثقة بتوفيق اللّه تعالى لهما ؛ فإنه تعالى قال : ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء : ٣٥] ، وهذا في شأن ما يحدث بين رجل وامرأة من المسلمين ، فواللّه لشأن إصلاح الأمة أعظم ؛ وليكن شعار هذا الحوار : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال : ١] .

الثاني : المؤمنون إخوة :

هذا هو المعلم الحاضر الغائب ، وهو من أهم معالم الأمة الإسلامية ، فإنما بنيت الأمة أول ما بنيت على الاعتصام بحبل اللّه والأخوة الإيمانية ؛ قال اللّه تعالى : ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران : ١٠٣] . هذه الأخوة التي تضافرت الأدلة على أنها مقدمة على جميع الوشائج ، والتي لابد وأن تكون واقعا فاعلا في الأمة ؛ تجعل أفرادها

جسدا واحدًا بقلب واحد ، ففي الصحيحين عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** »[١] .

إن استشعار هذه الأخوة بأبعادها الإيمانية ومقتضياتها عند الحوار ليضفي على هذا الحوار روح الود والتراحم والتعاطف ، ويبعث على محاولة إنقاذ هذا الجسد [الأمة] الذي اشتكى معظم أعضائه .

الثالث : النصح والأخذ على يدي الظالم :

تقدم معنا أن الحوار إنما يقوم على العدل والإنصاف ، هذا على العموم ، وللمسلم خصوصية لابد من استحضارها وهي : **النصح العام والأخذ على يده إن ظلم** ، ففي صحيح مسلم عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ** » قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : « **لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ** »[٢] .

وفي صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا** » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ ! قَالَ : « **تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ** »[٣] .

وروى مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : اقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَغُلَامٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَنَادَى الْمُهَاجِرُ أَوْ الْمُهَاجِرُونَ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ؛ وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ : يَا لَلْأَنْصَارِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « **مَا هَذَا ؟ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ !** » قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَّا أَنَّ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ، قَالَ : « **فَلَا بَأْسَ ، وَلْيَنْصُرْ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا : إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ** »[٤] .

---

(١) البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) .

(٢) مسلم (٥٥) .

(٣) البخاري (٢٤٤٤) .

(٤) مسلم (٢٥٨٤) .

الرابع : وحدة الهدف وتوحيد الراية :

لابد لأطراف الحوار مع الذات أن يستحضروا - قبل الحوار وأثناءه - الهدف من هذا الحوار وهو (**توحيد الأمة قربة لله تعالى**) ، وأن يستشعروا أن هذا الهدف بات فرضًا لابد من بذل الوسع لإتمامه مستعينين بالله ، وأن الإخفاق فيه كارثة على الأمة ؛ وقد تقدم الحديث عن الطريق إلى وحدة المسلمين... نريد راية واحدة متوحدة لا رايات متعددات .

إن أعداء الإسلام والمسلمين يخططون من زمن بعيد لتفريق الأمة والحيلولة دون اجتماعها وتوحدها مهما بلغ الثمن ، وعلى العاملين في الساحة الإسلامية أن يكونوا على بصيرة من أمرهم ؛ وفي كتاب (قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله) للأستاذ جلال العالم نقول كثيرة من أقوال قادة الغرب ، منها :

١- يقول القس سيمون : إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية ، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية ، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية .

٢- ويقول المبشر لورنس براون : إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية ، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطرًا ، أو أمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير !! ويكمل حديثه فيقول : يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير .

٣- ويقول أرنولد توينبي في كتابه (الإسلام والغرب والمستقبل) : إن الوحدة الإسلامية نائمة ، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ[1] .

وهكذا يتناقل قادة الغرب هذه المقولات بمعناها وتظهر على ألسنتهم بين الفينة والفينة عبارات من طراز : إن الأصولية الإسلامية لا يمكن وصفها إلا أنها أخطر من الشيوعية ، كما ورد على لسان ويلي كلاس أمين عام حلف الأطلسي ؛ أو : إن على أمريكا رسم سياسة واستراتيجية شاملة لمواجهة الخطر الإسلامي ، كما صرح نيوت جنجرتش

---

(١) انظر كتاب (قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله) لجلال العالم ، ففيه غيرها من النقول .

زعيم الكونجرس الأمريكي(١) ؛ حتى قال بوش الابن وهو يُعد للحرب على أفغانستان : هذه حرب صليبية . وفي مجلة (شئون دولية) البريطانية عام ١٩٩٠: إن الإسلام هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة ، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلي وحقيقي للغرب(٢) .

قال اللّه تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨] . فهل تعي الأمة الدرس ، ويسعون في توحيد الكلمة وجمع الصف ولم الشمل ؟؟

الخامس : فهم الاختلاف والتأدب بآدابه :

الاختلاف : نقيض الاتفاق ، ومرادنا بفهم الاختلاف : أن يفهم المحاور ابتداءً أن الخلاف سنة كونية ، وإرادة إلهية كونية ، قال اللّه تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] والتعايش في ظل هذا الاختلاف لابد منه ، مع السعي لمحاولة إزالة الخلاف وتقريب وجهات النظر ؛ قال ابن القيم - رحمه اللّه : ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه ؛ لتفاوت إراداتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه ، وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب ، وكل من المختلفين قصده طاعة اللّه ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف ، فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية ، ولكن إذا كان الأصل واحدا والغاية المطلوبة واحدة والطريق المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف ، وإن وقع كان اختلافا لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة ، فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد وهو كتاب اللّه وسنة رسوله ، والقصد واحد

---

(١) انظر مقال (بدعة جديدة تفسير التاريخ أصوليًا) للدكتور عبد اللّه عمر سلطان - مجلة البيان العدد (٨٨) ص٧٢ - ذو الحجة ١٤١٥ - مايو ١٩٩٥.

(٢) نقلا عن مقال (هل تحذر الأمة سلاح الفتن والتشرذم) د توفيق الواعي - مجلة المجتمع العدد (١٣٨٩) ص ٤٣.

وهو طاعة اللّٰه ورسوله ، والطريق واحد وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة(١) . وقال ابن تيمية - رحمه اللّٰه : وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها ، على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم : كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة وغير ذلك ... وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة ، ودل الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم . وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحي ، وتعذيب الميت ببكاء أهله ، ورؤية محمد ﷺ ربه قبل الموت ؛ **مع بقاء الجماعة والألفة**(٢) .

وقال يونس الصدفي : ما رأيت أعقل من الشافعي ، ناظرته يوما في مسألة ، ثم افترقنا ، ولقيني فأخذ بيدي ، ثم قال : يا أبا موسى ، **ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة**(٣) ؛ هذا هو الفهم المطلوب ، خلاف مع بقاء الود والأخوة والألفة ؛ ولذا شاع بين أهل العلم : الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية .

ولا ينبغي أن يفهم كلامنا على غير مقصدنا ولا أن يحمل على غير محمله ؛ فالخلاف - كما هو معروف - منه المعتبر ومنه غير المعتبر ، ومنه ما وسع السلف قبوله ومنه ما لم يسعهم قبوله ؛ ومرادنا أن يسعنا ما وسع سلفنا من الخلاف ؛ ولما كتب إسحاق بن بهلول كتابًا وسمَّاه كتاب (كتاب الاختلاف) قال له الإمام أحمد - رحمه اللّٰه : سمه (كتاب السعة)(٤) ؛ ولا يمنع هذا من الحوار ، ومن أن يبين كلٌّ حجته ودليله ، لكن المحذور البغي والظلم والاتهام .

ولا يعني كلامنا - أيضا - أن كل أهل الخلاف معذورون في اختلافهم عند اللّٰه تعالى ، فإن من وقع منهم الاختلاف بسبب أهوائهم وشهواتهم غير معذورين ، ولذلك تخلفت عنهم رحمة اللّٰه تعالى التي كتبها للذين يتبعون هداه ويخالفون أهواءهم

(١) الصواعق المرسلة ٢ / ٥١٩.
(٢) مجموع الفتاوى، ١٩/١٢٢ - ١٢٣.
(٣) انظر سير أعلام النبلاء: ١٠ / ١٦.
(٤) انظر طبقات الحنابلة: ١ / ١١١؛ في ترجمة إسحاق بن بهلول (١٢٧) .

وشهواتهم ، ولذا قضى اللَّه عليهم بالعذاب ما لم يتوبوا .

إنما يعذر في الاختلاف الذي يكون سببه الجهل وفساد التأويل فيما يعذر المخالف فيه بجهله أو بفساد تأويله مما لا يكون معلومًا من الدين بالضرورة ، أو مما يجب على كل مسلم أن يعرفه ، وهذا النوع من الاختلاف يجب فيه تعليم الجاهل ، وبيان فساد التأويل للمتأول ، مع التأكيد على المخالف أنه إذا أصر على الخلاف بعد البيان يكون متبعًا لهواه مفارقًا للجماعة التي من شذ عنها شذ في النار .

وهناك خلاف أعذر اللَّه فيه المخالفين من المجتهدين في فقه الأحكام العملية فيما يجوز فيه الاجتهاد ، ولأنهم استفرغوا الوسع وبذلوا الجهد ولم يتبعوا أهواءهم فقد وعدهم اللَّه الأجر حتى مع الخطأ[1] .

وقد حرر ذلك ابن القيم - رحمه اللَّه - مسألة الخلاف فقال : الاختلاف في كتاب اللَّه نوعان :

أحدهما : أن يكون المختلفون كلهم مذمومين ، وهم الذين اختلفوا بالتأويل وهم الذين نهانا اللَّه سبحانه عن التشبه بهم في قوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [آل عمران : ١٠٥] ، وهم الذين تسوَّد وجوههم يوم القيامة ، وهم الذين قال اللَّه تعالى فيهم : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة : ١٧٦] ، فجعل المختلفين كلهم في شقاق بعيد ، وهذا النوع هو الذي وصف اللَّه أهله بالبغي ، وهو الذي يوجب الفرقة والاختلاف وفساد ذات البين ويوقع التحزب والتباين .

والنوع الثاني : اختلاف ينقسم أهله إلى محمود ومذموم ، فمن أصاب الحق فهو محمود ، ومن أخطأه مع اجتهاده في الوصول إليه فاسم الذم موضوع عنه ، وهو محمود في اجتهاده معفو عن خطئه ؛ وإن أخطأ مع تفريطه وعدوانه فهو مذموم .

ومن هذا النوع المنقسم قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ

---

(١) انظر مقال حاجة الدعاة المسلمين إلى المراجعة للدكتور : محمد رشاد خليل - مجلة البيان عدد ٩ ص ٣٠.

بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى : ١٠] .

والاختلاف المذموم كثيرًا ما يكون مع كل فرقة من أهله بعض الحق فلا يقر له خصمه به ، بل يجحده إياه بغيًا ومنافسة ، فيحمله ذلك على تسليط التأويل الباطل على النصوص التي مع خصمه ، وهذا شأن جميع المختلفين بخلاف أهل الحق فإنهم يعلمون الحق من كل من جاء به ، فيأخذون حق جميع الطوائف ويردون باطلهم ، فهؤلاء الذين قال اللَّه فيهم : ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، فأخبر سبحانه أنه هدى عباده لما اختلف فيه المختلفون . وكان النبي ﷺ يقول في دعائه : « **اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** »(١) .

فمن هداه اللَّه سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ، ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه ، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه ، فهو ممن هدى لما اختلف فيه من الحق ، فهذا أعلم الناس وأهداهم سبيلا وأقومهم قيلا ، وأهل هذا المسلك إذا اختلفوا فاختلافهم اختلاف رحمة وهدى ، يقر بعضهم بعضًا عليه ويواليه ويناصره ، وهو داخل في باب التعاون والتناظر الذي لا يستغني عنه الناس في أمور دينهم ودنياهم ، بالتناظر والتشاور وإعمالهم الرأي وإجلائهم الفكر في الأسباب الموصلة إلى درك الصواب ، فيأتي كل منهم بما قدحه زناد فكره وأدركته قوة بصيرته ، فإذا قوبل بين الآراء المختلفة والأقاويل المتباينة ، وعرضت على الحاكم الذي لا يجور وهو كتاب اللَّه وسنة رسوله ، وتجرد الناظر عن التعصب والحمية ، واستفرغ وسعه ، وقصد طاعة اللَّه ورسوله ، فقل أن يخفى عليه الصواب من تلك الأقوال ، وما هو أقرب إليه ، والخطأ وما هو أقرب إليه ، فإن الأقوال المختلفة لا تخرج عن الصواب وما هو أقرب إليه ، والخطأ وما هو أقرب

---

(١) رواه مسلم (٧٧٠) عن عائشة رضي اللَّه عنها .

إليه ، ومراتب القرب والبعد متفاوتة ، وهذا النوع من الاختلاف لا يوجب معاداة ولا افتراقًا في الكلمة ولا تبديدًا للشمل فإن الصحابة ﷺ اختلفوا في مسائل كثيرة من مسائل الفروع كالجد مع الإخوة ، وعتق أم الولد بموت سيدها ، ووقوع الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ، وفي الخلية والبرية والبتة ، وفي بعض مسائل الربا ، وفي بعض نواقض الوضوء وموجبات الغسل ، وبعض مسائل الفرائض وغيرها ، فلم ينصب بعضهم لبعض عداوة ، ولا قطع بينه وبينه عصمة ، بل كانوا كل منهم يجتهد في نصر قوله بأقصى ما يقدر عليه ، ثم يرجعون بعد المناظرة إلى الألفة والمحبة والمصافاة والموالاة ، من غير أن يضمر بعضهم لبعض ضغنا ، ولا ينطوي له على معتبة ولا ذم ، بل يدل المستفتي عليه مع مخالفته له ، ويشهد له بأنه خير منه وأعلم منه ، فهذا الاختلاف أصحابه بين الأجرين والأجر ، وكل منهم مطيع للَّه بحسب نيته واجتهاده وتحريه الحق(١) .

وبعد هذا الفهم ينبغي التأدب بآداب الخلاف ؛ إذ ينبغي أن تكون المراجعة والمحاورة بحصر الخلاف ، وتعليم الجاهل ، وتنبيه المتأول ، ولزوم الناس الجماعة ؛ وبأن يكون مرد التنازع إلى اللَّه تعالى ورسوله ﷺ بفهم صحيح مع نبذ التعصب لأقوال البشر وأفعالهم ، وأن يكون الصدق وطلب الحق هو رائد المتحاورين ، وأن تكون مصلحة الأمة فوق المصالح الضيقة للأفراد والجماعات ، وأن يبتعد المتحاورون عن البغي والعدوان بعضهم على بعض ، مع الإخلاص والرحمة والشفقة والرفق وحسن الظن بالمخالف ، وقد قدمنا في شروط الحوار وآدابه ما يستغنى به عن التكرار هنا ، واللَّه المستعان(٢) .

* * *

---

(١) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢ / ٢١٤: ٢١٨.

(٢) يراجع فصل أدب الحوار ومبحث أخلاق الحوار ضمن شروط الحوار .

الحوار مع الآخر الداخلي

الآخر هم غير المسلمين ؛ فيدخل فيهم أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وغيرهم من ملل الكفر الأخرى ، كما يدخل فيهم أصحاب الأفكار الخارجة عن الإسلام كالعلمانية وأوجهها الكثيرة من ديمقراطية واشتراكية وحداثة وغير ذلك ؛ ممن يعتقد أن هذه الأفكار والمبادئ أفضل مما جاء به الإسلام والحكم بها أنفع للناس من حكم اللّٰه تعالى ، فإن هؤلاء ليسوا مسلمين وإن تسموا بأسماء المسلمين ؛ فإن كانوا يعيشون في مجتمع المسلمين (دار الإسلام) فلابد من حوار معهم ؛ فإما أن يدخلوا في دين اللّٰه تعالى ويكونوا مسلمين ، وإما أن يكون حوار يضمن التعايش السلمي وعدم الخيانة ؛ ولقد حفظ التاريخ للإسلام أنه هو الدين الوحيد الذي اعترف بخصومه (الآخر) وحفظ حقوقهم على الرغم من إنكارهم له .

فقد ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ وادع اليهود لما قدم المدينة وامتنعوا من اتباعه ؛ فكتب بينهم كتابا وكانوا ثلاث قبائل : قينقاع ، والنضير ، وقريظة ، فنقض الثلاثة العهد طائفة بعد طائفة ، فمنَّ على بني قينقاع ، وأجلى بني النضير ، واستأصل بني قريظة[١] ، وقال ابن القيم في (هداية الحيارى) : ومن تأمل سيرة النبي ﷺ تبين له أنه لم يكره أحدا على دينه قط ، وأنه إنما قاتل من قاتله ؛ وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيما على هدنته لم ينقض عهده ؛ بل أمره اللّٰه تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له كما قال تعالى : ﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ [التوبة : ٧] ، ولما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم ، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم ، فمنَّ على بعضهم ، وأجلى بعضهم ، وقتل بعضهم ، وكذلك لما هادن قريشًا عشر سنين لم يبدءهم بقتال حتى بدؤوا هم بقتاله ونقضوا عهده ، فعند ذلك غزاهم في ديارهم ، وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم أحد ويوم الخندق ، ويوم بدر - أيضا - هم جاؤوا لقتاله ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم .

---

(١) فتح الباري : ٧ / ٢٧٥.

والمقصود أنه ﷺ لم يكره أحدا على الدخول في دينه البتة ، وإنما دخل الناس في دينه اختيارا وطوعا فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى وأنه رسول الله حقا[١] .ا.هـ .

وقال في (زاد المعاد) : وثبت عنه أنه صالح اليهود ، وعاهدهم لما قَدِمَ المدينة ، فغدروا به ، ونقضوا عهده مرارًا ، وكل ذلك يحاربهم ويظفر بهم[٢] .ا.هـ .

وقال في (أحكام أهل الذمة) : قال الشافعي - رحمه الله تعالى : لم أعلم مخالفًا من أهل العلم بالسير أن رسول الله ﷺ لما نزل المدينة وادع يهود كافةً على غير جزية .ا.هـ . وهو كما قال الشافعي رحمه الله تعالى ، وذلك أن المدينة كان فيما حولها ثلاثة أصناف من اليهود : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج ، وكانت قريظة حلفاء الأوس . فلما قدم النبي ﷺ هادنهم ووادعهم مع إقراره لهم ولمن كان حول المدينة من المشركين من حلفاء الأنصار على حلفهم وعهدهم الذي كانوا عليه ، حتى إنه عاهد اليهود أن يعينوه إذا حارب ، ثم نقض العهد بنو قينقاع ، ثم النضير ، ثم قريظة . قال محمد بن إسحاق : وكتب رسول الله ﷺ يعني في أول ما قدم المدينة كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادَعَ فيه يهود ، وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم[٣] .ا.هـ .

فالحوار أولا دعوة إلى الله تعالى ، فإن استجابوا كانوا من المسلمين لهم ما لنا وعليهم ما علينا ؛ وإن لم يستجيبوا ، فليكن الأمر الثاني وهو التعايش السلمي وفق اتفاق على قيم ومبادئ من خلال عهد لا ينقض ؛ فإن نقضه حل دمه وماله[٤] .

هكذا .. فإن للسلم حوار وللحرب حوار .. للعهد حوار وللغدر حوار .. للأمانة حوار وللخيانة حوار .

---

(١) هداية الحيارى ص ١٢.

(٢) زاد المعاد : ٥ / ٩٣.

(٣) أحكام أهل الذمة : ٣ / ١٤٠٤، ١٤٠٥.

(٤) انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ، وتحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة ص ٢٤٨: ٢٦٥.

كما أنه من يرتد من المسلمين عن دينه ويصبح من (الآخر) ، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل ؛ ففي صحيح البخاري عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَرَّقَ قَوْمًا ، فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ** » وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**[١] » . ولا يخفي أن الاستتابة حوار حول هذه الردة وأسبابها وبيان الحق لرفع الشبهة وإقامة الحجة ؛ فإن أقيمت عليه الحجة ثم أبى أن يتوب ويرجع إلى الإسلام فقد وجب قتله .

بهذا يستقيم البناء الداخلي ، ولا يكون فيه من يثير القلاقل كلما أتيحت له فرصة .

وفي البناء الداخلي يقول محمود شاكر - رحمه اللّٰه - ما خلاصته : الإسلام تشريع يشمل جوانب الحياة كلها ، وأتباعه ملزمون بتطبيقه والأخذ به ، ومن لم يفعل وهو قادر يعد غير صادق الإيمان ، وربما تصل به المرحلة إلى الكفر .

ويعيش في ديار الإسلام المسلمون وأهل الكتاب ومن يلحق بهم من المجوس ، [وتؤخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس اتفاقا ، والراجح أنها تقبل من غيرهم أيضا ، كما قال ابن القيم - رحمه اللّٰه ؛ ولا يقال : إن القرآن يدل على اختصاصها بأهل الكتاب ، فإن اللّٰه سبحانه أمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، والنبي ﷺ أمر بقتال المشركين حتى يعطوا الجزية ، فيؤخذ من أهل الكتاب بالقرآن ومن عموم الكفار بالسنة ، وقد أخذها رسول اللّٰه ﷺ من المجوس وهم عبّاد النار ، لا فرق بينهم وبين عبدة الأوثان ، ولا يصح أنهم من أهل الكتاب[٢]] ؛ وتعني هذه الآية الكريمة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ أن المسلمين لا يجبرون أحد على اعتناق الإسلام ، كما لا يلزمون امرأً أن يبدل عقيدته إلى عقيدة أخرى ، وإنما يبينون الحق ويوضحون السبيل ، وعلى المرء أن يختار ما يشاء ، فإن قبل الإسلام له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وإن رضي بديانة أهل الكتاب أو المجوسية فله ذلك ، ويسمح له بالبقاء في ديار الإسلام ضمن شروط محددة منها : دفع الجزية ، وعدم مساعدة أعداء الإسلام ، وعدم إيواء أحد منهم ، وعدم دلالتهم على عورات

---

(١) البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢) .

(٢) انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم : ١ / ٨٩.

المسلمين ، وعدم إظهار ما يخالف النظام الإسلامي (ويشمل النظام جميع جوانب الحياة من سياسة ، واقتصاد ، واجتماع ، وإدارة ، وأخلاق) ، ولا العمل على الدعاية ضده أو الترويج لغيره ، وعدم التطاول على المسلمين حتى في البناء. وأما أمورهم الخاصة بدينهم ، والتي أحلوها لأنفسهم كالخمر ، ولحم الخنزير ، والسفور ، وعدم الحشمة فيمكن القيام بها وضمن مساكنهم وأحيائهم دون المجاهرة بها أمام المسلمين .

وأهل الذمة يخضعون للنظام الإسلامي على أنه تشريع ونظام للحكم ، وليس شرطا أن يؤمنوا به على أنه من عند اللّٰه . وما دام نظاما للحكم فلا يحق لهم مخالفته ، ولا التعرض له ، وهذا واجب على كل مواطن يعيش في أي بلد فيه نظام . فمن لم يحترم هذه الشروط عد خارجا على النظام ، وخائنا للعهد وأبعد عن البلاد ، أو قوتل حسبما تقتضي مصلحة الأمة ، ورسول اللّٰه ﷺ أخرج يهود بني قينقاع ، ويهود بني النضير ، وقتل يهود بني قريظة إذ كانت خيانتهم أكبر .

وميز العلماء بين المعاهدين من أهل الذمة والمحاربين منهم ، فالمعاهدون وهم الذين يبقون على عهدهم ولا ينقضونه ؛ ومن واجب المسلمين حفظه وصونه ؛ أما المقاتلون وهم الذين ينقضون عهودهم ويخونون ذمتهم ، فيخرجون ويقاتلون .. وإذا طبقنا هذا فقد أصبح الوضع الداخلي نقيا بالنسبة إلى أهل الكتاب وما يتبعهم من المجوس .

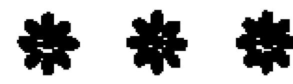
أما بالنسبة إلى المسلمين فلم يبق لهم من عذر وقد عرفوا نتيجة رفض النظام والدعوة إلى تبني غيره والعمل إلى سواه ، فإن من يفعل ذلك يعد بحكم المرتد ، وما أمامه إلا القتل أو التوبة ، وفي كلا الحالتين يصبح الوضع الداخلي نقيًا ، ولكن ربما يبقى - وهذا أمر طبيعي - بعض الناس الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر بالعمل سرا إلى نظام مخالف للإسلام ، وهؤلاء بحكم المنافقين ؛ ولكن لا يلبث أن ينتهي أمرهم إما بمعرفة الحق بعد تطبيق الإسلام حيث يجلو الأمر تماما ، وإما بمعرفة أمرهم الذي يؤدي إلى نهايتهم .

إن محاربة النظام في أي بلد من البلدان ، وفي أي قانون من القوانين يعد جريمة عقوبتها القتل ، وإن اختلفت التسميات ؛ فإذا كانت الأنظمة الوضعية تعدها خيانة فالإسلام يعدها ردة التي تعني كفرا وجحودا للنظام الإلهي ، ولا شك أن الارتباط مع دولة

معادية للإسلام محاربة لأبنائه ، خيانة لله ولرسوله ولدينه وللمسلمين جميعا ، وعقوبتها القتل ؛ وهذا ما يشبه الأنظمة الوضعية التي تعد الصلة مع دولة أجنبية في حالة حرب مع الوطن خيانة ، وتدين صاحبها بالخيانة العظمى ويحكم عليه بالموت مهما كانت صفة هذا الارتباط أو الاتصال .. ومن بينهم بلا شك أولئك الذين وضعهم المستعمرون أوصياء لهم على الشعوب لينفذوا مخططاتهم عن طريقهم[١] .

هذه صورة واضحة التصور في البناء الداخلي إذا كان المسلمون يحكمون ديارهم ويطبقون شريعتهم غير خاضعين لأي تأثير خارجي .

ولكن لابد لهم في المرحلة الانتقالية ، وهي بين ما هم يعيشون عليه الآن من تمزق وتجزئة وتقليد وهزيمة نفسية وخضوع لتأثيرات وضغوط خارجية .. وبين الوصول إلى الحكم الإسلامي ، لابد لهم من العمل على مختلف المحاور بصدق وإخلاص وعزيمة وإيمان كامل ، كي يمكنهم الوصول .



(١) انظر (مواقعنا المتأخرة وسبيل التقدم) للشيخ محمود شاكر ؛ ص ٩٣: ٩٧، باختصار وتصرف ، خاصة في مسألة أخذ الجزية من عموم الكفار ، فقد حذفت ما ذهب إليه الشيخ - رحمه الله - من القول بعدم أخذها من غير أهل الكتابين والمجوس ، وهو قول معتبر ، لكن الذي يترجح هو أخذها من عموم الكفار لفعل النبي ﷺ، وهو الذي رجحه ابن القيم وغيره، وجعلت كلامي بين معكوفتين ، ليتميز عن كلام الشيخ رحمه الله .

الفصل الثاني

الحوار الخارجي

(التعايش وبناء المشترك الإنساني مع الآخر)

- الإسلام والآخر
- نشأة مصطلح الآخر
- من الآخر ؟
- معيارية الجدل بين الذات (الأنا) والآخر
- مشروعية الحوار مع الآخر
- جدوى الحوار مع الغير (الآخر)
- أنواع الحوار مع الآخر
- الحوار بين الأديان
- الدين الحق والدين الضلال
- التقريب بين الأديان خطأ محض
- معالم الحوار الديني مع أهل الكتاب
- الحوار مع غير أهل الكتاب من ملل الكفر الأخرى
- أهم معالم الحوار مع غير أهل الكتاب من الكفار
- الحوار بين الحضارات
- الحوار بين الإسلام والعلمانية
- معالم الحوار بين الإسلام والعلمانية
- الحوار من أجل التعايش وبناء المشترك الإنساني مع الآخر

الإسلام والآخر

من المقطوع به ، والذي يعرفه القاصي والداني أن الإسلام دين شامل لجميع مناحي الحياة ؛ ولذلك فقد جاءت نصوصه واضحة جلية في بيان علاقة المسلم بربه (جل جلاله) ، وعلاقة المسلم بأخيه المسلم ، وعلاقة المسلم بغيره (الآخر) ، كما نظم الإسلام علاقة دولة الإسلام بغيرها من الدول سلمًا كان ذلك أو حربًا ؛ كل ذلك في غاية من الحسن والمصلحة للبشرية جمعاء ؛ وإذا استعرض عاقل متجرد نصوص الكتاب والسنة وسيرة النبي ﷺ يقف على ذلك يقينا .

وعبر تاريخ المسلمين لم تبرز قضية (الآخر) في حيز اتهام للمسلمين بأنهم لا يقبلونه أو لا يحسنون التعامل معه ؛ بل حفظ التاريخ للمسلمين أنهم خير من تعامل مع الآخر وحفظ له حقوقه في السلم والحرب .

وفي الآونة الأخيرة - كما يقول د محمد يحيى : أصبحت قضية ما يسمى (بالآخر) تشغل حيزًا واضحًا في الطروحات الثقافية على الساحة العربية ، لاسيما في مجال مواجهة الفكر الإسلامي ونقده ، حيث توجه تهمة رئيسة الآن إلى هذا الفكر بأنه لا يعترف بالآخر ، ولا يفقه التعامل معه ، بل لا يضع قضية الآخر برمتها في الحسبان ويُرمى الفكر الإسلامي بهذه التهمة من قِبَل رموز العلمانية على امتداد ساحة العالم العربي الفكرية ، كما تبنى على هذه التهمة اتهامات فرعية ، تتعلق بدعوى ضيق الأفق ، والانغلاق ، والتعصب وما شابه ذلك ؛ وتقترن بهذه القضية أو هذا الطرح مسائل أخرى ، أصبحت مشهورة ثقافيًا في الفترة الأخيرة كقضية التعددية ، والتفاعل الفكري الحضاري ، وإسقاط مفهوم الهوية والذاتية ، وتجنب الحديث عن الغزو الفكري والثقافي ، باعتبار أن كل هذه المسائل تعالج قضية الآخر وتحلها ، وفي الوقت نفسه ينشغل بعض المثقفين الإسلاميين بالرد على الطروحات الدائرة في فلك قضية الآخر ، بتوضيح انفتاحية الإسلام وقدرته على التواصل الحضاري ، وسماحته الدينية ، وعدم تبنيه مفاهيم ضيقة حول الهوية والذات ... الخ .

ولكن في خضم هذه الطروحات والطروحات المضادة ، تغيب حقائق واعتبارات

مهمة يغفلها عمدًا أو سهوًا من أتوا بقضية الآخر إلى الساحة الفكرية ، كما إن عدم تعرض من يتصدون بالرد من الجانب الإسلامي لها يضعف من فاعلية دورهم .. ومثلما هي الحال في كثير من القضايا الثقافية المطروحة ، ولاسيما في مجال المواجهة بين الإسلام والفكر العلماني ، فإن المطلوب هو كسر حلقة الرتابة في طرح القضية وإدارتها بدلًا من الاندماج الطوعي غير الواعي في داخل هذه الحلقة مما ينتهي إلى العقم وعدم الجدوى(١) .

إن (الآخر) موجود من الناحية العملية والواقعية ، وهو محل الدعوة ، وأحد أطراف الحوار والجدال ، وأحد ميادين سنن المدافعة ، واستمرار التاريخ البشري ، والاعتراف بوجود الآخر لا يعني إقراره على ما هو عليه ، وهذه إشكالية بعض الذهنيات الإسلامية ، حيث يقع الخلط بين الاعتراف بالآخر ، وبين الإقرار بصحة عقيدته ودينه ؛ ذلك أن الله لم يخلق الخلق نسخًا مكررة عن بعضهم ، ولو كان ذلك كذلك لانتهى التاريخ ، وتوقفت سنن المدافعة ، التي تأذن بامتداد الحياة واستمرار الضرب بين الحق والباطل : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ﴾ [الرعد : ١٧] .

وقد لا نكون بحاجة إلى التأكيد على أن القرآن أفرد مساحات تعبيرية هائلة للحديث عن الآخر : عقيدته ، وعباداته ، وعاداته ، وتاريخه ، وعلل تدينه ، وأسباب سقوطه ، إلى درجة يمكن أن نقول معها : إن القرآن يمكن أن يعتبر من بعض الوجوه كتابًا في التاريخ الحضاري ، أو في الشهود الحضاري الإنساني ، حيث عرض للحضارات الإنسانية كمختبر للفعل الإنساني ، والسنن والقوانين الاجتماعية التي حكمت سقوطها ، وتحديد أسباب السقوط ، واستخدم ذلك وسيلة إيضاح لبيان أسباب السقوط والنهوض ، لتكون الأمة المسلمة ، أمّة الرسالة الخاتمة الشاهدة على الناس ، على بينة من الأمر ، فلا تنتقل إليها علل التدين وأسباب السقوط ، يقول تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٧ : ١٣٨] . وقال تعالى : ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا

---

(١) د محمد يحيى في مقال له بعنوان (قضية الآخر في كتابات المثقفين العرب) بمجلة البيان العدد (٧٥) ص١٠٨ – ذو القعدة ١٤١٤ – أبريل ١٩٩٤، باختصار .

أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم : ٤٥] ؛ إن هذا المسح الحضاري ، وهذا الشهود التاريخي الحضاري ، الذي يقدمه القرآن للأمة الشاهدة على الناس ، وهذا الوعي (بالآخر) ، ومعرفة الخارطة الحضارية والفكرية والأنماط الحياتية التي لابد أن يبصرها المسلم ليؤدي دوره في الشهادة والقيادة وإلحاق الرحمة بالناس على بصيرة ، هو جزء لا يتجزأ من بناء الوعي بالذات[1] .

ومن هنا فسأحاول في هذا الفصل الإلمام بجوانب موضوع (الآخر) من حيث نشأة مصطلح الآخر ، ومن هو الآخر ؟ ومعيارية الجدل بين الأنا والآخر ؛ ثم مشروعية الحوار مع الآخر ، وهل هناك جدوى من الحوار معه ؟ وما هي معالم هذا الحوار ؟

نشأة مصطلح الآخر

لم يعرف هذا المصطلح في كتابات المسلمين ولا في مصطلحاتهم الجدلية ، بل ولا في الكتابات الفلسفية عند الأولين من غير المسلمين ؛ وإنما مفهوم أو مسألة (الآخر) – كما يقول د محمد يحيى : تستند أساسًا إلى تراث أوروبي فكري وفلسفي بعيد الغور وطويل التاريخ ، فهو متأصل مثلًا في النزعة (الإنسانية) أو بالأصح الفردية ، التي غلبت على الفكر الغربي فيما يسمى عصر النهضة وما تلاه من عصور فلسفية ، حيث تضخم إحساس الإنسان الفرد بذاته وشخصيته وكيانه ومشاعره ورغباته وتطوره ومصالحه ، إلى حد أصبح معه هو وليس الرب أو الإله أو الأمة أو المجموع البشري محور التفكير والهم الأول والأسبق ، وإزاء هذا التضخم والمحورية للذات المفردة ، وتحولها إلى عالم واسع من الأفكار والمشاعر والرغبات والمصالح تدور حول نفسها في أنانية طاغية أصبح (الآخر) وهو الأفراد ، أو الكيانات ، أو الذوات الأخرى مشكلة أو قضية تفرض نفسها من حيث كيفية التعامل مع هؤلاء ، وتحقيق الذات في مواجهتهم أو على الأقل بتنسيق معهم ، أو دون الدخول في صراع معهم ، أو بالدخول في صراع معهم والفوز في هذا الصراع .

باختصار شديد فإن قضية الآخر نشأت فقط في ظل تضخم وتمدد الإحساس

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (نحن والحضارة والشهود) ص ٣٣: ٣٥ باختصار .

(بالأنا) المفردة ، أو بالذات والكيان والشخصية الفردية إلى حد أصبح معه إيجاد مجال لما هو خارج الفرد أو لما هو غير الذات مشكلة تتطلب الحل ، وتتطلب التفكير في أبعادها ومضامينها ... النزعة الفردية الغربية المسماة أحيانًا أو في أصلها (بالإنسانية) هي الرحم الأول الذي ظهرت فيه قضية الآخر ، والتي ظهرت تجلياتها تباعًا في الفلسفات والمذاهب الفكرية الغربية المختلفة حتى العصر الحالي ، ففي فلسفة هيجل المنطقية ، وفي مفهوم الحد والذات غير المطلقة في كلامه عن النفس والروح والتاريخ يصبح الآخر ضرورة حتمية تلازم الذات المفردة ، وتحتم عليها التعامل معها ، وإذا كانت الذات والآخر هنا أفرادًا أو مفاهيم ، فإن الذات والآخر في فلسفته عن التاريخ تصبح أممًا وجماعات ودولًا يجري التصارع والتناقض بينها على هذه الأسس ، وقد انعكس هذا المفهوم الهيجلي عن الذات والآخر على أفكار ومذاهب سياسية وقانونية كثيرة طيلة القرن التاسع عشر والعشرين ، رأت في غلبة الأنا وإطلاقها بالتغلب على الآخر ، أو استيعابه من خلال (الجدلية) الهيجلية المشهورة ، الحل الأكيد والهدف الأسمى الذي تسعى إليه .

والفلسفة النفعية الإنجليزية الشهيرة في منتصف القرن التاسع عشر ، وما تمخض عنها بعد ذلك من مذاهب في علم النفس والاجتماع والسياسة ، وقبل كل ذلك في الأخلاق والسلوكيات ، قدمت هي الأخرى طرحها الخاص لقضية (الآخر) ، أو (الأنا) التي لا يشغلها شيء سوى (حساب اللذة) والحصول عليها بأعظم درجة ، حيث تصبح المشكلة هنا هي كيفية إجراء هذا الحساب للذة والتعظيم للفرد وللأنا في وجه الآخر ، أو بالتنسيق معه وحيث تصبح المشكلة الكبرى في هذا المذهب وما تفرع عنه من مذاهب ليبرالية وبراجماتية ، هي تحقيق مصالح ولذات وسعادة الأفراد والذوات المادية داخل مجتمع مكون من (ذوات) فردية متضخمة الإحساس بكياناتها ، وكل منها هو (الأنا) لنفسه و (الآخر) بالنسبة لغيره ، وتظهر قضية الآخر في مباحث الإدراك المعرفي عند (الظواهرية) في مطلع القرن العشرين حيث رأت هذه الفلسفة أن عملية اكتساب المعرفة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بذات العارف الفردية ، التي تسعى لاستكشاف الآخر المعرفي أو

النفسي أو الشخصي ، وكذلك تظهر قضية الآخر في بعض الفلسفات الوجودية ، ولاسيما في فلسفة (سارتر) ومن لف لفه من الفلاسفة الفرنسيين والأمريكيين وغيرهم ، وهي تظهر هنا على المستوى الفردي البحت حيث يكون هدف الذات المفردة هو (تحقيق الذات) في إطار يكون فيه (الجحيم هو الآخرون) وفق عبارة (سارتر) المشهورة والتي ترى في الآخر (الغريب) الذي ينبغي الدخول في علاقة ما معه ، ولكن فقط في إطار أو سياق تحقيق الأنا لذاتها .

وأخيرًا وعلى مدى العقدين الماضيين تبرز قضية (الآخر) في الفكر الأوروبي الثقافي بعامة ، وعلى كل المستويات الفلسفية والاجتماعية وحتى (الأنثروبولوجية) لتعالج قضية الحضارة الغربية في مواجهة المشكلات المترتبة على العهد الاستعماري القديم والإمبريالي الجديد من تعاملات مع شعوب وثقافات ما يسمى بالعالم الثالث ، ومع الأقليات الكبيرة العرقية والدينية واللغوية والثقافية التي نشأت داخل الدول الأوروبية ثم الأمريكية ؛ بسبب عوامل عديدة كالهجرة والعلاقة الاستعمارية ، وهذا الطرح الأخير هو الذي نقله إلى الساحة الفكرية العربية عناصر النخبة العلمانية في إطار سياستهم الدائبة في المحاكاة والنقل والاستيراد لما يروج في ساحات الفكر الغربي ، وكذلك في إطار استخدام هذه النخبة لأدوات فكرية غربية كأسلحة في حرب المواجهة مع الإسلام ومنهجه .

والخلاصة هي : أن مسألة (الآخر) لا تقوم بل ولا يكون لها معنى إلا في ظل حالة من تضخم الشعور بالأنا أو بالذات الفردية أو الجمعية أو المعنوية إلى حد تصبح معه علاقاتها مع أي كيان خارجها (الآخر) سواء أكان فرديًا أو جمعيًا مشكلة من حيث أنه قد يعرقل أو يحد من أهم وقائع هذه الأنا أو الذات في تحقيق نفسها بالمعنى الشامل معنويًا أو ماديًا ، مما يستتبع أن يكون هناك مشكلة (الآخر) ، وقد تفرقت أنواع الحلول والاتجاهات الغربية في مشكلة الآخر بين ما سُمي بنفي الآخر أو سحقه والقضاء عليه ؛ وهذا في حالات الصراع بين القوميات ، وبين الثقافة الاستعمارية النصرانية العلمانية والثقافات المستعمَرة .. وبين محاولات الحوار والاستيعاب بالتعددية على درجات داخل

كيان موحد أوسع ... الخ[١] .

هذه هي نشأة (جدل الأنا والآخر) في الفكر الغربي العلماني والذي نحن (المسلمون) الآخر بالنسبة له ؛ فمفهوم هذه القضية عندهم وما يتعلق بها من حوار ليس هو الاعتراف بالآخر وإقرار حقوقه وحريته في اختيار عقيدته ومنهجه الذي يعيش به ، أو الحوار معه على ما قدمنا من شروط وآداب للوصول إلى الحق كما هو أساس قضية الحوار ؛ وإنما الآخر عندهم (سحق أو استيعاب) ، وكما يقول د عمر عبيد حسنة : إن فكرة الصراع الحضاري أو التحدي الحضاري ، أو ما يسمى صراع البقاء للأقوى ، أو الصراع الطبقي ، هي الأساس الذي تقوم عليه الحضارة الغربية ، بمذاهبها المتعددة ، وتطبيقاتها المتنوعة .. والصراع يعني - فيما يعني - محاولة إلغاء الآخر بشتى الأساليب والوسائل ، لذلك فإن أية حضارة أو ثقافة تفتقد النزوع الإنساني ، وتقوم على العرق أو الجنس ، أو اللون ، أو الطبقة ، هي حضارة تمييز وتعالٍ بطبيعتها .. الأمر الذي يقودها إلى الاعتقاد بأن البقاء مرهون بإلغاء الآخر ، لذلك تصبح الطبيعة العدوانية من أخص خصائصها ، إن لم نقل : إنها في الأصل تقوم على الفكرة العدوانية ؛ لأنها تنظر إلى الآخر نظرة دونية ، وتحاول أن تصرعه وتتغلب عليه ، وهذا يستدعي استعماره واسترقاقه ، واستنفاد طاقاته ، ليبقى صريعًا .

من هنا ، قلنا : بأنها لا تستطيع أن تعيش بدون عدو ، يضمن تماسكها ، واستمرارها .. فإن لم يكن لها عدو ، فلتصنع عدوًا .. وإن لم تستطع صناعة الأعداء ، لاستمرار التعبئة والمواجهة ، ترد سهامها إلى ذاتها ، فتتآكل من داخلها ، أو يتحول عدوانها إلى الداخل .

وفي ضوء ذلك ، يمكن أن نفسر دوافع الحملات الصليبية على العالم الإسلامي ، كما نستطيع أن نفسر دوافع الاستعمار الحديث الذي لم يختلف عن الحملات السابقة إلا بوضع الصليب ، الشعار المستفز لعالم المسلمين .. ويمكن أن نفسر في ضوئه - أيضًا -

---

(١) انظر مقال (قضية الآخر في كتابات المثقفين العرب) د محمد يحيى - مجلة البيان العدد (٧٥) ص١٠٨ - ذو القعدة ١٤١٤ - أبريل ١٩٩٤.

الحروب الكونية العالمية التي جاءت من أخطر صور العدوان وأعظمها ضحايا .. هذا على مستوى الموقف العدواني من الآخر ثقافة وحضارة[١] .

ولئن كان هذا هو الأساس الذي يقوم عليه الفكر الغربي وحضارته ؛ فإن الإسلام الذي هو منهج الحق - بلا ريب - قد اعترف بوجود الآخر وحاوره ، فمن دخل منهم في الإسلام طواعية قبله وعده من أهله ، ومن لم يقبل خيَّره بين أن يعيش في كنف الإسلام بموجب عقد الذمة الذي يحفظ حقوقه في مقابل أن يدفع الجزية وينقاد لحكم الإسلام ، فيكون بذلك آمنا على نفسه وماله وأهله وعرضه ودينه الذي اختاره ؛ وعلينا دفع من قصدهم بسوء من المسلمين وغيرهم إذا كانوا في بلاد الإسلام ؛ أما إذا سكنوا دار الحرب لم يجب الدفع عنهم[٢] . فإن أبوا إلا قتال المسلمين وحربهم ، فليس هناك خيار إلا قتالهم .

من الآخر ؟

قد قدمنا في الفصل السابق معنى الذات (الأنا) وما يتعلق بها ؛ فيبقى مهمًا تحديد مفهوم الآخر ؛ فكما يقول د محمد يحيى : إن البداية الحقيقية للتعامل مع قضية الآخر تكون بفهمها وفهم سياقها الحضاري الفكري الأصلي ، وتتبع هوية وهدف من يطرحونها[٣] . وفي نفس السياق يقول د عمر عبيد حسنة : إن الإحاطة (بالآخر) هي التي تؤهلنا للحوار معه ، ذلك أن خلفيته الفكرية هي التي تشكل ذاكرته وتصوغ شاكلته الثقافية ، وتاريخه يبين لنا مدى تمكن هذا لخلفية من سلوكه واستجاباته ، وواقعه الذي يمثل مستقبل تاريخه هو الذي يبصرنا بمشكلاته وكيفية التعامل معه . وهنا قضية نعتقد أنها على غاية من الأهمية ، وهي أن ننطلق في الحوار من معرفتنا (بالآخر) بكل مكوناته

---

(١) انظر تقديمه لكتاب (الإسلام وصراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٣١، ٣٢ - كتاب الأمة رقم ٤٤.

(٢) انظر تحرير الأحكام لابن جماعة ص ٢٥٣.

(٣) المصدر السابق.

- كما أسلفنا- والتعامل معه من خلال ذلك وليس من خلال ما نريد ونتمنى[(١)] .

ومما لا يغيب عن بداهة مسلم أنه إذا ذكر (الآخر) مقابل (الذات) ، فإنه يعني : غير المسلمين على اختلاف مللهم ونحلهم ، فيدخل فيهم أهل الكتاب وغيرهم من الملل ؛ كما يدخل فيهم أصحاب الأفكار الخارجة عن الإسلام كالعلمانية وأوجهها الكثيرة من ديمقراطية واشتراكية وحداثة وغير ذلك ؛ فمن يعتقد أن هذه الأفكار والمبادئ أفضل مما جاء به الإسلام ، والحكم بها أنفع للناس من حكم اللّٰه تعالى ؛ فإن هؤلاء ليسوا مسلمين وإن تسموا بأسماء المسلمين .

وسواء أكان هؤلاء يعيشون في مجتمع المسلمين (الداخل) أو يعيشون خارج مجتمع المسلمين (الخارج) ؛ وقد قدمنا الحديث عن من يعيشون داخل مجتمع المسلمين ؛ وهاهنا نتحدث إن شاء اللّٰه تعالى عن (الآخر) بمفهومه العام وعلاقة المسلمين به .

معيارية الجدل بين الذات (الأنا) والآخر

يمكن أن يقال : إنه لا يوجد مجتمع ليس به (أنا) وإلا كان في حاجة إلى إثبات وجوده أولًا ؛ وإن جدل (الأنا .. والآخر) واقع في كل مجتمع ولدى كل شعب ؛ والأنا بمفرده كبر وغرور ، والآخر بمفرده تبعية وتقليد أو ازدراء واحتقار ، بحسب قوة الأنا وضعفها ؛ ومن هنا كان لابد من منهج يضبط العلاقة بين (الأنا والآخر) دون أن يطغى أحدهما على الآخر ؛ هذا المنهج يكون معيارًا ثابتًا لا تؤثر في معياريته متغيرات الأنا والآخر ؛ فكما يقول د عمر عبيد حسنة : والشهود الحضاري سواء أكان على الذات أو على (الآخر) ، يتطلب قيمًا ومبادئ ومعايير ثابتة واضحة ومنضبطة وواقعية ، بعيدة عن الهوى وجموح الخيال ، وليست من وضع الإنسان حتى لا يصبح الإنسان المعيار ومحل المعايرة في الوقت نفسه ؛ وخالدة مجردة عن حدود الزمان والمكان ؛ مرنة قادرة على التنـزل والتوليد والمعايرة في كل زمان ومكان .

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (الحوار الذات والآخر) ص ١٢، ١٣.

وغني عن البيان القول : بأن **القرآن** معيار وشاهد على الكتب السابقة ، لأن أصول الكتب والرسالات انتهت إليه ، فجاء مهيمنًا عليها ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة : ٤٨] ؛ والهيمنة هي الرقابة والشهادة المبيِّنة لما هو الصواب في الأصل وما ناله التحريف والتبديل ؛ والشهادة هي الإمكانية والقدرة ، ومعيار النظر ، والبيان للعلل والإصابات .. **والرسول** شاهد بما نيط به من البيان والتصويب ؛ **والأمة المسلمة** شاهدة على الناس بما تحمل من قيم معيارية وحضارية تمثل منهاج التوسط والاعتدال ، تمكنها من الحكم على الذات وعلى (الآخر) .

فالقرآن معيار ، والسنة بيان القرآن معيار ، والسيرة التطبيقية معيار ، والأمة المسلمة معيار ، والحضارة الوسط معيار. فقيم الكتاب والسنة هما معايير الشهود .. والشريعة المستنبطة منهما معيار الشرائع .. والأمة المتمثلة بهما معيار الأمم .. والحضارة الناتجة عنهما معيار الحضارات .. وهكذا يتحقق الشهود بوعي الذات وتصويب مسيرتها ، ووعي (الآخر) وشهوده الحضاري ، فضلًا عن وعي معايير الشهود في الكتاب والسنة والسيرة العملية .

أما إذا فُقد المعيار ، فإن الأمة تتحول من حال الشاهد إلى واقع المشهود[(١)] .

هذا هو المعيار الحاكم والمنهج القويم الشاهد على الذات وعلى الآخر والفاصل بينهما ؛ إذ أصله (الكتاب والسنة) وهما وحي من عند اللّه تعالى ، فالقرآن كلام اللّه الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت : ٤٢] ، والسنة النبوية هي أيضا وحي من اللّه تعالى لكن لفظها من عند رسول اللّه ﷺ ، قال سبحانه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم : ٣، ٤] ، وروى أحمد وأبو داود عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « **أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ**

---

(١) انظر تقديمه لكتاب (نحن والحضارة والشهود) للدكتور السامرائي : ١ / ٣٦، ٣٧ - كتاب الأمة العدد ٨٠.

الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ » الحديث[١] .

إذا فالمنهج رباني الأصل ؛ فلا ينهض أي منهج فكري على وجه الأرض أن ينازعه .

ولكن أعداء هذا المنهج من غير المسلمين وممن صُنعوا على أيديهم من العلمانيين يشغبون عليه ويدَّعون أن عند المسلمين أزمة منهج ، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف : ٥] ؛ يقول د عمر عبيد في الرد على هذه الجزئية : وهنا قضية لابد من تحرير القول فيها - ما أمكن - وهي أننا إذا كنا نريد بالمنهج أنه بشكل عام هو : منهجية النظر والبحث وعلوم الطريق الموصلة إلى الهدف ؛ أو بتعبير آخر : أن المنهج هو طريق الوصول ، يصبح من الضروري أن نحدد ما هي الأهداف التي نريد الوصول إليها ابتداءً ، ومن ثم ما هي الوسائل والأدوات والمعارف المطلوبة لتحقيق هذه الأهداف ؟ مع ضرورة الانتباه إلى أهمية عدم المجافاة بين الوسائل المعتمدة في مشروعيتها والأهداف المرجوة ؛ فإن كان المنهج المقصود هو نظام مسيرة الحياة في هذه الدنيا ، والأهداف هي سعادة الإنسان وكرامته وحياته الطيبة في الدنيا والآخرة ، وما يتطلب ذلك من الوسائل التربوية والأوامر والنواهي ، فإن أي ادعاء بأن الأزمة التي نعاني منها (أزمة منهج) يمكن أن يخرج عن الملة - والعياذ باللّه تعالى - لأن اللّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة : ٤٨] ، فالمقصود بالحكم بما أنزل اللّه ، المنهج الذي شرع اللّه التزامه .. والحكم الذي شرعه اللّه هنا ، لا يخص الجانب السياسي أو التشريعي أو الأخلاقي أو الاقتصادي أو التربوي ؛ وإنما يعني ذلك جميعه ، بكل ما يتطلب المنهج من منطلقات أساسية وأهداف مرحلية ونهائية واضحة ، ووسائل وأوامر ونواه ، وقيم ومعايير ثابتة ، ليست من وضع الإنسان .. وما يتطلب أيضًا من أنموذج تطبيقي لهذا المنهج ، أشبه ما يكون بوسيلة إيضاح معينة على تنزيل قيم المنهج على الواقع ، وتحويل فكره إلى فعل مجسد في حياة الناس ، أو هو كالمجسمات والنماذج والصور التي تبين الشكل الذي لابد أن تنتهي إليه الوسائل .

---

(١) أحمد : ٤ / ١٣٠ ، وأبو داود (٤٦٠٤) .

وهنا نقول : إن الأزمة التي نعاني منها ليست أزمة منهج ، وإنما **أزمة فهم للمنهج ، وأزمة تعامل مع المنهج** .. أزمة تنزيل للمنهج على الواقع ، وتقويمه به .. فالإسلام بمصدريه : الكتاب والسنة ، والسيرة كتنزيل عملي وأنموذج هو المنهج ، والمعايرة للواقع والتحديد للخلل إنما يكون في ضوء الكتاب والسنة والسيرة ، وأن أي معاودة للنهوض واستئناف السير مرهون بتقويم الواقع بمنهج الكتاب والسنة والسيرة .. فالإسلام هو المنهج ، وهو الصراط ، وهو السبيل ، وهو الحجة ، وهو موثق الاستمساك والتلقي ، والمعايرة ، واكتشاف الخلل ، وتحديد الأزمة ، أو هو بكلمة جامعة : الدين الذي يحكم تصرفات الإنسان ، أو يدين له الإنسان بتصرفاته ونشاطه ، لأن أي عدول عن هذا أو تعديل له - والتعديل هو عدول في الحقيقة عن بعض الجوانب - إنما يعني بالضرورة استدعاء مناهج ونظم معرفية ومسالك ومعايير (الآخر) ، وليس من (آخر) الآن سوى المنهج الغربي ، بوسائله وأدواته ونظامه المعرفي .

إن اعتماد المنهج الغربي في النظر والتحليل والدراسة ، سوف يؤدي بالضرورة أيضًا إلى أن يصبح الإسلام - كتابًا وسنة وسيرة - هو مادة التحليل ومحل وموضوع النظر ، وليس منهج النظر ومعيار التقويم .. ولا يغيب عنا هنا التذكير بالأبجديات الخاطئة في قراءة الإسلام من ماركسية ورأسمالية وعلمانية ، وكل المقاربات التي تتم وتملأ الساحة الثقافية اليوم ، حيث باتت ، مصطلحات (الآخر) هي أدوات ومحددات الفهم والقسمات الفكرية لأي باحث .. وهنا يبرز التناقض والضياع وتزييف الوعي ، أو التدليس عن وعي ... إلى أن قال : لذلك نقول : إن الأزمة الحقيقية التي نعاني منها ، أو الأزمة الفكرية ، هي أزمة فهم عملي ، وأزمة تعامل مع قيم الكتاب والسنة ، وتحويلها إلى برامج ، من خلال مسيرة السيرة النبوية .. أو بكلمة مختصرة : أزمة تعامل مع معرفة الوحي بشكل عام ، أو استيعاب المنهج النبوي في البناء والتغيير(١) .

إذًا فالقضية ليست أزمة منهج ، ولكنها أزمة تعامل مع المنهج .. أزمة تطبيق للمنهج ..

---

(١) انظر تقديمه لكتاب (المنهج النبوي والتغيير الحضاري) للأستاذ برغوث عبد العزيز بن المبارك - كتاب الأمة ٤٣ بتصرف .

إنها بحق .. أزمة تضييع المنهج ... فإن الرسول ﷺ لم يحوج أمته إلى أحد بعده ، وإنما حاجتهم إلى من يبلغ عنه ما جاء به . فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص : عمومٌ بالنسبة إلى المرسَل إليهم ، وعمومٌ بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه مَن بُعِثَ إليه في أصول الدين وفروعه ؛ فرسالته كافية شافية لا تحوج إلى سواها ، ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وفي هذا ؛ فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته ، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به ... وقد عرَّفَهُم ﷺ من مكايد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته لم يقم لهم عدو أبدا ؛ وكذلك عرَّفَهُم ﷺ من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها وكوامنها ما لا حاجة لهم معه إلى سواه ؛ وكذلك عرَّفَهم ﷺ من أمور معايشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة(١) .

إن المشكلات التي أفرزتها ولا تزال تفرزها المعارف العقلية الفلسفية - كما يقول د طه العلواني - مشكلات كبرى ؛ وما الإرهاب ولا الاضطراب إلا بعض تجلياتها ؛ وقد أفلت الزمام من يد الغرب نفسه ، فلم يعد مفكروه المنصفون قادرين على إيقاف عجلة التدهور ؛ فالأزمة كونية ، والتفكيك شامل ، ولابد من كتاب كوني معجز صادر عن مصدر متعال ليقضي على الأساطير العرقية والعنصرية التي شادت بنائها أساطير علوم الأناسة واللغويات وأصل الأنواع وما بني عليها ، ليعيد للإنسانية إيمانها بخالقها ثم بوحدتها الإنسانية ، ووحدة الكون الذي تعيش فيه ، وإعادة بناء العلاقات الطبيعية بين هذه كلها ، ومن بينها العلاقات الدولية .. ولا مصدر ولا مرجع سوى القرآن المجيد(٢) .

* * *

(١) انظر إعلام الموقعين : ٤ / ٣٧٥، ٣٧٦ باختصار .

(٢) انظر (الإسلام والتعايش السلمي مع الآخر) د طه العلواني - ضمن كتاب (سلسلة محاضرات حوار الحضارات الجزء الثاني - خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات) ص ٢٤٥ بتصرف يسير .

مشروعية الحوار مع الآخر

تقدم الحديث عن مشروعية الحوار من الكتاب والسنة وحكم ذلك ؛ ونسجل هنا أن أصل حوارات الرسل جميعا هي مع الذين كفروا بالله العظيم واتبعوا غير منهجه ، فالرسل الكرام إنما بعثوا ليأخذوا بأيدي الناس إلى الله تعالى ؛ وهؤلاء الذين حاورهم رسل الله تعالى يدعونهم إلى الله ﷻ هم بمصطلح (الذات والآخر) يكوّنون (الآخر) .

وقد جاءت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في بيان مشروعية الحوار مع الآخر ، منها قوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٦] ؛ ومنها عموم قوله ﷻ : ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل : ١٢٥] ؛ وقوله تعالى في دعوة أهل الكتاب : ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] ؛ ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات : ١٣] ، فقوله تعالى : ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ تضمن الحوار والفائدة منه .

كما حاور النبي ﷺ المشركين وأهل الكتاب ؛ وكذا حاور المسلمون بعد رسول الله ﷺ ، فمنذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا والمساجلات الحوارية مع الآخر لم تنقطع . وروى أحمد وغيره عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ** »(١) .

قال ابن حزم - رحمه الله : وهذا حديث غاية في الصحة ، وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله .ا.هـ . وقال أيضا : ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة ، وقد تهزم العساكر الكبار والحجة

---

(١) رواه أحمد : ٣ /، وأبو داود (٢٥٠٤) ، والنسائي (٣٠٩٦) وإسناده صحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي .

الصحيحة لا تغلب أبدا ؛ فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة .ا.هـ[١] .

جدوى الحوار مع الغير (الآخر)

هاهنا سؤال مهم للغاية : هل هناك جدوى من الحوار مع الغير ؟ أم أن القضية قضية تخالف وتدافع لا يمكن معها الحوار ؟

يرى بعض الباحثين أنه لا جدوى من الحوار مع الغرب ؛ ولا يمكننا أن نسلم بصدقية الدخول معه في حوار ، ليس إنكارا للحوار ولكن لاختلاف الرؤية والمنهج ؛ فالحوار في الرؤية العلمانية الوضعية آلية يتوسل بها إلى إلغاء الآخر وطمسه حضاريا ؛ والحوار في الرؤية التوحيدية آلية يتوسل بها إلى التفاعل الإيجابي البيني المستمر والمتواصل بحثا عن سعادة الإنسان دنيا ونجاته في الآخرة ؛ فالتباين في مفهوم الحوار بين الرؤيتين يستلزم الاختلاف في الأهداف والمبادئ والمنطلقات ؛ فكيف يُتَصور استعمال آلية تنتمي إلى منظومتين متابينتين : الأولى منظومة سننية هي التنوع والتدافع في الرؤية التوحيدية ؛ والثانية منظومة صراعية إقصائية قهرية في الرؤية العلمانية الوضعية ؟ ! إن القول المسَدَّدْ هو الحديث عن الحوار في ضوء سنة التنوع أو سنة التدافع ، في إطار الأخوة الإنسانية ووفقا للفطرة الإنسانية بعيدا عن أي منطق صدامي ولا اندماجي تلفيقي ... بل لا يصح الأمر إلا في إطار الاستقلالية الوظيفية والتكاملية الحضارية الكونية . ا.هـ[٢] .

أضف إلى ذلك أن الأحداث في العقدين الأخيرين - وهما التي برزت فيهما قضية الحوار مع الآخر - كشفت عن هذه القضية في البوسنة والشيشان والبلقان وأفغانستان والعراق ؛ فهل تفيق الأمة ؟ !! وها هنا سؤال مهم : هل الصراع القائم في العالم هو فعلا صراع أفكار مما يستدعي وجود حوار يقارب بين الأفكار ويطرح فكرة التأثير والتأثر ، ويطرح إمكانية التعايش ، أم أن صراع الأفكار ليس موضوعا قائما حاليا ولكنه أداة ، وأن

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام : ١ / ٢٨.

(٢) الأستاذ زوهير بن أحمنه عبد السلام في مقال له بعنوان (آلية الحوار : قراءة لمفهوم الحوار في ضوء سنتي التنوع والتدافع) - موقع الشهاب للإعلام .

القائم حاليا هو صراع مصالح ؟ وإذا كان هذا صحيحا فهل الحوار يمكن أن يؤثر ؟ وهل هو مجدي في هذه الحالة ؟ ؟[١]

وفوق كل ذلك فإن التدخل السافر من أمريكا بالضغط على الحكومات الإسلامية لتغيير مناهج التعليم وتعديل قوانين الأحوال الشخصية بما يخالف شرع الله المطهر، ليؤكد بأن هؤلاء القوم لا يريدون حوارا صحيحًا، وإنما يريدون فرض منهج التغريب وعلمنة الدين كما علمنوا الحياة ؛ وهذه استراتيجية ذكرها تقرير معهد راند لعام ٢٠٠٣ المسمى (الإسلام الديمقراطي المدني)[٢] !! وربما يعد هذا - كما تقول د نادية مصطفى - أكثر القنوات خطورة ؛ وهي التدخلات المباشرة في برامج التعليم التي تهدف - كما يقولون - إلى تنظيف هذه البرامج التعليمية العامة والإسلامية والخطابات الإسلامية من الجذور التي تفرز الإرهاب - من وجهة نظرهم ؛ وهذا الأمر ليس شفهيا، وإنما هناك خطوات عملية اتخذت وبهدوء وبتراكم شديد ؛ ومن أحدث الأمثلة : ما أذيع في وسط قصف الطائرات والصواريخ على لسان معارض عراقي خلال بث تلفزيوني من واشنطن أن المعارضة العراقية في الولايات المتحدة الأمريكية تقوم منذ فترة على وضع برامج للتعليم التي ستطبق في العراق بعد انتهاء الحرب وبعد المجيء بنظام جديد !! كل هذه الأمور تتم بتناسق وتناغم شديدين بين الهيئات والمؤسسات الرسمية والأهلية الأمريكية، وفي ظل رؤية استراتيجية واضحة لما تريده الولايات المتحدة من هذه الأداة الثقافية الحضارية، في وقت تملك فيه الولايات المتحدة أقوى القدرات العسكرية والاقتصادية التي تفرض سياسات عديدة ولكنها على قناعة أنها في حاجة إلى هذا البعد الثقافي لتكتمل لها الصورة ؛ فهي تعرف جيدا أنه لن يكتمل لها النصر إلا إذا اكتملت السيطرة على العقل والإرادة وليس على الموارد فقط ؛ ونحن كأكاديميين نعي ذلك ونتابعه ونرصده، ونكتب

---

(١) طرحت هذا السؤال د علا أبو زيد على سيد ياسين بعد محاضرته عن (حوار الحضارات رؤية نقدية) - كتاب (سلسلة محاضرات حوار الحضارات الجزء الثاني - خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات .

(٢) انظر (نحن والآخر) للدكتور علي محيي الدين القرة داغي - بحث قدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي - مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي - الدورة السادسة عشرة - ٩ـ١٤ / ٤ / ٢٠٠٥ - دبي .

عنه ونعلنه ، ولكن ليس لدينا أكثر من هذا !! ونأمل أن يكون لدينا ما هو أكثر من هذا[١] .ا.هـ . إن هذا أخطر ما يمكن أن يهدد أمة ، أن يفرض عليها نظام تعليمي يسلخها من عقيدتها وقيمها ... ونذّكر هنا بتقرير انبثق عن لجنة شكلها وزير التربية الأمريكي سنة ١٩٨١ م بقصد النظر في العملية التعليمية ؛ والتقرير اختار له واضعوه اسم (أمة معرضة للخطر Nation At Risk) وجاء فيه : لو قامت قوة معادية بفرض أداء تعليمي قليل الجودة على الشعب الأمريكي لاعتبر ذلك مدعاة للحرب[٢] . أترانا لم نزل نؤمن أن الحكمة ضالتنا ؛ وأننا أنى وجدناها فنحن أحق بها ؟ !!

كما أن هناك صراع متنوع يختبئ وراء لافتة محاربة الإرهاب ، لكن أحداث العقدين الأخيرين كشفت عن أن أجساد الشيشان والبوسنويين وغيرهم من المسلمين وأعراض البوسنيات وغيرهن من المسلمات ، وحجاب الفتيات العفيفات : (إرهاب حضاري) لابد للوقوف في وجهه من صب البارود ، ونصب المشانق ، وشق الأخاديد[٣] . فأين هذا من دعوى الحوار والتعايش السلمي ؟ ؟ ؟

ولعلنا نلمح أن الهدف من الدعوة للحوار من الآخر هو اختراق الهويات والخصوصيات ، من خلال كلام صامويل هنتنجتون فقد قال : الأصولية الإسلامية ليست هي مشكلة الغرب الخطيرة ، المشكلة هي الإسلام ، الثقافة المختلفة التي يقتنع أصحابها بتفوق ثقافتهم ، وهم مهووسون بتدني قوتهم ، ومشكلة الإسلام ليست وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أو وزارة الحرب الأمريكية ، المشكلة هي الغرب . وهو حضارة مختلفة يقتنع أصحابها بعولمة ثقافتهم ويعتقدون بأن قوتهم المتفوقة - وإن كانت في حالة تدهور - فإنها تفرض عليهم واجب نشر ثقافتهم في كل أنحاء العالم ، هذه هي

---

(١) انظر كتاب (سلسلة محاضرات حوار الحضارات) الجزء الثاني - خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات ص ١٦٤، ١٦٥ بتصرف يسير .

(٢) انظر مجلة (رسالة الخليج العربي) العدد الثاني السنة الرابعة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ؛ مقال (إنه الجهاد من أجل التربية) للدكتور علي بن محمد التويجري - ص ١٠ : ١٣.

(٣) انظر افتتاحية البيان عدد ٨٦ ص٤ - شوال ١٤١٥ - مارس ١٩٩٥ بتصرف وإضافة .

العناصر الرئيسة التي تغذي النزاع بين الغرب والإسلام ا.هـ.. فما هو العمل إذن ؟ ! .. يجيب هو نفسه : عندما تكبر أعمار الأجيال الحالية فقد تخبو نار الإسلام في شمال إفريقيا وإفريقيا ومنطقة البلقان وغيرها ، وعندما يحدث ذلك سيفتح الطريق أمام تعايش أكثر بين الإسلام والغرب ، وإلى ذلك الحين : يحتاج الغربيون والمسلمون إلى إجراء حوار بين الحضارات مثل الذي نجريه ، وذلك لاحتواء الخلافات الموجودة بينها !![(1)] . أي : إنه حوار للاحتواء تفاديًا للوصول إلى تصادم الحضارات الفعلي ، لا حوارا حقيقيا لقبول الحق وإن ظهر على لسان المخالف .

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد الذي ذكرنا : هل هذا الذي أشرنا إليه – وغيره من الكيد والمكر والتخطيط – يمنع من الحوار مع الآخر ؟

وأقول : الحق أن ذلك كله لا يمنع من الحوار ابتداء ، وقد قال اللَّه تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج : ١٠] ؛ فمع كل ما فعلوه من فتنة المؤمنين فقد دعاهم اللَّه ﷻ إلى التوبة ؛ والحوار هو أصل الدعوة إلى اللَّه تعالى وبيان حججه وآياته ، ولكن لابد من فهم ما يرمي إليه هؤلاء من دعوتهم للحوار ؛ ويجب أن تكون الأمة مستعدة لحوار اللسان ، كما يجب أن تكون مستعدة لحوار السنان إذا استدعى الأمر ذلك ؛ فللسلم كلام ، وللحرب كلام . وللحوار مع الآخر غايتان :

الأولى : إقامة الحجة على المخالف ، وقطع أسباب تعللّه بأنه لم يصله الحق ؛ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ١٩] .

الثانية : تبرير ما يكون من جهاد أهل الباطل منهم والذين يقاتلون لنشر باطلهم ، أو الحيلولة دون وصول الحق لغيرهم ، ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ

(١) الإسلام والغرب ، من النزاع إلى الحوار ، ترجمة أحمد علي بقادي لبحث ألقاه هنتنجتون على مؤتمر (الإسلام السياسي والغرب) الذي عقد في نيقوسيا بقبرص ، جريدة الاتحاد ، ع/ ٨٢٨٩، ٧/١/ ١٩٩٨م .

كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ٣٦] .

وفي هذا السياق يقول ابن القيم - رحمه الله : والمقصود أن رسول الله ﷺ لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي ؛ وكذلك أصحابه من بعده ، وقد أمره الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن في السورة المكية والمدنية ، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة ؛ وبهذا قام الدين ، وإنما جعل السيف ناصرًا للحجة ، وأعدل السيوف سيف ينصر حجج الله وبيناته وهو سيف رسوله وأمته[١] .

وفي محاضرة له بعنوان (قضية العنف .. رؤية إسلامية) قال د عبد الحميد أبو سليمان : وأعتقد أن مسئوليتنا أمام أنفسنا وإصلاح أحوالنا وجعلنا أمة قادرة لأن نقف موقف الشريك هو الخطوة الأساسية لأن يدركك الآخر ويستمع إليك ؛ أما قبل ذلك فلن تفيد الدبلوماسية ، فلها حدود .. وإذا قبلنا أن نكون في موضع الفريسة فلا يجب علينا أن نتخيل أننا سنعامل إلا معاملة الفريسة[٢] . وعقبت د نادية مصطفى بقولها : الحق لا يستطيع أن يثبت ذاته إلا إذا كان مدعوما بقوة ، ومن ثم فهناك حاجة إلى عملية الإصلاح الداخلي والضروري في الأمة الإسلامية كشرط لمساندة الحلول الدبلوماسية مع الآخر ؛ وفي قلب عملية الإصلاح الداخلي مطلوب حل أزمة العقل المسلم حتى لا يتم سوء توظيف للدين ، وأحد إساءة هذا التوظيف هو العنف المستخدم بلا ضوابط وبلا مبررات في بعض الأحيان[٣] .

إن على الأمة تفعيل القضيتين معا ؛ الحوار بشروطه ومقوماته وآدابه ، والاستعداد بالقوة اللازمة لمواجهة القوة الباغية ، والتي هي مستعدة دائما لفرض ما تريد إذا لم يسر نسق الحوار حسبما تريد .

---

(١) انظر زاد المعاد : ٣ / ٦٤٢.

(٢) في محاضرة له بعنوان (قضية العنف .. رؤية إسلامية) ضمن مجموعة محاضرات عقدت في إطار أنشطة الموسم الثقافي لبرنامج حوار الحضارات لعام (٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ م) ، جمعها وحررها د نادية محمود مصطفى ود علا أبو زيد في كتاب (سلسلة محاضرات حوار الحضارات الجزء الثاني - خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات ص ١٨٢.

(٣) المصدر السابق ص ١٨٣، ١٨٤.

وهاهنا شبهات أخرى في موضوع جدوى الحوار مع الآخر نوردها مع الرد عليها[١] .

١- **أن الحوار قد يؤدي إلى التشويش والاضطراب ، وذلك بما ينتج عنه من التأثير الفكري غير المحمود** ، ففي حالة الحوار بين المسلمين والنصارى مثلًا : يخشى بعض المسلمين من أن يؤدي الخطاب النصراني إلى إدخال بعض الشبهات والخلط الفكري في أذهان المسلمين فتضطرب بعض مفاهيمهم من جراء ذلك الخلط . وهذا الكلام صحيح إذا كان المحاور قليل البضاعة في موضوع الحوار ، أو كان ضعيف الحجة غير قادر على البيان والتوضيح . أما إذا كان مؤهلًا للحوار محصنًا بالعلم والحجة وحسن الالتزام بدينه فإن الحوار يزيده صلابة وقوة وكشفًا لزيف الطرف الآخر ورد شبهاته وتفنيدها .

٢- **أن الحوار قد يؤدي إلى مزيد من التعصب والتصلب عند طرفي الحوار** ؛ ففي حالة حوار الأديان يكون الحوار عادة بين منطلقات ومفاهيم كلية للوجود والألوهية والشرائع ، وهذه مفاهيم من القوة والتجذر بحيث لا يؤثر فيها حوار ، وتكون النتيجة الحتمية هي بقاء ما كان على ما كان أو على أشد مما كان عليه .

وللرد على هذا ، يكفي ذكر الحقيقة الواضحة كما كان الحال في أكثر حوارات القرآن الكريم ، حيث حاور رسل الله عليهم الصلاة والسلام أقوامهم حول إثبات ربوبية الله ﷻ وألوهيته وإثبات البعث والجزاء ، ولا ضير في حوار يتأسس على هذه القواعد الكبرى لتنطلق منها إلى ما هو دونها . وأما القول بأن كل أصحاب موقف سيتصلبون عليه ، فيمكن القول بأنه نجم عن بعض حوارات الأديان تحولات كبرى في العقيدة كسب منها الإسلام قديمًا وحديثًا كثيرًا ، إذ هو أكثر الأديان كسبًا من هذا الباب إلى جانب ما يحققه من بيان موقفه من التوضيح لعقائده فيدفع عنها اللبس ويصد عنها العداوة أو يخففها .

٣- **أن الحوار يقود إلى الفتنة والصدام** : وتقوم هذه الحجة على قاعدة سد الذرائع وإقامة الحواجز ، ولكنه قد يبالغ فيها حتى تقيم الحواجز مع الآخرين وتبقى الحقيقة الإسلامية مغيبة ؛ إن الحوار غير المنضبط بشروط الحوار وآدابه قد يتحول إلى فتنة

---

(١) مستفاد من كلام د أحمد بن سيف الدين تركستاني في كتابه (الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه) .

وصدام، ولكن ليس كل حوار مرشحًا لذلك المآل بالتأكيد، ما دام هناك أخذ بشروط الحوار الصحيح الخالي من الجدل العقيم أو غير الملتزم بآداب الحوار.

٤- **أن الحوار يعطي الفرصة لتلميع الآراء الباطلة**؛ في هذا القول تعميم لا يصح في كل حال، فإن الغالب أن الآراء الباطلة إنما تكتسب بريقها إذا انفردت بالأجواء والأضواء، بعيدًا عن الاعتراض عليها والتصدي لها بالحوار. إن الحوار يعطي الفرصة لتوهين الآراء الباطلة وخفض درجة توهجها وبريقها، وذلك بما يكشفه من الحق المناقض لها ومن الباطل المنطوي فيها.

٥- **أن الحوار قد يؤدي إلى المساومة على المبادئ والتلاعب بها** ومزجها ببعضها الآخر للوصول إلى مواقف وسطى للتراضي أو القول بنسبية الحقيقة، وأن الحقائق والآراء مهما اختلفت وتضاربت فهي كلها على صواب.

والحق أن هذا المحذور وارد متى غاب عن المحاور من الطرف الإسلامي وضوح مبدئه وعدالة قضيته وإلا كان محاميًا فاشلًا. إن الحرص على الحوار من أصحابه الأكفاء هو صمام الأمان ضد الوقوع في هذه الهوة السحيقة، وعلى المحاور معرفة أن المساومة على المبادئ وأن مزج الإسلام مع غيره في مبادئه وعقائده ليس هدفًا من أهداف الحوار وذلك حتى لا يجعله المحاور هدفًا وهميًا للإنجاز.

٦- **أن الحوار قد يوقع أصحاب الحق في المزالق والإحراجات**؛ وذلك إذا ما لم يؤدوا دورهم جيدًا، وبذلك ينتصر أصحاب الرأي الباطل بسبب حسن إعدادهم لأنفسهم واستخدامهم الأفضل للمنطق. وفي ذلك ما فيه من تشكيك لأصحاب الحق في حقهم.

وهذه النتيجة واردة الحدوث حقًا، ولكن السبب في ورودها هو الضعف العلمي للمحاورين أو تهاونهم في الإعداد وليس السبب في الحوار نفسه.

إن بعض من يرددون تلك الحجج ينطلقون من الحرص على الإسلام وثقافته وصفاء منهجه، وهذا أمر محمود، وربما ساعد في تقوية هذه الحجج ما رافق بعض جولات الحوار من الفشل في تحقيق نتائج ملموسة نظرًا لعدم جدية المحاور من الطرف الآخر. وقد يكون السبب هو أن من تصدوا للحوار قد خاضوه على غير علم أو استعداد أو على

غير انضباط بشروط الحوار وآدابه وبدلًا من أن يعيدوا النظر في أنفسهم لجؤوا إلى تخطئة مبدأ الحوار بدلًا من ذلك .ا.هـ .

أنواع الحوار مع الآخر

يشيع بين الذين يتناولون قضية (الحوار مع الآخر) ومعالجتها الحديث عن نوعين من الحوار :

الأول : الحوار بين الأديان : ويشمل :

١ - الحوار مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، ومن استقرأ القرآن والسنة وكلام الأئمة يجد أنه لا يُستثنى أحد من أهل الكتاب من أصل هذا الحوار ، قال ابن تيمية - رحمه الله : والمجادلة قد تكون مع أهل الذمة ، والهدنة ، والأمان ، ومن لا يجوز قتاله بالسيف ؛ وقد تكون في ابتداء الدعوة كما كان النبي ﷺ يجاهد الكفار بالقرآن ؛ وقد تكون لبيان الحق وشفاء القلوب من الشبه مع من يطلب الاستهداء والبيان[1] .

٢ - الحوار مع غير أهل الكتاب من ملل الكفر الأخرى ؛ وهؤلاء أيضا يدخلون في عموم الحوار مع الآخر ، وإن كان طرح قضية الحوار معهم على مستوى الفكر ليس قويا ، لأن الذين نقلوا قضية الآخر إلى الساحة الفكرية لا يعنيهم هذا ، وإنما هم نقلوا أفكار أساتذتهم الغربيين كما أسلفنا .

الثاني : الحوار بين الحضارات أو بين الثقافات ؛ ويقصد به غالبا : الحوار بين الإسلام والحضارة الغربية .. والذي يتردد له كثير من المسميات : الحوار بين الشرق والغرب .. الحوار بين الشمال والجنوب .. الحوار العربي الأوربي .. الخ . ويندرج تحته أنواع كثيرة من الحوارات أهمها الحوار الثقافي ، والذي يتمثل في الحوار بين الإسلام والعلمانية ؛ والحوار من أجل التعايش وبناء المشترك الإنساني مع الآخر ، وهو من المصطلحات الحديثة التي يلفها الغموض وتحتاج إلى إيضاح لجانبها المعرفي والواقعي والهدف من إطلاقها .

---

(١) النبوات : ٢ / ٦٢١، ٦٢٢.

الحوار بين الأديان

الدين لغةً : اسم مشترك يطلق ويراد به الملك والحكم والتدبير والقهر والمحاسبة والمجازاة ؛ من دانه دِينًا ، أي : ملكه وحكمه وساسه وقهره وحاسبه وجازاه وكافأه ، ويقال : دِنْتُهم فدانوا : أي قَهَرتُهم فأطاعُوا ؛ والدينُ : الطاعةُ . ودانَ له ، أي : أطاعه ، ومنه الدينُ والجمع الأدْيانُ ، يقال : دانَ بكذا دِيانَةً وتَدَيَّنَ به ، فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ ، وهذا هو المراد في بحثنا هذا ؛ قال الراغب : والدين يقال للطاعة والجزاء ، واستعير للشريعة والدين كالملة ، لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة ، قال اللّه تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران : ١٩] ، وقال : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء : ١٢٥] أي : طاعة ، وقوله : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران : ٨٣] يعني : الإسلام بقوله : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [الصف : ٩] .

وقوله : ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة : ٢٩][(١)] .

وفي اللغات الأوربية تستخدم كلمة (Religion) للتعبير عن الدين ، وهي كلمة ذات أصل لاتيني هو (Religio) بمعنى : إعادة الجمع والقطف ، إشارة إلى التفكر والتعبد والتأمل والعمل تبعًا لما يستخرج من تلك التأملات . وعلى هذا يكون الدين إجمالا : معلومات وعقائد يعتقدها المرء فتجري أعماله على مقتضاها ، حقا كانت أم باطلا ، فلذلك سمي دِينًا لأن أصل معنى الدين المعاملة والجزاء .

ويُعرَّف الدين بأنه : اسم لجميع ما يعبد به اللّه تعالى ، ومثله الديانة ؛ وجمع الدين أديان ، وجمع الديانة ديانات . قال الطاهر بن عاشور - رحمه اللّه : عرَّف العلماء الدين الصحيح بأنَّه وضعٌ إلهيٌّ سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير باطنًا

---

(١) انظر لسان العرب باب النون فصل الدال ؛ وصحاح الجوهري ، ومختار الصحاح ، والنهاية في غريب الحديث ، ومفردات الراغب مادة (د ي ن) .

وظاهرًا[١] . وأما في الإسلام فالدين كما يقول ابن عاشور : ما كلف الله به الأمّة من مجموع العقائد ، والأعمال ، والشرائع ، والنظم[٢] . فالدين : الاستسلام لأمر الله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك ، واتباع أمر رسول الله ﷺ ، وأخذ هذا الاستسلام والاتباع عقيدة وشريعة ومنهاج حياة شاملًا ، حيث قال الله تعالى : ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل : ٥٢] ، وقال تعالى : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران : ٨٣] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر : ١١] ، أي : ممحضًا الاتباع لله تعالى في جميع أوامره الشاملة لجميع جوانب الحياة .

فمن المنظور الإسلامي يعد الدين (الإسلام) هو القيمة العليا المهيمنة الحاكمة على غيرها ، وعلى الأعراف والثقافات أن تنكيف معه ، أو أن تحظى بإقراره لما هي عليه من المواضعات[٣] .

الدين الحق والدين الضلال

الدين الحق هو الذي أوحى الله تعالى إلى رسله من لدن آدم وإلى محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم ، وقولنا (الذي أوحى الله تعالى إلى رسله) يعني أصل الدين الموحى به ، لا ما أدخله أتباع اليهودية والنصرانية في الدين وزعموا أنه دين ؛ قال الله تعالى : ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ ، وقال : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾

(١) انظر التحرير والتنوير عند الآية (٨٥) من سورة آل عمران .

(٢) انظر التحرير والتنوير عند الآية (٣) من سورة المائدة .

(٣) انظر (الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه) د أحمد بن سيف الدين تركستاني .

[النساء: ١٧١] ، وقال : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨] .. والآيات في ذلك كثيرة.

وكان كل دين يخص قوم الرسول الذي أرسل فيهم ؛ حتى أتم اللّه تعالى نعمته على البشرية بإرسال محمد ﷺ رحمة للعالمين بالإسلام الذي نسخ به ما قبله من الأديان والذي ارتضاه منهجا لعباده ، فجعله خاتم الأديان والشرائع الذي يرجع إليه ويُحكم به ، ويَحكم ويهيمن على جميع الشرائع ؛ والأدلة على ذلك كثيرة جدا.

قال اللّه تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] ، وقال ﷻ : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] ، وقال سبحانه : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، وقال (جل جلاله) : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩] ؛ وقال جل وعلا : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] ؛ وقال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨] ؛ والآيات كثيرة جدا في بيان أن دين الإسلام الذي أوحى اللّه تعالى إلى نبيه محمد ﷺ هو الحق الناسخ لما قبله من الأديان والشرائع ، وأن من لم يؤمن به فهو كافر مخلد في النار ؛ وأن ما عدا الحق فهو ضلال ؛ وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي**

أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »(١) .

ومن هذا المعتقد ينطلق المسلم في حياته وفي حواره ؛ فهو يعلم أن عليه أن يبلغ ذلك إلى البشرية جميعا ليخرجهم مما هم فيه من الظلمات إلى نور الحق الذي جاء من عند الله تعالى خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومحاسبهم ومجازيهم بالإحسان إحسانًا وبالسوء سوءًا .

التقريب بين الأديان خطأ محض

مما برز على ساحة الحوار في العقدين الأخيرين ما سمي بـ (التقريب بين الأديان) ؛ وهذا خطأ محض ؛ إذا لا يمكن للحق والضلال أن يقتربا ، ولا يمكن للتوحيد والشرك أن يتدانيا ؛ إذ المتضادات لا تتقارب ، وهذا أمر لا يمكن أن يقر به عالم بالإسلام ، ولا يعني كلامنا أنه ليس عند أهل الكتاب شيء من الحق ؛ بل عندهم حق من أصل دينهم ، وباطل أدخلوه في دينهم - تحريفا أو إضافة أو حذفا - وليس منه ، ففي صحيح المخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ** ؛ ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الْآيَة »(٢) . قال ابن حجر - رحمه الله : أَيْ إِذَا كَانَ مَا يُخْبِرُونَكُمْ بِهِ مُحْتَمَلًا ، لِئَلَّا يَكُون فِي نَفْس الْأَمْر صِدْقًا فَتُكَذِّبُوهُ ، أَوْ كَذِبًا فَتُصَدِّقُوهُ فَتَقَعُوا فِي الْحَرَج . وَلَمْ يَرِد النَّهْي عَنْ تَكْذِيبهمْ فِيمَا وَرَدَ شَرْعُنَا بِخِلَافِهِ ، وَلَا عَنْ تَصْدِيقهمْ فِيمَا وَرَدَ شَرْعنَا بِوِفَاقِهِ . نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّه(٣) . فما ورد في شرعنا هو الحق والصدق ، وما خالفه فهو كذب ، وما وافقه لا نحتاج إليه ؛ ولا يقولن أحد إننا نريد أن نقترب من هذا الذي هو حق عندهم ، فإن هذا تحصيل حاصل ، فنحن نقر به ؛ والإشكال ليس عندنا نحن المسلمين وإنما عندهم هم الذين لا يريدون أن يقروا بالحق الذي عندنا ؛

(١) مسلم (١٥٣) .

(٢) البخاري (٤٤٨٥) .

(٣) انظر فتح الباري : ٨ / ١٧٠.

يقول د محمد محمد حسين : التقريب بين الأديان إفساد لها جميعا ، وتحد لسنة الله في خلقه ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨] ، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ، وهو يخدم الهدف نفسه الذي تخدمه الماسونية وشبيهاتها من الجمعيات ذات الطابع العالمي التي تقف وراءها الصهيونية العالمية ، وكلها يهدف إلى إزالة العصبيات الدينية والوطنية حتى لا يبقى على الأرض سوى العصبية اليهودية وللقارئ أن يتدبر الآيات (٤٤ : ٤٨) من سورة المائدة ، من قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ا.هـ[1].

وقد يسأل سائل : إذًا ما هو الهدف من هذه الدعوة ؟ والجواب - كما يقول إبراهيم الحقيل[2] : والقصد معروف من هذه الدعوات التي تريد إذابة الإسلام في مناهج الذين كفروا ، وليست حوارًا حقيقيًا كما يظن المخدوعون يقوم على المناظرة وقرع الحجة بالحجة وإحقاق الحق وإبطال الباطل ، وذلك واضح في تقرير البروفيسور النصراني (ديون كراوفورد) الذي كتب تقريرًا مطولًا عن حوارات الأديان التي يتبناها النصارى وكان من ضمن ما كتب : ينبغي أن تتحول العلاقة بين المسلمين والنصارى من علاقة المواجهة السابقة إلى علاقة حوار ، على ألا يؤدي هذا الحوار إلى المساومة على النصوص الإنجيلية من أجل تنمية الحوار ، وهذا ما لا يجوز ؛ فالحوار لا ينبغي أن يكون بديلًا عن التبشير بالإنجيل ، وعلى المسلمين أن يفهموا أن الحوار يستهدف كسبهم إلى صف النصارى ، وينبغي على النصارى أن يخالطوا المسلمين ويصادقوهم ، وأن يستغلوا ذلك في إزالة سوء الفهم الراسخ في أذهانهم تجاه الإنجيل و المسيح[3] . ويحدد د أحمد القاضي بواعث

---

(١) انظر كتابه (الإسلام والحضارة الغربية) حاشية ص ١٥٤ - مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة .

(٢) في مقال له بعنوان (قصة العلاقة بين الإسلام والنصرانية) - مجلة البيان العدد ١٥٤ ص ٥٢ - جمادى الآخرة ١٤٢١ - سبتمبر ٢٠٠٠.

(٣) مجلة البحوث الإفريقية ، ديسمبر ١٩٨٦م ، عن الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب ، د كرم شلبي ، ٣٢.

الدعوة الغربية لحوار الأديان فيقول : ثمَّ بواعث متعددة تكمن خلف المبادرة النصرانية للدعوة إلى الحوار مع المسلمين ؛ منها :

أولًا : باعث الصد عن سبيل الله :

قال تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران : ٩٩] ، وقال : ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران : ٧٢] .

لقد راع الكنائس الغربية في العصر الحديث انفتاح شعوبها على الإسلام ، واعتناق ألوف منهم إياه ؛ بعدما أتيح لهم سماع كلمة الحق بشكل أفضل من ذي قبل حين كانت الكنيسة تغذي رعاياها بمعلومات مغلوطة منفرة عن الإسلام ، ونبيه ﷺ ، وكتابه ، وتاريخه ، فحين انفتح الناس بعضهم على بعض ؛ خطف بريق الإسلام أبصار الغربيين الذين تحرروا من هيمنة الكنيسة ، واعتمدوا التفكير المنطقي الحر ، فرأت المراجع الكنسية أن لا جدوى من المجابهة ؛ فهي أضعف من أن تقف أمام متانة العقيدة الإسلامية ، وإحكام شريعتها ، بل إن التحدي سيُكسب الإسلام مزيدًا من الأنصار ، ومن ثم تفتقت عقولهم عن فكرة (التقريب والحوار) للظهور أمام مواطنيهم بمظهر التآلف لا النِّدية ، والوفاق لا المجابهة ، والحوار لا القطيعة ؛ وبذلك يطفؤون روح التشوُّف لدى رعاياهم ، ويقرون في قلوبهم أن الفروق بين الأديان فروق شكلية ، وكلها تؤدي إلى اللّٰه ، فلا حاجة إلى تجشم عناء التغيير .

وقد أفصح عن هذا الباعث الخفي القس (أريا راجا) حين قال : تواجه الكنيسة اليوم واقعًا يتسم بالجدة ؛ ففي الماضي كانت العلاقة بالأديان الأخرى تساعد الكنيسة على إغناء ذاتها وتطوير إيمانها ... أما اليوم فقد تبدلت الأوضاع تمامًا ، ومن المهم أن نشير إلى بعض خصائص هذه الحقبة من تاريخ البشرية : **أولًا** : لقد تحررت الأديان الأخرى من وطأة الاستعمار ، وهي تطرح نفسها اليوم كبديل عن الإيمان المسيحي له شموليته ، ولقد حدث في تلك الأديان ما يشبه النهضة خلال السنوات الأخيرة ، فظهرت فيه حيوية

جديدة . **ثانيًا** : لقد توغلت تلك الديانات إلى حد بعيد ، حتى في الغرب المسيحي ؛ مما جعل من التعددية الدينية واقعًا في كل المجتمعات تقريبًا ، فعدد المسلمين في فرنسا يفوق عدد المسيحيين المصلحين ، ومسلمو بريطانيا أكثر من الميتوديين فيها . **ثالثًا** : وربما كان هذا هو الأهم ، هناك وعي متزايد لغنى الأديان الأخرى ... كان المسلمون في الماضي يُحسبون منافسين ، أما اليوم فنشهد اهتمامًا متزايدًا في مفهوم الإسلام للجماعة وللصلاة ... وبعبارة أخرى : فإنه لا العدائية اللاهوتية ، ولا اللامبالاة تجاه الأديان الأخرى مسموح بهما بعد اليوم ، فالطرق التي انتهجها المسيحيون قديمًا في تعاملهم مع الأديان الأخرى لم تعد تكفي[1] .

ثانيًا : الباعث التنصيري :

قال تعالى : ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، لا ريب أن التنصير أو (البشارة) كما يسمونه يحتل موقعًا مميزًا في الديانة النصرانية ، وحين تبنى النصارى خيار الحوار ؛ لم يكن ذلك تخليًا منهم عن وظيفتهم العتيقة ، ففي الدستور الرعوي (الكنيسة في عالم اليوم) الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني ؛ جاء ما يلي : تبدو الكنيسة رمز هذه الإخوة التي تنتج الحوار الصادق وتشجعه ، وذلك بفعل رسالتها التي تهدف إلى إنارة المسكونة كلها بنور البشارة الإنجيلية[2] .

ولما رأى بعض النصارى في الحوار خيانة للبشارة ، أصدرت الكنيسة الكاثوليكية وثيقة بعنوان (حوار وبشارة) عام ١٩٩١م ، جاء فيها : إن المسيحيين وهم يعتمدون الحوار بروح منفتح مع أتباع التقاليد الدينية الأخرى ؛ يستطيعون أن يحثوهم سلميًا على التفكير في محتوى معتقدهم ... نظرًا إلى هذا الهدف أي قيام الجميع بارتداد أعمق إلى اللّه يكون للحوار بين الأديان قيمته الخاصة ، وفي أثناء هذا الارتداد قد يولد القرار بالتخلي

---

(١) الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى ص ٨١، ٨٢.

(٢) المجمع الفاتيكاني الثاني ، ص : ٣١٢.

عن موقف روحي أو ديني سابق لاعتناق آخر[١] .

أما (مجلس الكنائس العالمي) فقد صرح في كتاب (توجيهات للحوار) بالقول : يمكننا بكل صدق أن نحسب الحوار كإحدى الوسائل التي من خلالها تتم الشهادة ليسوع المسيح في أيامنا[٢] .

ومن بين أربعين بحثًا قُدّمت في مؤتمر المنصرين البروتستانت لتنصير المسلمين عام ١٩٧٨م ؛ كان هناك بحث بعنوان : (الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير) ، ناقش (دانيل آر بروستر) فيه هذه المسألة ، وخلص إلى القول : إذا شعرنا بأن شكلًا ما من أشكال الحوار يمكن أن يكون مفيدًا لكسب المسلمين ؛ فعندئذ يكون مهمًا أن نبدأ الآن في تخطيط كيفية القيام بذلك[٣] .

ثالثًا : الباعث السياسي :

كان من أكبر الدوافع التي صاحبت انطلاق التقارب الإسلامي النصراني في عقد الستينيات ؛ طغيان

المد الشيوعي الملحد على العالم ، وتهاوي معاقل النصرانية أمام الفكر المادي الكاسح ، فرأى المعسكر الرأسمالي الغربي أن يدعم جبهة المتدينين ، ويوحد صفوفهم لكبح جماح الشيوعية .

لقد وُلدت الدعوة إلى التقارب وولدت معها تهمة (الباعث السياسي) ، فقد قال مدير الأبحاث والنشر في (جمعية الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط) « إريك ولدمار » بين يدي مؤتمر (القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية) المنعقد في (بحمدون) في لبنان عام ١٩٥٤م : إن غاية المؤتمر واضحة جلية ، وهي محاربة الإلحاد ، والعمل على التقارب بين المسيحيين والمسلمين ، وتوحيد القوى ضد التيارات التي تحاول النيل

---

(١) حوار وبشارة ، ص : ٢٥، ٣٠.

(٢) نقلاً عن : الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى ص ٧٠.

(٣) الإنجيل والإسلام ، المترجم إلى العربية بعنوان : التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، ص ٧٧٧.

من عقائد هاتين الديانتين[١] .

وأفصح أحد أعضاء المؤتمر بجلاء عن الباعث الحقيقي خلف تلك التظاهرة ، فقال : إن العالم الحر اليوم أكثر من أي زمن آخر يحسب الحساب للتطورات العالمية ، وازدياد خطر الشيوعية ، وإن الولايات المتحدة الأمريكية تنظر بعين القلق إلى التطورات والأحداث الجارية في الشرق الأوسط ، وترى من واجبها أن تقوم بكل ما في وسعها ، كقائدة للدول الخارجة عن الستار الحديدي الشيوعي ،

للقضاء على الشيوعية التي أخذت تتفشى في الشرق الأوسط بشكل مريع[٢] .

ومن العجب أن المعسكر الشيوعي المقابل شهر الأداة نفسها في وجه خصمه الرأسمالي ، فقد رعى الاتحاد السوفييتي وبقية دول المنظومة الشيوعية مؤتمرات مُسيَّسة للحوار الإسلامي النصراني ؛ لمناقشة قضايا التسلح النووي ، والاستعمار ، والتنديد بالسياسات الأمريكية ، كان عرَّابها بطريرك موسكو وسائر روسيا الأرثوذكسي (بيمن) ، ومن الجانب الإسلامي مفتي سوريا الشيخ أحمد كفتارو .

كما أن الحكومات الغربية في عقد التسعينيات تبنت قضايا الحوار الإسلامي النصراني لتتمكن من دمج المهاجرين المسلمين في بنية المجتمعات الغربية ، واتخاذهم ورقة ضغط على الحكومات الإسلامية لتقديم تسهيلات مماثلة ؛ لتعزيز نفوذ الأقليات النصرانية في البلدان الإسلامية ، ومهاجمة مشروع الدول الإسلامية ، وتطبيق الشريعة[٣] .

الأصل في الحوار مع أهل الكتاب :

إنما دعا رسول الإسلام ﷺ أهل الكتاب إلى التوحيد والإذعان والاستسلام للَّه تعالى ، فلما أبى يهود عقد معهم عقد أمان ، فلما خانوه ونقضوا عهده فمنهم من أجلاهم ومنهم من قتلهم .

---

(١) نقلاً عن : هرطقات فريسية - جورج حنا ص ٨.

(٢) المرجع السابق ص ٩.

(٣) انظر مقال (الحوار الإسلامي النصراني أو الحوار بين مسلمين ونصارى) د أحمد بن عبد الرحمن القاضي - مجلة البيان - العدد (١٨٤) ص ٢٠ - ذو الحجة ١٤٢٣ هـ - فبراير ٢٠٠٣ م .

وأما النصارى فدعاهم إلى توحيد اللّٰه تعالى والإيمان برسوله ، فلما أبوا دعاهم إلى المباهلة ، فلما أبو ضرب عليهم الجزية ؛ ذلك لأن النفوس - كما جبلها اللّٰه تعالى - تختلف في قبول الحق ؛ فمنهم من يذعن ويقبل بمجرد ظهور الحجة ، ومنهم من يجحد مع معرفته للحق لحظوظ مكتسبة من الوضع الذي هو عليه فيخشى أن تذهب إذا أقر بالحق وأسلم ؛ ومنهم من يكذب ويعاند بل ويعتدي ويظلم ويمنع غيره من قبول الحق ، فكان لابد أن يكون لكل حوار ما يناسبه .

والأصل في الحوار مع أهل الكتاب قول اللّٰه تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، فهي دعوة لهم إلى توحيد اللّٰه تعالى ، وترك ما هم عليه من الشرك وعبادة غيره ؛ يقول سيد قطب - رحمه اللّٰه : إنها لدعوة منصفة من غير شك ؛ دعوة لا يريد بها النبي ﷺ أن يتفضل عليهم هو ومن معه من المسلمين .. كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد ، لا يعلو بعضهم على بعض ، ولا يتعبد بعضهم بعضًا ، دعوة لا يأباها إلا متعنت مفسد ، لا يريد أن يفيء إلى الحق القويم ... إنها دعوة إلى عبادة اللّٰه وحده لا يشركون به شيئًا ؛ لا بشرًا ولا حجرًا . ودعوة إلى ألا يتخذ بعضهم بعضًا من دون اللّٰه أربابًا ؛ لا نبيًا ولا رسولًا . فكلهم للّٰه عبيد ، إنما اصطفاهم اللّٰه للتبليغ عنه ، لا لمشاركته في الألوهية والربوبية . ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ، فإن أبوا عبادة اللّٰه وحده دون شريك ، والعبودية للّٰه وحده دون شريك . وهما المظهران اللذان يقرران موقف العبيد من الألوهية .. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وهذه المقابلة بين المسلمين ومن يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون اللّٰه ، تقرر بوضوح حاسم من هم المسلمون[1] ؛ وقال ابن عاشور - رحمه اللّٰه : وقوله : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ جيء في هذا الشرط بحرف (إنْ) لأنَّ التولِّي بعد نهوض هذه الحجة وما قبلها من الأدلة غريب الوقوع ، فالمقام مشتمل على ما هو صالح لاقتلاع حصول هذا الشرط ، فصار فعل الشرط من شأنه أن يكون نادر الوقوع مفروضًا ، وذلك من

(١) انظر (في ظلال القرآن) عند الآية (٦٤) من سورة آل عمران .

مواقع (إن) الشرطية فإن كان ذلك منهم فقد صاروا بحيث يُؤيَس من إسلامهم فأعرِضوا عنهم ، وأمسكوا أنتم بإسلامكم ، وأشهدوهم أنكم على إسلامكم . ومعنى هذا الإشهاد التسجيل عليهم لئلاّ يُظهروا إعراض المسلمين عن الاسترسال في محاجتهم في صورة العجز والتسليم بأحقية ما عليه أهل الكتاب ؛ فهذا معنى الإشهاد عليهم بأنا مسلمون[1] .

وقوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، فأمر أن نجادلهم بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا ؛ وأن نقول لهم : نحن مؤمنون بالذي أنزل إلينا من القرآن ، وأنزل إليهم من التوراة والإنجيل لا ما كتبوه بأيديهم وحرفوه ؛ وأن نخبرهم بأن إلهنا وإلههم واحد هو اللّٰه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ؛ ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ ، فهذا هو أصل الحوار مع أهل الكتاب .

والمتأمل في القرآن يجد أنَّ معظم القضايا التي جادل القرآن فيها أهل الكتاب تدور على محورين :

١- توحيد اللّٰه وعبادته ؛ وهو أصل مبعث الرسل جميعا .

٢- إثبات نبوة محمد ﷺ والإيمان به .

فأصل الحوار الديني هو الإقرار للّٰه تعالى بالوحدانية ولرسوله محمد ﷺ بالرسالة ؛ ثم بعد ذلك يأتي الإذعان والاستسلام والامتثال للّٰه تعالى فيما أمر ونهى ولرسوله ﷺ فيما جاء به عن اللّٰه تعالى ؛ فمن لم يقر بذلك فهو كافر مخلد في النار ؛ وإنما نقول ذلك لمحاورنا ليعي ما هي قضية الكفر وما هي عقوبتها ، حتى يعيد تفكيره على أساس سليم فينجو من عذاب اللّٰه تعالى ؛ هذا هو محور الحوار الديني أصلا ؛ فلسنا نملك مفاتيح الجنة والنار فندخل في الجنة من نشاء وندخل في النار من نشاء ؛ إنما نحن مبلغون رسالة اللّٰه إلى جميع البشر ؛ فمن استجاب فإنما يستجيب للّٰه تعالى ، ومن لم يستجب فهو جاحد مكذب لأمر اللّٰه خالقه فاستحق لذلك العقوبة من اللّٰه تعالى لا من الذي دعاه ؛ وإنما أمرنا

---

(١) انظر (التحرير والتنوير) عند الآية (٦٤) من سورة آل عمران .

- أيضا - أن نجاهد في سبيل الله تعالى لنفس الغاية ، وهي إبلاغ رسالة الله لمن لم تبلغه إلا بجهاد هؤلاء الظالمين المعتدين ؛ فكلا الأمرين امتثال لأمر الله تعالى وطاعة له ، والأمة عليها أن تكون على أهلية للأمرين معا : حوار اللسان لله تعالى ، وحوار السنان لله تعالى .

معالم الحوار الديني مع أهل الكتاب

المحاور المسلم إنما ينطلق في حواره مع أي أحد من ثوابت أصيلة ومعالم واضحة مستمدة من الوحيين : القرآن والسنة ؛ وقد قدمنا الشروط والآداب التي لابد أن يلتزمها المسلم في حواره ؛ وههنا نذكر أهم المعالم الخاصة بالحوار الديني مع أهل الكتاب .

١ - **اليقين التام بأن الإسلام هو دين الحق الذي نسخ الله تعالى به الشرائع قبله ،** وأن من لم يمتثل لله تعالى ويوحده ويشهد لنبيه محمد ﷺ بالرسالة فهو كافر مخلد في النار ، مكذب لله ورسله جميعا ، فإن رسل الله جميعا قد أخذ الله عليهم الميثاق بالإيمان بمحمد ﷺ إذا بعثه الله تعالى وهم أحياء ، قال الله ﷻ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران : ٨١] ، وقد بشر برسول الله محمد ﷺ كل نبي حتى جاءت البشارة به وبصفته في التوراة والإنجيل ، فمن كذب بنبي الله محمد ﷺ ، فهو مكذب لهؤلاء الرسل جميعا ؛ قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف : ٦] ، فعيسى ﷺ آخر الرسل قبل محمد ﷺ ، وقد بشر به ، وهذا مما جاءت البشرى به في التوراة والإنجيل ؛ ففي إنجيل يوحنا : (وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ فارقليطًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ)[1] ، وفي الإصحاح السادس عشر : (لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْفَارقليطُ وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ . وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ ... ثم يقول : (إِنَّ لِي أُمُورًا

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح (١٤) رقم ١٦، وقد ترجم (الفارقليط) بالمعزي في الأناجيل العربية .

كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ : وَلَكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ . وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ)[١] .

يقول الأستاذ فهمي شما مترجم كتاب (محمد ﷺ في الكتاب المقدس) لعبد الأحد داود : وإذا كان الفارقليط لا يشير إلى محمد ﷺ ، فإلى من يشير إذًا ؟ ! وهل جاء بعد عيسى نبي غيره ؟ وإلى متى ينتظر أهل الكتاب ذلك المخلص أو المعزي الموعود ؟ أليس محمد ﷺ هو الذي بكّت العالم على خطيئته ؟ وهو روح الحق الذي لا يتكلم من نفسه ، وإنما يتكلم ما يوحى إليه ؟ وهو - كما أخبرت التوراة - النبي الذي أقبل نوره من فاران (صحراء الجزيرة) ومعه عشرة ألاف قديس - إشارة إلى فتح مكة وهو عدد الجيش الذي قاده النبي ﷺ - ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم ؛ وهي الشريعة الإسلامية الخالدة .

أجل ؛ إنه محمد رسول اللّه - صلوات اللّه وسلامه عليه - ولا أحد قط سواه[٢] .ا.هـ .

وقد ذكرنا فيما سبق مناظرة ابن القيم مع الحبر اليهودي ، وكذا العالم المغربي مع بعض اليهود في إثبات نبوة محمد ﷺ[٣] .

٢ - **اتباع طريقة القرآن في جدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن** ؛ وقدمنا الأدلة عليها ، ولهذا امتثلها النبي ﷺ ، في حواره مع اليهود والنصارى ؛ فمن أمثلة حواره مع اليهود ما روى مسلم في صحيحه عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ : كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ : السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً

---

(١) انظر إنجيل يوحنا الإصحاح (١٦) أرقام : ٧: ١٣.

(٢) انظر تقديمه كتاب (محمد في الكتاب المقدس) لعبد الأحد داود ، وعبد الأحد داود كان قسيسا من طائفة الكلداني الموحدين التابعة للكنيسة الرومانية ، وكان يحمل شهادة الليسانس في علم اللاهوت ؛ وكان اسمه قبل إسلامه (دافيد بنجامين كلداني) ، وقد استعرض في كتابه المذكور البشارة برسول اللّه محمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، فليرجع إليه من شاء .

(٣) راجع فصل (مقومات الحوار) من الباب الأول .

كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا ، فَقَالَ : لِمَ تَدْفَعُنِي ؟ فَقُلْتُ : أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ! فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي** » فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : جِئْتُ أَسْأَلُكَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ** ؟ » قَالَ : أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ ؛ فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ فَقَالَ : « **سَلْ** » فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ** » قَالَ : فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً ؟ قَالَ : « **فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ** » ، قَالَ الْيَهُودِيُّ : فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : « **زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ** » ، قَالَ : فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا ؟ قَالَ : « **يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا** » قَالَ : فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : « **مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا** » قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ؛ قَالَ : « **يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ** ؟ » قَالَ : أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ ! قَالَ : جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : « **مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ** » قَالَ الْيَهُودِيُّ : لَقَدْ صَدَقْتَ ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ ! ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِيَ اللَّهُ بِهِ** »(١) . فانظر كيف كان حواره ﷺ أحسن الحوار ردا وخلقا بداية ونهاية .

وأما **حواره ﷺ مع النصارى** ؛ فمثاله ما كان مع نصارى نجران ؛ ففي (دلائل النبوة) للبيهقي أن وفد نصارى نجران لما أتوا النبي ﷺ ساءلهم وساءلوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول في عيسى ابن مريم ؟ فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبيا أن نعلم ما تقول فيه ؛ فقال رسول الله ﷺ : « **ما عندي فيه شيء يومي هذا ، فأقيموا حتى أخبركما بما يقال في عيسى** » ، فأصبح الغد وقد أنزل الله ﷻ هذه الآية : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ

---

(١) مسلم (٣١٥) .

تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران : ٥٩: ٦١] ، فأبوا أن يقروا بذلك ، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل - مشتملا على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره - للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة ، فقال شرحبيل لصاحبيه : يا عبد الله بن شرحبيل ويا جبار بن فيض ، قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يرِدوا ولم يصدروا إلا عن رأيي ، وإني والله أرى أمرا مقبلا ، إن كان هذا الرجل ملكا مبعوثًا فكنا أول العرب طعن في عينه ورد عليه أمره ، لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور قومه حتى يصيبونا بجائحة ، وإنا لأدنى العرب منهم جوارا ، وإن كان هذا الرجل نبيا مرسلا فلاعناه فلا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقال له صاحباه : فما الرأي يا أبا مريم ، فقد وضعتك الأمور على ذراع ؟ فهات رأيك ، فقال : رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا ، فقالا له : أنت وذاك(١) .

وفي رسائل النبي ﷺ إلى ملوك النصارى في عصره يدعوهم فيها إلى الإسلام كان يكتب آية آل عمران ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ الآية ؛ فكتبها في رسالته إلى هرقل عظيم الروم ، وإلى المقوقس عظيم القبط ، وإلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة ؛ وهو بذلك يقرر أن الأصل الذي يحاوَر عليه أهل الكتاب هو هذه الآية .

وباهتداء المجادل لطريقة القرآن والسنة في محاورة أهل الكتاب تتم النصرة وتقوم الحجة ؛ قال ابن تيمية - رحمه الله : وكثير من المصنفين في الكلام لا يردون على أهل الكتاب إلا ما يقولون : إنه يُعلم بالعقل ؛ مثل تثليث النصارى ، ومثل تكذيب محمد ﷺ ، ولا يناظرونهم في غير هذا من أصول الدين ؛ وهذا تقصير منهم ومخالفة لطريقة القرآن فإنَّ الله يبين في القرآن ما خالفوا به الأنبياء ويذمهم على ذلك ، والقرآن مملوء من ذلك(٢) . ا.هـ . فلا مانع من حوارهم في كل ما يكون متعلقا بأصول الدين ، لبيان وجه الحق فيه ، وقد مر أن النبي حاور الحبر اليهودي في مسائل من ذلك .

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٢١٢٦) ، وانظر زاد المعاد : ٣ / ٣٨، ٣٩ (الكتب العلمية) ، والبداية والنهاية : ٥ / ٥٣، ٥٤.

(٢) مجموع الفتاوى : ١٩ / ١٨٨.

٣ - **عدم تكذيب ما عندهم تكذيبًا عاما لمجرد كونه من كتبهم**، فإن فيها حق وباطل، فينبغي السكوت عن ذلك فلا يصدقون ولا يكذبون، بل يمكن أن يستفاد مما فيها من الحق للوصول بهم إلى الحق الموصول بين الرسالات بثبوت نبوة محمد ﷺ كما تقدم؛ وقد تقدم أيضا حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري « **لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**؛ ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية » .

٤ - **أن تكون المجادلة بحسن خلق ودعوة إلى الحق وتحسينه ورد الباطل وتهجينه**، بأقرب طريق موصل لذلك؛ وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق(١)، وتقدم دليل ذلك؛ فإننا - كما يقول شيخ الإسلام : نتنزل لليهودي والنصراني في مناظرته وإنْ كنا عالمين ببطلان ما يقوله اتباعا لقوله تعالى : ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل : ١٢٥]، وقوله : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت : ٤٦]، وإلا فعلمنا ببطلان ما يعارضون به القرآن والرسول ويصدون به عن سواء السبيل وإن جعلوه من المعقول بالبرهان أعظم من أن يبسط في هذا المكان(٢) .

٥- **أن ينزل خطاب كل طائفة منهم على ما يقتضيه حالها**، إذْ إنهم كما قال تعالى : ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾ [آل عمران : ١١٣] .

وقد يفيد في هذا الشأن النظر في ما دلت عليه العقول والفطر السليمة؛ وهذا -كما يقول ابن تيمية : مركوز في فطرة جميع الناس، فإنه ما منهم من أحد إلا وعنده من نوع النظر والاستدلال بل ومن نوع الجدال، بحسب ما هداه اللّٰه إليه من ذلك . وقد قال تعالى : ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ [الكهف : ٥٤]، والإنسان يجادل بالباطل ليدحض به الحق من غير معرفة بقوانين الجدل، فكيف لا يجادل بالحق؟ وللناس من النظر والمناظرة في صناعاتهم وأمور دنياهم ما يبين أن النظر والمناظرة مركوز في فطرهم، فكيف في أمور الدين؟ واللّٰه سبحانه يقول : ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾

---

(١) انظر تفسير السعدي : ٤ / ٦٤.

(٢) درء التعارض : ١ / ١٨٨.

[الأعلى : ٢، ٣] ، وقال : ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه : ٥٠][1] .

وقد لا يحتاج المحاور - أحيانا - أن يظهر الحق للمخالف المعاند عند انقطاعه ، وإنما عليه الاشتغال برد دليله وقلبه عليه ودمغ باطله وبيان تناقضه ، حتى يفيق ويتبين له فساد ما كان عليه . وهذه الطريقة نافعة في كثير من المسائل المطروحة في الحوار مع أهل الكتاب اليوم ، كقضية تعدد الزوجات في الإسلام وحقوق الإنسان وغير ذلك من لائحة الشبهات المعروفة ، فليس من الضروري - إن أقحمت في الحوار - تبيين حكم الإسلام فيها ، ولكن يعكس المحاور عليهم ذلك فيبين لهم ما في واقعهم من تناقض في قضية المرأة واستعبادهم للشعوب ومصادرة الحريات ونحو ذلك .

ومن ذلك ما قد يضطر المحاور المسلم إلى الاحتجاج على الخصم الكتابي بمقدمات يسلمها - ولو كانت في نفسها باطلة - وذلك لبيان تناقضهم لا لتقرير الحق ، ولهذا قال ابن تيمية - رحمه الله : والله تعالى لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم إنْ لم تكن علما ، فلو قُدرَ أنه قال باطلا لم يأمر الله أن يحتج عليهم بالباطل ؛ لكنَّ هذا قد يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه لا لبيان الدعوة إلى القول الحق ودعوة العباد إليه[2] . ا.هـ .

وبعض المرضى لا ينتفع بالأغذية الفطرية ، بل يحتاجون إلى علاج وأدوية تناسب مزاجهم .

٦ - **الصدع بالحق والجهر به** ؛ وهذا معلم واضح من معالم الحوار عامة ، وتقدم في شروط الحوار بيان ذلك ؛ ولا يتوقف ذلك على أوقات القوة والضعف ، فالأصل في الحوار تبادل الآراء ومراجعة الأقوال للوصول إلى الحق ؛ وبالنظر في أحوال المرسلين مع أقوامهم يعلم أنهم جهروا بالحق في مواطن الضعف كما صدعوا به في مواطن القوة ؛ وفي قصة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع النجاشي دليلٌ على ذلك أيضا ، فلم يمنعه كونه بين النصارى وفي دارهم من بيان الحق ، وقد أقره النجاشي عليه ثم أسلم النجاشي وحسن

---

(١) انظر : درء التعارض : ٧ / ٤٣٩.

(٢) الرد على المنطقيين ص ٤٦٨.

إسلامه ، وصلى عليه النبي ﷺ بعد موته صلاة الغائب .

ولا يعني الجهر بالحق ترك أدب الحوار أو التخلي عن أخلاق وآداب الإسلام ؛ فالمسلم هو المسلم في كل الأحوال وإنما يصول ويجول بالله ولله ، لا بنفسه ولا لهواه .

٧ - **لا تقبل أنصاف الحلول في العقيدة** ؛ فمبناها على التصديق والجزم والوضوح ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ، وقال ﷻ : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون : ٦] ، قال عطية خميس - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ : في هذه السورة منهج إصلاحي ، وهو عدم قبول ولا صلاحية أنصاف الحلول ، لأن ما عرضوه عليه ﷺ من المشاركة في العبادة ، يعتبر في مقياس المنطق حلًا وسطًا لاحتمال إصابة الحق في أحد الجانبين ، فجاء الرد حاسمًا وزاجرًا وبشدة ، لأن فيه - أي فيما عرضوه - مساواة للباطل بالحق ، وفيه تعليق المشكلة ، وفيه تقرير الباطل ، إن هو وافقهم ولو لحظة [(١)] .

تنبيهان مهمان :

١ - في حين تدرس مادة الحوار في الجامعات الغربية كجزء من المناهج ، يغيب عن المؤسسات التعليمية في بلاد المسلمين إعداد المحاور المسلم بمنهجية صحيحة ؛ فنرى الذين يمثلون الجانب الإسلامي في ملتقيات حوار الأديان والثقافات ذوي ثقافات ضحلة ومعلومات مشوهة لا تنهض أبدا أن يكون صاحبها ممثلا عن عوام المسلمين فضلا أن يكون ممثلا عن الإسلام أو الحضارة الإسلامية !!

٢ - من المفيد جدا لمن يتصدى للحوار مع أهل الكتاب أن يقرأ في كتب علماء الإسلام التي كُتبت في هذا الشأن ، وخاصة : (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية ، و (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) لابن القيم ، (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) لابن القيم ، فقد عقد في آخره فصلين هامين في هذا الباب ؛ وكتاب (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي[(٢)] ، وكُتُب الشيخ أحمد ديدات ، عليهم جميعا رحمة الله .

---

(١) انظر تتمة أضواء البيان عند الآية (٦) من سورة الكافرون .

(٢) هو رحمة الله بن خليل الرحمن الدهلوي ، فقيه حنفي ، عالم بمناظرة النصارى ، جاور بمكة =

وكذلك من المهم أن يقرأ لمن أسلم من أحبارهم وقساوستهم فإنهم كتبوا في هذا الموضوع كتابة حاذق متمكن ؛ من ذلك : (إفحام اليهود) لأبي نصر السموئل ، و (محمد ﷺ في الكتاب المقدس) لعبد الأحد داوود ، و (محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن) لإبراهيم خليل أحمد وغير ذلك .

الحوار مع غير أهل الكتاب من ملل الكفر الأخرى

رسالة الإسلام رسالة رحمة للعالمين ؛ قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، ودعوة الناس جميعا للدخول فيها كانت مهمة رسول اللَّه ﷺ ، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وقد قام ﷺ بإبلاغ رسالة ربه خير قيام حتى توفاه اللَّه تعالى ، فجزاه اللَّه عن الإسلام والمسلمين خير ما جزى نبيا عن أمته ورسولا عن قومه ؛ ولما كانت الأمة قد حملت هذه الأمانة بعده ؛ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، فقد قام صحابته بها من بعده خير قيام ، فانتشر الإسلام في ربوع الأرض ، وعم الخير والعدل الناس ؛ وقد أخذ بزمام الأمر مَنْ بعدهم من التابعين فأتموا ما بدأ به أسلافهم ، ثم قام من بعدهم بذلك حسب القدرة والاستطاعة ، ولا يزال هذا الأمر [دعوة غير المسلمين] واجبا كفائيًا على الأمة ما بقيت ، قال اللَّه تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وفي العصور المتأخرة قصرت الأمة في هذا الواجب ، وقد امتلأت بلاد المسلمين من أهل الكفر على اختلاف مللهم ، وما رأينا مؤسسة ولا هيئة حكومية ولا خيرية تقوم بهذا الواجب ولها خطة ومنهج تعمل من خلاله ؛ غير أن هناك جهودًا فردية أو جماعية قليلة لا

= وتوفي بها سنة ١٣٠٦، وقيل: سنة ١٣٠٨، من أهم كتبه (إظهار الحق) ؛ انظر: الأعلام للزركلي: ٣ / ١٨، وهدية العارفين: ١ / ٣٦٦.

تقوم بواجب الكفاية ؛ فاللهم غفرانك . قال ابن عثيمين - رحمه الله - مصورا لشيء من ذلك الحال : وكنا قبل هذا الوقت نقول : لا حاجة لقراءة الجهاد لأنه لا يوجد جهاد ؛ ولا لقراءة أحكام أهل الذمة ، لأنهم غير موجودين عندنا ؛ أما الآن فلا بد لطلبة العلم من أن يقرؤوا ويحققوا أحكام الجهاد وأحكام أهل الذمة وسائر الكفار ، لأنه في هذا الوقت انفتحت جبهات للجهاد - ولله الحمد - في سبيل الله ، وأما الكفار فقد ابتلينا بهم وكثروا بيننا ، لا كثَّرهم الله ، فالواجب أن نعرف كيف نعامل هؤلاء الكفار[١] .ا.هـ .

قلت : وهذا الواجب يدخل فيه - بلا ريب - دعوتهم إلى الإسلام بالحوار وإقامة الحجج والأدلة .

أهم معالم الحوار مع غير أهل الكتاب من الكفار

هناك أمور مشتركة في هذا الباب بين أهل الكتاب وغيرهم ؛ ولكن أهم معالم الحوار الديني مع غير أهل الكتاب من الكفار **هو التركيز على قضية توحيد الألوهية لله تعالى** ، مع الاستدلال بالآيات الكونية مع الآيات القرآنية ، والمسلمات العقلية التي يمكن أن تؤثر في الإقناع ؛ **مع مراعاة حال كل ملة من هذه الملل** .

فإذا كانوا ممن ينكرون وجود الخالق (جل جلاله) ، فالآيات الكونية المتكاثرة يمكن أن تكون مدخلا للإقناع ؛ ومما يُؤْثر في ذلك عن أبي حنيفة - رحمه الله - أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى ، فقال لهم : دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر ، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها ، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها ، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد . فقالوا : هذا شيء لا يقوله عاقل ، فقال : ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع !! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه[٢] .

---

(١) الشرح الممتع : ٣ / ٤٩٦ (دار البصيرة) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير عند الآية (٢١) من سورة البقرة .

وإن كانوا يعتقدون ألوهية حجر أو شجر أو بقر أو بشر أو غير ذلك من الطواغيت ؛ فبيان بطلان ألوهية هذه المعبودات ليس بالأمر الصعب ، فعلى المحاور أن يقوم ببيان ذلك وإيضاحه بما أوتي من علم وعقل ومحاولة إقناع محاوره مع الاستعانة بالله تعالى والدعاء وحمل هم هداية البشر كما كان النبي ﷺ يفعل ؛ وبعد ذلك من أراد الله له الهداية يهتدي ، ومن لم يرد له ذلك فقد أدى المحاور ما عليه ويؤجر - بفضل الله تعالى - على ما بذل من جهد في ذلك .

* * *

الحوار بين الحضارات

تمهيد :

يقصد بالحوار بين الحضارات غالبًا - كما تقدم - الحوار بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ؛ والحديث عن العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب - كما يقول د أحمد محمد العيسى - يعتبر من أكثر المواضيع التي احتلت حيزًا واسعًا في أدبيات الفكر الإسلامي الحديث ، وذلك بسبب أن تلك العلاقة قد أخذت بعدًا جديدًا منذ أن استيقظت بلاد المسلمين على صيحات جنود نابليون الذين عادوا إلى الشرق عام ١٧٩٨م ، بعد انقضاء فترة ليست طويلة حضاريًا على نهاية الحملات الصليبية .

وقد أخذت العلاقة بعد تلك الحملة تتعقد كثيرًا ؛ لأن أهداف الحملة وما جاء بعدها حتى انتهت بالاستعمار الغربي لبلاد المسلمين قد تغيرت كثيرًا عن أهداف الحملات الصليبية التي كانت تهدف إلى (استعادة الأراضي المقدسة) من المسلمين ، لكن أهداف حملة نابليون ثم الاستعمار من بعده نقل الصراع من صراع عسكري إلى صراع فكري ثقافي عسكري اقتصادي ...، ولم تكتف تلك الحملات بالسيطرة المطلقة على مقدرات الشعوب الإسلامية ، بل اهتمت بزعزعة عقائد المسلمين ، وتبديل أخلاقهم وربط مصيرهم بالفكر الغربي ، الذي بدأ يقوده في تلك الفترة مجموعة من المستغربين أمثال : رفاعة رافع الطهطاوي ، ثم سلامة موسى ، وطه حسين ، ولطفي السيد ، وأدباء المهجر ، وغيرهم ؛ لهذا فإن هناك تفسيران لتأثير حملة نابليون على (الشرق الإسلامي) .

الأول : أن هذه الحملة هي بداية ما سمي (التنوير والعلم والثقافة واللحاق بركب التقدم والحضارة) وهذا هو التفسير العلماني للعلاقة الحضارية بين العالم الإسلامي والغربي .

الثاني : هو أنها بداية حركة التغريب ، والاستلاب الحضاري ، وضياع هوية الأمة ، وهذا هو التفسير الإسلامي لتلك الحملة .

ونتيجة لهذين التفسيرين انتقل الصراع الحضاري جزئيًا إلى داخل العالم الإسلامي ،

بين ممثلين عن الغرب يتحدثون من منطلقاته وأهدافه ، وبين المؤمنين بالتميز الحضاري والعودة إلى جذور الأمة وأصولها لبناء الأسس العقائدية والأخلاقية والفكرية ، ثم الانطلاق للتنافس عالميًا مع حضارات سادت قيمها ومنظومتها الحضارية ، حتى كادت أن تزيل الحضارات الأخرى من الوجود .

وبعد صراعات عديدة في الداخل والخارج أخذت أشكالًا متعددة سقطت الأيديولوجية الشيوعية ، وظن الكثيرون أن آخر القلاع التي تقف في مواجهة الحضارة الغربية بكل قيمها وأنظمتها قد سقطت ، وتوقعوا أن القيم الغربية لن تجد عوائق جديدة تحول دون انتشارها ودون تداعي الشعوب والأمم عليها ، فبعيد الأحداث (الدرامية) التي كانت تسجل سقوط الشيوعية ظهرت كتابات وطروحات عديدة مثل (طروحات فوكاياما) ، تؤكد على أن الحضارة الغربية سوف تكتسح العالم لتسجل في زعمه (نهاية التاريخ) .

ولكن هذا التفاؤل ، وهذه الأفكار اتضحت سذاجتها بعد مرور وقت قصير ، حين تبين أن هناك عوائق وعوامل أكثر تجذرًا وثباتًا من الأفكار الأيديولوجية أو الصراعات الاقتصادية والسياسية ، بل لقد اتضح أن نهاية الحرب الباردة قد أبرزت هذه العوامل وساعدتها على التجذر والرسوخ ، بعد أن سقط وهم القوتين العظميين ، ووهم الجبهة الشرقية والجبهة الغربية ، ووهم عدم الانحياز ، وهذه العوامل أو العوائق التي نشير إليها ، هي خصائص الحضارات ، ومقوماتها الداخلية ، ومن أهمها : الدين ، واللغة ، والتاريخ ؛ وهذا يجعل من الصعوبة القضاء عليها ، بل إنها تقوى عندما تشعر الشعوب أن حضارتها التي تنتسب إليها تتعرض لخطر خارجي كبير .

إذن : تهاوت فكرة فوكاياما (نهاية التاريخ) ، وبرزت فكرة صامويل هنجتون (تصادم الحضارات) التي تقول : إن الصراع في المستقبل ، سيكون بين الحضارات الرئيسة في العالم المعاصر[١] .

---

(١) د .أحمد محمد العيسى في مقال له بعنوان (قراءة نقدية لمفهوم تصادم الحضارات) - البيان (٧١) ص٨٩ - رجب ١٤١٤ _ ديسمبر ١٩٩٣.

وسنتحدث - إن شاء الله تعالى - في الباب التالي عن موضوع (تصادم الحضارات) بتفصيل .

ثم جاء ت - كما يقول د عبد العزيز التويجري - المبادرة إلى طرح فكرة (الحوار بين الحضارات) في إطارها الدولي من العالم الإسلامي ، حين تقدم رئيس الدورة الثامنة لمؤتمر القمة الإسلامي السيد محمد خاتمي رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، من على منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة ، في دورتها الثالثة والخمسين في يوم ٢١ من سبتمبر ١٩٩٨، باقتراح تسمية عام ٢٠٠١ (عام الحوار بين الحضارات) . وبعد شهرين من توجيه هذا النداء ، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٦ من نوفمبر ١٩٩٨ القرار رقم (٢٢ / ٣٥ A/RES /) الذي جاء فيه ما يلي :

١ - تعرب عن عزمها الوطيد على تيسير الحوار بين الحضارات وتشجيعه .

٢ - تقرر أن تعلن سنة ٢٠٠١ (سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات) .

ولقد تبلورت الدعوة إلى الحوار بين الحضارات وتطورت حتى أصبحت مسألة دولية . ففي الدورة الخامسة والخمسين للجمعية العامة للأمم المتحدة ، صدر القرار رقم (٥٣ / ٢٣ /A/RES) المؤرخ في ١١ يناير ٢٠٠١، حول (سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات) جاء فيه ما يلي :

إن الجمعية العامة إذ تؤكد من جديد المقاصد والمبادئ التي يجسدها ميثاق الأمم المتحدة ، والتي تدعو في جملة أمور إلى بذل جهد جماعي لتعزيز العلاقات الودية بين الأمم ، وإزالة التهديدات للسلام ، وتعزيز التعاون الدولي في حلِّ القضايا الدولية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإنساني ، وفي تعزيز وتشجيع الاحترام العالمي لحقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع ، وإذ تلاحظ أن الحضارات ليست حكرًا على فرادى الدول القومية ، بل تشمل ثقافات مختلفة ضمن الحضارة نفسها ، وإذ تؤكد من جديد أن المنجزات الحضارية تشكل التراث الجماعيَّ للجنس البشري ، وأن توفر مصدرًا للإلهام والتقدم للبشرية جمعاء ، وإذ تضع في اعتبارها خصائص كل حضارة وإعلان الأمم المتحدة بشأن الألفية المؤرخ في ٨ سبتمبر ٢٠٠٠ الذي يعتبر في جملة

أمور، أن التسامح يشكل قيمة لازمة للعلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين، ينبغي أن تشمل التشجيع بشكل نشيط على نشر ثقافة السلام والحوار بين الحضارات، واحترام الإنسان على اختلاف المعتقدات والثقافات واللغات، دون خشية أو كبت للاختلافات بين المجتمعات وداخلها، بل مع الاعتزاز بها باعتبارها ميزة قيّمة للبشرية، وإذ تلاحظ أن العولمة تؤدي إلى مزيد من الترابط بين الشعوب والتفاعل بين الثقافات والحضارات (!!)، وإذ يشجعها أن الاحتفال بسنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات في بداية القرن الحادي والعشرين سيوفر الفرصة للتركيز على أن العولمة لا تنحصر في كونها عملية اقتصادية ومالية وتكنولوجية يمكن أن تجلب مكاسب عظيمة فحسب، بل هي تشكل - أيضًا - تحديًا عميقًا للبشرية يدعونا إلى تقبُّل تكافل الجنس البشري وتنوّعه الثقافي الغني، وإذ تسلم بتنوّع المنجزات الحضارية للجنس البشري التي تبلور التعددية الثقافية والتنوّع البشري الخلاق، وإذ تؤكد على ضرورة الإقرار بغنى جميع الحضارات واحترامها، والبحث عن القواسم المشتركة بين الحضارات وداخلها لمواجهة التهديدات التي يتعرض لها السلام العالمي والتحديات المشتركة للقيم والمنجزات البشرية، مع مراعاة أمور منعها التعاون والشراكات والإدماج، ترحب باجتماع المائدة المستديرة المعني بالحوار بين الحضارات الذي شاركت فيه الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، وعقد على مستوى رؤساء الدول في ٥ سبتمبر ٢٠٠٠، في مقر الأمم المتحدة، مما أسهم في زيادة تعزيز الحوار بين الحضارات، تدعو الحكومات ومنظومة الأمم المتحدة، بما في ذلك منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، وغيرها من المنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية ذات الصلة، إلى مواصلة وزيادة تكثيف تخطيط وتنظيم البرامج الثقافية والتعليمية والاجتماعية الملائمة لترويج مفهوم الحوار بين الحضارات بوسائل من بينها تنظيم المؤتمرات والحلقات الدراسية والمواد الأكاديمية عن الموضوع[1].

---

(١) يلاحظ في هذه الديباجة أنها لم تذكر الجانب الروحي (الديني) وهو أهم جانب في بناء أي حضارة، واستبدلت مكانه (العولمة) وذلك عن قصد بلا ريب ؛ كما أن في هذه الديباجة شروط =

وتعزيزًا لهذا القرار الدولي ، صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السادسة والخمسين ، القرار (A/56/L.3) بتاريخ ٢٤ سبتمبر ٢٠٠١، حول برنامج عالمي للحوار بين الحضارات ، الذي لا يكاد يختلف في بعض الفقرات من ديباجته ، عن القرار الآنف الذكر ، ولكنه يسطر برنامجًا عالميًا للحوار بين الحضارات ، ويضع الأهداف والمبادئ . وقد جاء في المادة الأولى من هذا القرار : أن الحوار بين الحضارات عملية تجري بين الحضارات وداخل الحضارة الواحدة ، وتقوم على الإدماج ، وعلى الرغبة الجماعية في التعلم وكشف المسلمات ودراساتها وتوضيح المعاني المشتركة والقيم الأساسية ، وتكامل وجهات النظر المتعددة من خلال الحوار . وجاء في المادة الخامسة من هذا القرار أيضًا : المشاركة في الحوار بين الحضارات ستكون عالمية النطاق ومفتوحة أمام الجميع ، بمن فيهم شعوب جميع الحضارات ، والباحثون والمفكرون والكتاب والعلماء ورجال الفن والثقافة وممثلو وسائط الإعلام والشباب ، ممن يؤدون دورًا فعالاً في بدء الحوار بين الحضارات واستمراره ، والأفراد من المجتمع المدني وممثلو المنظمات غير الحكومية بصفتهم شركاء فعالين في تشجيع الحوار بين الحضارات . ولابد أن نلاحظ في هذا السياق ، أن البرنامج العالمي للحوار بين الحضارات قد أعلن رسميًا يوم ٢٤ من سبتمبر ٢٠٠١، بعد تسعة شهور من صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتسمية سنة ٢٠٠١ (سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات) وفي أجواء عالمية مشجعة .

غير أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية ، قد وقعت قبل ثلاثة عشر يومًا من انطلاق العمل على الصعيد الدولي ببرنامج طموح واسع المدى فسيح المجالات للحوار بين الحضارات . وكأن هذه الأحداث التي هزَّت العالم قد وقعت للحيلولة دون تنفيذ هذا البرنامج .

ولكن إدارة المجتمع الدولي كانت أقوى من هذه التحديات . ولقد كان حضور

= مسبقة للحوار قد تكون من عوائق إنتاجيته ، وها قد رأينا ذلك واضحا في الواقع وبعد أكثر من خمس سنوات على هذا الإعلان !!!

العالم الإسلامي في الوسط الدولي ومشاركته في تنفيذ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة متميزًا ومؤثرًا ، فقد وضعت منظمة المؤتمر الإسلامي برنامج العمل التنفيذي للحوار بين الحضارات في شهر سبتمبر ٢٠٠١. ووضعت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة من جهتها ، برنامجًا تنفيذيًا خاصًا بالعالم الإسلامي حول الحوار بين الحضارات ، وذلك عملا بالقرار الصادر عن المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية الذي كلف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بتنظيم مجموعة من الأنشطة في هذا الإطار ، تعبيرًا عن مشاركة العالم الإسلامي في سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات . وفي هذا الإطار أشرف الباحث بصفته مديرًا عامًا للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، على عقد سلسلة من الندوات الدولية في العديد من العواصم العربية الإسلامية والغربية ، تناولت بالدرس والبحث والمناقشة القضايا المتصلة بالحوار بين الحضارات ، شارك فيها صفوة من المفكرين والباحثين والإعلاميين من العالم الإسلامي ومن بعض الدول الغربية ، وصدرت عنها بيانات وإعلانات تضمنت مجموعة مهمة من التوصيات ، نشرت ضمن (الكتاب الأبيض حول الحوار بين الحضارات) الذي أصدرناه بالتعاون مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي .

ولقد كان من النتائج المهمة التي خرجنا بها من هذه الندوات والمؤتمرات الدولية التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، أن مفهوم الحوار قد تبلور بعمق وبوضوح منهجي ، وترسخ الاقتناع بالحوار نهجًا للتواصل وأسلوبًا للتعايش ، وأصبح قضية فكرية وثقافية وإعلامية تستأثر باهتمام صانعي القرار والنخب من مختلف الاتجاهات[1] .

وفوق ذلك فقد انعقدت ندوات أخرى في هذا الصدد في القاهرة والرياض والدوحة وغيرها ؛ ولكن وبعد خمس سنوات الآن .. ما هي نتيجة هذه المؤتمرات والحوارات ؛ وإلى متى ستكون لعبة (الحوار بين الحضارات) قائمة في حين نجد الحضارة المهيمنة تستخدم الحديد والنار لغرس أفكارها في أماكن ، والإرهاب والتخويف والضغط والتهديد

(١) الحوار الحضاري والثقافي : أهدافه ومجالاته – د . عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو .

لفرض هذه الأفكار في مناطق أخرى ؟ أو كما تقول د نادية مصطفى : هل تراكمات فترة ما قبل الحرب على العراق ثم وقوع العدوان على العراق - مثلما حدث من قبل في الإعداد للحرب على أفغانستان ووقوعها - وفي ظل استمرار العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني ، وخوفا مما قد يقع بعد هذا من أمور أخرى ؛ هل ما زال حوار الحضارات له فاعلية وقيمة[١] ؟ ؟

وبعد هذا التمهيد سنتناول - بإذن الله - في هذا المبحث : الحديث عن تعريف الإسلام والغرب والحضارة كمفردات للمبحث ، ثم موجز عن الحضارة الإسلامية وأهم خصائصها ، والحضارة الغربية وأهم خصائصها ؛ ثم سنتحدث عن (الحوار بين الإسلام والعلمانية) كمحور أصيل للحوار بين الأصول الفكرية للحضارتين ؛ ثم نتبع ذلك بالحديث عن (الحوار من أجل التعايش وبناء المشترك الإنساني مع الآخر) .

أما الإسلام فقد تقدم الإشارة إلى تعريفه ، وهو - كما يقول د محمد محمد حسين - شرعة هذه الأمة ومنهاجها كما أوحاه الله إلى رسوله المبعوث إليهم رحمة منه وفضلا ، يأخذون ما آتاهم ، وينتهون عما نهاهم ، يتخذون وحيه المجموع في كتابهم إماما لا يأتمون بسواه ، ولا تطمح أبصارهم إلى غيره ، ولا تنزع قلوبهم إلى ما عداه ، عرفوا وجه الحكمة فيما يأخذون وما يدعون أو لم يعرفوه ، إيمانا وتسليما ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام : ١٥٣][٢] .

أما الغرب فهو اصطلاح حديث ، جرينا فيه على ما اصطلح عليه الأوربيون في عصور الاستعمار ، من تقسيم العالم إلى (شرق) و (غرب) ، يعنون بالغرب أنفسهم ، ويعنون بالشرق أهل آسيا وأفريقيا ، الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم ؛ والكلمة وإن كانت حديثة اصطلاحا واستعمالا فهي قديمة في مفهومها ودلالتها ، فقد كان في العالم من زمن قديم قوتان تصطرعان وتتنازعان السيادة ، إحداهما في الشرق والأخرى في

---

(١) انظر كتاب (سلسلة محاضرات حوار الحضارات) الجزء الثاني - خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات ص ١٦٤.

(٢) انظر الإسلام والحضارة الغربية - د محمد محمد حسين ص ٥.

الغرب ؛ تمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم ، ثم في الصراع بين المسلمين والروم ، ثم في الصراع بين المسلمين والصليبيين ، ثم في الصراع بين العثمانيين والأوروبيين ، مدا وجزرا ، ثم كان آخر فصول هذه الملحمة الصلات بين الشرق ممثلا في آسيا وأفريقيا ، وبين الغرب ممثلا في أوروبا وأمريكا . وهي صلات متنوعة : بعضها ثقافي ، وبعضها اقتصادي ، وبعضها سياسي[١] . والغرب – كما يقول د عبد العزيز التويجري : هو أقاليم جغرافية تسكنها شعوب متفرقة العقائد مختلفة المشارب ، مثلت منظومة حضارية من القيم والأفكار والمذاهب والسياسات ؛ والملاحظ أن الغرب شعوب تبحث عن مصالحها وتضعها في مقدمة أولوياتها ، وتتعامل مع العالم من منطلق الحرص على تلك المصالح واستثمارها وتنميتها والحفاظ عليها بشتى الوسائل والسبل ، حتى ولو كان في ذلك هدر لحقوق الآخرين أو انتقاص من مكانتهم[٢] .

أما **الحضارة** (بفتح الحاء وبكسرها) فهي **لغة** : الإقامة في الحضر ، والحضر خلاف البدو ، يقال : هو حضري بين الحضارة ، وبدوي بين البداوة ؛ وهو بدوي يتحضر ، وحضري يتبدى[٣] . وبهذا المعنى استعملها القطامي الشاعر في قوله مفتخرا ببداوة قومه ، مستخفا بساكني القرى والمدن :

فَمَنْ تَكُنِ الحَضَارَةُ أَعْجَبَتْه   فأَيَّ رجالِ بادِيَةٍ تَرانَا

وأما تعريفها في **الاصطلاح** فقد اختلف فيه اختلافا بينا ؛ حتى ذكر د نعمان السامرائي أنه ورد في تعريف الحضارة ١٦٥ تعريفا[٤] . ويشير د سالم أحمد محل في كتابه (المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب) أن لفظة الحضارة قد اتسعت مدلولاتها لدى الباحثين المعاصرين ، رغم عدم اتفاقهم على إعطاء تعريف موحد لها لا في اللغة العربية ولا في اللغات الأوروبية المختلفة ، قال : وقد وجدنا أن أقرب هذه التعاريف

---

(١) انظر الإسلام والحضارة الغربية – د محمد محمد حسين ص ٧.

(٢) انظر الحوار من أجل التعايش ص ٤٧، ٤٨.

(٣) انظر أساس البلاغة مادة (ح ض ر) ، ولسان العرب باب الراء فصل العين .

(٤) انظر (نحن والحضارة والشهود) : ١ / ٦١ – كتاب الأمة رقم ٨٠.

وأقلها التباسًا ، ذلك الذي يعتبر الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء[١] .

قلت : وقد عرفها د أحمد حمد بقوله : لفظ حضارة يعني مظهر الحياة الاجتماعية التي بلغت درجة محسوسة في العلم والفن والأدب ، أصبحت تشجع على الحضور والإقامة وعدم الترحال ؛ فهي ضد البداوة التي تدعو إلى التنقل والترحال وعدم الاستقرار[٢] .ا.هـ .

ولعل أقربها للصواب ما قاله د محمد محمد حسين : وهي تطلق الآن **اصطلاحا** : على كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه ، عقلا وخلقا ، مادة وروحا ، دنيا ودينا . فهي - في إطلاقها وعمومها - قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان ، وما صورت به علائقه بالكون وما وراءه .

وهي - في تخصيصها بجامعة من الناس أو أمة من الأمم - تراث هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص ، الذي يميزها عن غيرها من الجماعات والأمم ؛ وهي بهذا المعنى الاصطلاحي نظير المدنية التي هي أصل استعمال سكنى المدن ، والتي تقابلها الكلمة الأوربية (civilization) ؛ والحضارة بهذا المعنى أعم من الثقافة ، التي تطلق على الجانب الروحي أو الفكري من الحضارة ، بينما تشمل الحضارة الجانبين الروحي والمادي ، أو الفكري والصناعي ، كأنما لوحظ فيها أن النشاط البشري في مختلف جوانبه ومواهبه يكون في أرقى حالاته في الحواضر والمدن ، وأن سكنى الحواضر مرحلة أكثر تقدما من سكن البادية . والكلمة - بهذا المعنى الاصطلاحي - قديمة في الاستعمال العربي ، وليست ترجمة الكلمة الأوربية (civilization) ، فقد استعملها ابن خلدون في مقدمة تاريخه ، حين كتب فصولا متعددة عن (العمران في البدو وفي الحضر وطبائع كل منهما) وعن (انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة) وفي (أن الحضارة غاية

---

(١) انظر (المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب) د سالم أحمد محل - كتاب الأمة رقم ٦٠.

(٢) انظر (الحضارة صراع أم حوار) د أحمد حمد - ضمن كتاب (الإسلام وحوار الحضارات) كتاب المؤتمر الدولي الخامس للفلسفة الإسلامية - ٢٧، ٢٨ من المحرم ١٤٢١ هـ .

العمران ونهاية لعمره، وأنها مؤذنة بفساده).

والحضارة بهذا المعنى الاصطلاحي عند ابن خلدون أضيق من الحضارة بالمعنى الاصطلاحي الحديث، لأنها لا تصور إلا الجانب المترف من النشاط البشري، ولا تدخل فيه النشاط الديني والخلقي والعقلي. يقول ابن خلدون : والحضارة كما علمت هي التفنن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه، ومن الصنائع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل ..... وإذا بلغ التأنق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات، فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا تستقيم حاله معها في دينها ودنياها(١).

والحضارة بهذا المعنى الاصطلاحي عند ابن خلدون أحد شطري العمران، الذي قسمه إلى بدوي ومدني، وتصوره للحضارة بهذه الصورة فرع عن تصوره لفضل البدو على الحضر، في الفصول التي كتبها في تفضيل أهل البدو على أهل الحضر، مثل (فصل في أن البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر)، (وفصل في أن البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر) و (فصل في أن معاناة أهل الحضر للأحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة عنهم)(٢).

ويعد الدين حتى اليوم في نظر معظم الكتاب المعاصرين في الغرب أحد المكونات الرئيسية لأي حضارة بالإضافة إلى اللغة والتاريخ والثقافة، ومن هنا يصف الغرب حضارته بأنها حضارة مسيحية، كما نصف نحن حضارتنا بأنها : حضارة إسلامية.

الحضارة الإسلامية وخصائصها :

الحضارة الإسلامية هي تلك الحضارة الإنسانية المنسوبة إلى الإسلام؛ والتي تستمد أصولها وروافدها من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ومن السنة النبوية التي هي الوحي الثاني - كما تقدم؛ وهي الحضارة الوحيدة التي تقوم على

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ج٢ ص ٤٨٤ (الدار التونسية للنشر والتوزيع).

(٢) الإسلام والحضارة الغربية - د محمد محمد حسين ص ٦، ٧، وانظر هذه الفصول في المقدمة : ١ / ١٦٨: ١٧٠.

التوحيد الصحيح والإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ؛ وهي الحضارة التي تملك تفسيرًا صحيحا للإنسان والكون والحياة ، وتتمثل الأخلاق سلوكًا ، وتنتهج الوضوح والصدق ، وهي أمور انسلخت منها الحضارات الأخرى فتعرّت من الفضائل ؛ وهي الحضارة الوحيدة في عالم اليوم الذي تجمع بين الروح والمادة ، بين الدين والدنيا ؛ لتحقيق العزة في الدنيا والسعادة في الدار الآخرة .

والحضارة الإسلامية في حقيقتها وتاريخها ونواتجها - كما يقول د عمر عبيد حسنة : هي حضارة إنسانية ، لا تخص جنسًا أو لونًا أو عرقًا أو منطقة جغرافية أو طبقة اجتماعية ، وإن كان العرب وبلادهم هي قاعدتها وهم حملتها الأوائل ؛ لقد تجاوزت بدعوتها وممارستها كل الفوارق القسرية التي لا يد للإنسان في وجودها ، وجعلت معيار الكرامة فعلًا كسبيًا بمقدور كل إنسان أن يرقى إليه ، وليس أمرًا قسريًا لا يد له فيه ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

لقد جاءت معظم آيات القرآن المكية ، تؤكد الوحدة الإنسانية ، وتحطم الفوارق التمييزية ، قبل أن يكون للمسلمين أمة أو دولة أو حكومة أو موقعًا جغرافيًا ، وكانت الوحدة الإنسانية أو وحدة الأصل البشرية من المقومات الأساسية التي نص عليها الوحي ، ولم يدع مجالًا لا للمساومة عليها أو يسمح بتجاوزها ، وكان عطاء الوحي موجهًا إلى العالمين ، بل لقد كانت الغاية من الرسالة السماوية وإنتاجها الحضاري ، هو إلحاق الرحمة بالناس كافة ، قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، وكان الإسلام أول من دعا إلى فكرة المواطن العالمي في أمة الإسلام ، والتمتع بالحقوق والواجبات كافة في دولة الإسلام ، بمجرد أن يعتنق الإنسان الإسلام كائنًا من كان ، وبذلك انتفت عن الإسلام وحضارته إصابات العنصرية والعرقية ، ولوثة وعقدة الشعب المختار التي لم تبرأ منها الحضارات البشرية بشكل أو بآخر ؛ وبذلك فالإسلام بطبيعته يناقض التعصب والانغلاق ، ويعتبره من الجاهلية وآفاتها ونخوتها وتعاظمها بالآباء وسفهها ، لأن أسوار التعصب المحتمل أو العارض لا يلبث أن يكسر بمجرد الإيمان ،

والدخول بالإسلام[١] .

فأهم خصائصها

١ - ربانية المصدر .

٢ - جمعت بين حاجة الروح ومتطلبات البدن ؛ بين عمارة الدنيا وسعادة الآخرة .

٣ - أنها حضارة الإنسانية ؛ فهي تنتسب إلى رسالة اللّٰه تعالى الأخيرة للبشرية جميعا .

٤ - العمومية والشمولية ؛ فهي عامة لجميع البشر .. شاملة لجميع نواحي حياتهم .

٥ - أنها هي معيار الحضارات ؛ كما أن أهلها هم معيار البشر ؛ والإسلام هو معيار الأديان .

ولما كان ذلك كذلك ، فقد انتشر الإسلام في ربوع العالم واعتنقته الشعوب طواعية لا عن إكراه ، شهد بذلك الموافق والمخالف ؛ يقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام في عهده ﷺ وفى عصور الفتوحات من بعده : قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة ، ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول ، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند - التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل - ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها .. ولم يكن الإسلام أقل انتشارًا في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط ، وسترى في فصل آخر سرعة الدعوة فيها ، ويزيد عدد مسلميها على عشرين مليونا في الوقت الحاضر[٢] . ويقول في موضع آخر : فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ولا دينا سمحا مثل دينهم[٣] ؛ ويتحدث عن صور من معاملة المسلمين لغير المسلمين فيقول :

---

(١) انظر تقديمه لكتاب (الإسلام وصراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٢٩، ٣٠ - كتاب الأمة ٤٤.

(٢) غوستاف لوبون حضارة العرب ص ١٢٨، ١٢٩ ط الهيئة المصرية للكتاب .

(٣) انظر : حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ٧٢٠.

وكان عرب أسبانيا خلا تسامحهم العظيم يتصفون بالفروسية المثالية ؛ فيرحمون الضعفاء ، ويرفقون بالمغلوبين ، ويقفون عند شروطهم ، وما إلى ذلك من الخلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوربا منهم مؤخرا[١] . وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه : العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام ، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود - الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها - سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم ، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى ، أوليس هذا منتهى التسامح ؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى ؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الأسبان واضطهاد اليهود ؛ إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا أنفسهم في شئون تلك الشعوب الداخلية . فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب : إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة وهم لا يستخدمون معنا أي عنف[٢] .

فهذا هو الإسلام ، وتلك حضارته في واقع التاريخ ، وفي كلام مخالفيه .

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

الحضارة الغربية وخصائصها :

الحضارة الغربية ؛ هي تلك الحضارة المنسوبة للغرب ، والتي تتسم بالتقدم التكنولوجي والتقني ، ومنظومتها الفكرية (العلمانية) والتي تعني فصل الدين عن الحياة ؛ وهي كما يقول - دكتور عمر عبيد حسنة : الحضارة الغربية هي حضارة اللون والعرق والقوم ، رغم ادعائها بالإنسانية .. إنها توبخ نفسها بادعاء الإنسانية والمعيار الحضاري الإنساني في أكثر من موقع من العالم ؛ ولسنا بحاجة للتذكير بتاريخها الاستعماري ، كما أننا لا نرى أنفسنا بحاجة إلى القراءة في واقعها وممارساتها في فلسطين والبوسنة

---

(١) حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ص ٣٤٤.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي - دار صادر ، بيروت ط ١٠، ١٤٢٣هـ ص ٣٦٤.

والشيشان ، وغيرها من بلاد العالم ؛ والحضارة - أية حضارة - ترتكز إلى اللون أو العنصر أو القوم أو العرق أو الطبقة هي حضارة عنصرية أو عدوانية بطبيعتها وأصل تكوينها ، لا تستطيع أن تعيش بدون عدو أو عدوان ، فإن لم يوجد لها عدو حقيقي ، تصنع لنفسها عدوًا ولو كان وهميًا ، لمعالجة مشكلاتها الداخلية ، وتوجيه أنظار شعوبها إلى الخارج ، فهي كالنار التي سوف تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله . لذلك رأينا كيف أن عسكر الحضارة الغربية حاولوا استعمار العالم واستنفاد خيراته ، وامتصاص خبراته ، وكيف أن مصانع ومعامل وجسور وأنفاق بلاد الحضارة الغربية ، إنما بنيت بأموال المستعمرات وسواعد العمال الذين جلبوا والأرقاء الذين خطفوا من بلادهم الأصلية . وأن أموال وخبرات وطاقات العالم النامي - وعلى الأخص العالم الإسلامي - ما تزال موظفة بشكل أو آخر لصالح حضارة الغرب .

وكيف أن هذه الحضارات العرقية العنصرية ، بمجرد أن يتوقف عدوانها على الخارج تنفجر فيها النزعات العنصرية الداخلية ، وتقوم فيها الديكتاتوريات الاستبدادية ... إلى أن قال : ونحب أن نوضح أن إصابات العدوى التي لحقت بمؤسسات الحكم في العالم الإسلامي من حضارة الغرب العنصرية ، والتي جاءت بسبب الانسلاخ عن الإسلام والعدوان له ، وأفرزت نماذج لا علاقة لها بسماحة الإسلام وعدالته وإنسانيته ، هي دخيلة على الحضارة الإسلامية ، التي تعتبر الاعتراف بالآخر وحقه في حرية العقيدة والعبادة والعمل والاختيار .. دينًا من الدين[(١)] .

وفي حوار مع المفكر والسفير الألماني السابق مراد هوفمان قال : .. إن الغرب يعيش أزمة ، ذلك أن الحضارة الغربية هي الحضارة الأولى والوحيدة التي هي فعلا حضارة مادية وملحدة .. إن أوربا ليست مسيحية ، ولا يمكن لنا قول ذلك ؛ وقد أفرزت هذه الحضارة المادية ظواهر خطيرة مثل تفكك الأسرة ، والنزعة الجنسية ، والنزعة البونوجرافية الإعلامية والفردية المتطرفة وغيرها .. إنها أزمة متعددة ، فالحضارة الغربية نتاج إيديولوجية مادية ،

---

(١) انظر تقديمه لكتاب (الإسلام وصراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٣٠: ٣٣ - كتاب الأمة ٤٤.

وإن لم يحدث إدخال القيم المتعالية للمبادئ الإلاهية فسيحدث تدمير هذه الحضارة من الداخل[1] .

فهذه هي الحضارة الغربية .. الحضارة المادية في تكوينها وفكرها ، الحضارة التي قدمت للناس تقدما تقنيا ومتعة مادية ، وفشلت أن تقدم الإنسان السوي الذي يمكن أن يستخدم التقنية والتكنولوجيا في نفع البشرية لا في هدمها وإفسادها وتدميرها ؛ إنها الحضارة اللادينية حيث لا أخلاق ولا قيم ولا مثل عليا ؛ حضارة النزاع والصراع واستعباد الآخر أو سحقه .

الحوار بين الإسلام والعلمانية

قد تقدم تعريف **الإسلام** ، وأنه الدين الخاتم ، وشريعة الإسلام هي الشريعة الخاتمة والتي نسخت ما قبلها من الشرائع ، والحاكمة على غيرها من الأفكار والمذاهب .. لأنها الشريعة الوحيدة التي حفظ اللّٰه تعالى كتابها ؛ قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

وأما **العلمانية** : فهي الجانب الفكري للحضارة الغربية ؛ وهي ترجمة خاطئة لكلمة (secularism) في الإنجليزية أو (secularite) بالفرنسية ، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ (العلم) على الإطلاق ، فالعلم بالإنجليزية والفرنسية معناه (science) ، والمذهب العلمي يطلق عليه كلمة (scientism) ، والترجمة الصحيحة لكلمة (secularism) هي : اللادينية أو الدنيوية ، وتقول دائرة المعارف البريطانية مادة (secularism) : هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها . ا.هـ . ومن هنا نلمح لماذا عُرِّب هذا اللفظ إلى (العلمانية) نسبة إلى العلم ، وهو تعريب لا يخلو من غرض تسهيل قبول هذا الوصف بربطه بالعلم بدل أن يُعرَّب بمصطلح (اللادينية) الغير مقبول في المجتمع الإسلامي . (إنه لفظ يلبس على السامع ويوهمه بأن معناها العلم والتقدم ؛ وفي عالمنا العربي والإسلامي طوائف يستهلكهم التلقي

---

(١) انظر مجلة (المجتمع) العدد ١٤٨٦ ص ٤١ - ١٣ ذو القعدة ١٤٢٢ هـ - ٢٦ / ١ / ٢٠٠٢ م .

الأبله والتبعية الغير منضبطة ، يركضون وراء كل بارق ، ويحاربون تحت كل راية ، ليس لهم قضية محددة ولا هدف معين ، ولا خصوصية متميزة ، يؤمنون بمعادلة كاذبة أطلقها الحاقدون وصدقها المغفلون : إما الإسلام والتخلف ؛ أو العلمانية والتقدم ، وأشاعوا بأن الخطاب الإسلامي ومرجعيته يقف في وجه المستجدات ويحارب العقل ، ويشل التفكير !! والحق أن العقل شرط التكليف ، والتفكير فريضة إسلامية(١) . والمدلول الصحيح للعلمانية هو (**إقامة الحياة على غير الدين**) سواء بالنسبة للأمة أو للفرد .

إن العلمانية تعني بداهة : الحكم بغير ما أنزل الله ، وتحكيم غير شريعة الله ، والتحاكم إلى الطاغوت ؛ فهذا معنى قيام الحياة على غير الدين ، ومن ثم فهي نظام كفري ، لا مكان لمعتقده ولا لنظامه ولا لشرائعه في دائرة الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة : ٤٤] .. وقال ﷻ : ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة : ٥٠] ، فجعل الله الحكم حكمين لا ثالث لهما : **حكم الله** ، وهو الحكم القائم على الكتاب والسنة ؛ وحكم الجاهلية ، وهو ما خالف ذلك(٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله -: ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المُحْكم ، المشتمل على كل خيرٍ ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم (الياسق) - وهو عبارة عن : كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة

---

(١) انظر مقال (الحداثة بين التعمير والتدمير) د . حسن بن فهد الهويمل - مجلة البيان (العدد ٦٤ ص ٤٤ - ذو الحجة ١٤١٣ - يونيو ١٩٩٣.

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب : ٢/ ٩٠٥.

رسول الله ﷺ ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكّم سواه في قليل ولا كثير(١) .

فهذه هي العلمانية وهذا حكمها ، وهي الوجه الثقافي الفكري للحضارة الغربية ، وقد يضاف لها روافد كالحداثة ، أو يكون لها مسميات مرحلية كالعولمة ، أو تكون لها أسماء متنوعة حسب النظام السياسي كالديمقراطية والاشتراكية والليبرالية واليسارية والقومية ونحو ذلك ، فكل هذه المسميات تبنت العلمانية جانبا فكريا ثقافيا لها ، أو إن شئت قل : إن هذه الأسماء هي بنات العلمانية الشرعيين .

معالم الحوار بين الإسلام والعلمانية

١- **التمثيل الحقيقي لكل طرف** ، إذ الحضارات ليست ذوات عينية يحدث بينها حوارات ؛ وإنما تتحاور بممثليها الذين يحققون اللقاء بينها بالحوار أو بالصراع حول مجالات فعلها أو قيمها . ولذلك يكون الحوار بين النخب التي تحمل أفكار الحضارة وعقيدتها ؛ لذلك فمن أهم معالم الحوار بين الإسلام والعلمانية التمثيل الحقيقي لكل طرف حتى يكون الحوار صحيحا مجديا ؛ (فما يسمى اليوم ندوات للحوار الحضاري بين الإسلام والغرب ، أو ندوات لدراسة التيارات الفكرية في العالم الإسلامي ، كالصحوة وتياراتها ، أو الأصولية وأسبابها ودوافعها وأهدافها ، وما إلى ذلك من العناوين التي باتت تملأ الصحف والمجلات ، يدعى للحوار والمشاركة وتمثيل الإسلام ، أو الطرف الذي يحاور عن الإسلام في هذه الندوات ، بعض العلمانيين الذين يسكنون جغرافيًا فقط في العالم الإسلامي ، يُدعي هؤلاء الذين لا يمثلون الثقافة والحضارة الإسلامية ، ولا يعبرون عن ضمير أمتهم ، لقلة بضاعتهم فيها من جانب ، ولأنهم منحازون بطبيعة دراستهم ، وثقافتهم للغرب(٢) .

٢ - من أهم النقاط التي لابد من التذكير بها في المحاورة مع الآخر قضية

---

(١) انظر تفسير سورة المائدة عند الآية ٥٠ من تفسير ابن كثير .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥، ٢٦.

المصطلحات ؛ فهي كما يقول د عمر عبيد حسنة : ولعل من أخطر ميادين التدافع الحضاري ، أو إن شئت فقل : الحوار الحضاري - وما الحوار إلا صورة من صور التدافع- مشكلة تحديد المفاهيم والمصطلحات والمفردات المعرفية ، التي تعبر عن الثوابت الحضارية والمرجعية الثقافية ، ذلك أن المفاهيم والمصطلحات - أو ما يمكن أن نعبر عنه بعالم الأفكار والعقائد - هي وسائل التحصين وأسلحة التدافع وأدوات الحوار الحضاري ؛ لذلك أعتقد أن الغفلة عن مدلول المفاهيم الشائعة ، أو التي يراد إشاعتها في عالم المسلمين ، والسماح بالاستقرار لدلالاتها بالذهنية الإسلامية ، وتأنيسها أو الأنس بها ، يعتبر من الغفلة عن الأسلحة ، وأول مراحل الوهن والاغتراب ، قال اللَّه تعالى : ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢] .

من هنا نقول : إن وضوح المفهومات والمصطلحات الإسلامية ومحاولة إشاعتها وإحيائها وإدراك دلالاتها ، يعتبر من الأمور المهمة في بناء المرجعية والتحصين الثقافي والانطلاق إلى ميادين التدافع والحوار بالزاد الكافي ؛ لأن المفهومات والمصطلحات الإسلامية تشكل أوعية التفكير ، وجذوع النسغ الحضاري الممتد من الماضي إلى الحاضر والمستقبل ، وتمثل خلاصات لمعطيات الوحي والعقل معًا ، إضافة لما لها من رصيد نفسي وثقافي واختبار تطبيقي تاريخي يجعلها محل ثقة واستمساك .. إنها باختصار تشكل ملامح حضارة الأمة ، وقسمات شخصيتها ، ومحصلات الفكر ، وأبجديات قراءة الهوية ، ومعالم الطريق ؛ لذلك فأي تنازل عنها باسم الحداثة أو العصرية ، أو حتى مقاربتها بمصطلحات أو مفهومات الآخر ، هو تخل عن الذات وتوهين لقيم الأمة في معركة الصراع الحضاري ، وعدول عن الانتماء إلى الارتماء والسقوط لصالح الآخر .

من هنا نقول : لابد من البصارة ، والفقه ، والدقة الكاملة في فحص واختبار المفاهيم والمصطلحات السائدة ، والتعرف على منطلقاتها وأهدافها ودلالاتها وخلفياتها الثقافية .

ذلك أن المعركة الثقافية ، التي بدأت تتبلور لصالح الحضارة الغربية ومصطلحاتها على الساحة العالمية اليوم ، هي الأخطر ، ولئن كنا نعاني سابقًا من السقوط والانهزام

والتخلف في عالم الأشياء ، فهذا يعني أننا مازلنا نحتفظ بالإمكان الحضاري ، أو نحتفظ بعالم الأفكار والقيم وخميرة النهوض ، لكن الخطر اليوم يكمن في التضليل أو التطبيع الثقافي المراد لهذه الأمة ، ومحاولة توهين قيم الحضارة الإسلامية ومقاربتها بالقيم الحضارية الغربية ، لضمان قبولها ومرورها إلى الداخل الإسلامي ؛ وذلك باستنبات كتاب ومفكرين وباحثين وإعلاميين وسياسيين ومراكز للبحوث والدراسات في التربة الإسلامية مسكونين بقيم الحضارة الغربية ، ومفتونين بأشيائها وإنجازها المادي ، لتمكين مرورها إلى عالم المسلمين ، باسم الانفتاح والحداثة وتحقيق المشترك الإنساني والعلمية والموضوعية والتجديد والعقلانية والوسطانية .. إلخ .

فالشورى الإسلامية المأنوسة بما لها من دلالات وتطبيقات وارتكاز عقيدي ، والتي هي في نهاية المطاف دين من الدين ؛ تصبح الديمقراطية الغربية نفسها ، مع التجاهل ، أو التجاوز الكامل ، لكل الخلفيات الفكرية لكل من الحضارتين والمصطلحين .

وأهل الذمة بكل دلالة المصطلح في السيرة النبوية والفكر والقيم والتاريخ ، يصبحون مواطنين لا ذمّيين ، وكأن الذمي ليس مواطنًا يتمتع بحقوق وحماية إسلامية ، قد تتجاوز حقوق المسلم !

وفصل الدين عن الدولة ، وعزل الإسلام عن حكم الحياة ؛ وحصره في المساجد والعبادات التقليدية ، والعلاقات الفردية بين الإنسان وربه ، بعيدًا عن حكم الحياة ، تُفَصَّل له عملية التفريق بين الرسول النبي ﷺ الواجب الاتباع في الأمور العبادية البحتة ، والرسول الحاكم الذي تعني سنته هنا اجتهادًا يمكن تجاوزه !

والضرورة الشرعية بكل ضوابطها ودلالاتها ، التي يجوز معها وقف الأحكام لمرحلة أو لحالة طارئة ، تصبح هي المصلحة الموهومة الموقوته ، التي تبيح تعطيل النصوص ومحاصرتها ورفعها من التطبيق .

والجهاد الذي هو أعلى أنواع العبادة والتضحية ، هو من الفعل الاجتهادي والسياسات الشرعية ، وليس من شؤون العقيدة ومقتضيات الدعوة .

لقد غابت أو غيبت من حياتنا الثقافية اليوم ، مفاهيم ومصطلحات : الكفر ، والنفاق ،

والإيمان ، والإسلام ، والشرك ، والتوحيد ، ومصطلحات أهل الكتاب ، وأهل الذمة ، والمعاهدين ، والنصارى ، واليهود ، والوثنيون ، والباطنيون ، والملحدون ، والمشركون ، تمامًا ، لتحتل عقولنا مصطلحات ومعايير ومفاهيم ومقاييس ، تطبع الهزيمة ، وتقرأ الحضارة المعاصرة بأبجديات خاطئة غير إسلامية ، وتتحول حياتنا الفكرية إلى استخدام مصطلحات ومدلولات حضارة الآخر . وقد تكون المشكلة أيضًا - إلى جانب من استنبتوا في التربة الإسلامية ليعملوا لصالح حضارة الآخر في المجالات المتعددة - فيما يسمى : النخب العربية الإسلامية ، التي مكن لها لتحتل مواقع القدوة والقيادة والتأثير ، والتي ارتهن معظمها لتلك المفاهيم والمصطلحات الفكرية ، بسبب دراستها وتخصصاتها في معاهد ومدارس وجامعات الغرب ، فهي رهينة المدرس والمنهج والكتاب والمرجع والتطبيق الحضاري ، مع التوهم بأن ما تعلمته هو معيار عام لكل تقدم وإنجاز حضاري ، يصلح لكل أمة مهما كانت عقيدتها ومعادلتها الاجتماعية .. لذلك والحالة هذه ، فإن عملية الصراع أو الحوار الحضاري سوف تكون محسومة لصالح الآخر(١) .

ولا يعني هذا أن مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم غير جائزة ، إنما نحذر من شيوع هذه المصطلحات لدرجة استبدالها بالمصطلحات الشرعية مما قد يؤدي إلى اللبس وضياع المفهوم الحقيقي لهذه المصطلحات ؛ قال ابن تيمية - رحمه الله : وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة ؛ كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعُرفهم ، فإنَّ هذا جائزٌ حسن للحاجة ، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتاجوا إليه(٢) ؛ وقال : ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات كالسلاح في المحاربات ؛ فإذا كان عدو المسلمين - في تحصنهم وتسلحهم - على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم ، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع وللعبد أنفع ،

---

(١) انظر تقديمه لكتاب (الإسلام وصراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٢٢: ٢٥ - كتاب الأمة ٤٤، باختصار .

(٢) درء تعارض العقل مع النقل : ١ / ٤٣.

وهو الأصلح في الدنيا والآخرة[(١)].

أما أن تختلط الأمور وتسمى الحقائق بغير اسمها تلبيسا وتلفيقا فهذا الذي يجب أن ينتبه إليه المحاور في مثل هذه الحوارات .. فما كان احتلالًا أو انتدابًا ، يسمى الآن مقتضيات النظام العالمي الجديد ، وما كان تنصيرًا ينعت اليوم بالتنوير ، وما كان اسمه استعمار الشعوب المسلمة يصبح مقاومة الأصولية أو محاربة الإرهاب ، والذي كان يعرف بالقضاء على اللسان العربي ، أصبح اسمه الجديد : كونية الثقافة أو إنسانية المعرفة[(٢)].

٣ - **على المحاور المسلم أن يدرك أحوال من يحاور في قبوله أو رده للحق ، ولا** يستقيم أن ينزلهم منزلة واحدة ؛ لأن في ذلك ضياع للهدف من الحوار مع ضياع الوقت والجهد ، وقد يصبح الأمر مضطربا محيرا لمن قلَّتْ بصيرته في هذا الباب ، وقد يكون ذلك داعيا لفتنة بعض المسلمين ببعض . قال ابن تيمية - رحمه الله - في ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] : الإنسان له ثلاثة أحوال : إما أن يعرف الحق ويعمل به ؛ وإما أن يعرفه ولا يعمل به ؛ وإما أن يجحده .

فأفضلها أن يعرف الحق ويعمل به ؛ والثاني : أن يعرفه لكن نفسه تخالفه فلا توافقه على العمل به . والثالث : من لا يعرفه بل يعارضه . فصاحب الحال الأول هو الذي يدعى بالحكمة ، فإنَّ الحكمة هي العلم بالحق والعمل به ، فالنوع الأكمل من الناس من يعرف الحق ويعمل به فيُدْعون بالحكمة . والثاني : من يعرف الحق لكن تخالفه نفسه فهذا يوعظ بالموعظة الحسنة .

فهاتان هما الطريقان : الحكمة والموعظة ؛ وعامة الناس يحتاجون إلى هذا وهذا فإنَّ النفس لها هوى تدعوها إلى خلاف الحق وإنْ عرفته ؛ فالناسُ يحتاجون إلى الموعظة الحسنة وإلى الحكمة ، فلا بد من الدعوة بهذا وهذا . وأما الجدلُ فلا يدعى به ، بل هو من باب دفع الصائل ؛ فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن. ولهذا قال :

---

(١) نقض المنطق ص ٩٠، ومجموع الفتاوى : ٤ / ١٠٧.

(٢) (الإسلام وصراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٦٠.

﴿وَجَٰدِلۡهُم﴾ فجعله فعلا مأمورا به مع قوله : ﴿ٱدۡعُ﴾ فأمر بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأمره أن يجادل بالتي هي أحسن ، وقال في الجدال : ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ ولم يقل بـ ٱلۡحَسَنَةِ كما قال في الموعظة ؛ لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة ؛ والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل فما دام الرجل قابلا للحكمة أو الموعظة الحسنة أو لهما جميعا لم يحتج إلى المجادلة ، فإذا مانعَ جودل بالتي هي أحسن [1] . ا.هـ . وغالبا ما يكون الحوار مع العلمانيين جدالا - وهو نوع حوار كما قدمنا - فليحذر المحاور المسلم مزالق الجدال ، ولينتبه لخصمه جيدا ، فإنه يتربص به .

٤ - **فهم إدارة الحوار وكيفية التعامل معه** ؛ ومعنى ذلك الانتباه من محاولة العلمانيين صرف المحاور المسلم إلى قضايا قد تكون مسلمة ظاهرًا ، لكنهم يوردونها لأغراض خفية تخدم فكرتهم . وهذا دأب هؤلاء ، كلما أعجزهم الحوار مع الإسلاميين ، وأرادوا محاولة الخروج من سقوط أفكارهم وهزيمة ثقافتهم أمام الحق المبين ؛ فإنهم يشغبون بإيراد مثل هذه القضايا ؛ ومثال ذلك .. **قضية التعددية** التي يتهمون بها الإسلام بأنه يرفض التعددية ولا يقبلها ؛ وهي في حقيقة الأمر دعوى بلا دليل ، وتاريخ الإسلام شاهد على ذلك ؛ وقد قدمنا بعض أقوال من ليسوا بمسلمين شهادة على قبول المسلمين للغير ؛ وإنما هذه الدعوى - كما يقول د محمد يحيى : شعار يُرَدَدُ لإرهاب الخصوم ودمغهم بالتسلطية ورفض الحوار ، وتشويه صورتهم في أذهان الناس على أنهم هم وليس العلمانيون الذين يبشرون بالبطش والطغيان برفضهم للتعددية ، وبالمثل فإن هذا السلاح والشعار يستخدم لتبييض صورة العلمانيين وتحسينها بنفي أبرز ملامحها وهو الاستبداد بالرأي والتعصب المقيت ضد المخالفين ، والرغبة العارمة في الاستئثار والاحتكار لكل مناحي الحياة وأدوات الفعل والحركة في المجتمع ؛ نحن إذن في طرح (التعددية) في الكتابات العلمانية الجارية نواجَه بأسلوب خبرناه في طروحات منظومة الأفكار الأخرى المماثلة ، ألا وهو استخدام الفكرة سلاحًا كالسيف والمدفع للهجوم على الخصوم

---

(١) الرد على المنطقيين : ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

وتشويه صورتهم مع تحسين صورة الأنصار[١] . ومن ذلك قضية **تعدد المرجعيات** ويقصدون بها إسقاط معيارية الإسلام للأفكار والمذاهب ؛ ومعنى ذلك أن تكون أفكار البشر حاكمة على الكتاب والسنة ، وهذا ظاهره كفر بواح ؛ وهم مع ذلك لا يؤمنون بتعدد المرجعيات ، وإنما لكل منهم مرجعية فكرية ثابتة لا يتحول عنها ، بل يخالف فيها العلماني الآخر الذي يعتقد منظومة فكرية مخالفة ، يقول د . محمد يحيى : إن المرجعية معناها مجموعة من المبادئ المتسقة فيما بينها يمكن العودة إليها واستمداد المبادئ والقيم منها ؛ والعلمانيون يطالبوننا بتعدد المرجعيات في الوقت الذي لا يوجد عندهم تعدد مرجعيات ، فالعلماني الليبرالي لديه مرجعية واحدة هي الإيمان بالحياة النيابية التي ينتج عنها سلطة تشريع وحكم ، ثم مراعاة مجموعة من حقوق الإنسان ، ولو كانوا صادقين في تعدد المرجعيات لآمنوا بمرجعيتنا الإسلامية كإحدى هذه المرجعيات ، وهي تفرض عليهم بدورها أمورًا معينة ، لكنهم يأتون إلى المرجعية الإسلامية ويرفضونها . كذلك فإن الماركسي مرجعيته الأساسية هي الفكر المادي وعدم وجود إله وهدم الإيمان بالغيبيات ؛ وإنما الإيمان بالقيم المادية التي تحكم الكون . ودعاة القومية العربية مرجعيتهم الأساسية تحقيق مصالح الشعب العربي أيًا كانت وهي عادة مصالح مادية ، وهكذا فإن العلمانية على تعدد فصائلها لا تؤمن بتعدد المرجعيات[٢] .

وفهم إدارة الحوار قضية - كما يقول د عمر عبيد حسنة - على غاية من الأهمية .. فإذا تقرر لدينا ، أن الحوار الحضاري هو سنة من سنن اللّٰه في الكون ، له مقوماته وآلياته وأدواته وأهدافه وغاياته وأسلحته المتعددة ؛ فإن فهم إدارة الحوار وكيفيات التعامل معه لا يقل أهمية عن امتلاك أدواته .. فكثيرًا ما تستنزف الطاقات في معارك دفاعية غير مجدية ، بل خاسرة ؛ لأنها استنفاد للطاقة ، واستهلاك لها على حساب مواقع انتاجية أخرى .. فإذا

---

(١) انظر مقال (رؤية في مسألة التعددية - عرض ونقد) - د محمد يحيى - مجلة البيان العدد ٧٧ ص٩١ - المحرم ١٤١٥ - يونيو ١٩٩٤.

(٢) في حوار أجرته د ليلى بيومي بعنوان (هل الحوار الإسلامي العلماني مستحيل) مع الدكتور محمد عمارة والدكتور محمد يحيى من الإسلاميين ؛ ود فؤاد زكريا ود محمد رضا من العلمانيين .

استغرقتنا المواقف الدفاعية في معركة الصراع الحضاري ، وأصبح كل فعلنا الرد على التهم التي توجه إلينا ، دون وعي بآلية الصراع والتحكم بإدارته ، نتحول من أن نكون أحد أطراف الحوار المستخدمين لأدواته ، إلى أداة للحوار وميدان له ، ونخضع لتحكم الآخر بتفكيرنا ونشاطنا ، بحيث يصبح الزمام بيده ، فيكفي أن يلقي إلينا بالتهم التي يريد ، ويحدد الزمان الذي يختار ، ومكان المعركة التي تناسبه ، ونحن ما علينا إلا رد الفعل والاستجابة المرسومة مسبقًا ، وبذلك يتحكم بساحة تفكيرنا وبنوع نشاطنا ومجال فعلنا ، ويفقدنا زمام المبادرة ، وتصير حياتنا رد فعل عفوي بعيدًا عن الفعل المختار .

إن عمليات الاستهداف ، ولائحة الاتهامات للإسلام اليوم ، ومحاولات إدانة صحوته ، وشل حركة العاملين ومحاصرتهم باسم الأصولية والإرهاب ، واعتبار الإسلام هو العدو الحضاري للغرب ، وتوظيف كثير من الأنظمة والأفراد والمؤسسات ، يتطلب من المسلمين استيعاب الهجمة بعيدًا عن الانفعال والاستجابة العفوية للاستفزاز ، والصبر والتبصر بكيفيات إدارة الصراع ، لتفويت غرض الآخر ، والتحول من أن نكون موطنًا لأفكار الحضارة الغربية ، وترجمتها إلى حياتنا ، ومقاربة قيمنا بها ، إلى نقل كنوز وروائع وقيم الحضارة الإسلامية إلى الآخر ، لإلحاق الرحمة به ، واستنقاذه من التشويه العنصري والقومي ، وبذلك نسهم فعلًا في الحوار الحضاري المثمر ، وبناء حضارة إنسانية يكون فيها الأكرم هو الأتقى(١) .

٥ - ومن المعالم المهمة في هذا الحوار دراسة جذور العلمانية وتاريخها وأصلها وما يتعلق بها ؛ لأنه من شروط الحوار مع الآخر أن يكون المحاور عالما به وبثقافته وجذورها وأصولها ليكون الحوار ذا جدوى ؛ وهذا ما يسميه د عمر عبيد حسنة (الوعي بالآخر) ، وهو يتطلب فيما يتطلب المعرفة بعقيدته وعالم أفكاره ، كما يتطلب المعرفة بتاريخه الطويل ، أو نصيب هذا التاريخ والفعل البشري من عقيدته وعالم أفكاره ، ومن ثم إدراك حاضره وموقع هذا الحاضر من عقيدته وتاريخه ، حيث لابد من هذا الوعي لتحديد

---

(١) انظر تقديمه لكتاب (الإسلام وصراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٣٩: ٤١ - كتاب الأمة رقم ٤٤.

القواسم المشتركة ، وتحديد المداخل الحقيقية لكيفية التعامل معه على بصيرة[١] . ثم يوزن ذلك كله بميزان الحق ، ليرى قربه وبعده عنه والحكم عليه بالقبول أو الرد .

٦ - **ومن أهم المعالم أن الحوار بين الحضارات لا يعني أن تتخلى الأمة عن هويتها وخصائصها الذاتية وتصوراتها الفكرية** ؛ إن العلمانيين لإفلاسهم الفكري وضعفهم عن محاورة الفكر الإسلامي يدعون المسلم للتخلي عن فكرة مرجعية الكتاب والسنة (النص) ؛ ونسي هؤلاء بغباء أو بتغابي أن معنى الفكر الإسلامي أي الذي ينتسب إلى الإسلام ، ولا إسلام بغير كتاب وسنة ؛ ولذلك كان رد الدكتور محمد عمارة : إن النص عندنا يعني القرآن : وتصديقه إيمان وإنكاره كفر ، قد نتفق مع العلمانيين لو كانت المسألة تتعلق بترجيح تفسير على آخر والاجتهاد في إطار النصوص المعتمدة ، فهنا تأخذ القضية بعدًا مقبولًا ، أما إذا كان المقصود تنحية القرآن تمامًا فهذا كفر صريح بل أقبح درجات الكفر على الإطلاق . إن الإسلام له حدود لابد أن يلتزم بها الإنسان ليكون مسلمًا وإلا خرج من دائرة الإسلام ، فالخمر حرام ومن قال بعكس ذلك فليس بمسلم ، وأداء الصلاة فرض ومن قال بغير ذلك ليس بمسلم ... الخ ؛ وكل من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة فهو كافر ، ولابد أن يكون هناك كفر وإيمان بل ونفاق أيضًا ؛ إن العلمانيين يريدون منا إسقاط ثنائية الإيمان والكفر وحزب اللّٰه وحزب الشيطان لكي يكون الدين شيئًا هلاميًا لا معنى له ، فليفعلوا هم ما يريدون لكننا نؤمن بثوابت ديننا ونحكم على المؤمن بالإيمان ، وعلى الكافر بكفره الظاهر سواء أسعد ذلك العلمانيين أو أغضبهم .ا .هـ[٢] .

إن التفاعل الحضاري الذي يراد منه أن تتخلى الأمة عن هويتها وخصائصها الذاتية وتصوراتها الفكرية لا يمكن أن يكون في حال من الأحوال تفاعلًا إيجابيًا وناجحًا ، لأنه بذلك يكون نوعًا من أنواع التبعية الثقافية والفكرية ، كما أنه يؤدي إلى أن تصبح الأمة متلقية لفكر جديد وتصور مستورد ، وعندئذ ستكون مغزوة في فكرها ومهددة في وجودها

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (نحن والحضارة والشهود) ص ٣٣.

(٢) في حوار أجرته د ليلى بيومي بعنوان (هل الحوار الإسلامي العلماني مستحيل) مع الدكتور محمد عمارة والدكتور محمد يحيى من الإسلاميين ؛ ود فؤاد زكريا ود محمد رضا من العلمانيين .

وكيانها ، وستكون ضحية عدوان أيدلوجي وفكري وثقافي ، وهو أشد أنواع العدوان وأعلى مرحلة من مراحل محو الثقافة[١] .

هذه أهم المعالم التي لابد من وعيها وفهمها عند محاورة العلمانيين ؛ مع مراعاة ما سبق بيانه من الشروط والآداب التي ذكرناها في الأبواب الأولى ؛ والله وحده الهادي إلى سواء السبيل .

من العلمانية إلى العولمة :

العولمة مصطلح حضاري جديد قذفه الغرب إلينا - كعادته - دون بيان لتعريفه ولا لأبعاده ولا لمخاطره وتهديداته ؛ وهذا المصطلح تلقته الثقافة العربية كما تلقاه الآخرون ، وانتشر في سنوات قليلة كما لم ينتشر أي مصطلح آخر قبله ، وكانت ردود الفعل في الخطاب العربي متفاوتة ، وإن كانت في أغلبها تجمع على عدم براءته . يقول خليل الميس : إن مفهوم العولمة لا يزال غامضا على الرغم مما كتب عنه ؛ ومن الطبيعي أن يختلف الناس في فهمه وتحليل أبعاده باختلاف رؤاهم من جهة ، وبمدى اطلاعهم على خفايا الظاهرة من جهة أخرى .. إنها سريعة التطور .. متعددة الجوانب .. تحرك خيوطها في مجالات عديدة أيد خفية ، يتجاوز نفوذها الدول والمنظمات الدولية الرسمية[٢] .

ويكاد تتفق كلمة المفكرين على اختلاف تياراتهم وأجناسهم ولغاتهم على أن العولمة نوع من الاستعمار الجديد الذي يسعى إلى الهيمنة الشاملة على العالم كله ، وإخضاع البشرية كلها لنظام واحد في الفكر والثقافة والسياسة والاقتصاد والفن وغيرها .

ما هي العولمة ؟

على أن لفظة العولمة في اللغة العربية صحيحة ؛ غير أننا نجزم بأن المراد منها ليس هو المعنى في لغتنا الجميلة ؛ وإنما يؤخذ معنى الاصطلاح من اللغة التي خرج منها ؛ **فالعولمة**

---

(١) انظر (الحوار .. الذات والآخر) د الهيتي ، ص ١٤٩، ١٥٠؛ وعزاه لسيرج لاتوش في كتاب (تغريب العالم) ترجمة خليل كلفت (القاهرة - دار اعالم الثالث - ١٩٨٩) ص ٥٩.

(٢) الشيخ خليل الميس في بحث له بعنوان (النظام العالمي الجديد والعولمة) قدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي - الدورة الرابعة عشرة (١١ / ١ / ٢٠٠٣ - ١٦ / ١ / ٢٠٠٣) ص ٥.

هي الترجمة العربية للكلمة الإنجليزية (Globalization) والتي تعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم ؛ وهي بهذا المعنى - كما يقول د يوسف القرضاوي : إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل الجميع .. العالم كله[١] . ويقول المفكر الفرنسي جارودية عن العولمة : نظام يُمكِّن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق[٢] . ويثبت هانس بيترمارتن وهارالد شومان صاحبا كتاب (فخ العولمة) أن العولمة هي عملية الوصول بالبشرية إلى نمط واحد في التعبير والأكل والملبس والعادات والتقاليد[٣] . ويقول د مصطفى محمود : العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي ، بحيث لا يبقى منه إلاَّ خادم للقوى الكبرى[٤] . ويقول د حسن حنفي : العولمة هي أحد الأشكال المعروفة للهيمنة الغربية ... إلى أن قال : فالعولمة ليست فقط تغريب العالم ، بمعنى أن ينتشر الغرب من المركز إلى المحيط إلى الأطراف ، وليست فقط أمركة ، لأن أمريكا هي التي تتصدر العالم الآن لكونها القطب الوحيد الموجود ، ولكنها أخطر من ذلك فهي سيطرة اتجاه واحد ، رأي واحد ، فكر واحد ، وكل دولة تتجرأ على أن تخرج من بيت الطاعة !! سيكون العدوان العسكري لها بالمرصاد[٥] . ويقول د محمد عابد الجابري : ليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي بل هي أيضا - وبالدرجة الأولى - إيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم[٦] . ولقد أدركت جماعات

---

(١) انظر (خطابنا الإسلامي في عصر العولمة) - د القرضاوي ؛ بحث قدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي - الدورة الرابعة عشرة (١١ / ١ / ٢٠٠٣ - ١٦ / ١ / ٢٠٠٣) ص ٧.

(٢) نقلا عن (الحوار الذات والآخر) د الهيتي ص ١٥٥؛ وعزاه لكتاب (العولمة المزعومة) لجارودية - تعريب محمد السبيلطي - صنعاء - دار الشوكاني - ١٩٩٨ م) ص ١٧.

(٣) نقلا عن (الحوار الذات والآخر) د الهيتي ص ١٥٥؛ وعزاه لكتاب (فخ العولمة) تعريب عدنان عباس علي - سلسلة عالم المعرفة (٢٣٨) ص ٥٥: ٥٨.

(٤) نقلا عن (الحوار الذات والآخر) د الهيتي ص ١٥٦.

(٥) حسن حنفي من حوار له نشر في موقع قنطرة الإليكتروني .

(٦) مجلة فكر ونقد ، موقع الجابري الإليكتروني .

كثيرة من الغربيين على اختلاف مشاربهم وتباعد معتقداتهم أن العولمة - لا سيما الاقتصادية منها - ما هي إلا صورة لاستعمار جديد في ثوب قانوني . يقول ريتشارد هبوت في كتابه : (العولمة والأقلمة) : العولمة هي ما اعتدنا عليه في العالم الثالث ولعدة قرون أن نطلق عليه : الاستعمار ![١] .

ولعل أقرب تعاريف العولمة إلى القبول هو قول د الزنيدي : العولمة هي : تلك الدعوة التي تسعى إلى صياغة البشر في مختلف الأمم وفق القيم والمسالك والأنماط الغربية ، وتحطيم خصوصيات الأمم المختلفة بالترغيب أو بالترهيب . ا .هـ ، ووافقه د مانع الجهني - رحمه اللّٰه - حيث قال : فالعولمة هي إحدى الوسائل والطرق المتعددة والمتجددة ، والتي دأب أعداء الإسلام على استخدامها وصناعتها وصياغتها في منظر جميل وصورة مشرقة ، لحرب عباد اللّٰه وردهم عن دينهم واستغلال خيراتهم والسيطرة على بلدانهم .ا .هـ[٢] .

إنها نظرة مبتدعة لثقافة ليست جديدة يراد لها أن تغزو العالم لتصهر في بوتقتها كل الحضارات وكل الثقافات ! لتخدم في النهاية الداعين إليها ، وترسخ الهيمنة الأروأمريكية على العالم .

يقول رئيس وزراء ماليزيا مهاتير محمد الذي عانت بلاده من آثار العولمة في السنوات الأخيرة : إن العالم المعولم لن يكون أكثر عدلًا ومساواة ، وإنما سيخضع للدول القوية المهيمنة ، وكما أدى انهيار الحرب الباردة إلى موت وتدمير الكثير من الناس ، فإن العولمة يمكن أن تفعل الشيء نفسه وربما أكثر من ذلك ؛ وفي عالم معولم يكون بإمكان الدول الغنية فرض إرادتها على الباقين الذين لن تكون حالهم أفضل مما كانت عليه عندما كانوا مستعمَرين من قبل أولئك الأغنياء[٣] .

---

(١) انظر مجلة البيان عدد ١٩٧ ص ١١٦ - رجب ١٤٢٢ هـ - أكتوبر ٢٠٠١ م .

(٢) بحث (المسلمون وتحديات العولمة) د مانع الجهني - بحث قدمه للمؤتمر الإسلامي الرابع - رابطة العالم الإسلامي - والذي عقد بمكة في شهر المحرم ١٤٢٣ هـ - أبريل ٢٠٠٢ م .

(٣) في محاضرة ألقاها في كوالا لامبور بتاريخ : ٢٤ / ٧ / ١٩٩٦ - المصدر موقع : إسلام أون لاين .

وبناءً على ما تقدم ، فإن العالم الذي يعيش تحت مظلة العولمة لا يمكن أن يقوم فيه حوار يعتمد أسس وشروط ومقومات الحوار الحقيقي ، وإنما سيكون في ظل العولمة هيمنة وسيطرة وفرض ما يريد المعلمنون من فكر ثقافي واجتماعي واقتصادي وسياسي ومن لا يقبل لن يجد إلا القوة التي تجبره أو تسحقه .

الحوار من أجل التعايش وبناء المشترك الإنساني مع الآخر

عبارة جديدة برزت كمحور من محاور الحوار مع الآخر ؛ وكغيره من طروحات الفكر الغربي الذي يحار فيه المستمع ويذهب فيه كل مذهب ؛ فما مفهوم (بناء المشترك الإنساني مع الآخر) ؟ وما هي حدوده ؟ وضوابطه ؟ ومرجعيته ؟ أسئلة تحتاج إلى إجابات صحيحة وصريحة للوقوف على المعنى المراد من العبارة .

نحن المسلمين نفهم ذلك من خلال قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات : ١٣] ، فالناس جميعا بنو آدم ، إنهم جميعا يشتركون في ذلك ، فهذا هو المشترك الإنساني ؛ وإنما يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح ، وكما يقول رسول الإنسانية ﷺ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى** »[1] .

كما أنهم جميعا يشتركون في الحقوق الإنسانية المترتبة على وجودهم الإنساني المكرم من خالقهم (جل جلاله) ؛ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] ، ولا يجوز الاعتداء على هذا التكريم ؛ بل حفظ الحقوق الإنسانية التي تحفظ هذا التكريم مطلب شرعي ؛ ومعلوم أن من مقاصد شريعة الإسلام حفظ الكليات الخمس : الدين والنفس والعقل والعرض والمال ؛ إذ هي مقومات الحياة بل إن شئت قل : مقومات الحضارة .

---

(١) رواه أحمد : ٥ / ٤١١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ٣ / ٢٦٦، ورجاله رجال الصحيح . ا.هـ وصححه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٤٤ (دار المعرفة) .

ولما كان الإسلام رحمة للعالمين ؛ فهو الرسالة العالمية لجميع البشرية ، بل للثقلين : الإنس والجن ؛ فقد استوعب جميع الشعوب في حركة فتح ودعوة واسعة ، فمن دخل في الإسلام من أي جنس ولون كان واحدا من المسلمين ، ومن لم يدخل في الإسلام ودخل في عقد ذمة مع المسلمين حفظ له إنسانيته وحقه في البقاء على اختياره مع احتفاظه بشخصيته وثقافته ، شريطة أن يدفع الجزية وأن يوفي بعقد الذمة كما تقدم في الفصل السابق ؛ وبهذا أصبحت دولة المسلمين - كما يقول د طه العلواني : (الدولة العالمية الأولى) ؛ ففيها استطاع المسلمون استيعاب التعدديات الدينية والثقافية والحضارية كلها في إطار (عالمية الخطاب الإسلامي)[(١)] .

وهكذا عاشت الإنسانية تحت حكم الإسلام العادل قرونا لم نر فيها شكوى أو اتهام ، بل شهد بذلك المنصفون على مر التاريخ ، وقد نقلنا بعض أقوالهم ؛ وننقل هنا شهادات أخرى ؛ يقول المستشرق ديورانت : لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام[(٢)] .

ويقول هنري دي شامبون مدير مجلة (ريفي بارلمنتير) الفرنسية : لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على العرب المسلمين في فرنسا لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ، ولا كابدت المذابح الأهلية التي دفع إليها التعصب الديني المذهبي ، لولا ذلك الانتصار الوحشي على المسلمين في بواتييه لظلت أسبانيا تنعم بسماحة الإسلام ، ولنجت من وصمة محاكم التفتيش ، ولما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ، ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا ذاك فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة ، مدعوون لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال

---

(١) انظر (الإسلام والتعايش السلمي مع الآخر) د طه العلواني - ضمن كتاب (سلسلة محاضرات حوار الحضارات الجزء الثاني - خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات) ص ٢٤٥ بتصرف يسير .

(٢) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، دار الجيل ، بيروت ، ج ١٣ ص ١٣٠.

البشري في الوقت الذي كنا فيه مثال الهمجية(١) .

ويقول المؤرخ الأمريكي كافين رايلي : إن حمامات الدم علمت المسلمين أن يكرهوا الغرب كما لم يكرهوه من قبل ... باختصار نجد أن الحضارة الإسلامية التي دمرها الصليبيون في بيت المقدس كانت أرقى وأحوج للسلم من غزاتها .. ثم يمضي مبينا سماحة الإسلام والمسلمين من خلال ما حكاه أحد الصليبيين الذين سجلوا شهادتهم للمسلمين قائلا : إن الرجال الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وبناتهم وأخواتهم ، وقضوا نحبهم يتعذبون ؛ والذين استولينا على أراضيهم ، والذين سقناهم عرايا من بيوتهم ... أعطونا - بعد ما انهزمنا - من طعامهم وأبقوا على حياتنا عندما كنا نتضور جوعا ، وغمرونا بعطفهم ونحن تحت رحمتهم(٢) . ويقول المفكر الألماني (هارالد مولر) في مقدمة الطبعة العربية لكتابه (تعايش الثقافات) : يمثل العرب أمة غنية التراث في العالم ؛ وقد حفظت اللغة العربية والعلماء العرب كنوز المعرفة التي حققها الإغريق والرومان في العصور القديمة عندما كانت أوربا تغط في عصورها المظلمة ، ومن دون هذا الجهد التاريخي الذي قام به العرب ما كان لنا أن نكون على ما نحن عليه الآن(٣) .

في كتابه (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) قال محمد الغزالي - رحمه الله : ومعاملة الإسلام لمن لا يدينون به من أهل الذمة قامت منذ العصر الأول على قاعدة أصيلة لم يثر حولها نقاش كمبدأ مشروع ، ولم يضطرب تطبيقها على توالي الأزمنة إلا فلتات لا يجوز الاكتراث بها أو الالتفات إليها ؛ هذه القاعدة تقوم على أن (**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**) ، وقد استقرت الأقليات في الشرق الإسلامي دهورا في ظل هذا المبدأ

---

(١) نقلا عن : صور من حياة التابعين ، عبد الرحمن الباشا ، دار الأدب الإسلامي ، القاهرة ، ط ١٥، ١٤١٨هـ ص ٤٢٠.

(٢) (الغرب والعالم) لكافين رايلي - ترجمة عبد الوهاب المسيري وآخر ، ضمن سلسلة عالم المعرفة - الكويت ١٤٠٥ هـ ؛ نقلا عن (نحن والآخر) د القرة داغي ص ٣٠.

(٣) انظر (تعايش الثقافات - مشروع مضاد لهنتنغتون) هارالد مولر - ترجمة د إبراهيم أبو هشهش - دار الكتاب الجديد - بيروت .

العادل ، بينما بادت الأقليات الإسلامية في الغرب ، لأنها لم تجد مثل هذه المعاملة النبيلة(١) .

لقد كان ذلك مما غرس الإسلام في قلوب أهله من العدل والإنصاف مع القريب والبعيد ، وقد كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يأتي يهود خيبر كل عام يخرص عليهم النخل ثم يضمنهم الشطر ، على ما كان من اتفاقهم مع رسول الله ﷺ ؛ فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه ، ثم أرادوا أن يرشوه ! فقال : يا أعداء الله ! أتطعمونني السحت ؟ ! والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي ، ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم ؛ فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض(٢) .

يقول محمد الغزالي معقبًا : هكذا صنع المسلمون بأهل الكتاب ؛ وعلى هذه العدالة التامة قامت المعاهدات .. إن رعاية الحق وإقامة العدل هما أساس الصلة التي ينشئها الإسلام مع أبناء الديانات الأخرى ؛ وعبد الله بن رواحة يمقت اليهود أشد المقت ، ولكنه يأبى أن يجور عليهم في حكم ، وذلك استجابة لأمر الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة : ٨] ؛ فالعدالة – ولو مع الأعداء المبغضين – خلقٌ فرغ الإسلام من توفيره في سياسة الجماعات والأفراد فكيف إذا كانت هذه السياسة تجاه معاهدين مسالمين ؟ !(٣)

فهل هذا هو المراد من العبارة (التعايش وبناء المشترك الإنساني مع الآخر) ، وإن كان هذا هو المراد فهل أدعياء الحضارة اليوم قد قاموا بهذا التعايش وبناء المشترك الإنساني كما قامت به الحضارة الإسلامية ؟

(١) التسامح والتعصب بين المسيحية والإسلام ص ٤٨.

(٢) رواه ابن حبان كما في الإحسان (٥١٩٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى : ٦ / ١١٤، عن ابن عمر ، ورواه أحمد بنحوه : ٣ / ٣٦٧ من حديث جابر .

(٣) انظر التسامح والتعصب بين المسيحية والإسلام ص ٥٣، ٥٤ بتصرف .

الآخر والحوار من أجل التعايش
وبناء المشترك الإنساني مع الآخر

هل ما أوضحناه آنفا هو المعنى المراد عند الآخر؟ سؤال يحتاج إلى إجابة صريحة لنقف على صحة الدعوة إلى الحوار من أجل التعايش وبناء المشترك الإنساني وجدواها .

فإلى التاريخ نسأله : ماذا صنع الصليبيون في حملاتهم على بلاد المسلمين؟ وماذا فعلوا بالمسلمين رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا حينما احتلوا بيت المقدس (٤٩٢ هـ) ؟ .. وماذا صنع الصليبيون في بلاد الأندلس بعدما اغتصبوها؟ وهل نسي التاريخ ما كان من محاكم التفتيش التي هي وصمة عار في جبين مدعي الحضارة؟ وماذا فعل الغزاة من هؤلاء الأوربيون في مصر والشام وبلاد الإسلام في عصور الاستعمار الحديثة ؟ ؟ ثم ماذا يقال عن فلسطين المغصوبة والتي يقتل أهلها في كل يوم ، ويعتقل منهم الرجال والنساء والأطفال ويودعون في سجون اليهود ويعذبون ليل نهار ، على مرأى ومسمع من العالم المتحضر؟ وماذا عن تأييد أهل الحضارة الغربية وأصحاب (الفيتو) للعدو الصهيوني في كل ما فعله من مذابح ومجازر منذ أن احتل البلاد ووطأت له إنجلترا ذلك .. مرورا بمذابح صابرا وشاتيلا إلى الجرائم المتكررة في كل يوم؟ ؟ !! ويتفرج العالم المتحضر على مأساتهم ، ويشاهد غطرسة إسرائيل وعنهجيتها التي لا يقف في وجهها أحد : لا مسلمون ، ولا غيرهم ، ولا هيئة أمم ، ولا نظام عالمي جديد ، ولا دعاة حقوق إنسان !!

ثم ماذا كان من أدعياء الحضارة الغربية مما حدث في البوسنة والهرسك من حرب إبادة للمسلمين وجرائم فاقت التصورات وتعدت الخيالات ؛ حتى إن الصحف الغربية - على ما تحمله من سوءات - شهدت ضد مجتمعاتها وقادتها ورموزها ، وسجلت جزءًا من المأساة حيث إن المسلمين قصروا في عصر التهميش والتبعية حتى عن وصف المجزرة التي تستهدفهم فردًا فردًا ...، إن توالي الصور المأساوية ، ومعسكرات الاعتقال ، والتمثيل بالجثث ، وحرمان الفرد من آدميته ، وتشريد الملايين ، وزرع الخوف في صدور الأطفال وعيونهم ، واغتصاب المسلمات أصبحت حديثًا عاديًا لا يثير في أدعياء الحضارة

وحقوق الإنسان موضع ألم أو لحظة امتعاض ..، ها هم المتحضرون البيض والشعوب الراقية في أوربا التي تلهث لأنات الكلاب والقطط ، وتذرف دموع التماسيح حزنًا على مصير الدببة في أقاصي القطب الشمالي ؛ ترى بشرًا يعيشون محرقة إنسانية مكتملة الفصول .. دون أن تخرج مظاهرة احتجاج - وما أكثرها عندهم - أو يتحرك قطاع شعبي يسعى فعلًا لإنهاء المأساة الإنسانية ، والإنسانية فقط[1] . كتبت روما كروكر إلى مجلة الواشنطن ريبورت في عدد أكتوبر ١٩٩٢م قائلة : حقًا إن الصرب يعتقدون أنهم يكسبون احترام الولايات المتحدة حينما يمارسون القتل الوحشي باسم (التطهير العرقي) .. والسبب هو أن قتل شعب مسالم وتشريده وإفناءه واستبداله بمهاجرين غرباء هو نفس الأسلوب الذي أوجد الولايات المتحدة وكونها ؛ لكن المجرمين الذين قاموا بهذه الجريمة كانوا ولا زالوا ينادون باسم (الرواد) .. وهذا هو نفس السبب الذي يجعل دولة كأمريكا تتعاطف مع شعب قام بنفس الأسلوب هو الشعب الإسرائيلي الذي لا يزال يقال عنه إنه الشعب الذي استصلح الأرض .... غدًا سيطالبنا الصرب بمبلغ ١٠ بلايين دولار ضمانات للقروض من أجل مشاريع توطينية في الأراضي التي يحتلونها اليوم .ا.هـ .

هكذا هم يرفعون شعار التهديد بالأصولية والإرهاب والتخويف من الإسلام ، ويرفعون شعار حماية حقوق الإنسان (أي حقوق ؟ وأي إنسان ؟) ، فها هم يقتلعون شعبًا بكامله في أوربا من أرضه ودياره ، لا لذنب جناه ، سوى أنه يدين بالإسلام !! بحجة أنه سيكون في المستقبل بؤرة للأصولية وتهديدًا لأوربا . فأين الحوار بغرض التعايش وبناء المشترك الإنساني ؟ !!

وأما ما تفعله أمريكا اليوم بالمسلمين في أفغانستان والعراق ، وفي سجونها المتفرقة في جوانتنامو وأبي غريب والسجون السرية في مناطق متفرقة من أوربا وأمريكا فأمر فاق الوصف اللاأخلاقي ، وانحط دون مرتبة البهائم والدواب .

---

(١) اقتباس من مقالة (جذور الصراع) د عبد الله سلطان بمجلة البيان العدد ٥٨ ص ٧٨ - جمادى الآخرة ١٤١٣ - ديسمبر ١٩٩٢.

إشكاليات الحوار الحضاري :

عندما نراجع فصول الحوار الحضاري التي خاضها المسلمون في القرون الأولى من تاريخ حضارتهم لا نجد أية إشكالية تعيق حركة الحوار آنذاك، أو تغير وجهته؛ فإشكاليات الحوار الحضاري (أي حوار ومع أية حضارة) تتلخص في إشكاليتين: الاعتراف بالآخر المتخلف وعدم إلغائه أو تهميشه؛ والقدرة على الانفتاح والتفاعل الثقافي معه. والتاريخ الإسلامي معنا في تأكيد نقاء الأجواء الحوارية في مقاطعها التاريخية الأولى من أي من الإشكاليتين. فالآخر في وعي الإسلام - أيًا كان انتسابه الديني والعرقي - يتصف بذات المواصفات الإنسانية للفرد المسلم؛ وحينما يعتنق الإسلام يقف على قدم المساواة في الحقوق والواجبات مع جميع المسلمين، بقطع النظر عن انحداره الطبقي أو القبلي أو الإقليمي. وقد وجه القرآن الكريم خطابات كثيرة إلى مطلق الإنسان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؛ واعترفت تلك الخطابات القرآنية أيضًا بمعتنقي الديانات الأخرى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ولم يشعر المخاطب بأي تعال في لهجة الخطاب، كما لم يواجه بأي لون من ألوان التهميش أو الرفض، ولم يعش في ظل النموذج الحضاري الإسلامي الوافد، أي دونية أو تبعية تختزل الإنسان أو تشينه، وظلت تشمله كغيره من المسلمين قيم التفاضل على أساس التقوى، بعيدا عن اللون واللغة والجنس.

وأما على صعيد الانفتاح على الآخر المختلف؛ فإنه مبدأ قرآني رسخته جملة من آيات الذكر الحكيم، ومارسه المسلمون بثقة عالية دون تردد أو وجل، حتى توغلوا في الممنوع، وناقشوا أخطر القضايا بما فيها الغيب والمسلمات الإيمانية، وكان رائدهم في كل ذلك المنهج القرآني الصريح في تعامله مع القضايا الفكرية والعقيدية.

هذه الأرضية وفرت مناخًا صالحًا للحوار؛ وساعدت على تطوير الفكر وتوالد المعرفة، ونجح المسلمون في اقتحام الموانع الفكرية المصطنعة، وتواصلوا مع الفكر الآخر يستنطقوه ويفعّلوا عناصره الايجابية ويعيدوا بناءها، من هنا حقق الحوار الحضاري نتائج كبيرة على صعيد نشر الرسالة في أرجاء واسعة من العالم، رغم تنوع الثقافات التي صادفت المد الإسلامي، إلا أن تلك الثقافات لم تشكل تحديًا صعبًا يعرقل حركة

الإسلام، أو يحد من قوة تأثيره في نفوس الشعوب التي انفتحت توًا على إشعاعات حضارته، بعدما وجدوا فيها صدقية واضحة في دعواها الإنسانية.

وبناءً على هذه المنطلقات؛ فإن الحوار الحضاري الراهن يختلف عن سابقه بأطراف الحوار وإشكاليات الحوار. فإذا كان الإسلام يمثل المركز والذات قبل قرون؛ فقد أصبح الغرب يمثل المركز الذي تدور حوله الأطراف وهي بلدان الشرق بشكل عام والبلدان الإسلامية بشكل خاص. ثم إن الحوار الحضاري الراهن مبتلى بالإشكاليات المتقدمة؛ لهذا يبقى التفاؤل بمستقبل أفضل في ظله أمرًا صعبا؛ وليس هذا مجرد تحليل أو توقع متشائم.. بل إن الأدلة والوثائق تكفي دليلًا عليه، وبمقدور الباحث أن يتوصل إلى تلك النتائج. فليس وعي الغرب للإسلام يساعد على الحوار. وليس الانفتاح الثقافي لواقع المسلمين يؤيده؛ ومن هنا نحن بحاجة إلى آلية أكثر فاعلية تطور أداء الحوار الحضاري إلى مستوى يكافىء طموح المشاريع المقترحة له؛ وفي هذا السياق نحن بحاجة إلى تفكيك الإشكاليات المعيقة للحوار وإعادة بناء عناصرها، بحيث تفضي إلى صالح جميع الأطراف المشتركة فيه.

ولو ألقينا نظرة مكثفة على واقع أخطر في الحوار الحضاري المرتقب بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، لتعرفنا عن قرب على مدى أهليتها للحوار، من خلال دراسة تقييمية تطال الوعي المتبادل لكلا الحضارتين، وقدرة الأطراف المتحاورة على الانفتاح رغم درجات التباين بينهما. فمنذ أن امسك الغرب بناصية العلم، وبدأ أولى خطواته على طريق التقدم الصناعي والتكنولوجي حتى أخذت تتراجع القيم الإنسانية في منظومته الأخلاقية. وبدأت تحل قيم جديدة تكرس الحس العنصري أو تفترض وجود عناصر بشرية راقية هو الغرب، وأخرى تنحدر عن أصول مختلفة هم الشرق؛ ومنذ ذلك الحين أخذ الغرب يحتقر الآخر ويهمشه ويفرض عليه أنساقه الثقافية بعد أن يحطم بنيته المعرفية؛ وقديما حول الغربُ الشرق موضوعا للدراسة والبحث بهدف استغلاله وإذلاله. دون أن يعترف له بإنسانيته، ولم يسمح له بحق الحياة مستقلًا عنه. وظل الآخر يدور في فلك المركز مقموعا في داخله مضطهدًا، يتخطفه بريق الحضارة الغازية، ويلهث من أجل

اللحاق بها . وعندما شعر الغرب بخطورة المد الإسلامي في القرن الماضي توجس خيفة ؛ وبدأ يخطط بجد لتحجيمه والقضاء عليه ، من موقع القوة والتعالي والشعور بالفوقية والتسلط . ثم توالى التنظير لمستقبل العلاقة مع الآخر المختلف ... وفي هذا الصدد صدرت في عام ١٩٨٩م نظرية (نهاية التاريخ) في أعقاب سقوط الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة ، حينما أعلن فوكوياما أن الديمقراطية الليبرالية تشكل فعلًا منتهى التطور الأيدلوجي والشكل النهائي لأي حكم نهائي ، وسوف (لا يبقى في نهاية التاريخ أي منافس حقيقي للديمقراطية الليبرالية) ، وهذا الخطاب صريح في إلغاء جميع الحضارات الأخرى . وتأسيسًا على ما تقدم تبقى إشكالية الاعتراف بالآخر المختلف عنصر الإخفاق في الحوار الحضاري المرتقب(١) .

هذا هو الفرق بين حضارة مصدرها رباني تريد الخير للناس ..كل الناس ؛ وبين حضارة مصدرها وضعي بشري فتزعم أن أفرادها هم الأسياد وما عداها من الناس عبيد لها تتصرف فيهم كيف شاءت .

ومن هذا العرض الموجز لجانب من جوانب هذه الحضارة يمكن أن نفهم أن المراد بعبارة (التعايش وبناء المشترك الإنساني) عند الآخر هو : أن يقبل المسلمون (وهم بالنسبة للحضارة الغربية : الآخر) بمبدأ سياسة الأمر الواقع ، وبأن يعيشوا في ظل حكم الحضارة الغربية على مرادهم بالمشترك الإنساني بين السادة والعبيد ، وألا ينازعوا فيما يملى عليهم من هؤلاء السادة ؛ وإلا فليس هناك إلا القوة لإجبارهم على القبول أو إزالتهم من الوجود .

وأخيرًا ؛ إن الحوار بين الأمم ذات الحضارات والثقافات المختلفة لمحاولة بناء المشترك الإنساني يجب أن لا ينطلق من الإحساس بالتفوق العنصري أو الاستعلاء الحضاري أو روح الهيمنة الثقافية ، لأن الحوار الذي يكون قائمًا على أساس الشعور

---

(١) انظر مقال (جدل الأنا والآخر في الوعي الإسلامي) لعبد الرضا جبارة ، بتصرف - مجلة (الإسلام والديمقراطية) العدد (١٥) آيار ٢٠٠٦ - مجلة شهرية فكرية مستقلة تصدر عن منظمة الإسلام والديمقراطية .

بالتفوق والاستعلاء لا يؤدي الأهداف التي من أجلها تنشأ علاقات التواصل الحضاري بين الأمم ، بل إنه ربما يعود على الهدف بما يناقضه ، ومن هنا ينبغي أن يكون إقامة قيم التسامح وإذكاء روح التعارف الثقافي والعلمي ، ووضوح فكرة (المشترك الإنساني) على فهمها الصحيح ، هدفًا من أهداف الحوار بين الحضارات لإقامة المشترك الإنساني الذي أساسه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١] ؛ والذي هدفه ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ ، ذلك التعارف بالمعنى القرآني السامي الذي هو الأصل في تعامل القبائل والشعوب بعضها مع البعض الآخر ، استنادًا إلى قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣] .

والله وحده الهادي إلى سواء السبيل .

* * *

الباب الرابع
الإسلام بين الحوار والمواجهة
(صراع الحضارات)

الفصل الأول

○ تمهيد

○ الإسلام بين الحوار والمواجهة

○ الدعوة إلى اللّٰه تعالى حوار أم صراع ؟

الفصل الثاني

الآخر بين الحوار والمواجهة

○ الفكر الغربي ومفهوم (الحضارة حوار أم صراع ؟)

الفصل الثالث

أوجه الصراع الحضاري وميادينه

○ خاتمة المبحث

الفصل الأول

تمهيد :

هذا الباب مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالباب قبله ، وقد بينا في الباب السابق معاني قضية الحوار مع الآخر ومعالمها .. ولكن يبقى سؤال : ماذا لو لم يُجْدِ الحوار ؟ ؟ وذلك أمر واقع تاريخًا ، متوقعٌ آنيًا ؛ وأسبابه في التاريخ القديم لم تغب في العصر الحالي .. خاصة إذا كانت صفات الآخر الآن هي نفس صفات الآخر الأول من الكبر والتعالي والتعنت والظلم والاعتزاز بالقوة المادية التي أوتيها ومحاولة الهيمنة وفرض ما يريد بالقوة .

ومن هنا يمكن القول : إن الحوار بمعزل عن القوة - خاصة في عصرنا هذا - لا يؤتي الثمرة المرجوة مثل الحوار الذي تسانده القوة ، وقديما لما حاور الرسل أقوامهم كانت إجابتهم ما أخبر الله تعالى به المؤمنين : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم : ١٣] ، وقال قوم نوح لنبيهم وهو الذي لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله تعالى بالحوار مستخدما كل وسائله وأساليبه : ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء : ١١٦] ؛ وأخبر الله تعالى عن عاد : ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ [فصلت : ١٥] . وقال قوم لوط لنبيهم : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء : ١٦٧] ؛ وقال الملأ الذين استكبروا من قوم شعيب لنبيهم : ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ [الأعراف : ٨٨] ، و ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود : ٩١] ؛ وقال فرعون لنبي الله موسى ﷺ بعد أن حاوره بالقول اللين والحجة الدامغة : ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء : ٢٩] ؛ بل قال للسحرة لما أن آمنوا بعدما رأوا البينات : ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء : ٤٩] . وكم قتل من الأنبياء على يد بني إسرائيل ؟ !

فالظالم الطاغي المستبد القوي يحاور مستندا إلى قوته ، فإن وجد نفسه محجوجًا مغلوبًا في الحوار لجأ إلى القوة لفرض رأيه وعقيدته ؛ فلابد لصاحب الحق أن يكون له قوة يستند إليها عند محاورته ليرد بها هذا العتو والطغيان ؛ قد قالها نبي الله لوط لما يئس من حوار قومه : ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود : ٨٠] ؛ من هنا فرض الله تعالى القتال على الأمة ليكون سبيلَ ردع لهؤلاء المجرمين الذين رفضوا الحق ، ويريدون أن ينشروا باطلهم بالقوة ، ويَحُولون بين الحق ووصوله إلى الناس ؛ وكان من أوائل ما نزل في ذلك ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : ٣٩، ٤٠] ؛ لقد مكث النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة يدعو أهل مكة بالحوار والجدال بالتي أحسن ، فأبى أكثرهم ، وآذوا الرسول ﷺ والمؤمنين بجميع أنواع الإيذاء ، ثم أخرجوهم من ديارهم ، وليس ذلك وفقط بل شرعوا في تتبعهم وتأليب العرب واليهود عليهم في محاولة للقضاء على الإسلام وأهله .. فهؤلاء لم يُجد معهم التدافع بالحوار ، فأُذِنَ بالتدافع بالقتال .

إن محاولة البعض في كلامه عن سنة التدافع أن يقصرها على الحوار فقط ليس صوابا ، ولا يسعفه السياق القرآني ؛ فإن آيتي التدافع في سورة البقرة وسورة الحج إنما سيقتا في الحديث عن القتال ؛ ففي سورة البقرة بعد أن أخبرنا الله تعالى بما كان من خروج طالوت وجنوده من المؤمنين لقتال الكافرين (جالوت وجنوده) ، قال سبحانه : ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة : ٢٥١] ، وفي سورة الحج وفي سياق الإذن بالقتال ، قال ﷻ : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ ، فسنة التدافع ليست هي بالحوار فقط ، إنما هي بحوار اللسان فإن لم يُجْدِ ، فبحوار السنان ؛ ومن هنا قال النبي ﷺ : « **جَاهِدُوا**

الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ »[(١)] ؛ وهذا الذي التزمه النبي ﷺ في سيرته ومعاملته مع الكافرين ، وقد تقدم أنه كان يأمر قادة جيوشه قائلا : « **وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ... فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ** » رواه مسلم .

ولابد أن يفهم أن اللَّه تعالى الذي أمر بالجدال بالتي هي أحسن فقال : ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ هو سبحانه الذي أمر فقال : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، وهو ﷻ الذي قال : ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ٣٦] إلى غير ذلك من آيات الأمر بالجهاد والقتال ؛ فلابد أن يفهم الأمران كلٌّ في سياقه ، وإلا كان الخلل في الفهم مؤديا إلى الاختلال في الموازين ؛ فكما تقدم : للسلم حوار ، وللحرب حوار .

فالأصل في دعوة الآخر هو الحوار الهادئ الرزين الذي يخاطب العقل والقلب ليأخذ بلب المخاطب قبل يده إلى اللَّه تعالى ، فإن خرج المخاطَب من الحوار إلى الجدال ، كان جداله بالتي أحسن ؛ فإن أبى إلا الكفر والعناد وشرع في التلويح بالقوة والمصارعة ، فلا يوقف هذا الطغيان إلا بقوة تردعه فتعيده إلى صوابه أو تصرعه ؛ مع الوضع في الحسبان الإعداد الذي أُمرنا به لذلك ؛ ومن هنا قلنا : إن على الأمة أن تتهيأ للأمرين معا : حوار اللسان وحوار السنان .

* * *

(١) رواه أحمد : ٣ / ١٢٤، ١٥٣، وأبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦)، وابن حبان (٤٧٠٨)، والحاكم (٢٤٢٧) عن أنس .

الإسلام بين الحوار والمواجهة

المواجهة كما تكون في الصراع تكون - أيضا - في الحوار ؛ إذ المواجهة بضم الميم وفتح الجيم مفاعلة من واجه ، بمعنى الوقوف وجها لوجه ؛ والمشافهة بالكلام هي المواجهة من فيك إلى فيه ؛ لكن المراد بالمواجهة هنا (الصراع) ؛ لأن المواجهة جاءت في مقابلة الحوار فتغايرا في المعنى .

والصراع : بالكسر مصدر صرع ؛ والصَرْعُ الطَّرْحُ بالأَرض ، وخَصَّه الأزهري في (تهذيب اللغة) بالإِنسان ؛ يقال : صارَعَه فصَرَعَه يَصْرَعُه صَرْعًا وصِرْعًا ، فهو مصروعٌ وصريعٌ ؛ والجمع صَرْعَى ؛ والمُصارَعةُ والصِّراعُ : مُعالَجَتُهما أَيُّهُما يَصْرَعُ صاحِبَه[1] . أي : اجتهاد الشخص أن يلقي من يصارعه أرضا ؛ والصراع الفكري : اجتهاد كل من الأطراف المتصارعة كسب النصر لفكرها . والصراع يعني - فيما يعني - محاولة إلغاء الآخر بشتى الأساليب والوسائل .

وقد كانت هذه المواجهة بهذين المعنيين منذ ظهور الإسلام وإلى يومنا هذا ؛ فمن جهة النبي ﷺ والمؤمنون معه يدعون قريشًا إلى الإسلام بالحوار والحجة والبينات واللين ، في حين واجهته قريش ومن آمن معه بشتى أنواع الصراع الفكري والإيذاء البدني ، حتى تآمروا على قتل رسول اللّه ﷺ ، وأخرجه اللّه من بينهم مهاجرا إلى المدينة .

وفي المدينة كان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج ويقولون لهم : قد آن وقت نبي وسنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٨٩] ؛ فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة دعاهم إلى اللّه تعالى فلم يؤمنوا ؛ فعقد معهم عهدًا ، لكنهم واجهوه بأنواع من الصراع ، فكان ما كان من إجلاء بعضهم وقتل آخرين جزاء وفاقا لخياناتهم ونقضهم العهود والمواثيق .

ثم لما أرسل النبي ﷺ إلى ملوك وعظماء الدول حوله يدعوهم إلى الإسلام ، فمنهم

---

(١) انظر لسان العرب باب العين فصل الصاد والراء ؛ وتهذيب اللغة للأزهري ، ومختار الصحاح والمفردات مادة (ص ر ع) .

من واجه بسوء الأدب والغطرسة ككسرى ، ومنهم من استقبل الدعوة بأدب ولكنه بَيَّتَ الصراع كقيصر .

وهكذا في زمن الفتوح .. ثم مرورا بالحملات الصليبية الأولى التي كانت تدق لها جميع كنائس أوربا لحشد الجيوش التي كان يراد بها استئصال الإسلام وتدمير أهله . ثم الحملات الصليبية الحديثة (المغلفة بلفظ الاستعمار) ، ثم الحملات الأخيرة (المغلفة بالنظام العالمي الجديد) وانتهاء بمحاولة عولمة العالم كمرحلة أخيرة للقضاء على ما بقي في نفوس المسلمين من الانتماء للإسلام .

هذا موجز سريع لبيان قصة الإسلام مع غيره .. دعوة بالحوار تواجه بكل أنواع الصراع ؛ دعوة للخير .. خير البشرية جميعا .. واضحة المعالم ظاهرة البينات بالغة الحجج ؛ لا يجد العقل أمامها إلا التسليم لخالقه ، ولا تجد النفس أمامها إلى الخضوع لبارئها (جل جلاله) . فأبت قوى الشر أن تفسح بين الدعوة والناس ، فكانت المواجهة التي تزيح الطواغيت من أمام دعوة الحق ، ليكون بعد ذلك إيصال دعوة اللَّه تعالى للبشرية ليدخلوا في دين اللَّه أفواجا .. وقد كان .

هذه قصة الصراع بين الحق والباطل منذ ظهور الإسلام ، وهي قصة ممتدة عبر التاريخ وستستمر إلى قيام الساعة ؛ وفي مقولة فلسفية : الساعة (٢٥) في يوم (٣٢) من شهر (١٣) سينتهي النزاع ويوقف الصراع بين الخير والشر !! إنه من المستحيلات في الدنيا ؛ فالصراع بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين المعروف والمنكر ، لا يتوقف إلا بتوقف الحياة . وهو صراع يتلون حسب الأزمنة بألفاظ ومصطلحات يراد بها لبس الحق بالباطل ، والتلبيس على الناس لقبول مثل هذه المصطلحات ذات المظهر الجذاب والباطن المدمر .

* * *

الدعوة إلى اللّه تعالى حوار أم صراع ؟

الحقيقة التي تؤكدها النبوة على تاريخها الطويل ، ويدلل عليها الواقع ، ويثبتها التاريخ البشري - كما يقول د عمر عبيد حسنة - أن الحوار بألوانه المتعددة : البرهان والعرفان والبيان والمناقشة والتشاور والتفاكر والمثاقفة والمجادلة بالتي هي أحسن ، هي طريق الوصول إلى الإنسان ، وهي وسيلة النبوة ، كل النبوة ، من لدن آدم .. ذلك أن النبوة قرآنٌ وبرهانٌ وبيانٌ قبل أن تكون سلطانًا وأمةً ؛ وفكرةٌ قبل وبعد أن تكون دولة وسلطةً .

بل لعلنا نقول : إن المواجهة والعنف والصراع لم تشرع إلا لحماية الحوار وتأمين أجوائه وفتح قنواته ، ذلك أن الإنسان لا يقاد إلا من خلال قناعاته ، حيث التدين أرقى أنواع الحرية والاختيار وتحقيق كرامة الإنسان .. ويمكن القول بأن النبوات جميعًا اقتصرت على الحوار والدعوة ، وتحملت في سبيل ذلك كل أنواع الأذى والإساءة والدفع بالتي هي أحسن ، وفي تاريخ النبوة لا نجد سوى نبوة داود وسليمان - عليهما السلام - والنبوة الخاتمة جمعت بين النبوة والحكم ، بين السلطان والقرآن ، بين الدولة والأمة ، وشرعت الجهاد والمواجهة بضوابطها الشرعية وفي أضيق الحدود لحماية الدعوة وإزالة المعوقات وفتح الانسداد في أقنية الحوار ... إضافة إلى أنه حتى النبوات التي حلت معادلة تلازم الألوهية والحكم ، ونزعت صفة الألوهية عن الحكام ، وسوت الناس أمام الخالق ، إنما كان انتشارها بالحوار لا المواجهة .. ولا شك أن الحرية والحوار هو المناخ السليم لامتداد الإسلام وانتشاره واختياره ، ولما أدرك خصوم الإسلام ذلك حولوا الكثير من دول العالم الإسلامي إلى مخافر ، وعسكروا معظم الأنظمة بعد نجاحهم في إسقاط الخلافة ، وأجهدوا أنفسهم بوضع فلسفات ومسوغات للتدليل على أن الأمة متخلفة ، وغير مؤهلة للحوار والديمقراطية ، وغير قادرة على التعامل مع أجواء الحرية ، وهي بحاجة إلى الوعي الديمقراطي الحواري ، وانتهوا إلى أكذوبة كبرى هي أنه لا بد من حماية الديمقراطية من الديمقراطية ، وحماية الحوار من الحوار (!) فكانت أنظمة الاستبداد السياسي[1] .

---

(١) انظر تقديمه لكتاب (الحوار - الذات والآخر) للدكتور عبد الستار الهيتي ص ٨: ١٠ باختصار وتصرف .

هذا الذي نراه من خلال ما قدمنا من الأدلة وأقوال العلماء في هذه القضية ؛ أن الحوار بشروطه وآدابه ومقوماته هو الأصل في دعوة الآخر وهو وسيلة الأنبياء والرسل ، وهو الأصل في انتشار الإسلام ؛ وهذا - فيما أعلم - لا يتنازع فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان ؛ **ولكن ماذا لو أن الآخر لم يقبل نتائج الحوار ، وأبى إلا المواجهة ؟ ! أو أنه أبى الحوار أصلا ، وأصر - استنادا إلى قوته - على التسلط والهيمنة وفرض ما يراه ؟**

إن هذه الحالة متكررة عبر الأزمان مع تاريخ النبوة أيضا ، ولكن علاجها كان مختلفا مع كل قوم حسب حالهم والمناسب لهم ؛ قال اللَّه تعالى : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٠] .

فقد كان اللَّه تعالى يتولى إنزال العقوبة على المكذبين العالين المستكبرين ؛ ولم يخبرنا اللَّه تعالى أنه أمر رسل هؤلاء بالقتال ؛ إلا ما كان في شريعة موسى ﷺ ، فقد أمره اللَّه تعالى بدخول الأرض المقدسة ولم يطعه بنو إسرائيل فعوقبوا بالتيه ؛ ثم ما كان بعد ذلك من طلب بني إسرائيل من نبيهم أن يسأل اللَّه تعالى أن يعين لهم ملكا يقاتلون معه ، فكان ما كان من قصة طالوت وداود وانتصارهم على جالوت ؛ وقوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٦] كان ذلك في أنبياء بني إسرائيل كداود وسليمان وغيرهم .

ثم فرض اللَّه تعالى الجهاد في الشريعة الخاتمة لإزالة الموانع التي يسببها هؤلاء المستكبرون في الأرض الذين يبغونها عوجا ، ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٦] . ولذا قلنا إن الأمة لابد أن تتهيأ لحوار اللسان وتستعد لحوار السنان ؛ وكلاهما بشروطه وآدابه مأمورا به حسبما يقتضيه الحال .

الفصل الثاني

الآخر بين الحوار والمواجهة

الآخر هنا هو من يمثلون الحضارة الغربية وثقافتها من الفكر الغربي العلماني ، أو اليهودي الصليبي ، فلابد من النظر والتفكر في منظومته الفكرية بين الحوار والمواجهة ؛ لتستبين الصورة كاملة ، وبه تتضح الإجابة على السؤال السابق .

تقدم – في الباب السابق – أن فكرة الصراع الحضاري ، أو التحدي الحضاري ، أو ما يسمى صراع البقاء للأقوى ، أو الصراع الطبقي هي الأساس الذي تقوم عليه الحضارة الغربية بمذاهبها المتعددة ، وتطبيقاتها المتنوعة .

ونظرة فاحصة في التاريخ لقراءة جذور هذه الحضارة يقف المتأمل فيها على حقيقة تكوينها وغاياتها والأهداف التي تسعى لنشرها ، وكيفية ذلك .

ففي القديم – كما يقول د طه العلواني : تكونت الحضارتان الهيلينية والرومانية ضمن نسق حضاري له نظرياته الخاصة في الإنسان ، وهي نظرة تسمح باستعباد الإنسان لا بتحويله إلى رقيق أو (قن خاص) بل باعتباره طاقة عمل يمكن تسخيره بدون أجر ، وأفضل العبيد في نظر هاتين الحضارتين مصارع في ساحات القتال يصرع الأقران أمام أسياده ويقف باعتزاز أمام الجسد المتهاوي ، ثم يستدير ليركع لأولئك الأسياد .

والغربيون المعاصرون يعدون أنفسهم ورثة هاتين الحضارتين ، ولم تختلف نظرتهم للإنسان كثيرا عن أولئك الأسلاف حيث سخروا الإنسان في المناجم والصناعات المختلفة ؛ وأدخلوه – كلا أو أجزاء ، حيا أو ميتا – إلى المختبرات لإجراء التجارب وإنماء الخبرة ، كما سخره أسلافهم في بناء الهياكل والقلاع . هذا النسق الحضاري بشقيه الوارث والموروث بُني على هذه النظرة للإنسان المؤدية إلى الصراع والتضاد والتنابذ لا محالة ، حتى لو اتخذت شعارات تبدو في ظاهرها مغيرة لتلك القيم الحاكمة للمسيرة الحضارية الغربية .

في مقابل ذلك كله تأتي (عالمية الإسلام الأولى) لتنسخ تلك الوضعيات الثلاث

الإغريقية والرومانية والغربية المعاصرة وعلى نحو مغاير تماما ؛ ففي مقابل العالمية القهرية الهيلينية والرمانية جاء الإسلام محررا للشعوب ، إذ لم يسجل لنا التاريخ - ومنه التاريخ الوضعي - واقعة واحدة قتل فيها المسلمون شعوب المناطق التي فتحوها ، فقد كان القتال كله موجها ضد الطغاة والقوى التي تساندهم لا ضد الشعوب ، بل لقد ساندت الشعوب الفاتح المسلم ضد سادتها ، فهو أول فاتح في التاريخ يأتي إلى من حوله من الشعوب لا فاتحا ، بل محررا ، ملتزما بكتاب سماوي يقيده بقيود أخلاقية كثيرة تمنعه من أن يعلو في الأرض ويفسد فيها ، وبذلك أسس الإسلام أول عالمية (مقابلة) للعالمية القهرية الطاغية المستبدة .

فالنسق الحضاري الإسلامي في إنسانيته هو نقيض النسق الهليني والروماني ؛ إذ يطرح التوحيد في مقابل الوضعية الملحدة أو المشركة ؛ ويطرح القيم الإلهية السامية في معاملة الإنسان مقابل النسق القهري الاستعبادي ، ويربط العباد بخالقهم ولا يسخرهم لحاكم أو سلطان .

إن عالمية الإسلام ليست عالمية تعصب أو دعوة تنطلق من الخصوصية الجغرافية البشرية لمضاهاة العالمية الغربية .. إنها عالمية الرحمة .. لنا وللغربيين وللعالم أجمع على حد سواء ؛ وإن مهمتنا نحن المسلمين - رغم سوء أحوالنا وظروفنا - أن نَدخل ونُدخل الناس في مرحلة الهدى ودين الحق[١] .

فماذا كان موقف الآخر من الإسلام؟ كانت هناك الدولتان العظميتان (فارس والروم) ، وكان بينهما صراع دائم لبسط النفوذ على الممالك وأماكن الثروات ؛ وقد حكى لنا القرآن جزءا من هذا الصراع في أول سورة الروم : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤] .

---

(١) انظر (الإسلام والتعايش السلمي مع الآخر) د طه العلواني - ضمن كتاب (سلسلة محاضرات حوار الحضارات الجزء الثاني - خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات) ص ٢٤٨: ٢٥٠ باختصار وبتصرف .

وبعدما عقد رسول اللَّه ﷺ صلح الحديبية مع قريش ؛ تفرغ لدعوة ملوك وعظماء الدول حوله إلى الإسلام ، فكان ممن أرسل إليهم هرقل عظيم الروم ؛ وكان هرقل ذا عقلية فذة ، وكان قد قرأ الكتابين ، ولما انتهى إليه كتاب رسول اللَّه ﷺ ، وأُتي إليه بأبي سفيان ومن معه ؛ وبعد محاورة أبي سفيان بن حرب أقر بنبوة النبي ﷺ[1] ؛ ثم راسل غيره من علماء النصارى - كما ذكر البخاري في صحيحه قال : وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلُ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ : قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ ! قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ : وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ : إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ قَالُوا : لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ ! وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ : اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا ؟ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ ، وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ : هُمْ يَخْتَتِنُونَ ؛ فَقَالَ هِرَقْلُ : هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ ؛ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ ؟ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ ؛ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ قَالَ : رُدُّوهُمْ عَلَيَّ ، وَقَالَ : إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، فَقَدْ رَأَيْتُ ؛ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ[2] . والعجيب أن هرقل هذا هو من جهَّز الْجُيُوش إِلَى مُؤْتَة ، وهو أيضا مَنْ جهز الْجُيُوش إِلَى تَبُوك[3] . فهذا كان أول الصراع ؛ والعجب أن

---

(١) راجع مبحث (شروط الحوار) فقد ذكرنا نص المحاورة بين هرقل وأبي سفيان ونص رسالة النبي ﷺ .

(٢) انظر صحيح البخاري (٧) .

(٣) انظر فتح الباري : ١ / ٤٣ .

يكون مع ظهور الحق ووضوحه والإقرار من الآخر به ، بل قال هرقل فيما قال في محاورته لأبي سفيان : (فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ؛ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُم ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ) !! كلام أهل الإيمان وأفعال الشياطين ! فهل هي صفة موروثة عند أبناء الروم ؟

وبعد معركة اليرموك ونصر الله تعالى للمسلمين ، ثم تبعها فتح بيت المقدس ، وعاد الغرب إلى بلادهم مدحورين أذلاء ، لم يهدأ لهم بال ولم يقر لهم قرار ، وظلوا يعدون عدتهم ويجهزون أنفسهم بحقد دفين على الإسلام والمسلمين ؛ وأخذوا يتربصون بالمسلمين ، وكلما حانت لهم فرصة نقضوا عهدهم وأغاروا على بلاد المسلمين ، حتى أعيتهم الحيل ، ثم بدءوا يخططون لحملات كبيرة جُمعت لها الأموال من كل مكان ، وحشد لها الأعداد الغفيرة ، وكانت تدق لها النواقيس في الكنائس ، ويسافر لها القساوسة في جميع بلدان الروم والفرنجة (الغرب) ليؤلبوا أهل الصليب على الإسلام والمسلمين ؛ فجمعوا جيوشا عظيمة وغزو بلاد المسلمين فيما يعرف بالحملات الصليبية التي استغرقت حوالي مائتي عام (١٠٩٦-١٢٩١م) ؛ وقد نوهنا لبعض شأنها في الفصل الثاني من الباب السابق ، ولسنا بصدد تفصيل تاريخي ، ولكننا نسرد إجمالا شواهد على قصة المواجهة مع الغرب (حوار أم صراع) .

ثم كان عصر الاستعمار الحديث والذي بدأ بحملة نابليون على العالم الإسلامي سنة (١٢١٣هـ/١٧٩٨م) ؛ ثم تتابع الغزو الاستخرابي (الاستعماري) على المجتمع المسلم في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ؛ حتى آل الحال بتمزيق الأمة إلى دويلات بعد سقوط دولة الخلافة ؛ ولم يخرج الاستعمار من بلاد المسلمين في النصف الثاني من القرن العشرين حتى زرع (الكيان الإسرائيلي) ، ووضع بين الحدود التي قسمت الدول مناطق نزاع يستغلها وقت الحاجة ؛ والأخطر من ذلك أنه وضع على قمة كل دولة إما رئيسا نصرانيا ، وإما رئيسا علمانيا تابعا للمستعمر ؛ مع إحلال قوانين الغرب محل الشريعة الإسلامية في القضاء ، وإشاعة المفاهيم الغربية ونشر المدارس التابعة لتلك الأفكار

والمفاهيم ليتربى عليها أجيال المسلمين !! ! ولا يغيب عن ذهن العاقل ماذا صنع هذا العبث في مجتمع المسلمين .

وعلى صعيد السيطرة أُسست عصبة الأمم التي آلت بعد ذلك إلى ما يسمى بـ (الأمم المتحدة) ، وتأسس بعد ذلك (مجلس الأمن الدولي) لمباشرة السيطرة على العالم وفق القوانين التي تضعها قوى الشر الاستخرابية .

والأحداث الدالة على أن (الأمم المتحدة ومجلس الأمن) ما أسسا إلا لسيطرة الغرب على العالم وبخاصة (العالم الإسلامي) كثيرة جدا ، وقد أقر بذلك هنتجتون في كتابه (صدام الحضارات) وسيأتي كلامه ؛ ولا يخفى على أحد قضية فلسطين وما يجري في أروقة الأمم المتحدة حولها ؛ وكيف يستخدم فيتو الأمريكان وغيرهم ضد أي قرار يتخذ لصالح المسلمين في هذه القضية ؛ وهناك قضايا عديدة تثبت ما ذكرناه منها قضية كشمير وما جرى من أحداثها منذ رحل المستعمرون الإنجليز عنها بعد أن وطأوا لحكم المجوس على معظم القارة الهندية ؛ وأعلنت دولة الباكستان الإسلامية استقلالها عام ١٩٤٨ م ، وبقيت كشمير بؤرة نزاع منذ ذلك الحين ؛ فغالبها مسلمون أرادوا أن ينضموا إلى الباكستان ، وأبت الهند وظاهرتها بريطانيا ، ومرت القضية بحروب ثلاثة : **الحرب الأولى** كانت بين عامي ١٩٤٧ - ١٩٤٨م ؛ وانتهت الحرب بتقسيم كشمير بين البلدين قسمة غير عادلة ، فثبتت الهند أقدامها على الجزء الأكبر والأهم من كشمير فيما يعرف بولايتي جامو وكشمير ، وأما باكستان فلم تتمكن في الحرب من بسط سلطتها إلا على منطقة (آزاد كشمير) أو (كشمير الحرة) ، **والحرب الثانية** بدأتها الهند في أول يناير عام ١٩٦٥م بهجوم على المواقع الباكستانية في أقصى الشمال الغربي من كشمير ، وتكرر الهجوم الهندي وتكرر صده من الباكستانيين ، ثم بادرت باكستان بهجوم كبير استطاعت خلاله الاستيلاء على مواقع هندية بدعم أمريكي في مقابل الدعم الروسي للهند ، وكان هذا أول ظهور لدور أمريكي راغب في كسب موقع نفوذ في القارة الهندية ، ولكن أمريكا والغرب كما يحدث اليوم لم يكونوا راغبين في أن تتحول الباكستان إلى قوة بديلة بل كانوا يريدونها قوة عميلة ، فأوعزوا إلى مجلس الأمن بإصدار قرار بإيقاف الحرب

وسحب باكستان لقواتها فورًا ، فاستغلت الهند القرار ، وسارعت إلى شن هجوم مضاد ، تمكنت خلاله من قلب الموقف لصالحها . ولكن طرفًا آخر - وهو الصين - لم يرُق لها أن تستأسد الهند في المنطقة وتستأثر بالمواقع الهامة فيها ، فأصدرت إنذارًا للهند بإيقاف الحرب وإلا تدخلت هي تدخلًا مباشرًا فيها ؛ حيث إنها لن تسمح للهند بيلع كشمير كلها وهي تشرف على الحدود الصينية ، وردت أمريكا بأن الصين لا يمكن أن تهاجم الهند دون أن تتعرض للردع الأمريكي .

لقد أظهرت تلك الحرب التي فرضت الهند فيها شروطها ومواقفها ، أن كشمير ليست مجرد أرض نزاع على الحدود ، بل إنها ساحة من ساحات الصراع المبكر على الوجود بين الحضارات الخمس الأهم في عالم اليوم : الحضارة الإسلامية ، والحضارة الهندوسية ، والحضارة الكونفوشيوسية الصينية ، والحضارة الروسية ، إضافة إلى الحضارة الغربية الراغبة في إخضاع كل تلك الحضارات أو ضرب بعضها ببعض بما لا يضر بمصالح الغرب . والواضح في تاريخ ذلك الصراع في القارة الهندية أن الطرف الإسلامي هو المرشح دائمًا للتضحية به أولًا ؛ ويدل على ذلك إجماع القوى الكبرى في العالم على تمرير مؤامرة تفكيك باكستان نفسها في حرب ثالثة ، حتى لا تتحول إلى قوة إقليمية مؤثرة في ذلك الجزء المهم من العالم .. فكانت **الحرب الثالثة** والتي بدأت أيضًا بهجوم هندي على باكستان بهدف فصل قسمها الشرقي عن قسمها الغربي ، وخلال عمليات حربية خاطفة استمرت أسبوعين فقط ، بدءًا من ١٩٧١/١١/٢٣م استطاع الوثنيون الهندوس بدعم من الملحدين الروس وتواطؤ من حزب المنافقين (فرع باكستان) من سلخ الجناح الشرقي لباكستان عن جناحها الغربي تحت مسمى جديد وهو (بنجلاديش) ، حيث جندت الهند ميليشيات من المنافقين في تحالف للشمال البنغالي ، أعلن أنه يقاتل لأجل القومية المتميزة للبنغاليين !! فكانوا شوكة في ظهر الجيش الباكستاني ، وتمكن المنافقون الذين أطلقوا على أنفسهم اسم (فدائيو بنجلاديش) من تمهيد الطريق أمام عباد البقر لغزو باكستان الشرقية (بنجلاديش) ، فقطعوا خطوط السكة الحديد بين العاصمة دكا ، وبين الموانئ الرئيسية لقطع الإمداد ، وباغتت القوات الهندية باكستان الشرقية بعد ذلك

بضربات جوية دمرت المطارات والطائرات وفرضت سيطرة جوية هندية على الإقليم ، مهدت بعد ذلك لإعلان الجنرال نيازي قائد القوات الباكستانية الشرقية قبول الانسحاب والإقرار بالهزيمة ، ولما طالب مجلس الأمن الهند بالانسحاب استخدم الروس حق الفيتو !! فخرس المجلس ، وسُمح لحكومة المنافقين أن يؤتى بها من المنفى لتتسلم السلطة بعد (الاستقلال) عن إخوانهم المسلمين ، والتمتع بالهبات والمساعدات الهندية والروسية والغربية التي رشحت (بنجلاديش) لأن تحتل بجدارة لقب : أفقر دولة في العالم !![1] .

وإن ينسى العالم فهل ينسى الصورة الحقيقية لموقف الغرب والأمم المتحدة من قضية البوسنة والهرسك ؟؟!

في تعليقه على ما حدث بالبوسنة والهرسك يقول د عبد اللّٰه سلطان : إن الدور الصليبى الصهيوني يعي حقيقة المعركة وامتداداتها الحاضرة والماضية والمستقبلية ، كما أنه يدرك تمامًا أن المعركة الدائرة وهي مع الإسلام كدين وهوية ، فالمسلم البوسني غريب منسلخ عن كثير من أسس الإسلام ومبادئه بفعل عوامل تاريخية وواقعية متشابكة ، والمشاهد التي تعرض على العالم كل صباح ومساء تثبت أن مواصفات الأصولية وملامح (التطرف) لا تنطبق على مسلمي البوسنة كما يفهمها الغرب ، فالرجال أوربيو الملامح ولا تظهر لحاهم الكثة (الشهيرة) أو قمصانهم البيضاء جلية .. ولا يسيرون وهم يحملون المصحف أو وهم يرددون : اللّٰه أكبر ..، إنهم أبعد ما يكونون الآن عن ذلك بعد عقود من الغسيل الفكري والغربة العقدية .. أما النساء فلا يبرز الحجاب يغطي رؤوسهن حتى يشن الغربيون هذه الحرب عليهن ، ولا يكترث بحملة الاغتصاب المنظمة التي تحطم كل ذرة إنسانية في صدورهن ..، المسلمون في يوغسلافيا لا تنطبق عليهم (المواصفات والمقاييس) الصليبية أو مشتقاتها العلمانية في عالمنا الإسلامي .. مجلة النيوزويك

---

(١) هذا الموضوع نقلا عن مقال (تفعيل صراع الحضارات .. هل يبدأ من كشمير ؟) لعبد العزيز كامل – مجلة البيان العدد ١٧٧ ص ٦٨ – جمادى الأولى ١٤٢٣ – أغسطس ٢٠٠٢ باختصار وتصرف .

الأمريكية تؤكد ذلك حيث تقول : (الرجال يشربون الخمر .. والنساء لا يرتدين الشادور أو الحجاب) ؛ الإيكونومست المتعصبة تقول : (لا يمكن إطلاق لفظ (أصوليون) على هؤلاء الآن ، إنهم أقرب إلى العلمانية منهم إلى الإسلام) .. ومع هذا يظل البعض يتغاضى عن حقيقة موقف الغرب المتغطرس مع من تحمل خلاياه جذورًا إسلامية أو صفات وراثية تربطه إلى هذا الدين ، أنت متهم على أي حال وحيث ما اخترت أن تقف أو تنحاز .. إذا كنت مؤمنًا بالإسلام منهجًا ودستور حياة .. فأنت بالتأكيد أصولي (عفن) !! وإذا اخترت أن تؤدي الشعائر دون أن تحمل لونًا أو طعمًا أو رائحة تَمُتُّ للإسلام ، فأنت غير متحضر أو قابل للاندماج الحضاري ، إذا قررت أن تتأمرك أو تتغرب ، أو تصبح علمانيًا متشنجًا ، فستظل قابلًا للانحراف عن هذه المبادئ ، ودخيلًا على الفكر الغربي الذي طوَّر هذا الطرح ، والذي ينظر بازدراء حتى لأولئك المتشبثين بركابه ، المتمسحين بقداسته ، أنت في أحسن الأحوال (ذنب مرحلي) أنت مسلم .. إذن أنت عدو مهما انسلخت أو توددت أو ابتذلت .. هذه نظرة الغرب ونظرة مفكريه وقادته .. بل أفراده البسطاء .. أنت (الآخر) الذي لا يمكن أن يكون الأصل .

هذا ما يفسر الحملة الوحشية البشعة في البوسنة ، أو في أرض إسلامية أخرى ، حيث ينظر الغرب إلى القضية من منطلق صراع الحضارات والأجيال ، ويتغافل منظرو اللحظة الآنية والحدث اللاهث عن هذه المنطلقات ، فضلًا عن المضللين والمنافقين والمأجورين .. هذا المنظور الغربي المزدوج تؤكده أكوام التصريحات والمواقف الغربية منذ انفجار المأساة حتى الآن ، حقد صليبي يهودي على الإسلام بغض النظر عن تخاذل أبنائه وتميُّع معتنقيه ، فربما انتفض الأطفال والشباب وهزهم تيار الصحوة الإسلامية الذي لا يعرف حدودًا أو حواجز ، إنهما خطان متشابكان ورافدان أساسيان .. (الغرب المتحضر) بكل تراثه ومصطلحاته وعقائده وتفوقه وأسلحته ومصالحه ، أمام المسلمين الهمج الذين يريدون أن يعيدوا عجلة التاريخ إلى الخلف ، ويصبغوا القرن الحادي والعشرين بمخلفات عصور الظلام وأساليب القرون الوسطى ، كما يدعون ويروجون . ومهما حاول هؤلاء إسقاط دبلوماسيتهم وأساليبهم الماكرة .. فالكلمات والشهادات

تخرج قسرًا من أفواههم لتؤكد هذا المفهوم المتشابك بين الحفاظ على المكتسبات وإذلال (الآخر) أي المسلم الذي لا زال يبحث عن هويته وذاته .. إنها بعض الشهادات : خلال الحرب العالمية الثانية كان الهدف دك المنشآت الاستراتيجية التي تؤثر على مسيرة الحرب .. أما في هذه المجزرة فإن المستهدفين ابتداءً هم المدنيون ، إنه الإنسان .. ونضيف إنه الإنسان المسلم[(١)] . لقد هيأ التلفزيون اليوغسلافي الصرب للقيام بهذه المجازر حينما بدأ العام الماضي عرض أفلام مهيجة ، مشيرًا إلى المسلمين بالأصوليين والمتعصبين والخمينيين ، وأنهم وراء كل أعمال الإرهاب في العالم ، وأنهم يقومون بذبح أطفال الصرب ليقدموهم طعامًا للحيوانات الجائعة في حديقة حيوانات سراييفو[(٢)] ! (أخشى أن تثمر جهود حكومة البوسنة عن قيام دولة إسلامية في وسط أوربا ونحن الكروات (الكاثوليك) لا نرضى بهذا)[(٣)] . (كل المسلمين - بمن فيهم الضحايا البوسنيون - عرب قذرون يمسحون أدبارهم بأيديهم)[(٤)] نقلًا عن مسؤول صربي .

(إن أسلوب تعامل الولايات المتحدة مع القضية البوسنية اتسم باللامبالاة منذ الإشارة الأولى لاندلاع النزاع ، لقد أعطت أمريكا الضوء الأخضر لصربيا للقيام بحملتها العرقية عن طريق الإبادة ، بينما تكتفي بالتحرك الدبلوماسي الهزيل ، لقد اكتفت الإدارة الأمريكية برعاية جولات عن المفاوضات العقيمة ، ولا زالت تحاول أن تظهر بصورة الحكم العادل حيث تلقي باللوم على جميع الأطراف بما فيهم الضحايا المسلمون ، إنها في الحقيقة تضغط على الحكومة البوسنية لكي تجلس على مائدة المفاوضات مع الصرب الذين يجب أن يحاكموا كمجرمي حرب وذلك للقبول بالأمر الواقع المؤلم) وهذه الشهادة لجورج كيني الذي قدم استقالته من وزارة الخارجية الأمريكية احتجاجًا على النفاق الأمريكي[(٥)] .

---

(١) مجلة تايم : ٢٠ / ٧ / ١٩٩٢.

(٢) نيوزويك ٢٤: /٨/ ١٩٩٢.

(٣) BBC ١٢ / ٨ / ١٩٩٢ رئيس كرواتيا في ذاك الوقت .

(٤) نيو ستيتمان سوسيتي ٣١ / ٧ / ١٩٩٢.

(٥) نشرت في ٣٠ / ٨ / ١٩٩٢ في الواشنطن بوست .

إن الغرب يسعى للضغط على تركيا العلمانية للقيام بجهد إنساني ، بينما ترى تركيا أن تجاهل حقيقة الوضع والمأساة يؤدي إلى شعور المسلمين بأن الحرب حرب صليبية جديدة ، ويمكن أن يفضي إلى حروب دينية مشتعلة .. أي بمعنى آخر أن المسلمين سيكتشفون حقيقة المجابهة[١] .

(على المسلمين أن يقبلوا بالتعايش الكونفدرالي مع كانتونات الصرب والكروات حتى لا تقوم دولة إسلامية كبرى تهدد استقرار أوربا)[٢] . (نحن نقاتل من أجلكم .. نحن خط الحماية الأول أمام المسلمين المتخافين الذين يشكلون عدوًا مشتركًا لكم .. كما لنا)[٣] .

هل تكفي هذه الشهادات ؟ أم نحن بحاجة إلى برنارد لويس المستشرق اليهودي الحاقد وتلامذته من أمثال فؤاد عجمي الذين تورمت أكتافهم من الأجر الحرام وهم يتحدثون ويسهبون وينظرون ويسقطون .. حول همجية المسلمين وتعصب العرب ؟ .. لقد صمتوا تمامًا عن (حضارة الصرب) ، و (رقي الغرب) ، وشجاعة اليهود والنصارى في تحمل صور ومشاهد الهلع المعروضة لأشهر[٤] .

هذه صورة الحضارة الغربية الحديثة ، وهذا واقعها الذي يظهر بواطنها .. فهل لا زلنا نؤمن بما قاله النبي ﷺ : **« لا يلدغ مؤمن من جحر واحد مرتين »**[٥] ؟ !!

* * *

---

(١) مِلليت التركية ١٢ / ٨ / ١٩٩٢.

(٢) بات روبتسون - مرشح الرئاسة الأمريكي السابق - ١٨/٩/ ١٩٩٢.

(٣) مقاتل صربي ABC News ٢٢ / ٨ / ١٩٩٢.

(٤) د عبد الله سلطان في مقال له بعنان (جذور الصراع) - مجلة البيان العدد ٥٨ ص ٧٨ - جمادى الآخرة ١٤١٣ - ديسمبر ١٩٩٢.

(٥) رواه البخاري (٦١٣٣) ، ومسلم (٢٩٩٨) من حديث أبي هريرة .

الفكر الغربي ومفهوم : (الحضارة حوار أم صراع)

يسرف في الوهم من يظن أن قضية (الحوار والصراع) الحضاري تغيرت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ؛ فقضية الصراع كمفهوم فكري أيديولوجي للحضارة الغربية راسخ ؛ وما سردناه آنفا بعض الأدلة على ذلك ؛ وإليك أقوال لقادة الغرب : يقول نيكسون - رئيس أمريكا الأسبق - في كتابه (انتهز الفرصة) : إننا لا نخشى الضربة النووية ، ولكننا نخشى الإسلام والحرب العقائدية التي قد تقضي على الهوية الذاتية للغرب .ا .هـ !! ويقول في الكتاب نفسه : إن العالم الإسلامي يشكل واحدًا من أكبر التحديات لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية في القرن الحادي والعشرين .

وقال إيوجين روستو - رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية ، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ، ومستشار الرئيس (جونسون) لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧: إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي : فلسفته ، وعقيدته ، ونظامه ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي ، بفلسفته ، وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام ، وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية ؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها .ا .هـ .

واقرأ بإمعان ما قاله المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي : أما فيما يخص مفهوم الإرهاب ، فله في واقع الأمر معنيان : فالأول معنى (الإرهاب) والآخر معنى (مكافحة الإرهاب) ، فإذا ما نظرت في الكتب المدرسية العسكرية الأمريكية - مثلا - فستجد فيها تعريفا لـ (الإرهاب) وتعريفا لـ (مكافحة الإرهاب) ، واللافت للنظر أن التعريفين متماثلان إلى حد يكاد يكون تاما ، ويتضح من ذلك أن الإرهاب هو مكافحة الإرهاب نفسها !! أما الفارق الرئيس بينهما فمرده النظر إلى من يقوم بالعنف الإرهابي ، فإذا قام به من لا نحبه فهو إرهاب ؛ أما إذا قام به من نحبه - وهو ما يشملنا - فهو مكافحة للإرهاب !! أما فيما عدا ذلك فالأعمال التي تنفذ في الحالتين متماثلة ... إلى أن قال :

والآن نسمع عن وجود (حرب على الإرهاب) أعلنتها الدولة الأقوى في العالم ؛ والواقع أن هذا إعلان ثان للحرب ، فقد أعلنت هذه الحرب في سنة ١٩٨١ م ، أي قبل أكثر من عشرين سنة .. أي حين تسلمت إدارة الرئيس ريجان السلطة وأعلنت أن محور ارتكاز السياسة الخارجية الأمريكية سوف يكون الإرهاب الدولي الذي ترعاه الدولة وهو طاعون العصر الحديث ، وقد أعلنت إدارة ريجان أنها ستعمل على تخليص العالم من شره ، وأعيد إعلان هذه الحرب مرة أخرى باستعمال اللغة نفسها ، ومن قبل الأفراد أنفسهم غالبا ، فالقادة الذين أعلنوا (الحرب على الإرهاب) في المرة الأولى قبل عشرين سنة ، هم القادة الذين يديرون الحرب ضد الإرهاب في الوقت الحاضر مستعملين اللغة نفسها .. وأكثر الاحتمال أن يكون النتائج نفسها[1] . انتهى المراد من كلامه ، وهو واضح جلي في بيان ما صدرناه من الإسراف في الوهم .

وقد يكون للتنظير الفكري الغربي آراء مختلفة ؛ فقد يرى عدد من المفكرين والمستشرقين عندهم أن استخدام العنف ليس هو الأسلوب الأمثل ؛ كما يقول أسبوستيو في كتابه (التهديد الإسلامي أسطورة أم حقيقة) : إن الديمقراطية التي يراد فرضها فرضًا يمكن أن تتحول إلى عنف أشد من عنف أي أصولية ، فإن الأفكار الجميلة إذا أكره عليها الناس أو استخدمت بعنف وتدمير للآخرين حتى يتقبلوها ؛ فلن يشفع لها الواقع العنيف أن توصف بالتقدمية والاعتدال ، ولن يرحب بها أحد . كما أن الفيتناميين لم يروا في الأمريكان رسل ديمقراطية ولا دعاة للمساواة والحرية . إذ كيف تحررني بالقتل والتدمير وترغمني على الاقتناع بفكرة أخرى بالحروب والترويع والاستغلال ؟ !

والمؤلف (أسبوستيو)- كما يقول الأستاذ محمد بن حامد الأحمري وهو يتحدث عن الكتاب المذكور : لا يرى أسلوب المواجهة بالقوة مع الأصولية هو الحل المناسب لما يحدث في العالم الإسلامي ، بل - كعادة المستشرقين - يطالب بالإغواء والاحتواء

---

(١) انظر (العولمة والإرهاب - حرب أمريكا على العالم « السياسة الخارجية الأمريكية وإسرائيل ») مجموعة مقالات ومحاضرات لنعوم تشومسكي وآخرين - ترجمة د حمزة المزيني ؛ ص ٧٢، ٧٣ (مكتبة مدبولي - ط١ ٢٠٠٣ م) .

والمداهنة وعدم الإثارة وألا يحكم الماضي في الحياة المعاصرة اليوم . وأيضًا فإن النماذج التي يطيب للساسة والمفكرين والإعلاميين الأمريكان استخدامها كنماذج للتطرف الإسلامي تغفل جماهير أخرى ودعوات وحركات إسلامية واسعة لا ترى في الغرب شرًا كما ترى النماذج المقدمة على أنها هي العالم الإسلامي . ويدعو إلى دراسة الداخل ، ودراسة الحركات الإسلامية وقادتها دون التسرع بأحكام لا تخدم المصلحة الغربية والإسلامية ؛ والمؤلف له علاقات كثيرة مع بعض قيادات الأوساط الإسلامية ويتحدث عن بعضهم عن سابق معرفة ، وبخاصة أنه كانت له علاقة مع أستاذه إسماعيل الفاروقي في جامعة تمبل . ويرى خطًا معقولًا يمكن التفاهم معه والوصول إلى حلول وسط في القضايا التي يختلف فيها الإسلام عن النصرانية ، ولا يرى أن تطرح القضية إلا بأسلوب الحديث عن التسامح البارز في الديانتين والدبلوماسية المدركة ليست استخدام الدين سياسيًا في الغرب ولا في العالم الإسلامي .

وإذا تعامل المسلمون بهذا الأسلوب الحضاري الذي يراه صحيحًا ، هل يعني هذا أن يتعامل معه الغربيون بنفس الأسلوب الذي يحكمه التعاون والتفاهم والحوار والتسامح بين الأديان ؟ لا ، لأن الواقع الذي يتحركون من خلاله الصليبية وتاريخها وحياة المواجهات الدائمة ، ولعل الأنموذج الذي ذكره المؤلف في بداية الكتاب عن حوار متخيل يدور بين زعيم مسلم متدين وبين زعيم غربي ، فيرون أن المسلم يتحدث من خلال الصراع الإسلامي النصراني والمواجهة التاريخية الدائرة إلى اليوم[١] واقتسام العالم بين المسلمين والنصارى ولا يملك خياله الخروج من هذه الخيالات . والذي يؤيد ذلك في ذاكرة الإنسان المسلم الحوادث المتتالية إلى اليوم[٢] .

فأسبوسيتو يمثل فريقًا من مفكري الغرب يرى الحوار بالإغواء والاحتواء والمداهنة وعدم الإثارة وألا يحكم الماضي في الحياة المعاصرة اليوم ؛ ولا يرى - بلا شك - حوارًا

---

(١) Esposito The Islamic Threat J، مطابع جامعة اكسفورد ، نيويورك ، ١٩٩٢ - ص ٦.

(٢) انظر مقال (من الرجعية إلى الأصولية (٢)) لمحمد بن حامد الأحمري - مجلة البيان العدد ٥٩ ص٩٨ - رجب ١٤١٣ - يناير ١٩٩٣.

حقيقيًا يمكن أن يكون سبيلًا لقبول الحق والإذعان له ؛ ومع ذلك فإن الفريق الآخر الذي يرى الصراع يعتبر كتابات أسبوزيتو وأمثاله خطرا على العقلية الأمريكية[(١)] .

وفريق آخر يرى أن أصل المعاملة مع الآخر هو الصراع ؛ فعالم الاجتماع الأمريكي (فرانسيس فوكوياما) يرى أن الحضارة الغربية سوف تكتسح العالم لتسجل في زعمه (نهاية التاريخ) ؛ لكن فوكوياما كتب - بعد عشر سنوات من صدور كتابه (نهاية التاريخ) - مقالًا تراجع فيه عن تلك الفكرة ، وعزا تراجعه إلى أن فكرة الكتاب كانت قائمة على افتراض الثبات في الفطرة الإنسانية ، وأن تتبعه للتطورات التي حدثت في علم الأحياء في هذه السنوات العشر - ولا سيما في مجال هندسة الجينات - أقنعته بأن العلم الطبيعي يمكن أن يغير الطبيعة البشرية ! وإذا كانت الطبيعة البشرية متغيرة فإن النظم السياسية والاقتصادية المناسبة لها ستكون أيضًا متغيرة .

ولا يدري المرء - كما يقول د جعفر شيخ إدريس : أيعجب أكثر من فكرة الكتاب الأولى ، أم من السبب الذي دعاه للتراجع عنها ؟[(٢)] .

وإذا كان (فوكوياما) قد انتهى إلى أن التطور في خط التاريخ البشري قد تكلل بانتصار الليبرالية واندحار الاشتراكية ، ثم تراجع عن ذلك كما قدمنا ، فإن (صموئيل هنتنجتون) يزعم أن أعنف معارك التاريخ هي التي لم تقع بعد ؛ وأنها لن تكون على صعيد الدول القومية ولا على صعيد المحاور الفكرية ، وإنما ستتطور إلى مستوى أعلى هو مستوى الحضارات البشرية التي هي أوسع كيان ثقافي ينتمي إليه الإنسان ؛ ويرى (هنتنجتون) أن عالمنا المعاصر يتشكل من سبع حضارات أو ثمان هي الحضارة الغربية والكونفوشيوسية واليابانية والإسلامية والهندية والسلافية الأرثوذكسية والأمريكية اللاتينية ، ويمكن إضافة الحضارة الإفريقية إذا ما تساهلنا في التصنيف .

---

(١) انظر حوار مع جون فول بمجلة المجتمع - العدد ١٢٧٤ - ٤ من رجب ١٤١٨ - ١١/٤ / ١٩٩٧، وقد صرح فيه بأن نظرية صراع الحضارات ما زالت فاعلة عند صناع القرار الأمريكي .

(٢) انظر مقال (الانفراط العظيم) أ . د . جعفر شيخ إدريس رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة - مجلة البيان ، العدد (١٤٢) ص ٦٠ - جمادى الآخرة ١٤٢٠ - أكتوبر ١٩٩٩.

ويرى هنتنجتون أن هذا الصدام الحتمي ، يتطور على مستويين : (**فعلى المستوى الأول** ستتصادم مصالح المجموعات التي تحتشد على خطوط التوتر الفاصلة بين الحضارات من أجل الاستحواذ على الأرض وإخضاع المنافسين ، وعلى **المستوى الثاني** ستتصادم الدول ذات الحضارات المختلفة من أجل تحقيق سيطرتها الاقتصادية والعسكرية ، والتحكم في المؤسسات الدولية ونشر قيمها السياسية والدينية على مستوى النظام العالمي) . وهنا تنال مسألة الحدود الفاصلة بين الحضارات جل عناية هنتنجتون ، وهو يسميها (حدود التوتر) حيث يبرز معالم الحدود الفاصلة في أوربا بين النصرانية الغربية من جهة والنصرانية الأرثوذكسية من جهة أخرى ، ثم يعود ليركز على التهاب حدود التوتر بين الحضارتين الغربية والإسلامية ، ويستعرض تاريخ الحروب الصليبية بحملاتها المتتالية وفصول الصراع الأوربي مع الدولة العثمانية وموجة الاستعمار الغربي التي توجهت إلى العالم الإسلامي ، ثم الحروب العربية الإسرائيلية (حدثت لأن إسرائيل ممثلة لروح ومضامين الحضارة الغربية) كما يقول ، ثم قيام من سماهم بـ (الإرهابيين العرب والمسلمين) باستخدام سلاح الضعفاء حينما قاموا بقصف الطائرات والمنشآت الغربية وخطف الرهائن؛ وهنا نسي هنتنجتون أن يقول ولو كلمة عابرة عن الاحتلال والإرهاب الإسرائيلي الذي ما زال ينصب على الفلسطينيين منذ أكثر من نصف قرن !

لقد ساق هنتنجتون نظريته في صراع الحضارات على أنه صراع يحدث بين كل الحضارات ، ولكن طاب له فقط أن يركز على صراع الحضارتين الإسلامية والغربية ، وبالطبع فإنه لم ينس أن يضع المسلمين في مقام المعتدي المبادر بالصدام ، بل لم ينس أن يتوسل لتأكيد ذلك بشهادة مزورة من أحد الكتاب المسلمين ، وهو الكاتب الهندي م . ج . أكبر حيث يقول : إن الحرب ستبدأ من جانب العالم الإسلامي ، لأنه سيصارع من أجل تشييد نظام عالمي جديد ، وإن كل دول العالم الإسلامي من المغرب إلى باكستان ، ستشارك في ذلك الصراع .ا.هـ . ثم أردف ذلك بشهادة أخرى من أستاذه القديم في هارفارد المؤرخ اليهودي البروفيسور برنارد لويس في شهاداته عن صراع الحضارات بقوله : إن العالم سيشهد مزاجًا فائرًا سيزيد هيجان الحكومات ويؤدي إلى تضارب

خططها وسياساتها ، وسيؤدي ذلك كله إلى نتيجة واحدة مؤكدة ، هي صراع الحضارات ليس غير . وسيقوم المسلمون وهم خصومنا القدامى برد فعل غير عقلاني ضد تراثنا اليهودي - النصراني المشترك وثقافتنا العلمانية ، وعلى انتشار تراثنا وثقافتنا عبر العالم .ا .هـ . هذا ملخص فكرة نظرية (صدام أو صراع الحضارات) ، وقد تحدث خلالها عن أمور كثيرة تستدعي الوقوف عندها ؛ وقد تناولها بعض المفكرين بالنقد والتحليل ؛ ونتائج هذه النظرية هي التي ظهرت - للمتأمل - في السياسة الخارجية الأمريكية[١] .

إذن - كما يقول د العيسى : تهاوت فكرة فوكاياما (نهاية التاريخ) ، وبرزت فكرة صامويل هنتجتون (تصادم الحضارات) التي تقول : إن الصراع في المستقبل ، سيكون بين الحضارات الرئيسة في العالم المعاصر ؛ و (صامويل هنجتون) هو أستاذ علم الاجتماع ومدير معهد (أولين) للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفرد في الولايات المتحدة ، وقد نشرت أفكاره حول (تصادم الحضارات) في العديد من الصحف والمجلات الغربية ، وكان مقاله الرئيس قد نشر في مجلة (الشؤون) المتخصصة في الشؤون السياسية والدراسات لاستراتيجية في عددها (صيف ١٩٩٣) ، وهذا المقال هو نتاج لدراسة خاصة بالمعهد الذي يديره (هنجتون) حول (الظروف الأمنية المتغيرة والمصالح القومية الأمريكية)[٢] .

وقد انطلق (هنتنجتون) - كما يقول د محمد يحيى : من واقع زوال القطب الشيوعي في الحضارة الغربية إلى طرح افتراضات حول المسار الذي سوف تأخذه السياسة الدولية مع الدخول في القرن الميلادي الواحد والعشرين ، وانتهى إلى أن الحضارة الغربية

---

(١) انظر (الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه) د أحمد بن سيف الدين تركستاني ؛ باختصار وتصرف .

(٢) انظر د .أحمد محمد العيسى في مقال له بعنوان (قراءة نقدية لمفهوم تصادم الحضارات) - البيان (٧١) ص٨٩ - رجب ١٤١٤ - ديسمبر ١٩٩٣. ثم ظهرت هذه المقالة بنفس العنوان في كتاب سنة ١٩٩٦م .

(التي رأى أنها تشمل الشعوب البيضاء أو ذات الأصل القوقازي ، والمسيحية الديانة ، والأوروبية الفكر والثقافة) سوف تواجه بخصم عنيد محتمل في المستقبل القريب ، يطرح تحديه على خلفية حضارية ثقافية تتحرك أمامها التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بل والعسكرية ؛ وهذا الخصم هو بالمقام الأول الحضارة الإسلامية ثم الحضارة الآسيوية الشرقية أو الكتلة البوذية ؛ وذهب (هنتنجتون) أو مفسروه إلى أن التنافس والصراع سوف يكون طابع العلاقة بين الحضارات المذكورة ليس فقط حول النفوذ السياسي والاقتصادي بل أيضًا حول وبسبب الثقافة والقيم الحضارية والاجتماعية والعقائد الدينية والمذاهب الفكرية[1] .

وقد تناول المفكرون من الشرق والغرب هذه النظرية بالنقد والتحليل ، ما بين سطحي الفكر والفكرة ، وبين متعمق يقرأ ما وراء الكلمات والسطور ؛ ومن بين المتعمقين الذين انتقدوا الفكرة واتهموا هنتنجتون بسطحية التفكير المفكر الألماني (هارالد مولر) في كتابه (تعايش الثقافات - مشروع مضاد لهنتنغتون) ، ويصعب تناول هذه التحليلات في مقامنا هذا .

لكن - كما يقول د العيسى : هناك بعض العوامل التي تعطي هذه الدراسة أهمية كبيرة في مجال العلاقات الدولية ومستقبل العالم في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، ومنها :

١- يعتبر كاتب المقال (أو الدراسة بتعبير أصح) ذا مكانة علمية مرموقة في الدراسات الاستراتيجية ؛ إذ أنه يرأس معهدًا مهمًا وفي جامعة مشهورة عالميًا ، فهو إذن ليس صحفيًا يهتم برصد الأخبار اليومية والمناسبات الإعلامية ، كما أن الدراسة في جوهرها نتاج مشروع عن التغيرات الأمنية ومصالح الولايات المتحدة ، ومعظم هذه الدراسات تدعمها الحكومة الأمريكية ومراكز الدراسات الاستراتيجية ، وهدفها تقديم مقترحات وتصورات حول القضايا الشائكة للحكومة الأمريكية ، يتم تنفيذها كسياسة مستقبلية للولايات المتحدة ، ولعل من أهم ما جاء في هذه الدراسة ، التوصيات التي

---

(١) انظر مقال (صراع الحضارات أم هيمنة الحضارة الغربية ؟) د . محمد يحيى - مجلة البيان العدد ١٢٥ ص ١٣٢ - المحرم ١٤١٩ - مايو ٩٨.

ذكرها الباحث في نهاية بحثه لأصحاب القرار في السياسة الغربية .

٢- إن الحديث عن الصراع بين الحضارات ليس جديدًا في أدبيات الأمم وخاصة الأمة الإسلامية ، فكثيرًا ما طرق هذا الموضوع بعض المفكرين الإسلاميين أمثال سيد قطب رحمه الله ومحمد قطب ، وأبو الأعلى المودودي ، ومالك بن نبي ، وأبو الحسن الندوي وغيرهم من المفكرين الذين كتبوا عن الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب ، كما أن كثيرًا من المفكرين الغربيين كتبوا حول هذا الموضوع مثل أرنولد توينبي ، وول ديورانت وغيرهم كثيرون ، وقد أشار الكاتب نفسه إلى هذه الحقيقة عندما قال : (وعند كلا الجانبين : فإن التفاعل بين الإسلام والغرب يُرى على أنه صدام بين الحضارات) ، إذن الفكرة ليست جديدة ، ولكن الذي يعطيها أهمية خاصة هو التوقيت الزمني لطرحها بهذا التفصيل والزخم الإعلامي الذي روج لها .

إن الفترة التي أعقبت سقوط الشيوعية شهدت أحداثًا عالمية مهمة مثل (حرب الخليج - الحرب في البوسنة والهرسك - الحروب التي نشبت داخل جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق - التكتلات الاقتصادية الجديدة) ، وهذه الأحداث أكدت أن أسباب الخلافات هي أكثر عمقًا من المصالح السياسية أو الاقتصادية التي كان يُعتقد أنها السبب في نشر تلك الأحداث ، كما أكدت للمفكرين السياسيين الغربيين أن إقامة (النظام العالمي الجديد) على القيم والمبادئ الغربية ، سوف يقابل برفض كبير من الشعوب الأخرى التي تعتز وتحافظ على مقومات حضارتها الخاصة ، وهذا قد سبب صدمة لدى هؤلاء المفكرين ، جعلهم يعيدون طرح مسألة (تصادم الحضارات) كحقيقة سوف تبرز كثيرًا في المستقبل القريب(١) .

٣- إنه لأول مرة - في ما أظن - يقوم مفكر سياسي غربي بتوضيح جملة من الحقائق بوضوح تام وبعبارات سهلة ، والتي طالما غُيبت في دهاليز العبارات السياسية الفضفاضة

---

(١) كتب هذا المقال سنة ١٩٩٣؛ وما تنبأ به صاحبه ظهر ، فقد برزت وبوضوح في قضية تيمور الشرقية ؛ وشن أمريكا وحلفاؤها الحرب على أفغانستان والعراق ، والتدخل في قضية دارفور ، ومن قبلها جنوب السودان ، والجدل العالمي الدائر حول الطاقة النووية في إيران .

والمقالات الأيديولوجية الموجهة لخدمة مصالح الطبقات ذات النفوذ في السياسة الغربية ، ومن هذه الحقائق التي وردت في دراسة (هنجتون) ما يلي :

أ - إن الدين هو أهم العوامل التي تميز بين الحضارات ، وهو العامل الأهم في صراعات المستقبل .

ب - إن القرارات التي تصدر عن مجلس الأمن وعن صندوق النقد الدولي ، إنما تعكس مصالح الغرب ، وهي تخرج إلى العالم على أساس أنها تعبر عن رغبات (المجتمع الدولي) ، كما أن مصطلح (المجتمع الدولي) هو الوجه الآخر لمصطلح (العالم الحر) ويستخدم لإعطاء الشرعية العالمية للقرارات التي تعكس رغبات ومصالح الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى .

ج - مصطلح (الحضارات العالمية) هو فكرة غربية بحتة ، هدفها إبراز أن القيم الغربية هي قيم عالمية يجب على كل الشعوب الأخذ بها والحقيقة أن أحد الباحثين قد توصل بعد مراجعة أكثر من ١٠٠ بحث مقارن للقيم في العالم ، إلى نتيجة أن **القيم التي تعتبر أكثر أهمية في الغرب هي أقل أهمية في العالم أجمع .**

د - الحكومات الديمقراطية الحديثة كان منشؤها في الغرب ، وأنها إذا وجدت في غير المجتمعات الغربية فهي قد نتجت عن الاستعمار والفرض بالقوة من جانب الغرب .

هـ - الهدف الأساسي من عملية التحكم في التسلح في فترة ما بعد الحرب الباردة : هو منع الدول غير الغربية من تطوير القدرات العسكرية التي قد تهدد مصالح الغرب[1] .

وعلى الرغم من تعرض العديد من الكتاب لمقولة الأستاذ الجامعي : (صمويل هنتنجتون) التي عرفت باسم صراع أو صِدام الحضارات (نسبة إلى مقالته عام ١٩٩٢م ثم كتابه الموسع حول الموضوع وتحت الاسم نفسه عام ١٩٩٦م) إلا أن هذه المقولة - وإن بدت سطحية الطابع - تحتوي على أعماق وأبعاد وجوانب كثيرة تتجلى كلما تعرض

---

(١) انظر د .أحمد محمد العيسى في مقال له بعنوان (قراءة نقدية لمفهوم تصادم الحضارات) - البيان (٧١) ص٨٩ - رجب ١٤١٤ - ديسمبر ١٩٩٣.

لها المرء بالبحث أو التأمل[1] . غير أن أهم ما فيها - فيما أرى - التوصيات الأخيرة التي بنيت عليها السياسة الخارجية الأمريكية بعد ذلك .

ففي نهاية هذه الدراسة ذكر (صمويل هنتنجتون) بعض السياسات التي ينبغي على الغرب أن يتبناها لمواجهة مستقبل (صراع الحضارات) ، وقد قسّم هذه السياسات إلى مزايا قصيرة المدى وإلى كيفية التكيف مع هذه المتغيرات على المدى الطويل ، ومن المزايا التي يمكن للغرب استغلالها على المدى القصير ما يلي :

١- على الغرب أن يسعى إلى تعاون أوثق واتحاد بين الدول داخل الحضارة الغربية وخاصة بين دول أوربا ودول أمريكا الشمالية .

٢- ضرورة السعي لدمج شرق أوربا وأمريكا الجنوبية اللاتينية في المجتمع الغربي ، لأن هذه الدول تملك ثقافة قريبة من ثقافة الغرب .

٣- السعي للدعوة والحفاظ على علاقات تعاونية أوثق مع روسيا واليابان .

٤- منع تطور الصراعات المحلية داخل الحضارة الغربية إلى صراعات كبيرة .

٥- الحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكنفوشوسية .

٦- التوسط في تخفيض القوة العسكرية الغربية والحفاظ على التفوق العسكري في شرق وجنوب غرب آسيا .

٧- استغلال الاختلافات والصراعات بين الدول الإسلامية والكنفوشوسية .

٨- دعم الجماعات في الحضارات الأخرى التي تتعاطف مع القيم والمصالح الغربية .

٩- تقوية المؤسسات الدولية التي تعكس وتمنح الشرعية للمصالح والقيم الغربية للدعوة لمشاركة دول غير غربية في هذه المؤسسات .

أما على المدى الطويل فإن الدول التي تنتمي إلى حضارات غير غربية سوف تستمر في المحاولة للحصول على الثروة والتقنية والمهارات والأجهزة والأسلحة حتى تكون دولًا

---

(١) انظر (صراع الحضارات مرة أخرى) د. محمد يحيى - مجلة البيان العدد ١٢٦ ص ٩٢ - صفر ١٤١٩ - يونيو ٩٨.

حديثة ، وسوف تحاول أيضًا أن توفق بين التحديث والثقافات والقيم المحلية ، ولهذا فإن قوتها العسكرية والاقتصادية مقارنة بالغرب سوف تزداد ، ولذلك على الغرب أن يُكيّف هذه الحضارات التي سوف تصبح قوتها قريبة من قوة الغرب ، ولكن قيمها ومصالحها تختلف بدرجة كبيرة عن الغرب ، وهذا يتطلب من الغرب أن يحافظ على قوته العسكرية والاقتصادية الضرورية لحماية مصالحه ، ويتطلب أيضًا أن يطور الغرب فهمه العميق للافتراضات الدينية والفلسفية التي تقف عليها تلك الحضارات وينبغي معرفة الطرق التي يرى بها الناس في تلك الحضارات مصالحهم الذاتية(١) .

والواقع - كما يقول محمد حسنين هيكل - أنه عندما خرجت الإمبراطورية الأمريكية غالبة في صراع الحرب الباردة - وكان ذلك قبل مفاجأة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م بكثير ، فإنها رسمت لاستراتيجية زمانها الجديد عدة خطوط ؛ فهي :

- تريد أن تحتفظ بتقدمها وتمنع ظهور منافس خطر عليها - كما حدث مع كل الإمبراطوريات - وذلك بالاستيلاء على الحضارة الإنسانية نهاية التاريخ .

- وتريد أن تخفف من مسئوليتها تجاه الأقاليم التي تعثر فيضها وجفت منابعها ، فهذه بالتخلف أصبحت عبئا على المحيط الحضاري تريد أن تأخذ منه إلى الأبد بينما عطاؤها توقف من زمن صراع الحضارات .

- ثم إن الإمبراطورية تريد أن تؤكد سطوتها الأبدية بإظهار تفوقها وخصوصا السلاح ، وهكذا وقعت استعراضات التفرد الأمريكي في كل الميادين ابتداءً من استثناء كل أمريكي من أي مساءلة دولية مهما فعل - وإلى تميز التجارة الأمريكية في كل الأسواق بصرف النظر عن حرية السوق - وإلى استئثار بحقوق الملكية العلمية والفنية في كثير مما كان متاحا في مجمع الحضارة الأكبر قبل أن تظهر الدولة الأمريكية من الأصل - ثم إنها لا تقبل أن تردع نفسها عن تلويث البيئة تملصا من قيود تفرض على غيرها حرصا على كوكب الأرض نفسه - كما أنها تطلب احتكار موارد الطاقة وليس مجرد النهم في استهلاكها - ثم زاد أن الإمبراطورية الأمريكية تريد الآن أن تستولي بوضع اليد على

---

(١) مقال (قراءة نقدية لمفهوم تصادم الحضارات) - البيان (٧١) ص ٨٩.

الحضارة الإنسانية بأسرها لتختم طابعها على المحيط بأسره تأكيدا نهائيا وتقنينا شرعيا لتفوق أبدى خطط المحافظين الجدد .

– وضمن هذه المحاولة لجأت الإمبراطورية إلى حروب رخيصة تستغل بطش الصدمة والرعب Shock &38;Awe في مناطق ضعيفة ورخوة بأقل التكاليف ، كي تظهر هول الجحيم الذي أعدته لمن يعصي ، وكذلك تحولت أفغانستان وتحول العراق إلى ساحات دم ولهب – مأساتها أنها لا تعرف في معظم الأحيان هدفا واضحا أو خطة إستراتيجية مدروسة ؛ وعلى أي حال فقد جاءت النتائج الواقعة مغايرة للمطامع والغزوات[١] .

وهكذا يظهر جليا التنظير الفكري والواقع العملي للحضارة الغربية في معاملتها مع الآخر (خاصة الحضارة الإسلامية) ، إنه الصراع الذي يجبر الآخر على الرضوخ والتسليم أو يسحقه ويزيله من الوجود .

ومن المحقق أن (صراع الحضارات) ليست فكرة في ذهن بعض المنظرين السياسيين وفقط ؛ إنها مبدأ عام تسير عليه سياسة الحضارة الغربية ، ويظهر بين الحين والآخر في كلامهم ؛ ومن ذلك ما قاله عضو مجلس الشيوخ الأمريكي (ألبرت بيفردج) : إن الأمريكيين جنس فاتح ولابد أن نطيع دماءنا ، ونحتل أسواقًا وأرضًا جديدة إذا لزم الأمر ، ولابد أن تختفي الحضارات الوضيعة ، والأجناس المتعفنة أمام الحضارات السامية للإنسان الأقوى والأعظم نبلًا[٢] .

ونعتقد جازمين أن وقود تلك الحرب المعلنة يُستمد من حقد اليهود .. وليست أحقادهم القديمة وتصريحاتهم العدائية بأفصح ولا أصرح من تصريحاتهم التحريضية الجديدة . ففي عام ١٩٩٣م قال (حاييم هيرتزوج) الرئيس الإسرائيلي السابق أثناء زيارة

---

(١) انظر مقال (صراع الحضارات – الأزمة وما حولها حتى الرسوم الدانماركية) – محمد حسنين هيكل – جريدة العربي (جريدة الحزب الناصري المصرية) عدد ١٠٠٠ – ١٢ مارس ٢٠٠٦.

(٢) د أحمد صدقي الدجاني / التغلب على غواية غطرسة القوة ، مقال بمجلة الهلال عدد أبريل ١٩٩١م .

قام بها لبريطانيا : (إن الأصولية الإسلامية هي الخطر الأكبر على العالم الحر) وأعاد التحريض بأسلوب آخر زعيم آخر ، هو الهالك (رابين) فقد قال في مؤتمر لاتحاد المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة (إيباك) في إبريل ١٩٩٣م : (إننا نريد التأكد من أن الرئيس كلينتون وفريقه يدركان تمامًا خطر (الأصولية الإسلامية) والدور الإسرائيلي الحاسم في محاربتها) واستطرد قائلًا : (إن مقاومتنا ضد الإرهابيين المسلمين القتلة مقصود منها أيضًا إيقاظ العالم الذي يرقد في سبات عميق على حقيقة أن هذا خطر جاد وحقيقي يهدد السلام العالمي ، والآن نقف نحن الإسرائيليين في خط النار الأول ضد الإسلام الأصولي ، ونحن نطالب كل الدول وكل الشعوب أن يكرسوا انتباههم إلى الخطر الضخم الكامن في الأصولية الإسلامية) .

ولما جاءت الأغلبية اليهودية إلى (الكونجرس الأمريكي) بدأت تترجم هذه الصيحات التحذيرية إلى سياسات عملية ، حتى إن رئيس مجلس النواب الأمريكي (بنوت جنجريتش) ترأس جلسة للمجلس عرض فيها برنامجًا شاملًا للسياسة المقترحة لمواجهة الأصولية الإسلامية في العالم ، وضمت الجلسة التي عقدت في واشنطن ما يزيد على ٤٠٠ من كبار الخبراء في الشؤون الأمنية والعسكرية ، وقدم خطة من أربعة بنود تهدف إلى كسر شوكة الإسلاميين في العالم ، وقال (جينجرتش) في هذا المؤتمر بالحرف الواحد : (الأصولية تعني إعلان الحرب علينا وعلى الحضارة الغربية ، فيجب التعامل معها من واقع الحرب المعلنة)[(١)] .

وخلاصة القول - كما يقول د عمر عبيد حسنة : إن حضارة الغرب ، هي حضارة القوة والصراع ، وتسلط الإنسان على الإنسان ، ولو بدت على غير ذلك بسبب التضليل الإعلامي .. إنها حضارة جباية ، وحقد ، وعدوان ، والتاريخ والحاضر يعتبران شاهد إدانة على ذلك في مواقع متعددة .. بينما نرى الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية .. حضارة رحمة وحب وهداية واحتساب واعتراف بالآخر ؛ وليست حضارة حقد وصراع .. هي حضارة الإنسان ، التي تدعو إلى الحوار على كلمة سواء ، وتعتمد الدعوة بالحكمة

---

(١) انظر افتتاحية مجلة البيان ؛ العدد (١٣٠) ص ٤ - جمادى الآخرة ١٤١٩هـ - أكتوبر ١٩٩٨م .

والموعظة الحسنة ، وتتنكر للإكراه في الدين ، وتبتغي إلحاق الرحمة بالعالمين ، لأن الناس كل الناس ، هم محل الخطاب السماوي .. والقوة في الإسلام ، إنما تشرع حتى تحمي حرية الاختيار وتحقيق إنسانية الإنسان .

ونعتقد أن الحضارة الغربية وإن استطاعت بأشيائها وقوتها أن تطفو حضاريًا وتكسب بعض الجولات في الصراع الحضاري ، إلا أن العبرة دائمًا بالعواقب والمآلات ، وليس بالنتائج القريبة ، فكثيرًا ما حمل لنا التاريخ دلالات حضارية على أن الأفكار والعقائد تبقى أقوى من الأشياء والسياسات ، وأن قيم المغلوب عسكريًا كانت أقوى من عسكر الغالب ، وأن الحضارة الإسلامية هضمت الكثير من الموجات والاجتياحات الاستعمارية العدوانية ، وانتهى الغالب إلى اعتناق حضارة المغلوب ، وهذا ما لا نراه إلا في تاريخ الحضارة الإسلامية ، لأنها حضارة الفطرة ، حضارة الإنسان[١] .

* * *

(١) انظر تقديمه لكتاب (الإسلام وصراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٣٣، ٣٤ - كتاب الأمة ٤٤.

الفصل الثالث

أوجه الصراع الحضاري وميادينه

يسرف في الخطأ من يظن أن الصراع يقتصر على الناحية العسكرية فقط ؛ لقد امتد الصراع ومنذ زمن بعيد إلى الحياة كلها ؛ إنها حرب لطمس الهوية الإسلامية ؛ ويستخدم فيها كل الأساليب المشروعة وغير المشروعة ، وعلى جميع الأصعدة لإضعاف العقيدة ، وزعزعة الإيمان : لأن العقيدة هي خط الدفاع الأول ، ومن وسائل ذلك : زرع الصراعات الفكرية التي تشوش الأفكار ، وتشتت الأذهان عن طريق بعث الفلسفات المضادة للتوحيد ، وإحياء التصوف الفلسفي ، ونشر تراث الفرق الضالة كالباطنية والمعتزلة والرافضة ، وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة النبوية الشريفة ، وهز الثقة في السلف الصالح ، والتركيز على عرض ما يناقض التوحيد بصورة تغري بالإلحاد ، كنظرية (داروين) والنظريات الفلسفية الأخرى ، ومحاولة القضاء على اللغة العربية ، وإفساد المرأة ، ومحاولة تفكيك البنية الاجتماعية الإسلامية ؛ وإحياء تاريخ الأمم الوثنية كالفراعنة وغيرهم دون أي نقد أو بيان أو استخلاص العبرة والعظة من أحوال هذه الأمم ؛ ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] .. لا ؛ ولكن لننبهر ونفخر بسبيل المجرمين .

فمنذ حملة نابليون على مصر بدأ ظهور الصراع المبيت لطمس الهوية ؛ وعلى أنها لم تمكث إلا ثلاث سنوات إلا أنها لم تخرج من مصر إلا بعد أن بذرت جذور الصراع الغير عسكري ، وخلفت وراءها - كما يقول خالد أبو الفتوح : زلزالًا كبيرًا كانت أعدت له عدته ، وكانت أحوال المسلمين مهيأة له ؛ وأهم ملامح هذا الزلزال ما يلي :

أولًا : بدء تنحية الشريعة وإحلال بعض التنظيمات والدواوين (مجالس الشورى) مكانها ، وقد أسندوا معظم الدواوين إلى أناس غير علماء بالشريعة ، بل إن بعضها كان يرأسه نصارى ؛ فمن ذلك ما يحكيه الجبرتي : شرعوا في ترتيب ديوان آخر وسمُّوه محكمة القضايا ، وكتبوا في شأن ذلك طومارًا [وثيقة] وشرطوا فيه شروطًا ورتبوا فيه ستة

أنفار من النصارى القبط، وستة أنفار من تجار (!) المسلمين، وجعلوا قاضيه الكبير ملطي القبطي؛ وفوضوا إليهم القضايا في أمور التجار والعامة والمواريث والدعاوى، وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركانًا من البدع السيئة [١]؛ بل وصل الأمر إلى حد مناقشة النصارى والفرنج للمشايخ في مدى صلاحية أحكام شرعية منصوص عليها في القرآن ومقارنتها بقوانينهم[٢].

ثانيًا : التوجه إلى تهميش القوى الإسلامية المناهضة للتبعية للغرب وتنحيتها؛ الذي تطور بعد ذلك إلى محاربة تلك القوى، كما وضح التوجه إلى تدجين بعض المشايخ واستمالة أصحاب النفوذ والتأثير بشد وثاق متين بينهم وبين الغرب وإدخالهم في نطاق التبعية لفرنسا، ومن الحوادث ذات الدلالة على ذلك: محاولة نابليون تقليد شيخ الأزهر باعتباره رئيسًا للديوان وشاحًا يحمل ألوان علم فرنسا ورَفْض شيخ الأزهر لذلك ...[٣].

ومنذ ذلك الحين يحرصون على ألا يرقى الرئاسة إلا من يضع على صدره وسام الرضى الغربي!

ثالثًا : في مقابل ذلك: ظهر التوجه الواضح إلى إبراز دور النصارى والأقليات الدينية الأخرى وإعلاء قدرهم وإشراكهم في مراكز التأثير واتخاذ القرار بصورة ملحوظة، وأحداث الحملة الفرنسية زاخرة بالدلالة على ذلك[٤].

رابعًا : كما أشاعوا الفجور والتحلل الأخلاقي بواسطة نسائهم وبغاياهم، وشجعوا الفسقة وضعاف النفوس من المسلمين على الخوض فيه والتبجح به، وكان واضحًا حرصهم على إخراج المرأة المسلمة من إطارها المعتاد[٥].

---

(١) تاريخ الجبرتي، أحداث شهر ربيع الآخر ١٢١٣ هـ.

(٢) انظر تاريخ الجبرتي، أحداث شهر جمادى الأولى ١٢١٣ هـ.

(٣) انظر: تاريخ الجبرتي، أحداث شهر ربيع الأول سنة ١٢١٣هـ.

(٤) على سبيل المثال: يمكن مراجعة الصفحات رقم: ١٥، ٢٠، ٢٨، ٢٩، ٣٦، ٦١، ٨٢، ١٠٥، ١٠٦، ٢٣١، ٢٦٤ من الجزء الثالث من تاريخ الجبرتي، طبعة الأنوار المحمدية، القاهرة.

(٥) انظر على سبيل المثال: ص ٥٥، ٦٠، ٧١، ٩٨، ١١٠، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٧٢ من المصدر السابق.

خامسًا : تدشين عهد النبش في الحضارات القديمة السابقة على الإسلام ، وإثارة النعرات الوطنية وروح الفخر بهذا الماضي الوثني ، مع عد المسلمين ضمن الغزاة لمصر ؛ فمن ذلك قولهم في أحد المنشورات الموجهة إلى الشعب المصري : ... وإن العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التي يعرفها الناس في الدنيا أُخذت عن أجداد أهل مصر الأُوَل ، ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم في تملكه ، فملكه أهل بابل وملكه اليونانيون والعرب والترك الآن ...[1] ، وهذا أحد أسباب بذل جهودهم المعروفة في التنقيب عن الآثار الفرعونية وإبرازها والاهتمام بها ، ومن ضمن هذه الجهود تأسيس معهد الآثار الفرعونية .

سادسًا : حاول نابليون إيجاد قاعدة دعائية له ولمبادئه العلمانية التغريبية بإرسال (بعثات) إجبارية لبعض الأشخاص ؛ ليشكلوا بعد عودتهم تيارًا يدعو إلى التغريب ويغير من تقاليد البلاد وعاداتها ، كما عمل على غزو المسلمين اجتماعيًا باستخدام (الفن) والتمثيل ، وقد ذكر ذلك صراحة في رسالة بعث بها بعد رحيله من مصر إلى خليفته كليبر ، يقول في ختامها : ستظهر السفن الحربية الفرنسية بلا ريب هذا الشتاء أمام الإسكندرية أو البرلُّس أو دمياط ، يجب أن تبني برجًا في البرلس .

اجتهد في جمع (٥٠٠) أو (٦٠٠) شخص من المماليك ، حتى متى لاحت السفن الفرنسية تقبض عليهم في القاهرة أو الأ ف وتسفِّرهم إلى فرنسا ، وإذا لم تجد عددًا كافيًا من المماليك فاستعض عنهم برهائن من العرب أو مشايخ البلدان ، فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يُحجزون مدة سنة أو سنتين ، يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة (الفرنسية) ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا ، ولمَّا يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم .

كنتَ قد طلبتَ مرارًا جوقة تمثيلية ، وسأهتم اهتمامًا خاصًا بإرسالها لك ؛ لأنها ضرورية للجيش ، وللبدء في تغيير تقاليد البلاد ![2] ، ولكن يبدو أن مقتل كليبر على يد

---

(١) المصدر السابق ، أحداث شهر ربيع الثاني ، ١٢١٣هـ .

(٢) نقل الرسالة الشيخ محمود محمد شاكر ، في (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص ١٠٨ ، عن =

سليمان الحلبي وما تلاه من أحداث حال دون تنفيذ هذا المسعى .

هذه هي أهم ملامح الحملة الفرنسية على قلب العالم الإسلامي (مصر والشام) ، وقد ظلت هذه الملامح نفسها هي ملامح الحملات العلمانية (المحلية !) اللاحقة ، فالحملة الفرنسية أطلقت قبل رحيلها رصاصة العلمانية والتغريب التي أصابت عقل الأمة بعد حين من هذا الرحيل ، أو بعبارة أخرى : قلَّبت الأرض الهامدة وأثارتها حتى تهيأت لغرس البذور الفكرية الأولى للعلمانية والتغريب ، وقد تولى من جاء بعد الحملة مهمة غرس هذه البذور ورعايتها ثم قطف ثمارها[(١)] .

ثم بعد ذلك تم سقي هذه البذور (بذور العلمانية) عن طريق البعثات ورواد العلمانية الذين كانوا يعودون من بعثاتهم وقد أشربوا هذا الفكر ، وهيئت لهم أماكنهم المناسبة للتأثير والنشر ؛ وتتابع هذا الأمر كلون خطير من الصراع الحضاري حتى شب وظهر عوده ، وصلب ظهره ، وأصبح يشكل دورا خطيرا في الصراع الحضاري .

الابتعاث :

من ميادين الصراع الحضاري الخطيرة التي لابد من التنبه لها - كما يقول د عمر عبيد حسنة : قضية الابتعاث ، وتلقي العلم والثقافة في معاهد وجامعات الحضارة الغربية ، ذلك أن الإلقاء بالطلبة في محاضن الحضارة الغربية دون توفير التحصين الثقافي المكين ، والوعي الحضاري اليقظ ، ودون تزويدهم بدليل التعامل مع قيم الحضارة وفهمها وحسن قراءتها ، سوف يجعل منهم ضحايا ، قد يعودون إلى بلادهم ، مشوهين حضاريًا ، أو قد ينتهون إلى الاستيطان ، يصبحون طاقات ودماءً في شرايين الحضارة الغربية ، ويستوي في ذلك الذين يذهبون لتلقي العلم التجريبي والذين يدرسون الإنسانيات ، وإن كانت دراسة الإنسانيات أشد خطرًا وأعظم أثرًا .

= كتاب أحمد حافظ عوض (فتح مصر الحديث) ، وقد ذكر أن أصل هذه الرسالة محفوظ في وزارة الحربية الفرنسية ، وثيقة رقم ٤٣٧٤.

(١) انظر مقال (جذور العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي) خالد أبو الفتوح - مجلة البيان ، العدد ١٥٩ ص ٤٦ - ذو القعدة ١٤٢١هـ - فبراير ٢٠٠١م باختصار وتصرف .

أما الكثيرين من الذين يذهبون لأقسام الدراسات الشرقية ، وأقسام الشريعة والدراسات الإسلامية ، التي أقامها الغرب لأداء رسالة معينة ، دون تحصينهم بمعرفة الوحي ، وبناء مرجعيتهم بضوابط الشريعة وعزائم الإيمان بشكل صحيح ، فسوف يكونون الأخطر في آليات الصراع الحضاري ، لأنهم ينقلبون إلى ألغام في جسم الأمة ، قابلة للانفجار في كل لحظة ، حيث يتحدد دورهم في نقض الأسس وهدمها ، وتوهين القيم والتشكيك فيها لصالح الآخر ، ذلك أن العدوان على الإسلام ، والتحدي والاستفزاز من الخارج يجمع الطاقات ، ويقضي على الرخاوة ، ويقوي العزائم ، ويبعث الروح الحضاري... إنه المحرض الحضاري ، الذي يساهم باسترداد الذات ، والاحتماء بالقيم ، وتجديد الانتماء ، وتمتين الالتزام في معركة المواجهة .. وقد تكون المشكلة ، كل المشكلة هنا ، هي في تدمير البيوت ، بأيدي أهلها[1] .

* * *

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (صراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٣٧، ٣٨.

نظم الاستبداد

هذه النظم التي زرعها الاستعمار قبل خروجه من بلاد المسلمين، ووضع على رؤوسها منافقين أو كافرين؛ ليضمن بذلك التبعية والولاء وتسيير الأمور وفق ما يريد دون أن يتكلف شيئا.. هذه النظم من أخطر ألوان الصراع الحضاري.. إنهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا !! يقول د عمر عبيد حسنة : وقد يكون من أخطر إشكاليات الصراع الحضاري، التي يعاني منها عالم المسلمين اليوم - إضافة إلى وجود العلمانيين والحداثيين المرتهنين لحضارة الآخر، بسبب تشكيلهم الثقافي، وتاريخهم التعليمي، ونظامهم المعرفي، الذين يشكلون طلائع متقدمة للحضارة الغربية في الداخل الإسلامي، ويفعلون فعلهم في الإفساد والتخريب لصالح الغرب - هو في **أنظمة الاستبداد**، وما يلازمه من القمع السياسي والظلم الاجتماعي، التي وجدت لصالح الغرب، بحيث أصبحت عوامل الطرد - للطاقات المتميزة والخبرات والسواعد والأموال - متوفرة في معظم بلاد العالم الإسلامي، إلا من رحم الله، وبذلك يدمر المسلمون طاقاتهم، ويكسرون أسلحتهم، ويكرسون تخلفهم بأنفسهم، أو بمعنى آخر : يخربون بيوتهم بأيديهم، في الوقت الذي نرى فيه، عوامل الجذب والإغراء بالهجرة متوفرة في مجتمعات الحضارة الغربية.

ونستطيع أن نقول : إن خيرة الطاقات الإسلامية اليوم في العلوم التطبيقية والإنسانية على سواء، مسخرة لخدمة الحضارة والتقدم والتحكم والسيطرة الغربية.

إن كثيرا من الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات والمخابر والشركات والمؤسسات المالية والاقتصادية الغربية تتوفر على أفضل الطاقات الإسلامية و تتقوى بها؛ ويُخشى أن تفتقد هذه الطاقات والخبرات انتماءها شيئًا فشيئًا، بسبب أجواء الإرهاب السياسي والفكري في معظم بلاد عالم المسلمين.. وكم يبدو الأمر مذهلًا وخطيرًا مستقبلًا، إذا أدركنا أن الهجرة لم تعد تقتصر على الأدمغة المتميزة، والسواعد القوية، والخبرات المقدورة، وإنما تتجاوز ذلك إلى هجرة الأجنة في الأرحام.. إنها قمة المأساة من الناحية الحضارية أن يسعى الكثير من أبناء العالم الإسلامي المنكوب بأهله، أن

يستولدوا نساءهم في ديار الحضارة الغربية لاكتساب الجنسية والمواطنة هناك ، حيث يجد الإنسان نفسه - ولو وهمًا - يستمتع ببعض حقوقه ، ويشعر بإنسانيته المفقودة هنا .

وتزداد محنة المسلم وفتنته عندما يرى أن ما يتمتع به من الحقوق والحريات وسيادة النظام والقانون في بلاد الغرب ، مفقود تمامًا في العالم الإسلامي ؛ وأن ما يقوله ويمارسه من الحرية في الدعوة إلى الإسلام في المراكز والحدائق والشوارع ووسائل الإعلام - على الرغم من أن هذه الحرية الواقعة تحت السيطرة ، بدأت تواجه اليوم بالنزعات العنصرية التي تعبر عن طبيعة وحقيقة الحضارة الغربية - لا يمكن قوله وممارسته في كثير من مساجد العالم الإسلامي التي تحكمها أنظمة الاستبداد السياسي ، ويفوته أن هذا يشكل قمة الصراع والاستلاب الحضاري والغزو الثقافي .

فإذا عجز عن تجاوز الصورة إلى إدراك الحقيقة ، وتجاوز النتيجة إلى فهم المقدمة ، وأدرك أن حضارة الغرب التي تتيح له أقدارًا من الحرية وحقوق الإنسان - لا تخرج عن السيطرة بحال من الأحوال - وأن الغرب الذي يستقبله مهاجرًا أو لاجئًا سياسيًا ، هو الغرب نفسه الذي يدعم أنظمة الاستبداد والقمع السياسي في كثير من بلدان العالم الإسلامي ، ويخوف من عودة الوعي الإسلامي ، ويغري باستئصالها ، ويمد الأنظمة بالخبرات والأدوات والمعلومات لتكون في مواجهة الأمة .. إذا عجز عن إدراك هذه الحقيقة ، استلب حضاريًا ، وأصبح رهينة واقعًا في العمالة الثقافية . حيث لابد أن ندرك أن اليد التي تمنح المسلم الحرية هناك ، هي اليد نفسها التي تمنعها هنا ، ليتم الاستقطاب والتحكم من جانب ، ولإعطاء دليل عملي واقعي على أن حضارة الغرب بعطائها تتميز عن حضارة المسلمين ، فتهفو النفوس إليها ، وتهاجر الأجنة إلى بلادها .

ولقد بلغت المحنة مداها ، وأخذت الفتنة أبعادها المرسومة ، حتى عند بعض المفكرين والأفراد الممتازين - إن صح التعبير - الذين بدأوا يشيدون بقيم الحضارة الغربية ، واحترامها للإنسان .. ولم يقتصر نقدهم على واقع المسلمين البائس بسبب انسلاخهم عن الإسلام ، لا بسبب انتمائهم له والتزامهم به ، وإنما تجاوزوا إلى نقد التاريخ الإسلامي ، ولم يعودوا يرون فيه إلا النقاط السوداء ، والممارسات الشاذة ، وبدأوا يعيشون

عقدة مركب النقص أمام قيم الحضارة الغربية وآلياتها ، دون أن يبصروا صورتها الحقيقية أو وجهها الآخر ، على يد عملائها وسدنتها في العالم الإسلامي[١] .

صراع اللغة :

اللغة وسيلة التفاهم بين البشر ؛ ومعلم من معالم الهوية ، وهي أداة الفعل الحضاري لأي أمة لها حضارة ؛ فاللغة وعاء الثقافة ، والثقافة أساس الحضارة ، والحضارة ترجمة للهوية ؛ ومن هنا كانت اللغة من أهم الأركان التي تعتمد عليها الحضارات ، ومن أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة ، وكلما كانت اللغة أكثر اتصالًا بثقافة الشعوب كانت أقدر على تشكيل هوية الأمة وحملها .

واللغة العربية خاصة تتميز عن أي لغة أخرى بأنها لغة القرآن كلام اللّٰه تعالى الذي أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ؛ والأمم التي تحافظ على هويتها يلزمها أن تسعى بكل ما في وسعها أن تحافظ على لغتها ، وكم يعجب الإنسان من حفاظ اليهود على لغتهم والنطق بها في كل محفل ؛ ويأسى لما آل إليه حال العربية عند أهلها .

ومن المحاور التي لعب عليها أعداء الإسلام لهدم معالمه محاولة إقصاء اللغة العربية من حياة المسلمين بأي وسيلة كانت ؛ فمن محاولة فرض لغة المستعمر كما في دول المغرب العربي مع الفرنسية ؛ إلى محاولة استبدال العامية بالفصحى ومحاولة كتابة العربية بالأحرف اللاتينية ؛ إلى محاولة إفساد العربية تحت مسمى (الإصلاح) .

وقد كانت الهجمة شرسة ومركزةً على لغة الإسلام ولغة رسول الإسلام ﷺ ؛ لقطع حبال الاتصال بين حاضر المسلمين وماضيهم ، ولجعل القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ وتراث المسلمين المتنوع غريبًا على آذانهم ؛ واتخذ الهجوم على اللغة العربية لتدميرها عدة محاور هي باختصار :

الأول : محاولة استبدال العامية بالفصحى ؛ ومرت هذه المحاولة بمراحل ودعوات كثيرة : فمن الدعوة إلى العامية وجعلها لغة التفاهمُ في المعاملات السائرة ؛ إلى الدعوة إلى

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (صراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٣٤: ٣٧.

تدريس العلوم وكتابتها باللغة التي يتكلم بها الناس[١] ؛ إلى غير ذلك من محاولات على يد إسكندر معلوف وسلامة موسى وأحمد لطفي السيد وجميل صدقي الزهاوي ولويس عوض وغيرهم لاستبدال العامية بالفصحى ؛ واستخدموا في ذلك وسائل كثيرة كإصدار جرائد ومجلات وكتب باللهجات العامية ، فقد صدرت سبع عشرة جريدة ومجلة عامية بحلول عام ١٩٠٠م[٢] ، كما تحول المسرح من الفصحى إلى العامية مما دعا المنفلوطي إلى تسميته بـ (الملاعب الهزلية)[٣] كما تسابق المستشرقون على إصدار دراسات عن اللهجات العامية مثل دراسة (نللينو) عن عامية مصر ، و (سيانكو فسكي) عن عامية المغرب وتونس ، و (إلياس برازين) عن عامية حلب ، و (ليوريال) عن عامية الجزائر ، وغيرها[٤] .

إلى جانب ذلك إحياء اللغات الميتة ؛ فقد وضع علماء الاستعمار من المستشرقين كتبًا في قواعد اللهجات الأمازيغية لتزاحم العربية ، يقول شحادة الخوري : شعر المستعمر باستحالة اقتلاع اللغة العربية من أرض الجزائر وغرس اللغة الفرنسية مكانها ، فلجؤوا إلى وسيلةٍ مُساعدةٍ أخرى وهي الإيحاء لأكبر عددٍ من أبناء الجزائر بأن اللغة العربية ليست لغة أصليّة في الجزائر ، وإنما اللغة الأصلية لسكان الجزائر هي اللغة البَرْبريّة لغة الأمازيغ ، وقد تطوع الفرنسيون لوضع أبجدية لها كيما يمكن كتابتها[٥] .

المحور الثاني : الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية : هذه الدعوة مرتبطةٌ بالدعوة السابقة ؛ حيث أخذ الهجوم على الفصحى بالتدرج وتوحيد الجهود ، وقد بدأ بذلك (سلدان ولمور) في كتابه (العربية المحلية المصرية) ، وهدَّد بأن العرب إن لم يفعلوا

---

(١) دعا إلى ذلك فارس نمر صاحب جريدة المقتطف ؛ انظر الاتجاهات الوطنية : ٢ / ٣٦٠، ولماذا يزيفون التاريخ ص ٣١٧.

(٢) انظر الفصحى لغة القرآن ص ١٢٧.

(٣) انظر الاتجاهات الوطنية ، ج ٢، ٣٦١.

(٤) ذكر كثيراً منها أنور الجندي في كتابه : الفصحى لغة القرآن ، ١٢٧.

(٥) انظر القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية ص ١٨، ١٩.

ذلك فإن لغة الحديث والكتابة ستنقرض ، وستحل محلها لغة أجنبية[١] .

ودعا عبد العزيز فهمي عام ١٩١٣م لكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وأصدر كتابًا يوضح فيه طريقته ، جاء فيه بالعجب العجاب ؛ فقد جمعَ نماذجَ للكتابة ، أُرسلت له ممن هب ودب يكتبها ويكتب تحتها ترجمتها بالحروف العربية ، ويقول ناشر الكتاب : ونجحت التجربة في تركيا وهم يقرؤون اللغة التركية بالحروف اللاتينية ، ولكنَّ أصحاب الآراء المتحجِّرة رموهُ بالكفر والزندقة[٢] . وذكر د محمد محمد حسين في (الاتجاهات الوصنية) أنه رجع عن دعوته تلك[٣] . وكتب رفائيل نخلة اليَسُوعيّ كتابا أسماه (قواعد اللهجة اللبنانية والسورية) مكتوب بالحروف اللاتينية ، وطبعته المطبعة اليسوعيّة ؛ ودعا أنيس فريحة الخوري بدعوة مزدوجة ؛ بأن تكون العامية اللغة المعتمدة وتكتب بالحروف اللاتينية لتكون لغة رسمية للعرب[٤] !! والمُتسمِّي بأدونيس طبق ما يريد أستاذه أنيس فريحة فأصدر في عام ١٩٦١م ديوانًا اسماه (ياره) كتب بالحروف اللاتينية[٥] . أما مجمع اللغة العربية فقد انشغل ثلاث سنوات يدرس اقتراح كتابة العربية بحروفٍ لاتينيةٍ استجابة لثلةٍ من أعضائه المارقين [٦] !

المحور الثالث : الدعوة لإصلاح اللغة العربية : وأصدق كلمة تقال في هذا المقام : (كلمة حق أريد بها باطل) فلو كانت تلك الدعوات قُصد منها إصلاحٌ وإيضاح كما فعل المتقدمون منهم وكثيرٌ من المحدثين لكان ذلك صوابًا ، ولكنَّ النيَّة السيئةَ هي مطيَّةُ القوم . ولكي يَصِلُوا إلى مرادهم وصموا العربية بالجمود والتعقيد والصعوبة .

وكانت تلك الدعوات غطاءًا للهدم ؛ فمنهم من دعا إلى إلغاء الإعراب مثل قاسم أمين

(١) انظر الاتجاهات الوطنية : ٢، ٣٦٠: ٣٦٣، ولماذا يزيفون التاريخ ص ٣١٧، ٣١٨.

(٢) انظر مجلة الآداب ١، ٢ / ١٩٩٩م، ص ١٠١.

(٣) انظر الاتجاهات الوطنية : ٢ / ٣٦٥.

(٤) انظر اتجاهات البحث اللغوي الحديث ص ٣٩٤، ٣٩٥.

(٥) انظر لماذا يزيفون التاريخ ص ٣٢٤، واتجاهات البحث اللغوي الحديث ص ٤٠٧، ٤١١.

(٦) انظر الاتجاهات الوطنية : ٢ / ٣٦٣.

عام ١٩١٢ حيث دعا إلى تسكين أواخر الكلمات عوضًا عن الإعراب[١] . ولمثل دعوته في ترك الإعراب دعا عبد العزيز فهمي[٢] وتبعهما كثيرون .

ومنهم من دعا إلى إصلاح قواعد الكتابة مثل أحمد لطفي السيد[٣] .

والعجيب أن هذه الدعوة تتجدد حينا بعد حين ؛ وأن حملة لوائها اليوم من لا يحسنون العربية .

المحور الرابع : إفساد الذوق السليم : لما عجز المستعمر وعجز ربائبه وأذنابه عن فرض العامية وكَلّت أقلامُهم في الدعوة إلى الحروف اللاتينية ، وماتت تجاربهم في مهدِها ، ولم يستطيعوا جرَّ العرب لتحطيم العربية بدعوى الإصلاح ، عند ذلك لجؤوا إلى إفساد الذوق السليم لكي يعدمَ العربي ذوقه التي اعتاد عليه في الاستمتاع بما كتب به كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ ، وتراثه الأصيل ، وحاضرهُ الزاخر . فانفتح الباب على كل عربي قارئ للآداب بمذاهب لا يعرف منها إلا اسمها سلخت من بلاد الغرب وزُجَّ بها في ساحة العربيةِ وطُوِّعت وسائل الإعلام المختلفة لكي تمتلئ بهذه المذاهب التي تهدمُ الدينَ وتحاربُ العربيةَ وتُفسدُ الأخلاق ؛ وترجمت كتب النقد الغربي لكي يُطبَّق على أدبنا .

وأصبح لزامًا على الدارس في كثيرٍ من أقسام العربية في الجامعات أن يدرس هذا الأدب وهذا النقد تحت مسمى : (النقد الأدبي الحديث) . ودُعم كل ناعق بهذه الخزعبلات ، فامتلأت الجرائد والمجلات وأرفف المكتبات بها ، وخرج علينا في جميع وسائل الإعلام دعاة الحداثة وهم شرذمة قليلة ، ودعوا إلى تحطيم الشعر . يقول لويس عوض : حطِّمُوا الشعر ؛ لقد مات الشعر العربي عام ١٩٣٣م مات بموت أحمد شوقي[٤] . فصار الشعرُ طلاسم وأحاجي لا يفهمها حتى كاتبها . لكي يعدم الشاب النماذج التي يحاكيها . كما شجعت الآداب الشعبية لإفساد الذوق وصرف الناس عن

---

(١) انظر الاتجاهات الوطنية : ٢ / ٣٧٢.

(٢) انظر مجلة الآداب عدد ١، ٢ / ١٩٩٩م، ص ١٠١.

(٣) انظر الاتجاهات الوطنية ، ج ٢، ٣٦٩.

(٤) تيارات مسمومة ص ٢٠١.

أدبهم الفصيح ولتكون - كما يقول الدكتور محمد محمد حسين - رحمه اللّٰه : امتدادا للدعوة إلى استبدال اللهجات المحلِّية العاميِّة مكان اللغة الفصحى(١) . يقول أنور الجندي - رحمه اللّٰه : حاول الداعون بها أن يَوجُهوا العنايةَ إلى الجمالِ الفنِّي الذي تمثلهُ الأمثالُ والقصصُ والأغاني التي يتداولها العامة ، وقد دوَّنوا ما لم يكن مدونًا ، فلما برزت الدعوة إلى العناية بالفنون الشعبية تمسَّح الداعون بهذه الدعوة بين العرب زاعمين أنَّ إهمال هذا اللون من الفنون ترفُّعٌ عن العناية بالطبقاتِ الفقيرةِ الكادحةِ ، وما يتصل بها من شؤون(٢) .

ويتضح من هذا الرصد المختصر جوانب من هذه الهجمة نستخلص منها :

١ - كانت بدايةُ الهجمة بالمستشرقين تحت ظلال المستعمر ، ثم نقلت إلى بني جلدتنا ليكون لما يقولون قبول أكثر .

٢ - جُلٌّ من هاجم العربية بأي شكل هم من المستشرقين وغير المسلمين مثل : موسى سلامة ، ولويس عوض ، وعيسى معلوف وابنه إسكندر ، ورفائيل نخلة ، ومارون غصن ، وأنيس فريحة ، والكرملي وغيرهم ، ومن هاجم العربية من غيرهم فهو من المشبوهين المطعون فيهم مثل: قاسم أمين ، وأحمد لطفي السيد ، وطه حسين ، وأشباههم .

٣ - اتخذ الهجومُ التدرجَ دعوةً إلى العامية ثم الحرف اللاتيني ؛ فلما لم ينجحوا في ذلك دَعَوْا إلى إصلاح العربية ؛ والقصدُ هو الإفساد ؛ فلما سقطت دعوتهم فُتِحَ البابُ لإفساد الذوق السليم ، وشُجعت الآداب العامية .

٤ - جوبهت تلك الدعوات الهدامة بردود ومعارك كتابية أرجعتها خائبة ، كما أعرض العامة عنها ولم يعيروها أذنًا صاغية ، وكان تطبيقها حِكرًا على الناعقين بها .

٥ - ساعدت تلك الهجمة في بث الروح والحياة في نفوس أهل العربية ، فخرج شعراء كبار مثل: البارودي وشوقي وحافظ والرصافي ، وكُتَّاب كبار كالرافعي

---

(١) انظر الاتجاهات الوطنية ، ج ٢، ٣٦٩.

(٢) انظر تيارات مسمومة ص ٢٥٦.

والمنفلوطي وباكثير، غيرهم [1].

ثم آل الحال في كثير من بلدان المسلمين اليوم إلى تهميش اللغة العربية في المدارس والجامعات وحتى في الكتب الرسمية في كثير من المؤسسات الحكومية .. كل ذلك كمرحلة من مراحل الصراع التي لم تنته بعد، ولا أريد أن أقول : ولم يُنتبه لها بعد ؛ لأنها تسير في خطى مرسومة، ويقوم بها تلامذة مستغربون قالبهم منا وقلوبهم مع أعدائهم .

إن من أهم صراع الحضارات اليوم (صراع اللغة) إن صح التعبير، لأنه لا تبنى حضارة (الذات) على لغة (الآخر) ؛ وكما يقول د عمر عبيد حسنة : الحقيقة التي لابد أن نعرض لها في إطار الحوار أو الصراع الحضاري، هي قضية اللغة وما تحمل من دلالات تعتبر أوعية للتفكير وليس مجرد وسيلة للتعبير، وما تحمله وتعبر عنه من حالات نفسية وشعورية، وما تمتلكه من مصطلحات ومفاهيم هي خلاصات لعقل الأمة، وتجاربها وخبراتها . وليس من قبيل المجازفة القول : إن اللغة هي أداة الفعل الحضاري، ووسيلة التكوين، والتشكيل الثقافي .. إنها وعاء الهوية، وأداة التواصل بين الأجيال .. هي التراث والحاضر والمستقبل، لأنها طريقة الفهم للتراث والتاريخ والقيم .. لهذا كله كانت ولا تزال مستهدفة من الآخر في عملية الصراع والاستعمار والحوار الحضاري ؛ فالأمة التي تلغي لغتها في المعهد والجامعة والمدرسة والكتاب والمصدر والمرجع، هي أمة متوقفة حضاريًا عن الامتداد والإبداع ومهزومة حضاريًا، إن صح التعبير، مهما حاولنا التخفيف من آثار ذلك، والادعاء، بأن اللغة هي وسيلة تعبير وتفاهم فقط، لا علاقة لها بالتفكير أو الفعل الحضاري . ولا يتسع المجال هنا أن نعرض لدور القرآن في حماية اللغة العربية، ولماذا أنزل بالعربية ؟ ودور سلامة اللغة في إدراك مدلولات النص القرآني، وعمليات المسخ والتشويه والتحريف التي لحقت بالنصوص المقدسة الأخرى، والتمزق والتبعثر الديني والعقيدي الذي نتج عن ذلك، بسبب سوء الترجمات التي اتسعت لسوء المقاصد والنوايا .

وسوف تستمر هزيمتنا، ويتوقف نمونا، ويغيب إبداعنا، وتحاصر رسالتنا إلى العالم،

---

(١) اختصرتها من مقال (الهَجْمةُ على اللُّغةِ العربيّةِ) لإبراهيم بن سعد الحقيل – نشر بمجلة البيان العدد (١٤٧) ص ٤٦ – ذو القعدة ١٤٢٠ – مارس ٢٠٠٠.

طالما أننا نفكر بأوعية الآخرين، ونصب أفكارهم في عقولنا، من خلال لغاتهم[١].

إن اللغة تشكل عنصر الوحدة القوي بين أفراد الأمة ومجتمعاتها، وكما يقول الشيخ محمد إسماعيل: أعظم دافع للتآمر على اللغة العربية هو شدة ارتباطها بالقرآن والإسلام، وأثرها في وحدة الأمة، وقد تم ذلك عبر محاور عدة منها: تشجيع اللهجات العامية، والمطالبة بكتابتها بالحروف اللاتينية، وتشجيع اللغات الأجنبية على حساب لغة القرآن الكريم، وتطعيم القواميس العربية بمفاهيم منحرفة كقاموس (المنجد)، والطعن في كفاءة اللغة العربية وقدرتها على مواكبة التطور العلمي.

وإذا كانت (الثقافة) هي مجموع القيم التي ارتضتها الجماعة لنفسها، لتميزها عن غيرها من الجماعات، فإن اللغة هي وعاء الثقافة، ومظهرها الخارجي الذي يميزها.

إن لغتنا ليست لغة قومية، لكنها لغة دينية تجمع حولها المسلمين جميعًا عربًا وعجمًا؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ ثم منها ما هو واجب على الأعيان ومنها ما هو واجب على الكفاية[٢]. ا.هـ.

وقال المرتضي: من أبغض اللسان العربي أدّاه بغضه إلى بغض القرآن وسنة رسول الله ﷺ، وذلك كفر صراح، وهو الشقاء الباقي، نسأل الله العفو. ا.هـ.

إن للغة دورًا خطيرًا في توحيد الأمة، وهاك أمثلة توضح ذلك:

الأول: (إيرلندا) التي رزحت تحت الاحتلال الإنكليزي منذ أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، وذاقت منه الويلات، خصوصًا على يد (كروموبل) الذي أعمل السيف في رقاب الإيرلنديين، وشحن عشرين ألفًا من شبابهم وباعهم عبيدًا في (أمريكا)، ونفى أربعين ألفًا خارج البلاد، وتمكن من طمس هويتهم بمحو لغتهم الإيرلندية، وتذويبهم في المجتمع البريطاني.

---

(١) انظر تقديم د حسنة لكتاب (صراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٣٨: ٣٩.
(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ص ٢٠٧ (دار المعرفة).

ولما حاول بعض الإيرلنديين الوطنيين بعث أمتهم من جديد أدركوا أن هذا لا يتم ما دامت لغتهم هي الإنكليزية ، وما دام شعبهم يجهل لغته التي تميز هويته ، وتحقق وحدته .

وأسعفهم القدر بمعلِّم يتقن لغة الآباء والأجداد ؛ دفعه شعوره بواجبه إلى وضع الكتب التي تقرب اللغة الإيرلندية إلى مواطنيه ، فهبوا يساعدونه في مهمته حتى انبعثت من رقادها ، وشاعت ، وصارت (النواة) التي تجمع حولها الشعب ، فنال استقلاله ، واستعاد هويته ، وكافأ الشعب ذلك المعلم بانتخابه أول رئيس لجمهورية (إيرلندا) المستقلة هو الرئيس (ديفاليرا) .

الثاني : (ألمانيا) التي كانت مقاطعات متفرقة متنابذة ، إلى أن هبَّ (هَرْدِر) الأديب الألماني الشهير في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ينادي بأن (اللغة) هي الأساس الذي يوحِّد الشعوب ، والنواة التي تؤلف بينها ، فانطلق الأدباء يعكفون على تراثهم القديم أيام كانوا أمة واحدة ، وقاموا بإنعاش تراثهم الأدبي ، ونسجوا حوله قصصًا وبطولات خلبت ألباب الشباب ، وتغنوا بجمال بلادهم ، وأمجاد أسلافهم ، فتجمعت عواطفهم على حب الوطن الكبير ، وتطلعت نفوسهم إلى الانضواء تحت لواء (هوية ألمانية) واحدة ، الأمر الذي مهَّد الطريق أمام (بسمارك) لتعبئة الشعور القومي ، وتوحيد ألمانيا ، وإقامة (الإمبراطورية الألمانية) التي كان (بسمارك) أول رئيس وزارة (مستشار) لها .

الثالث : أعاد اليهود اللغة العبرية التي انقرضت من ألفي سنة وبعثوها من مرقدها ، حتى صارت لغة العلم بالنسبة لهم ، وألفوا بها أدبًا نالوا به ما يسمى جائزة نوبل ، لقد وحدت هذه اللغة لسان الشتات المتفرق بين (٧٠) لغة ، وحولته إلى لسان واحد .

ومن هنا يتضح أن إهمال العربية أو تهميشها أو ترقيعها يصب في خط واحد ، هو : هدم الهوية الإسلامية ! والعجب كل العجب من شماتة المستشرق الألماني (كاممفاير) إذ يقول : إن تركيا منذ حين لم تعد بلدًا إسلاميًا) لماذا ؟ (فالدين لا يدرس في مدارسها ، وليس مسموحًا بتدريس اللغتين العربية والفارسية في المدارس ، وإن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية ، قد أصبحت الآن مستحيلة ، بعد استبدال الحروف اللاتينية

بالحروف العربية(١) .

لعل كلام هذا المستشرق يجعل المسلمين يفهمون : لماذا الحرب على اللغة العربية مستعرة ؟!

تشويه التاريخ :

ومن أوجه الصراع وميادينه الخطيرة تشويه التاريخ ؛ ونسمع حول هذه القضية مصطلحات جديدة : إعادة كتابة التاريخ ؛ التفسير المادي للتاريخ ؛ التفسير القومي للتاريخ ... الخ هذه المغلفات البراقة التي ظاهرها التدليس والتلبيس وباطنها التدمير. فدراسة التاريخ تتم من أجل النقد ، أو قل : الطعن في رموز الإسلام ، أو تهميشها ، أو التعمية عليها ، والمقابل هو إبراز النماذج الشعوبية والتآمرية المنحرفة ، بدعوى الحياد في السرد التاريخي .

والدافع الذي يفسر به التاريخ ، ليس هو دافع العبودية ، أو الصراع الأبدي بين الخير والشر ، أو الحق والباطل ، وإنما يفسر بالنفعية أو الذاتية .

وتشويه التاريخ الإسلامي وتزييفه من أساليب الصراع الحضاري الخبيثة لطمس الهوية الإسلامية ؛ فبتزييف أحداث التاريخ ، والتشكيك في حوادثه ، وإبراز النماذج المنحرفة والحوادث المؤسفة وتضخيمها ؛ وتحليل أحداث التاريخ بمفهوم الآخر وفكر الآخر وقيم الآخر ، فوق أنه ظلم واضح للتحليل العلمي ، فإن الغرض منه أن تتشبع الأجيال الناشئة بكراهية الإسلام والنفور من تراثهم وتاريخهم .

ومن محاولات تزييف التاريخ الإسلامي - كما يقول الشيخ محمد بن إسماعيل : محاولة تفسيره تفسيرًا قوميًا كما يفعل البعثيون الذين يريدون أن يبتلعوا الإسلام في بطن قوميتهم حين يزعمون أن الإسلام مرحلة في تاريخ العروبة ؛ أو تفسيره تفسيرًا ماديًا كما يفعل الماركسيون حيث يصورونه على أنه تاريخ صراع طبقي ، أو صراع مصالح بين الأمراء والخلفاء والملوك .

---

(١) انظر ندوة (هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق) - الحلقة الثانية - إعداد وائل عبد الغني - مجلة البيان عدد (١٢٩) ص ٤٢ - جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - سبتمبر ١٩٩٨ م .

والهدف من وراء كل ذلك واضح ، وهو الحيلولة بين الأمة وبين اتخاذ تاريخها الحقيقي منطلقًا للنهوض من كبوتها .

ومن تزييف التاريخ أيضًا : طمس المعالم التاريخية ، والحفريات التي تصحح تاريخ العقيدة ، وتكشف أن التوحيد هو الأصل وأن الشرك طرأ عليه ، وكذا الوثائق التي تثبت التحريف في كتب أهل الكتاب ، والتي تدعم الإسلام وتؤيده ؛ ويجدر بنا الإشارة إلى مؤامرة تزييف تاريخ (الإبراهيمية الحنيفية) التي هي جذر الإسلام ، وذلك عن طريق نشر فكرة (السامية) التي تركز على القول ، بأن هناك أصلًا واحدًا مشتركًا بين العرب واليهود ، هو (سام بن نوح) ، في حين أن القصد الحقيقي من ورائها هو التعمية على انتساب العرب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وعزو تاريخ إسماعيل وذريته إلى مصدر غامض مجهول السند ؛ وذلك بقصد صرف الأنظار عن هويتنا الحقيقية التي هي ملة إبراهيم التي أولاها القرآن الكريم أعظم الاهتمام ونسبنا إليها ، وحثّنا على اتباعها ، وبرّأ إبراهيم من كونه يهوديًا أو نصرانيًا أو مشركًا ؛ ويضيف الشيخ محمد بن إسماعيل على ذلك ما جرى من طمس للمعالم التاريخية التي تؤكد الانتماء الإسلامي ، كما فعل النصارى في الفردوس المفقود (الأندلس) ، وكما فعل (أتاتورك) في تركيا ؛ حينما حوّل مسجد (أيا صوفيا) إلى مُتْحَفٍ وبيت للأوثان ، وطمس منه آيات القرآن والأحاديث ، وأعاد كشف ما كان الفاتحون قد طمسوه من الصور التي زعمها النصارى للملائكة ، وكذا صور من يسمونهم القديسين ، والصلبان ، والنقوش النصرانية . وكما فعلت الوحوش الصربية في البوسنة ، حيث كانت تنتقي بعناية المواريث الرمزية والتاريخية الإسلامية لتقصفها وتدمرها ، من أجل تجريد الذاكرة الجماعية لشعب البوسنة من رموز الهوية الإسلامية ومعالم حضارتها .

وكما يفعل اليهود - لعنهم اللَّه - في القدس وغيرها من مناطق فلسطين السليبة [1] .

إن التاريخ يشكل ذاكرة الأمة ، وأمة فاقدة الذاكرة ليس لها قدرة على التفكير

---

(١) انظر ندوة (هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق) - الحلقة الثانية - إعداد وائل عبد الغني - مجلة البيان عدد (١٢٩) ص ٤٢ - جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - سبتمبر ١٩٩٨ م .

الصحيح ؛ فهل نعي لماذا الاعتداء على التاريخ الإسلامي وتشويهه ؟ !

الصراع الديموغرافي :

لقد غاظ أعداء الإسلام النمو العددي المطرد للمسلمين ؛ فدبروا فكرة (تحديد النسل) وأحاطوها - كعادتهم - بأكاذيب كثيرة في شعارات براقة ؛ وقد خالت هذه الشعارات على كثير من المسلمين ؛ ولكن وبعد مدة زمنية ، وجدوا أنها غير مجدية ، وأنها تحتاج إلى تدعيم بأفكار جديدة وأساليب جديدة .. فاخترعوا لها مؤتمرات السكان ، وأرادوا أن يقننوا في هذه المؤتمرات لإفساد الحياة الاجتماعية في الإسلام ككل ؛ المرأة ، والزواج ، والمثليين ... إلى غير ذلك مما يوحي به شياطين الجن إلى شياطين الإنس .. كل ذلك للحد من تنامي أعداد المسلمين .. إنها قضية تؤرقهم !!

تحت عنوان (الخطة الأمريكية لتحديد النسل في البلاد الإسلامية) كتبت د تنسيم إبراهيم : حظيت سياسة تحديد النسل بدراسات كثيرة ومتشعبة لا تخفى على علماء المسلمين والقيادات الإسلامية ؛ ولكنها دائمة التجديد ، تصاغ لها البرامج المتغيرة المفصلة الباهظة التكاليف ، وتصرف لها الأموال الطائلة من جهات حكومية ومنظمات عالمية ومؤسسات خاصة ثرية .. وقد برزت ضرورة التحكم في تعداد نسل المسلمين على الساحة الأمريكية بعد مؤتمر بوخارست الذي عقد في ديسمبر عام ١٩٧٤ م ، عندما قدمت الجهات الممولة لتنفيذ تلك السياسة - مثل المخابرات المركزية الأمريكية ، ووزارة الدفاع ، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية - تقارير سكانية مفصلة عن علاقة التزايد السكاني بالمصالح الأمريكية في الخارج ، وقد تصاعد اهتمام وتمويل الرئاسة الأمريكية لمشاريع التحكم في سكان العالم بشكل صارخ من كارتر إلى نيكسون وفورد ثم ريجان وبوش وكلينتون ؛ ولم يُعلَن عن المذكرة الصادرة من مجلس الأمن القومي والمبنية على هذه التقارير إلا عام ١٩٩٠ م ، فلم يعلم بها الشعب الأمريكي ولا دول العالم ، وخاض نصارى الشعب الأمريكي الحرب الساخنة للمحافظة على الأسرة ؛ وفوجئ المسلمون بحملات الدعاية ،والمؤتمرات المتلاحقة التي ازدادت في تحديها لمشاعر المسلمين في الآونة الأخيرة ، ومنها مؤتمر السكان في القاهرة (١٩٩٤) ومؤتمر المرأة في بكين

(١٩٩٥) ومؤتمر اسطنبول للإسكان والتنمية (١٩٩٦)[١] .

يقول د عمر عبيد حسنة : وأعتقد أن التحكم والسيطرة على العالم الإسلامي واستنفاد طاقاته ، لم تعد تقتصر على إقامة الحراسات والمخافر لمصلحة الحضارة الغربية ، ودعم أنظمة القمع والاستبداد السياسي والتمكين لها ، وامتصاص خبرات وطاقات وسواعد المسلمين ، وإنما تجاوز ذلك إلى محاولات التحكم بالمستقبل ، حتى لا تقوم للمسلمين قائمة .

إنها مرحلة التحكم بالأرحام ، والحد من النمو الديموغرافي للمسلمين ، وذلك بإقامة مؤتمرات للسكان ، والتمهيد لتشريعات ، وتوصيات ، الغاية منها الحصار السكاني ، بعد أن تحقق الحصار السياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، حتى لا تخرج الأصلاب ، وتحتضن الأرحام ، من يفكر بالخروج عن السيطرة في المستقبل[٢] .

تجفيف المنابع :

لعل هذا أبرز أنواع الصراعات لطمس الهوية ، والتي هي أشد خطرا من الصراع العسكري على أي أمة ؛ ومن أخطر أساليب طمس الهوية ومسخها - كما يقول محمد بن إسماعيل : (تسميم الآبار المعرفية) التي تستقي منها الأجيال ، أعني تخريب مناهج التعليم بكافة مراحله ، وهذا ما يسمونه بكل صراحة (تجفيف منابع الإسلام) !! هذه المؤامرة لم تبدأ اليوم ، ولكن منذ أكثر من قرن ، ولم تبدأ من الصفر ، ولكنها تُستمد من معين المنطلقات التي صنعها الاستعمار والاستشراق والتبشير ، ويكفي أن القس (دنلوب) تمكن في عشرين سنة من تخريب العقول والنفوس والضمائر والعواطف من خلال سياسته التعليمية بصورة ما كانت تحلم بريطانيا بتحقيق ربعها لو جندت في سبيل ذلك مليون جندي بريطاني . وقد أنطق اللهُ تعالى (كرومَر) رائدَ التغريب في مصر بهذه الحقيقة ،

---

(١) انظر المقال (الخطة الأمريكية لتحديد النسل في البلاد الإسلامية) بمجلة المجتمع العدد (١٢٧٤) ص٢٠ - رجب ١٤١٨ - نوفمبر ١٩٩٧م ، وفيه معلومات خطيرة عن تحديد نسل المسلمين ؛ وكاتبة المقال باحثة أمريكية من أصل عربي متخصصة في الشئون الدولية .

(٢) انظر تقديم د حسنة لكتاب (صراع الحضارات) للدكتور أحمد القديدي ص ٣٧.

فقال : إن الحقيقة أن الشباب المصري الذي قد دخل في طاحونة التعليم الغربي ، ومر بعملية الطحن يفقد إسلاميته ، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزائها ، إنه يتجرد عن عقيدة دينه الأساسية[١] .

ونحن نرى اليوم في أكثر بلاد المسلمين محاولة تجفيف المنابع بوسائل غاية في الخبث ، وبأشخاص غاية في المكر والنفاق والتدليس والخيانة ، عبر وسائل التسلية والإعلام ، وتشويه صورة الإسلام ورموزه ، وتقليص المقررات الشرعية والتاريخ الإسلامي واللغة العربية ، باعتبارها روافد تغذي الهوية ، وعن طريق حصار المسجد وتكميم أفواه الدعاة ، وإغلاق الكتاتيب ومدارس المعلمين التي تُخرِّج المحفظين ، وإنشاء وتغذية المذاهب والمبادئ الهدامة التي تتسرب إلى الداخل لتطعن من الخلف ، كالماسونية ، والبهائية ، والقاديانية ، وأمثالهم ، وإشغال المسلمين بها لتفتنهم عن دينهم .

وسياسة تجفيف المنابع - كما يقول د مصطفى حلمي : المراد منها إلغاء أي سلطة شرعية على المجتمع ، وبأي صورة ، سواء كانت في التعليم والثقافة ، أو في إلغاء المحاكم الشرعية ، أو في السيطرة على أوقاف المسلمين ، أو في إنشاء مؤسسات معلمنة لتنافس البقية الباقية للمؤسسات الشرعية ، كإنشاء كليات الحقوق لتزاحم كليات الشريعة[٢] .. إلى غير ذلك من الصور التي يخطط لها على مراحل حتى تظهر للناس وكأنها من أمور تطور الحياة ونظام الدولة فيبتلعون الطعم ويرضون بالواقع ... يا له من مكر خبيث !!

ومن صور التجفيف التي آتت أكلها الخبيثة - كما يقول د جمال عبد الهادي : عزل المؤسسات الدينية عن أداء دورها أو التأثير في المجتمع ؛ وهو ما أفلح (دنلوب) في نيل نصيب منه ، وتجري بقية فصول المؤامرة إلى اليوم ، وهذه أعظم فرصة للاستعمار الثقافي ليقوم بدوره في الفكر والتشريع والحياة ، والذي ينشأ عنه ضعف الوازع الديني رغم أنف

---

(١) انظر ندوة (هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق) - الحلقة الثانية - إعداد وائل عبد الغني - مجلة البيان عدد (١٢٩) ص ٤٢ - جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - سبتمبر ١٩٩٨ م .

(٢) المصدر السابق .

كثير من الناس ، بل إن كثيرًا منهم قد لبس الإسلام كما يلبس الثوب مقلوبًا ؛ ولهذا كانت الجولة الحالية لصالح الاستعمار ، لما جُنِّب الإسلام قصدًا عن المعركة ، ولكن لم يكن بالدبابة والمدفع ، ولا بالأسطول والطائرة ، وإن كانت هذه الأسلحة قد وقفت تدعم سلاحًا أعمق جرحًا وأبلغ أثرًا : الأستاذ الذي أفسد التفكير ، والعلم الذي زرع الشك ، والكتاب الذي أمرض اليقين ، والصحيفة التي نشرت الرذيلة ، والقلم الذي يزين الفاحشة ، والفن الذي يشجع على الفجور ، والمهازل التي قتلت الجد والرجولة ، والمسكرات التي تذهب بكل شيء ، والشهوات التي تخرم المروءة ، والكماليات التي تشغل الكواهل ، والأعراف التي تناقض فطرة اللَّه ، والمعاني الكافرة التي تطرد المعاني المؤمنة من القلوب ... هذا هو حصاد تجفيف المنابع المرير ، وإلى اللَّه المشتكى ![١]

إن سياسة تجفيف المنابع كشفت بلا مواربة أن الحرب الآن على الإسلام باعتباره عقيدة وشريعة وسلوكا ؛ فبعد أن حُد من الجانب الاحتسابي الذي يظهر وجهة النظر الإسلامية في القضايا السياسية والاقتصادية الكبرى ، فإن الدور الآن على الجوانب الاجتماعية التي تحكم علاقات وسلوكيات المسلمين ؛ إنها حرب غير أخلاقية لمحاصرة الجوانب الأخلاقية من قيم ومبادئ ومثل وممارسات يومية ، وأخطر ما استخدم في هذه الحرب هو الخطاب الإعلامي المتفسخ ، وتوظيف انفجار الثورة الإعلامية وتقنية الاتصالات ببث الرسائل التافهة ، وترسيخ العولمة بنكهة الكوكاكولا والهامبورجر بترجمة عربية رديئة تجعل من المطربات والمطربين والراقصات ولاعبي الكرة (نجوم) المرحلة و (منظري) العولمة اليعربية .

إن ما يحصل الآن من انفجار فضائي وإعلامي هو مؤشر لحالة السعار التي تريد أن تقضي على مظاهر التميز ، بل الوجود ؛ بحجة اللحاق بالركب العالمي ، وهو ركب تتركه اليوم الأمم التي تحترم نفسها ، ولا تضع حاضرها ومستقبلها لعبة تتسلى به الأفاعي الدولية [٢] !

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر افتتاحية مجلة البيان – العدد ١٤٢ ص ٤ – جمادى الآخرة ١٤٢٠ – أكتوبر ١٩٩٩.

ولكن ؛ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠] ؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣٢، ٣٣] .

الصراع الإعلامي :

الإعلام بكافة أنواعه المقروءة (صحف - مجلات - نشرات علمية) والمسموعة (إذاعات) والمرئية (الرائي [التلفاز] وتوابعه) والشبكة العنكبوتية (النت) ؛ بات يشكل صراعا جوهريا في صراع الحضارات ؛ فقد استخدمت هذه القنوات أبشع استخدام **لتغريب المجتمع المسلم**؛ وهذا التغريب يعرفه د محمد محمد حسين في كتابه (الإسلام والحضارة الغربية) بقوله : طبع المستعمرات الأسيوية والأفريقية بطابع الحضارة الغربية ؛ وجهود الاستعمار في هذا تشمل المسلمين وغير المسلمين من أهل المستعمرات ؛ لكن جهدهم الأكبر وعنايتهم الأوفر كانت للمسلمين بخاصة ؛ لارتباط حياتهم في مختلف مناشطها بالدين (١) .

والتغريب هو أخطر أنواع الصراع وأشده تأثيرا وإن كان بطيئا ؛ لكنه ذو مفعول أكيد في إحداث الخلل في المجتمعات خاصة الإسلامية منها ؛ ولذلك فإن أعداء الإسلام يركزون على تغريب المجتمعات الإسلامية ليضمنوا ضعف ولائهم للإسلام وأهله ، وسهولة قيادهم لأسلوب الحياة الغربية ؛ فبرامج التغريب - كما يقول د محمد محمد حسين : تحاول أن تخدم هدفا مزدوجا ؛ فهي تحرس مصالح الاستعمار ، بتقريب الهوة التي تفصل بينه وبين المسلمين ، نتيجة لاختلاف القيم ، ونتيجة للمرارة التي يحسها المسلم إزاء المحتلين لبلاده ممن يفرض عليه دينه جهادهم ؛ وهي في الوقت نفسه تضعف الرابطة الدينية التي تجمع المسلمين ، وتفرق جماعتهم التي كانت تلتقي على وحدة القيم الفكرية والثقافية ؛ أو بتعبير أشمل : وحدة القيم الحضارية ، فيستطيع الاستعمار أن ينفرد بكل بلد على حدة ، وأن يتفرغ لمواجهة ما عساه ينشأ من ثورات ،

---

(١) انظر (الإسلام والحضارة الغربية) ص ٤٢.

وظهره آمن من ثورات المناطق الإسلامية الأخرى في مستعمراته التي تهب لمساندتها .ا .هـ[١] .

وحتى نعلم كيف تتم عملية التغريب وفق تصور الغرب أنفسهم نقرأ كلامًا لـ (لاتوش) إذ يقول في كتابه (تغريب العالم) : ينطلق فيض ثقافي من بلدان المركز ، ليجتاح الكرة الأرضية ، يتدفق على شكل صور .. كلمات .. قيم أخلاقية .. قواعد قانونية .. مصطلحات سياسية .. معايير .. كفاءة ، ينطلق كل ذلك ، ليجتاح بلدان العالم الثالث من خلال وسائل الإعلام ، المتمثلة في إذاعات وتليفزيونات ، وأفلام وكتب ، وأسطوانات فيديو ، وأطباق استقبال فضائية (دش) ، ينطلق عبر سوق المعلومات التي تحتكرها الوكالات العالمية الأربع : أسوشيتدبرس ، ويوناتيدبرس (الولايات المتحدة) ، ورويتر (بريطانيا) ، وفرانس برس (فرنسا) ، وتسيطر الولايات المتحدة على ٦٥٪ من تدفق هذه المعلومات .

هذا الفيض من المعلومات يشكل رغبات وحاجات المستهلكين ، أو بتعبير آخر : (الأسرى السلبيين) : أشكال سلوكهم ، عقلياتهم ، مناهج تعليمهم ، أنماط حياتهم ؛ وبذلك تذوب الهويات الذاتية في هذا الخضم من الغزو ؛ لأن مواد الغزو تصنع في معامل الغرب وفق معاييره ومواصفاته المعيبة[٢] .

وقد لعب الإعلام على وتر التغريب في أمور الحياة جميعها ؛ واتخذ أشكالا كثيرا ومناهج متعددة ، وأخرج برامج عديدة تتناول مراحل العمر من الطفولة إلى المراهقة إلى الشباب إلى الشيخوخة ؛ وبأساليب متلونة ؛ ومخاطبة للجنسين الذكر والأنثى في جميع المراحل المذكورة .. فهو بذلك لعب دورا خطيرا في كل مجال ؛ ولكي نقف على خطورة هذا الأمر نقرأ الفقرة التالية مرارا : جاء في صحيفة (أحرونوت) اليهودية بتاريخ ٧٨/٣/١٨: إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامةً هي جزء من استراتيجية

---

(١) انظر الإسلام والحضارة الغربية ص ٤٥.

(٢) انظر ندوة (هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق) - الحلقة الثانية - إعداد وائل عبد الغني - مجلة البيان عدد (١٢٩) ص ٤٢ - جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - سبتمبر ١٩٩٨ م .

إسرائيل في حربها مع العرب ، هذه الحقيقة هي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا ، في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عامًا ، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدًا عن المعركة إلى الأبد ، ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل، وبأي أسلوب ، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش ، لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا !!

أرأيت كيف استخدم الإعلام لإبعاد الإسلام عن المعركة ؟ !!

يقول الأستاذ جمال سلطان : يعد الإعلام من أخطر وسائل الاسترخاء ، بل والتخدير في العصر الحديث ، فخطر التليفزيون على سبيل المثال أعظم من أن يوصف ، لذلك لما وصفه أحد الباحثين بأنه : **الأب الثالث** للطفل ، رد عليه آخر قائلًا : لا ؛ بل هو **الأب الأول** ؛ فالإعلام أصبح موجهًا ومربيًا وبرامجه قائمة على دراسات نفسية واجتماعية عميقة لتحدث الأثر المطلوب ؛ وأكبر مثال على ذلك هو كيفية تقديم الرئيس الأمريكي عند انتخابه : كم نسبة من يعرفونه من الشعب إلى من لا يعرفونه قبل الانتخاب ؟ الواضح أن الجماهير لم تكن لتعرفه إلا عن طريق الشخصية الإعلامية الملمعة .

وعليه فإن الذي يصنع آلة الإعلام هو الذي يصنع الرئيس الأمريكي ، ويصنع قبل ذلك العقول والأذواق وأساليب التفكير ؛ ولننظر إلى الصحف كيف تشكل الرأي العام ، وهي مسألة في منتهى الخطورة ، وتقف وراءها مؤسسات متخصصة كاملة . ا.هـ [(١)] .

ويقول د مصطفى حلمي : يرى (لاتوش) في كتابه (تغريب العالم) أن أروع نجاحات التغريب يكمن في انتشار أدوات السلطة التي من أهمها الإعلام ، ويستدل على ذلك بما رصده (كاستوريايديس) بفطنة ثاقبة عن تقنيات السلطة ، أي (تقنيات الخبل الجماعي) : هناك مكبر صوت في كافة القرى يبث خطاب الزعيم ، هناك تليفزيون يهتم بنفي الأخبار .. الخ ، وتنتشر هذه التقنيات بسرعة النار في الهشيم ، وقد اجتاحت الأرض

---

(١) انظر ندوة (هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق) - الحلقة الثالثة - إعداد وائل عبد الغني - مجلة البيان عدد (١٣٠) ص ٤٢ - جمادى الأخرة ١٤١٩ هـ - أكتوبر ١٩٩٨ م .

بأسرها ، وسرعان ما انتشر في كل مكان أن أيَّ أومباشي في أي بلد من بلدان العالم الثالث ، يحسن استخدام سيارة الجيب ، والرشاشات ، والبشر ، والتليفزيون ، والخطب ، وكلمات الاشتراكية والديمقراطية و الثورة ؛ وكل هذا قمنا نحن بمنحه لهم ، وتلقينه إياهم بسخاء بالغ !!(١) .

محاور التغريب الإعلامي :

استغل الغربيون والمستغربون وسائل الإعلام للحرب على الإسلام وتغريب المسلمين ؛ وكما يقول د عمر سليمان الأشقر : ونظرة سريعة إلى وسائل الإعلام في ديارنا ترينا مدى البلاء الذي تصبه ليل نهار على معتقداتنا وشعائرنا وسلفنا وعلمائنا .. سيل من الشبهات التي تشكك في الدين وأحكامه ، وسيل من الأفلام والتمثيليات والمسرحيات التي تتهكم بالإسلام ، وتقوم بعرض نماذج من أنماط الحياة تضاد الإسلام في كل شيء ؛ أنماط جاهلية عفنة تمجد الجريمة ، وتدعو إلى الفسق والفجور ، وتكرّه في الحياة المستقيمة الفاضلة ، وتتهكم بالمسلمين والمسلمات ، وتتخذ الدين هزوا ، وتعرض ما حرم اللّه : الرقص الفاضح ، وشرب الخمر ، والكذب والدجل ، وإخلاف الوعد .. وقد قامت للتافهين أسواق ضخمة في كل مكان باسم الفن ، ولو صدقوا لسموا ذلك فجورا وقباحة وخلاعة(٢) .

وقد عمل الإعلام التغريبي على محاور كثيرة أهمها :

١ - **إفساد الأخلاق** ؛ من خلال إعداد التمثيليات والأفلام والمسرحيات الممتلئة بالمواقف التي تحمل القيم الغربية التحررية ؛ وعرضها على أنها الواقع المنشود للسعادة ؛ واللعب على عواطف الناس وشدهم للتعاطف مع هذه القيم مغررين بهم دون حياء ولا خجل ؛ حتى انتهى الأمر إلى عرض الأفلام الإباحية الجزئية والكلية ؛ مما أدى إلى إشاعة الفاحشة وتشجيع الشباب والفتيات عليها تحت مسمى التحرر وإباحة الاختلاط .. إلى غير ذلك من المفاسد الأخلاقية التي لا تخفى على ذي عقل وبصيرة ؛ مع تشويه صورة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) نحو ثقافة إسلامية ص ٦٤، ٦٥.

الفضائل ، وتصويرها على أنها تخلف وظلامية ورجعية .. في عبارات تكرر في الحلقة الواحدة ، وتعاد في حلقات أخرى ، لتثبيتها في ذهن المشاهد والمستمع والقارئ ؛ وقديما قال العلماء : ما يتكرر على الحس يتقرر في النفس .

مع إعداد طابور آخر يشيد بمثل هذه الأعمال من خلال مقالات في الصحف والمجلات ، وتصوير هذه الأعمال على أنها تقدم وحضارة ، والإشادة بهؤلاء الذين اشتركوا في إعدادها على أنهم مبدعون .

٢ - **الإشادة بالقيم الغربية** ؛ من خلال إعداد البرامج التي تشيد بالقيم الغربية وأثرها في تطور الحياة ؛ وتصف قيم الإسلام بالتلميح أحيانا والتصريح أخرى بأنها سبب تخلف المسلمين ، وتأخرهم عن اللحاق بركب الحضارة !! عرض الإنتاج الغربي من أفلام وبرامج موجهة سواء أكانت ثقافية أو ترفيهية ، مع إعداد البرامج التي يستضاف فيها من أشرب الفكر الغربي وقيمه للتعليق عليها والإشادة بها ؛ ولا مانع من أن يعرج معد البرنامج أو مقدمه أو الضيف إلى تشويه الفكر والقيم المخالفة للقيم الغربية ، والتي غالبا ما تكون القيم الإسلامية !!

٣ - **مخاطبة الشهوات وتحريكها** ؛ من خلال شغل مساحات كبيرة من وسائل الإعلام لمخاطبة الشهوات ؛ فمن صور مختارة لفاتنات كاسيات عاريات (أو عاريات) في أوضاع تثير الشهوات على صفحات يومية من الجرائد ؛ إلى إعلانات في وسائل الإعلام المرئية تستخدم فيها المرأة بمهارة إبليسية مع اختيار لنوعية النساء في هذه الإعلانات لتحرك السواكن من الشهوات .. وحتى نشرات الأخبار يختار لها من النساء الفاتنات ليستكمل بهن مخطط إثارة الشهوات .. وصدق اللّٰه العظيم إذ يقول : ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٢٧] .

٤ - **الإكثار من مواد الترفيه وشغل الناس بها عن قضاياهم** ؛ وصرف أنظارهم إلى قضاء أوقاتهم بين هذه البرامج ؛ الإعلام بذلك يلعب دورا خطيرا في إشغال المسلمين بالشهوات ووسائل الترفيه التي تستهلك طاقات المسلمين وأوقاتهم ، وتدفع المجتمع إلى السطحية في النظر إلى الحقائق ، وذلك بزيادة معدلات تعرضه للإعلام الترفيهي ، مع

تقليل الزمن المتاح للتأمل والتفكر والتدبر في الأحداث اليومية ، وبذا تعد وسائل الترفيه آلات الجراحة النفسية المطلوبة لاستبدال الهوية ؛ وكما يقول الأستاذ جمال سلطان : إذا اعتبرنا وسائل الترفيه بمثابة آلات تخدير واسترخاء فمن المعلوم أنه في فترات الاسترخاء تضعف (المناعة الاجتماعية) بألوانها المختلفة ، مما يعني اتساع دائرة نفاذ الغزو الخارجي والتأثير على الهوية ؛ وبالتأمل في تاريخ الأندلس ، وبالذات مرحلة السقوط ، نجد أن الخطر ظهر منذ أن غزت مظاهر الترف المجتمع من قمته إلى قاعدته ، والترف ناشئ عن الشعور بالاسترخاء وعدم وجود تحدٍّ أو صراع ؛ لأنه لا خوف من الصراع ؛ إذ يستنفر الطاقات ويوقظها ، كما قال تعالى معللًا أخذ المؤمنين الحذر : ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [النساء: ١٠٢] ، والحذر واجب ومتأكد حتى في الصلاة . والجسم المستنفر يقظ قوي يصعب اختراقه ، على عكس المسترخي والمستأنس الذي غابت عنده قضية الولاء والبراء ، فبدأت اللوثات في المزاحمة(١) .

٥ - **التركيز على المرأة** ؛ ومحاولة استقطاب المرأة المسلمة ، والتغرير بها ، عن طريق دعاوى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، وعن طريق اختراع حقوق والزعم بأن الرجل قد هضمها إياها ، والإكثار من البرامج في هذا الشأن ؛ إضافة إلى الترويج لأفكار خبيثة لتذويب المرأة لإغراق المرأة في التغريب وإبعادها كلية عن أن تفكر في إسلامها وأخلاقياته وقيمه ، ومن ذلك ما نضح به أعداء الإسلام أخيرا وهي فكرة (القومية النسائية) التي تربط المسلمة باليهودية والنصرانية وعابدة الأبقار والأوثان والملحدة ، كأن قضيتهن واحدة ! ومعتقداتهن واحدة ! ومطالبهن واحدة ! ومعركتهن ضد (الرجل) واحدة أيضًا !!

٦ - **السخرية من رموز الإسلام من أجل إضعاف التأثر بهم** ؛ وفي هذا المجال يبرز دور الأفلام والمسرح المهرج - كما يقول جمال سلطان : الذي لعب دورًا خطيرًا في

---

(١) انظر ندوة (هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق) - الحلقة الثانية - إعداد وائل عبد الغني - مجلة البيان عدد (١٢٩) ص ٤٢ - جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - سبتمبر ١٩٩٨ م .

تشويه صورة النموذج الإسلامي وإفساد الأخلاق والسلوك ، والتسويق للنموذج التغريبي بقيمه وعاداته وسلوكياته[1] .

إلى غير ذلك من المواد المعدة والتي تعد بجرأة أقوى في المراحل المتتالية حسب خطة مدروسة ، وتعدل في كل مرحلة حسب ما يقتضي الحال .. وإلى اللَّه المشتكى .

إن ما يمارس اليوم من هيمنة إعلامية وثقافية غربية ، وبالذات الأمريكية منها ، يمكن اعتباره حربًا عالمية ثقافية حقيقية تدعمها القوة المسلحة ، مصحوبة بالاستخدام الواسع لوسائل الاستخبارات والتقنية الحديثة ، فضلًا عن وسائل الردع والضغط الاقتصادي ، لاستخدام قيم العدو ، وهنا يكمن الخطر ؛ ورغم هذا يسمونه (البديل الديموقراطي) !! ! إذن فالبديل الديمقراطي ما هو إلا لعبة تغريبية ، يُمارس من خلالها الخداع والتسويق الثقافي لفلسفات جامدة .

وتسعى الولايات المتحدة إلى فرض تصورها بالقوة ، كما جاء ذلك في خطاب كلينتون الذي ألقاه يوم تنصيبه رئيسًا في ٢٠ يناير ١٩٩٣م : إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري ، وإننا نستشعر أن علينا التزامًا مقدسًا لتحويل العالم إلى صورتنا !!

فهل يعي المسلمون ذلك ؟ إن الهجمة الفضائية الشهوانية المستعرة اليوم التي تتعرض لها أجيالنا بخاصة تتطلب من الدعاة والمصلحين والأفراد والجماعات وقفات عدة :

- وقفة لتقويم رسالة العدو ورصدها وتحليلها وتأثيرها على فئات المجتمع الأقل إدراكا ومناعة ؛ كما تقتضي مراجعة أساليبنا في الوصول إلى الواقع المسلم بأصوات جديدة وقوالب جذابة تجتذب الفئات المستلبة بالبريق الخادع ؛ كما تقتضي دعم البرامج الدعوية التي أثبتت نجاحها لفئات معينة مع العمل على دعمها وتطويرها ، رغم أنها وسائل تقليدية إلا أنها تبقى قوية فاعلة أمام أخطر التحديات ، حين يقدم الإسلام للمسلم البسيط الذي تجرد من الإسلام قطعة قطعة وأصبح مولودا ممسوخا لا يمت للإسلام بصلة سوى

---

(١) المصدر السابق .

بعض الأماني الكاذبة والرؤى الضبابية في صدور أولئك الذين يعتقدون أنما الأعمال بالنيات وكفى ! فيقدمون أبشع وأحط الأعمال التي تفسد أمجاد شعوب استنادا إلى نوايا في صدورهم لا تؤثر في الواقع ؛ بل إنها تقدم أعذارا لأسراب الهالكين بأن القائمين على هذا الفساد والفجور هم من أصحاب النيات الطيبة ، وبعض هؤلاء قد يتمادى فيهاجم أولئك القابضين على دينهم المتصدين للهجمة الإعلامية الفاسدة بوسائل نظيفة تتهمهم بأنهم (رجعيون) لا يفهمون لغة العصر ولا يفقهون عناصر الرسالة الإعلامية التي يجب أن لا تفرق بين الوسائل الإسلامية وسواها إلا من خلال المضمون ، أما الشكل فلا ضير أن لا يكون إسلاميا أو أخلاقيا ، لأن علينا أن نثق بنيات وأسماء هؤلاء الرموز العقلانيين !! الذين لهم وحدهم حق التنظير والتفكير وتوزيع الخطأ والصواب (يمنة ويسرة) حتى في أدق الأمور الشرعية وأكثرها حاجة لعالم بصير بالقواعد والنصوص والواقع !

إن من حقنا على أولئك المجتهدين - وقد أثمرت اجتهاداتهم أخطاء شرعية ومواجع واقعية - أن نقول لهم : إن الهجمة على أهل الإسلام ودينهم ورموزهم أكبر من أن ينضم إليها أولئك الذين كان ينتظر منهم أن يعتلوا المنابر لا أن يشاركوا في تلك (المواخير) التي تجمع بين التحدث عن الإسلام ومهاجمته واتهامه بأقصى التهم في الوقت ذاته[1] .

قديما قال الشاعر :

لو كان رمحا واحدا لاتقيته ... لكنه رمح وثانٍ وثالث

هذا في ثلاث رماح يعتذر .. فما بالنا إذا صوبت الرماح من كل جهة ؟ ! وأنا أقسم بالله غير حانث : لو أن هذه الحرب الشرسة على غير الإسلام وأهله ، لما عرفنا عن المنهج وأهله إلا أخبارا نقرؤها عنهم ؛ أي : لأصبحوا خبرًا بعد عين .. لكنه الإسلام دين الله تعالى الذي يعلو على كل منهج ولا يعلى عليه أبدا بإذن الله تعالى ، وستظل طائفة من الأمة « **قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ** » كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ[2] .

---

(١) انظر افتتاحية مجلة البيان - العدد ١٤٢ ص ٤ - جمادى الآخرة ١٤٢٠ - أكتوبر ١٩٩٩.

(٢) متفق عليه من حديث معاوية رضي الله عنه : رواه البخاري (٣١١٦) ، ومسلم (١٠٣٧) .

خاتمة المبحث :

بعد هذا العرض السريع والمختصر جدا عن جدلية (الحضارة حوار أم صراع) نخلص إلى الآتي :

١ - **الحوار هو أصل أصيل في الدعوة إلى الله تعالى** ، وهو الذي قامت عليه النبوات جميعا ؛ وهو أداة دعوة الإسلام عموما للمسلمين وغير المسلمين من جميع الطوائف ؛ وقد وضع الإسلام للحوار أهمية عظمى حتى عند القتال ؛ فقبل بدء القتال يُدعى إلى الحوار فلعله يؤتي ثمرته فتحقن الدماء ولا يكون قتال . وكما يقول خالد بن عبد الله القاسم في كتابه (الحوار مع أهل الكتاب : أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة) : أما الامتناع عن الحوار مع الظالمين واتخاذه منهجا مطردًا فهذا يخالف منهج النبي ﷺ ، فقد حاور عليه الصلاة والسلام اليهود في المدينة وكانوا يكتمون ما أنزل الله ، ويلبسون الحق بالباطل ؛ كما حاور نصارى نجران ودعاهم إلى المباهلة فرفضوا .. وهكذا يتضح حرص الإسلام على الحوار لكونه أداةً من أدوات بيان الحق ، وواجب المسلمين هو أن يأخذوا به سبيلًا للبيان ، وأن يعملوا على تفعيل تلك الأداة إبلاغًا للدين وتخفيفًا لحدة الصراع بين البشر ما دام هناك سبيل لإبلاغ الدعوة وإيصالها بطريق الحوار وتبادل الأفكار والآراء .ا .هـ .

هذا هو الأصل في الإسلام : ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل : ١٢٥] .

٢ - **الحضارة الغربية حضارة صراع فكرا وثقافة وواقعا** ؛ وما ذكرناه من ميادين الصراع التي يحاول بها الغرب اختراق المسلمين في محاولة لطمس هويتهم ؛ لإظهار **أمرين** : **الأول** بيان للمسلمين ليأخذوا حذرهم ويعدوا لكل صراع عدته ؛ **والأمر الثاني** : كشف حقيقة الغرب وما يريده وأعوانه من المنافقين من الصد عن سبيل الله وإرادة الإفساد في الأرض ؛ وإن أشاعوا غير ذلك تحت شعارات كثيرة يروجون لها ؛ فقد آن للمسلمين أن يعرفوا خداع العبارات ونفاق الدعاية السياسية ؛ وليس أخطر على الأمم من عدو يأتيها

بصورة منقذ حريص غيور عليها ، وليس همه إلا مزيدًا من الإضعاف والإنهاك حتى تكون لقمة سائغة له .

٣ - ومع ما ذكرناه من الأدلة على أن الحضارة الغربية حضارة صراع ، **إلا أن ذلك لا يمنع من الحوار معها** على أن يكون ذلك بشروطه وآدابه ومقوماته التي ذكرنا في أول هذا البحث ؛ ويلزم المحاورون الذين يمثلون الإسلام أن يكونوا على وعي تام بفكر وأدوات الآخر ومقاصده وأهدافه .

٤ - **لابد من فقه الحوار والجهاد معا** ، فكل واحد منهما مأمور به ؛ ولكل مجاله ، وقد أمرنا اللَّه تعالى بإعداد ما استطعنا من قوة ، ولم يأمرنا بما ليس في استطاعتنا أن نعده ، وما حيل بيننا وبينه من القوة هو ليس في استطاعتنا ؛ ولا شك أن النصر في آخر الأمر للإسلام وأن التمكين في الأرض سيكون لأهله بشرط القيام بمؤهلات النصر وشروطه المعروفة ؛ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور : ٥٥] .

إن الحضارة الغربية التي انتصرت بأشيائها وقوتها ، وسقطت بقيمها وإنسانها - كما يقول د عمر عبيد حسنة : يرتفع صوتها اليوم ، وترفع شعارها يوميًا على عالم المسلمين ، وكأني بها تقول للمسلمين المهزومين : (اعل هُبل) ، مستخدمة في ذلك وسائل إعلامها .. ولنا أن نتصور مدى الخطورة المستقبلية ، إذا لم نكن في مستوى إسلامنا وعصرنا حيث من المتوقع في هذا العام أن يصل عدد قنوات الإرسال التلفزيوني الفضائية إلى نحو ١٤٠ قناة ، تعمل ٧٥ قناة منها على مدار الساعة ، أكثر من ٩١٪ منها تبثها شركات أو شبكات من أوروبا الغربية ، وأمريكا الشمالية ، واليابان ، واستراليا ، والعشر الباقية لا تخرج عن أن تكون رجع الصدى .

ولا شك أن هذا الإغراق الثقافي والإعلامي ، سوف يوقع في الداخل الإسلامي الكثير من الضحايا ممن ينقلبون على المفاهيم ، ويقررون الانسلاخ عن هذا الدين ، في مناخ

القهر الحضاري ومحاولات التطبيع للهزائم .. لكن العالم الإسلامي ، المهزوم بأشيائه ، سوف يستعلي بقيمه وأفكاره ، ويواجه الغزو الذي يرفع شعار : (أعل هبل) بشعار (الله أعلى وأجل) ، قولة أهل أحد .. وأن الهزيمة والاستفزاز والقرح الذي يصيب المسلمين ، سوف تؤدي إلى الاستجابة لله وللرسول ، ويتحقق الخلود لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ، ولقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران : ١٧٢] . وتنبعث الروح الإسلامية من جديد .. فالاستجابة قادمة ، على مستوى عالم المسلمين ، والبشائر قائمة ، إن شاء الله(١) .

٥ - **على المسلمين أن يقفوا على حجم التحدي ويقدروا المخاطر المحدقة بهم ،** ويضعوا خطة عمل تجمع الجهود المتناثرة ، وتحدد الأدوار التي يمكن تقديمها من أجل صد العدوان القائم لطمس الهوية ومحاولة استعادة الهوية المضيعة ؛ فنحن - كما يقول الشيخ محمد بن إسماعيل : لا نبتدع هوية مفقودة ، ولكننا نريد استعادة الوعي بالهوية الموجودة التي صارت كأنها صفحة مكتوبة تراكمت عليها طبقات الأتربة ، حتى صارت غير مقروءة ؛ لأن أحدًا لم يحاول قراءتها منذ زمن ، فالواجب هو إزالة هذه الأتربة ، واستحضار واجترار وإحياء الأفكار والقيم التي يطلب الوعي بها من وراء حائط النسيان ، وهذا الهدف لا يتم إلا بعد تحديد الوسائل ، وتوظيف الطاقات المتاحة (٢) . مما يستلزم كما ذكرنا في الباب السابق بناء الذات على أسس صحيحة من الكتاب والسنة بفهم صحيح يتجاوز كل المعوقات .. ونسأل الله تعالى أن يوفق الأمة لذلك .

ومن أهم الوسائل لتحقيق ذلك - كما يقول الشيخ محمد بن إسماعيل : تدعيم دور الإعلام الإسلامي بكافة أشكاله ليؤدي دوره في :

---

(١) انظر تقديمه لكتاب (الإسلام وصراع الحضارات) ص ٤١ ، ٤٢ ، وما ذكره الشيخ حفظه الله من إحصائيات القنوات كان منذ عشر سنوات ، فأما اليوم فقد تضاعفت .

(٢) انظر ندوة (هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق) - الحلقة الثالثة - إعداد وائل عبد الغني - مجلة البيان عدد (١٣٠) ص ٤٢ - جمادى الأخرة ١٤١٩ هـ - أكتوبر ١٩٩٨ م .

١- إحياء حركة تجديد الدين بالمفهوم السلفي الواضح ، لنعود إلى منابع الإسلام الصافية متمثلة في (منهاج النبوة) ، بعيدًا عن مخلفات القرون .

٢- الدعوة إلى حتمية الحل الإسلامي لمعضلات واقعنا الأليم ، وتحرير الهوية من كل مظاهر الخَوَر والتبعية ، والقضاء على العقبات التي تحول دون تطبيق الإسلام كمنهج شامل للحياة .

٣- التصدي لمحاولات تذويب الهوية الإسلامية ، وقطع صلة الأمة بدينها ، والتي تجري اليوم على قدم وساق من خلال تخريب مناهج التعليم ، وتشويه التاريخ الإسلامي ، وإضعاف اللغة العربية ، ومزاحمة القيم الإسلامية بقيم غربية ، وغير ذلك من أنشطة (التبشير) العلماني والغزو الفكري ، وتسميم الآبار الإسلامية ، أو ما يُطِلق عليه الذين لا خلاق لهم عبارة : (تجفيف المنابع) بلا مواربة [1] . واللّه نسأل أن يصلح من في صلاحه صلاح أمة محمد ، وأن يهلك من في هلاكه صلاح أمة محمد . آمين .

* * *

(١) المصدر السابق .

الباب الخامس

(ثقافة الحوار وثمراته)

الفصل الأول :

وسائل بناء ثقافة الحوار

- تعريف الثقافة
- ثقافة الحوار
- وسائل بناء الجانب النظري لثقافة الحوار
- وسائل بناء الجانب العملي لثقافة الحوار

تعريف الثقافة :

الثقافة في اللغة من ثقف بضم القاف وكسرها ، يقال : ثقُف الرجل يثقُفُ ثقافةً وثُقوفةً ، فهو ثَقُفٌ وثقيف ؛ وثقِف يثقِفُ ثَقَفًا ، فهو ثَقِفٌ ؛ فثَقِفٌ وثَقُفٌ حاذِقٌ فَهِم ؛ قال ابن السكيت : رجل ثَقْفٌ لَقْفٌ إذا كان ضابطًا لما يَحْويه قائمًا به ، ويقال : ثَقِفَ الشيءَ وهو سُرعةُ التعلم ، قال ابن دريد : ثَقِفْتُ الشيءَ حَذَقْتُه ، وثَقِفْتُه إذا ظَفِرْتَ به ، قال الله تعالى : ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ﴾ [الأنفال : ٥٧] ، وثَقُفَ الرجلُ ثَقافةً ، أي : صار حاذِقًا خفيفًا ، مثل ضَخُم فهو ضَخْمٌ ؛ وثَقِفَ أَيضًا ثَقَفًا مثل تَعِبَ تَعَبًا ، أَي : صار حاذِقًا فَطِنًا ، فهو ثَقِفٌ وثَقُفٌ مثل حَذِرٍ وحَذُرٍ . وفي حديث الهجرة : « يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ »[1] ، أَي : ذو فِطْنةٍ وذَكاء ، والمراد أَنه ثابت المعرفة بما يُحتاجُ إليه . وقال الزمخشري في (أساس البلاغة) : ومن المجاز : أَدَّبَهُ وثَقَّفَهُ ؛ ولولا تثقيفك وتوقيفك لما كنت شيئًا ، وهل تهذبت وتثقفت إلاّ على يدك ؟ .ا.هـ[2] . وفي الوسيط : الثقافة : العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها[3] .

أما التعريف الاصطلاحي فالثقافة مصطلح حديث شاع استخدامه ، وهو كشأن المصطلحات الحديثة لا ينضبط بحد جامع مانع حتى يتصور المراد منه تصورا حقيقيا ؛ فالحكم على الشيء فرع عن تصوره ؛ ولذا فقد تعددت الأقوال في تعريف الثقافة حتى زادت على المائة والخمسين .

لكنا يمكن من خلال التعريف اللغوي السابق أن نقول : إذا كان المراد بالثقف : أَنه ثابت المعرفة بما يُحتاجُ إليه ؛ فالثقافة هي : **الحذق المعرفي لما يُحتاج في ممارسة الحياة** ؛ وهي تتناول مجموع ما يحتاج إليه المرء في حياته من العلوم والفنون التي يكون حاذقا فيها ليمارس الحياة على نحو جيد .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٦) .

(٢) انظر لسان العرب باب الفاء فصل الثاء ؛ وأساس الزمخشري ، والنهاية في غريب الحديث مادة (ث ق ف) .

(٣) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية ، دار المعارف ط ٣، مادة (ثقف) : ١ / ١٠٢.

فبالنسبة للفرد يطلق اللفظ على درجة التقدم العقلي التي انتهى إليها ، والتي بالطبع تظهر في ممارسته للحياة ، بصرف النظر عن مستويات الدراسة التي حصل عليها ؛ ويعرفه د محمد عبد اللّٰه الشباني بقوله : يُقصد بالمفهوم الاصطلاحي للثقافة : وجهة نظر كل فرد من حيث السلوك والعلاقات الاجتماعية ، واتجاهه الفكري وسلوكياته ، وما يتضمنه ذلك من واجبات ، وما يرتبط بذلك من محددات للذوق والأخلاق ، وما يقدسه وما يظهره من ولاء ، فكل ذلك يشكل ثقافة المجتمع[١] .

وبالنسبة للجماعة : فهي مجموعة العقائد والأعراف والعلوم والنظم الاجتماعية والفنون والسلوك الديني والسياسي منظورًا إليها كمجموع كلي تتميز به جماعة أو أمة أو سلالة عرقية عن غيرها .

ويعرفه البعض[٢] بـ : أسلوب الحياة السائد في مجتمع من المجتمعات .

وأما المفهوم الأنثروبيولوجي للثقافة فعام ؛ ويشمل كل ما أضافه الإنسان إلى الطبيعة ، ومجموع طرائق التفكير والممارسة وأسلوب الحياة والتعبير عن الكرامة الإنسانية[٣] .

وتنطوي الثقافة على اكتساب زاد ضخم من الاعتقاد والمعرفة ، وعلى منظومة من القيم ، ووسائل اتصال (اللغة ، المطالعات ، الكتابات) وأدوات عمل معينة ، وأفكار وأعمال مصاحبة ، ويمكن لكل هذا أن يكتمل ويرتقى بتربية متخصصة تدريجيا ، وتدريب يسمح باكتساب الخبرة والممارسة .

فالثقافة - كما يقول د محمد عبد اللّٰه الشباني : تحدد نسق الحياة من خلال خصائصها المتمثلة في اشتراك جميع أفراد الأمة بالخضوع لها في سلوكياتهم ، وبالتالي فإن لها دورًا في وضع معايير منتظمة وطبعية كقواعد مشتركة للسلوك والنظام الاجتماعي

---

(١) انظر مقال (الثقافة والذوبان) د . محمد عبد اللّٰه الشباني - مجلة البيان العدد ٧١ ص ٢٨ - رجب ١٤١٤ - ديسمبر ١٩٩٣.

(٢) نقلا عن (نحو ثقافة إسلامية أصيلة) د عمر الأشقر - مكتبة الفلاح - الكويت ، ص ٢١، وعزاه للموسوعة العربية الميسرة للدكتور شفيق غبريال ورفاقه ص ٣٩، وكتاب الثقافة والتربية في العصور القديمة للدكتور وهيب إبراهيم - دار المعارف - مصر .

(٣) انظر (نحو ثقافة إسلامية أصيلة) د عمر الأشقر ص ١٧، ١٨.

القائم، على القواعد الأخلاقية .

وقد يتساءل القارئ ما هو دور الثقافة في تحديد سلوكيات وأنماط أفراد الأمة؟ والحقيقة أن دورها يتمثل في تزويدهم بالأمور التالية :

١- تهيئة أساس التفكير والشعور .

٢- تزويدهم بالتفسيرات المقنعة عن أصل الإنسان، وطبيعة العالم، ودور الإنسان في الحياة .

٣- تزويدهم بمعاني الأشياء والأحداث، وبالتالي تحديد المفاهيم الأساسية وتحديد ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي، ومنطقي وغير منطقي وعادي وشاذ، وأخلاقي وغير أخلاقي، وجميل وقبيح، وخير وشر ... فالثقافة تعطي معنى للحياة، وهدفًا للوجود .

٤- بناء الشعور لدى الأفراد بالانتماء إلى الأمة[1] .

و لا نعلم ثقافة أثرت في مجتمعات الناس تأثيرًا خيريًا مثل الثقافة الإسلامية، ويكاد المراقبون ينظرون إلى الثقافة الإسلامية اليوم على أنها أقدم الثقافات الموجودة في عالم اليوم دون تغيرات حادة في مفاهيمها الأولى؛ ويرجع هذا إلى سمو التعاليم الإسلامية التي تستمد وجودها من الخالق (جل جلاله) من خلال تشريع لم يقتصر على العبادات وحدها، وإنما تكفل بتوجيه السلوك الإنساني في المعاملات والعادات ونمط الحياة اليومية على مستوى الفرد والمجتمع والدولة والأمة على نحو لم يشهد العالمون مثله؛ إنها ثقافة تختص بأنها ربانية المصدر، كما تختص بشمولية المنهج للحياة، وعمومية التطبيق في الزمان والمكان .

* * *

(١) انظر مقال (الثقافة والذوبان) د . محمد عبد الله الشباني - مجلة البيان العدد ٧١ ص ٢٨ - رجب ١٤١٤ - ديسمبر ١٩٩٣.

ثقافة الحوار

على ضوء ما قدمنا من تعريف يمكن أن نقول : المراد بثقافة الحوار : **مجموع ما يحتاج حذقه المحاور من المعارف والفنون والآداب التي تؤهله لممارسة الحوار بحسب الحال وما يقتضيه الحوار .**

وقولنا (**بحسب الحال**) قيد لابد منه ؛ فإذا قلنا : إن الحوار ينقسم إلى قسمين : عام وخاص ؛ فالأول يشترك فيه الناس جميعا ، وهو ما يدور عليه أمر الحياة عموما من معاملات وبيوع وزيارات ومجالس .. وغير ذلك من شئون الحياة ، ولا يخلو كل ذلك من حوار ؛ فهذا حوار عام .

وأما الحوار الخاص ؛ فهو ما يقوم به أهل الاختصاص كلٌ في اختصاصه ؛ كالحوارات العلمية الدينية (المناظرات) ، والحوارات اللغوية ، والحوارات الطبية والهندسية ؛ والحوار بين الأديان ، والحوار بين الثقافات (الحضارات) ... الخ .

فالعامي يحاور في الأمور التي تختص به بحسب حاله وما يقتضيه الحوار ، وهو يملك من المعارف والفنون التي يمكن أن يمارس بها هذا الحوار بقدر يصل به لحاجته ، وإن تفاوت الناس في ذلك .

وكذلك كل صاحب اختصاص يحاور أيضا في محور اختصاصه بحسب حاله وما يقتضيه الحوار ، وهو يملك من العلوم والمعارف ما يستطيع به أن يصل إلى ما يريده من الحوار .

وفي كل حال من أحوال الحوار العام والخاص نسب متفاوتة ترجع أساسا إلى درجة حذق المحاور في المعارف والعلوم التي يحتاجها لإنهاء الحوار على وجه يريده .

ولو ضربنا مثالا بالمساومة على شراء سلعة من السلع ؛ وهو نوع حوار يجري بين الناس جميعا ؛ ويشترك الناس فيما يحتاجونه من معرفة بالسلعة وأحوال السوق ، بل وحال البائع الذي يريد أن يربح بقدر أعلى ، وحال المشتري الذي يريد أن يأخذها بأقل ما يمكن ، وهكذا نجد الناس يتفاوتون في حذق إجراء المساومة ، ونجد محصلة النتيجة

النهائية لبيع سلعة واحدة أثمانا متفاوتة .

في حين إذا كان الحوار قد خصص في علم من العلوم ، فهنا يكون الأمر أضبط ، لأن كل علم له ضوابط متفق عليها بين أهله .

لكن الذي يجب أن يراعيه الناس في حواراتهم العامة : آداب الحوار .. فإننا نجد كثيرا من هذه الحوارات قد تنقلب إلى مشادات ومسابات ومشاجرات ، لقلة ثقافة المتحاورين بآداب الحوار ؛ ولجهلهم بأن الشيطان يتربص بابن آدم ، وأنه يستغل كل زلة وخطأ ليوقع بينهم ؛ ففي صحيح مسلم عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ** »[1] . وقال الله تعالى : ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] .

إذًا فلبناء ثقافة الحوار العام ينبغي التركيز على آداب الحوار بصفة عامة ، والآداب التي تختص بمعاملةٍ ما بصفة خاصة ؛ ويمكن ذلك عن طريق : خطبة الجمعة ، المحاضرات الدينية والثقافية ، الندوات العامة ، وبرامج إذاعية وتلفزيونية ، ومقالات صحفية ، وكتيبات ، ومطويات ؛ بالإضافة إلى النصح العام الذي هو واجب على كل مسلم فيما يعلمه وبقدر طاقته ؛ ففي صحيح مسلم عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ** » قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : « **لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** »[2] .

منهجية بناء ثقافة الحوار :

هذا الذي ذكرناه إنما هو في سياق البناء العام ، أما فيما يختص بالبناء لثقافة الحوار وتفعيلها منهجيا ، فلابد من دراسة لجوانب الموضوع جيدا ثم الاتفاق على خطة توضع موضع التنفيذ ويشارك فيها جميع الجهات المعنية بالأمر ، ولبيان ذلك أقول - وبالله التوفيق :

---

(١) مسلم (٢٨١٢) .

(٢) مسلم (٥٥) .

لثقافة الحوار جانبان : نظري معرفي ، وعملي تطبيقي .

وهذا يعني القدرة على تحويل المعطيات المعرفية إلى سلوك مناسب ، فالثقافة سلوك وتطبيق للذاكرة المعرفية ، وليست ذاكرة فقط ؛ وإن شئت قل : هي الذاكرة المفَعَّلة باتجاه السلوك والتطبيق ؛ فحينما يقدر من تعلم آدابا معينة أن يحولها إلى سلوك فعلي يتحلى بها في حياته ، فيمكن أن يقال عنه ثَقِفٌ ، ولو أنه أبقاها في سجل الذاكرة على أنها معارف مكتسبة ، فلا يمنح صفة الثقف (المثقف) .

أما الجانب (**المعرفي**) فيتعلق بالعلوم والمعارف التي يجب أن يتقنها المحاور ليكون ذا أهلية للحوار ، مع دراسة ما يتعلق بالحوار من حيث منهجيته (مقوماته وشروطه وآدابه وعوائقه) ، ومشروعيته ، وأقسامه ، وفوائده ، وكيفية إجراء الحوار حسب التخصص المراد .

وأما الجانب التطبيقي ، فهو تحويل هذه المعارف إلى تطبيق جيد عند الحوار ، سواء أكان الحوار عامًا أو خاصًا .

من هنا يمكِن القول : إنه لبناء ثقافة الحوار لابد من الاهتمام بالجانبين (المعرفة والتطبيق) وفق خطة عملية يوضح فيها : المنهج ، ومراحله ، وزمنه ، والمشاركين فيه .

وهنا نقول : إن البدء ببناء هذه الثقافة يكون في البيت بين الوالدين والأبناء من سن الإدراك والتعلم ، وهي تبدأ بالجانب التطبيقي ، فيتعلم الطفل كيف يحاور الصغير ، والأدب مع محاورة الكبير ، ويلقن طرق الحوار مع القرابة ومع غير القرابات ؛ مع مراعاة أن الطفل مع التلقين يحاكي الكبير ، فليكن الكبير أيضا على أدب في محاوراته ، لتكون هذه بذرة البناء الصحيح لثقافة الحوار .

بناء الجانب النظري من ثقافة الحوار :

لبناء الجانب النظري من ثقافة الحوار لابد من إدخال (علم الحوار) في المناهج الدراسية لتعليم الأجيال ؛ مع مراعاة المرحلة العمرية والقدرة الإدراكية ، فإن الطفل في سني الإدراك ، و التي تبدأ غالبا من سن السابعة ، يمكن أن يفهم الحوار القصصي وما يتعلق به من شروح .

ثم مع نمو الطفل عقليا تزاد له الجرعة مع مراعاة نموه العقلي وهكذا .

١ - فإذا قلنا : إن **المرحلة الابتدائية** يدخلها الطفل من سن السادسة ، وغالب التلاميذ يمكنهم القراءة في سن السابعة أو الثامنة ، فيمكن تدريس موضوع قصصي عن الحوار في مراحل التعليم الأولى من الصف الثالث الابتدائي ، بمنهجية تتناسب مع عقلية المرحلة واستيعاب طلابها ؛ فمثلا (حوار إبراهيم مع أبيه) ، وتوضع محاور مناسبة للقصة لفهم قضية الحوار . وهكذا في الصف الرابع مثلا (حوار نوح مع قومه) ، وهكذا في الصف الخامس مثلا (حوار الملك والغلام) في قصة أصحاب الأخدود ، وأما في الصف السادس فيبدأ تلقين التلميذ آداب الحوار ، مع طلب كتابة موضوع إنشائي عن الحوار مثلا . هذا بجانب ما يمكن أن يتعلمه من حوار أستاذه معه ومع غيره من التلاميذ ، أو ما قد يشاهده أيضا مما يقع من حوارات بين الأساتذة .

٢ - ثم في **المرحلة الإعدادية** ، يتطور المنهج بالحديث عن شروط الحوار ومقوماته وعوائقه ، في موضوعات ثلاثة لصفوف المراحل الإعدادية (الصف الأول : الشروط - والصف الثاني : المقومات - والصف الثالث : العوائق) بأسلوب يناسب المرحلة .

٣ - ثم **في المرحلة الثانوية** يتم وضع منهج متقدم لتدريس (أصول أو قواعد الحوار) كعلم قائم بذاته في الصف الأول من المرحلة الثانوية .

ووضع منهج (منهجية الحوار : مقوماته - شروطه - آدابه - عوائقه) متابعة للمنهج - للصف الثاني الثانوي .

ووضع منهج (كيفية الحوار مع الذات والآخر) كتتمة للمنهج - للصف الثالث الثانوي .

٤ - **أما المرحلة الجامعية** فيوضع منهج (ثقافة الحوار) ؛ ويراعى فيه الشمولية والتأصيل والأمثلة والنتائج ؛ مع عقد ندوات حوارية للطلبة يحدد لها موضوعاتها ومحاورها في وجود الأستاذ وبعض الجمهور من الطلبة ليكون طريقة عملية يسجل فيها الإيجابيات والسلبيات ، ويُناقش المشتركون لتُنمى الإيجابيات وتُتلافى السلبيات .

٥ - **الدعوة لعمل (معهد الحوار)** لتخريج محاورين يمثلون الإسلام تمثيلا

صحيحًا ، فيدرس فيه العلوم الشرعية جميعها ، بجانب العلوم والمعارف الأخرى التي تعين في قضية الحوار كاللغات لإتقان لغة الآخر ، والتاريخ لفهم الآخر فهما صحيحا ، فقد اهتم علماء الاجتماع بدراسة تاريخ ثقافات الشعوب المختلفة من باب أن معرفة الماضي تساعد على فهم الحاضر . كما تدرس فيه المذاهب والأديان المعاصرة ، ويجعل فيه تخصصات للدراسة المعمقة لتلك المذاهب والأديان ، ومواطن القوة والضعف فيها ، ويشارك الطلاب في عمل موضوعات الحوار ومحاورها .

كما يؤصل في هذا المعهد للحوار عمليًا فيمارس فيه الطلبة المناظرات فيما بينهم في وجود أساتذتهم ؛ وتعقد أيضا المناظرات بين الأساتذة والطلبة أيضا لاكتساب خبرة الممارسة ، كما تعقد حوارات بالاشتراك مع الكليات المناظرة في الجامعات المحلية والخارجية .

ويمكن بهؤلاء الخريجين أن يُشكَّل فريق لتمثيل الإسلام في الندوات المعنية بالحوار ، كما ويقوم هؤلاء أيضا بعمل ندوات لتفعيل ثقافة الحوار .

بهذا يمكن أن تبنى ثقافة الحوار بمنهجية ، وإن كانت تستغرق وقتا ، لكنها أبلغ في التأثير ، و آكد في النتيجة .

بناء الجانب العملي من ثقافة الحوار :

أما الشق العملي للحوار ، فهو ممارسة الحوار عمليا مع الالتزام بالشروط والآداب المتعلقة به ؛ وهو يسير جنبا إلى جنب مع الشق النظري ، بل لعل هذا الجانب أسبق كما قدمنا من أن الطفل يتلقن في بيته مع أوائل عمره الحوار العملي ، ولكن هذا يكون في الأمور المعاشة ، ثم تزيد مع الأيام والدراسة والتطبيق ثقافة الإنسان الحوارية .

وللجانب العملي للحوار **قنوات مباشرة وغير مباشرة** ؛ والمباشر منها هو **اللقاء وجهًا لوجه** ، وهو من أساليب الحوار الأكثر نفعًا ، والأبلغ أثرا ، لما في المواجهة من حرارة الندية والاستفادة الآنية . وهو قد يكون هادئًا عقلانيًا وبذلك يمكن التوصل إلى معرفة الحقيقة من خلاله ، وقد يكون حادًا أو انفعاليًا بحيث ينقلب إلى ملاسنة ، وبذلك يخرج عن معنى الحوار الجاد والهادف .

وبناء هذا الجانب بالمتابعة الحثيثة والتنبيه على التجاوزات وإرجاع المحاور المتجاوز إلى جادة الحوار ، وعند تكرار اللقاء يراعى التجاوزات السابقة ، ومع تعدد اللقاءات فسيكون تقدم وبناء بإذن اللَّه تعالى .

ومن القنوات المباشرة (**الندوات**) وهي التي يحاور فيها الجمهورُ متحدثًا واحدًا أو أكثر ؛ وفائدة الندوات الحوارية أنّها تقيم جسرًا بين المتحدثين وبين المشاركين ، فلا يكون كلام المحاضر أو المتحدث في الندوة نهائيًا ، وإنما هو يطرح رأيه والجمهور يطرحون آراءهم ، أي أن هناك دورًا مهمًا للمداخلات والأسئلة ، مما يضفي على الموضوع محور الندوة إثراء لبعض الأفكار ، أو إعادة نظر في البعض الآخر .

ومن قنوات الحوار (**غرف الدردشة**) عبر الشبكة العنكبوتية (الانترنيت) والتي يدور فيها الحوار بين اثنين أو أكثر حول موضوع يتطارحونه ، ويبدي كل منهما وجهة نظره ، ويدافع عنها بما يشاء في حدود أدب الحوار المتعارف ؛ والإنترنت من الوسائل العصرية والتي باتت لا يمكن تجاهلها ، بل يمكن استخدام الإنترنت في مجال الدعوة إلى اللَّه ﷻ ، والمشارك فيها لابد أن يكون على قدر من العلم الشرعي ، وعنده قدرة على الحوار والإقناع ، ومجالاته لا بأس بها في الكتابات المطولة والحوارات الجادة .

وهذا اللون من الحوار **مباشر وغير مباشر** في ذات الوقت ؛ فهو مباشر لأنه يجري في نفس اللحظة ، لكنه غير مباشر لأنه لا يجري في نفس المكان ، وإن كان الجامع المشترك هو غرفة الدردشة ؛ ومن فوائده أنه يتيح تقريب المسافات وإجراء الحوار مع أشخاص من مختلف أنحاء العالم ؛ ويمكن الإفادة منه في تفعيل ثقافة الحوار مع الغير (الآخر) ، والدعوة إلى اللَّه تعالى .

وأمّا **الطرق غير المباشرة** للحوار فهي النصوص المكتوبة ، كما في كتب المناظرات أو المراجعات أو الردود أو التعليقات في الحواشي ، والفائدة منها أنها توسع دائرة الإفادة حينما تطرح بين يدي جمهور القرّاء ؛ ويدخل في ذلك الرسائل الشخصية أو الإخوانية التي تناقش موضوعًا ما في إطار هذا اللون من الحوار ، خاصة رسائل العتاب والنقد

والمكاشفة . وهذه أيضا لها دور فعال في بناء ثقافة الحوار .

ويفيد في بناء الشق التطبيقي لثقافة الحوار أيضا :

١ - **قيام العلماء والخطباء بتناول موضوع الحوار في دروسهم وخطبهم** والتركيز عليه كلما حانت الفرصة في أي موضوع كان ، مع التركيز على الدروس المستفادة من حسن تطبيق الحوار .

٢ - **تفعيل الحوار بين الوالدين والأبناء** ؛ ويمكن للآباء أن يطرحوا موضوعا للحوار ويحددوا له زمنا ومحاور ، ويتم النقاش فيه عبر المحاور الموضوعة ؛ كما أن أحداث الساعة يمكن أن تكون موضوعات ثرة لبناء ثقافة الحوار .

٣ - **تفعيل الحوار بين الزوجين** ؛ وهذه مشكلة مؤرقة في حياة كثير من الناس ، فقد يحسن الزوج الحوار مع الناس ، لكنه لا يحسن الحوار مع زوجه ، وقد يكون العكس .. لذا فإن تفعيل الحوار بين الزوجين فضلا عن أنه مطلوب حياتيا ففيه أيضا بناء لثقافة الحوار العملية .

٤ - **تفعيل الحوار بين الأستاذ والتلميذ في مراحل التعليم المختلفة** ؛ وهذا أمر مهم في العملية التعليمية التربوية ، إذ مدار شرح الدرس بالحوار له الأثر البالغ في استيعاب الطالب أكثر مما إذا اتخذ الأستاذ مبدأ الإلقاء فقط .

٥ - **تفعيل الحوار العام بعمل ندوات** ؛ وهذا كما تقدم من شأنه أن ينمي ثقافة الحوار ، إذ مجاوبة ومراجعة الكلام بين المتحدث والجمهور - بلا شك - يساهم في بناء ثقافة الحوار .

٦ - **تفعيل المحاورة الشفوية مع المخالف بضوابطها وشروطها** ؛ سواء مع الذات أو مع الآخر .

٧ - **تفعيل الحوار الكتابي** بالرد على المخالف مع التزام الأدب .

٨ - **تفعيل الحوار الشعري الهادف** ؛ فالشعر قسيم النثر في اللغة ، وهو له وقع في النفوس لأنه يسهل حفظه وتناوله عن النثر ، وهناك محاورات شعرية كثيرة حفلت بها كتب الأدب ، بل هناك مساجلات شعرية علمية .

٩ - **المشاركة في قنوات الحوار المفتوحة عبر الشبكة العنكبوتية بضوابطه وآدابه .**

١٠ - **تفعيل الحوار الإعلامي الهادف** كتابة ومشافهة ؛ من خلال وسائل الإعلام بأنواعها .

١١ - **عقد برامج إعلامية لبسط قضية الحوار لمن لم يتسنَّ له دراستها .**

١٢ - **عمل ندوات حوارية منهجية لموضوعات تهم المجتمع** يدعى لها من أهل العلم ما يكون معه نجاح الحوار متوقعا بإذن اللّٰه تعالى .

وصفوة القول أن الحوار ضرورة حياتية وليست حاجة عصرية كما يظن البعض ؛ فلقد اتضح أن الحوار انطلق منذ فجر البشرية ، ولا نحسب أن أحدا يمكنه الاستغناء عن الحوار ؛ ولذلك فينبغي على من لا يستغني عن الحوار أن ينمي ثقافة الحوار عنده فيما يحتاجه ، وأن يشارك في هذا البناء العام لحاجة الأمة له .

كما يجب على الحكومات الإسلامية السعي في بناء ثقافة الحوار وتشجيعها ، فإنه مما يجب على الحكومة في الإسلام الاهتمام بشأن الدعوة وما يتعلق بها ؛ والحوار لنشر الدعوة الإسلامية من الواجبات الكفائية ؛ وإذا كان ذلك كذلك فيجب على الحكومة أن تهتم به وتنشئ له الدور التي يحتاجها ، وتهيئ له الأجواء المناسبة ، وتختار له أكفأ العناصر ليؤتي ثماره .

وأرى أن تشكل لجنة من أهل الاختصاص الأكفاء لدراسة هذا الأمر ، ووضع الخطة المناسبة لبناء ثقافة الحوار بناءً صحيحًا ؛ واللّٰه الموفق والمستعان .

* * *

الفصل الثاني

من ثمرات الحوار

- تمهيد
- المبحث الأول : من ثمرات الحوار في الدعوة
- المبحث الثاني : من ثمرات الحوار في التربية
- المبحث الثالث : من ثمرات الحوار في الثقافة
- المبحث الرابع : من ثمرات الحوار في الإعلام

تمهيد :

الثمرة هي النتيجة النهائية لمحصلة الجهد الفكري والبدني وديمومة المتابعة لشيء ما ؛ ولا شك أن الحوار من هذه الأشياء الذي يحتاج إلى الجهد الفكري والبدني وديمومة المتابعة ؛ فإن وُجدت هذه الأمور في حوار فإنها - بإذن اللّٰه تعالى - تنتج ثمارا يانعة مختلفة الألوان تسر الناظرين .

والدعوة والتربية والثقافة ألفاظ متداخلة المعاني ، أغصانها متشابكة ؛ فالدعوة تحمل في طياتها تربية ؛ والتربية تنطوي على الدعوة ، وهما يشتركان في تكوين ثقافة المدعوين محل التربية .

إذا اتضح هذا عُلم أن ثمرات الحوار التي سنذكرها - إن شاء اللّٰه تعالى- في الدعوة والتربية والثقافة متداخلة ، ولكنا سنذكر في كلٍّ ما يكون أكثر مناسبة له .

وأما الإعلام فهو وسيلة لنشر دعوة ما وثقافة ما وفكر ما ؛ ومهمته محاولة التأثير في المجتمع لتبني هذا الفكر وتلك الثقافة ؛ مما يجعله ذا أهمية كبيرة في حياة الناس ، لا سيما بعد أن تطورت أساليبه ووسائله في عصرنا الحاضر ، وبات يشكل أخطر أنواع الصراع الفكري بين الحق والباطل ؛ خاصة وقد سيطر على أغلبه حملة الفكر العلماني التغريبي .

وسنحاول في هذا الباب أن نعرض لأثر الحوار في هذه الأربعة سائلين اللّٰه العون والتسديد .

* * *

المبحث الأول :
من ثمرات الحوار في الدعوة

الدعوة في اللغة لها معان ؛ والذي نريده من إطلاقها في مبحثنا هذا : الطلب والحث على فعل الشيء ؛ فالمُؤَذِّنُ داعي اللَّه ، فهو يطلب الناس ويحثهم على الصلاة للَّه ؛ والنبيّ ﷺ داعي الأُمَّةِ إلى توحيدِ اللَّه وطاعتهِ ، فقوله تعالى : ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب : ٤٦] ، معناه داعيًا إلى توحيد اللَّه وما يُقَرِّبُ منه ؛ والدُّعاةُ قومٌ يَدْعُونَ إلى بيعة هُدىً أَو ضلالة ، واحدُهم داعٍ ؛ ورجل داعِيةٌ إذا كان يَدْعُو الناس إلى دينٍ أَو بِدْعة ، أُدْخِلَت التاءُ فيه للمبالغة[1] . والدعوة في القرآن تأتي لمعنيين : الأول : تبليغ الإسلام للناس : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ ؛ والثاني : كلمة التوحيد ، أو الإسلام : ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد : ١٤] .

وأما في **الاصطلاح** ، فقد خلص د البيانوني إلى أن معنى الدعوة : مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه[2] .

والثمرة العظيمة المرجوة من الدعوة هي الإنسان الصالح المصلح ؛ فهو صالح في نفسه بتوحيده للَّه تعالى وامتثال أمره واجتناب نهيه ؛ ثم هو الذي يقوم بعد ذلك بدعوة غيره ومحاولة إصلاحه ، فيكون صالحا في نفسه مصلحا لغيره ، وبذلك يكون هذا الإنسان نافعا للبشرية بعد نفعه لنفسه ؛ هذا من جانب ، ومن جانب آخر تستمر دعوة الحق في امتدادها وتوارثها عبر الأجيال ؛ فيعيش الناس في ظلال من الخير وارفة وثمار يانعة .

وللوصول إلى هذه الثمرة لابد من اتباع ما أمر اللَّه تعالى به من أساليب روعي فيها اختلاف الناس في استقبالهم للحق والإذعان له : فمن الناس من يحتاج إلى أسلوب الحكمة ، ومنهم من تنفع معه الموعظة الحسنة ؛ ومنهم من دواؤه في المجادلة بالتي هي أحسن .

---

(١) انظر لسان العرب باب الواو فصل العين ، والمعجم الوسيط مادة (دعا) .

(٢) انظر (المدخل إلى علم الدعوة) ص ١٩.

فتقوم الدعوة إلى الله تعالى أساسًا على هذه الأساليب الثلاثة وهي الموجودة في قوله تعالى : ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وكل هذه الثلاثة تحتاج إلى الحوار ، إذ الحوار يدخل في الدعوة بالحكمة ، كما يدخل في الدعوة بالموعظة الحسنة ؛ وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو الحوار بشروطه وآدابه .

ومن هنا يمكن القول : إن القاعدة الأساس في الدعوة هي (الحوار) ، ولذلك فإن ثمرات الحوار في الدعوة كثيرة ومتعددة ؛ منها :

١ - إبراز حقيقة الإسلام وتميزه وبيان قيمه العظيمة

هذه أهم ثمرات الحوار على الإطلاق ، إذ المرء عدو ما يجهل ، فإذا ظهر له عظمة المنهج ، وحقائق الكون ، وحقيقة الحياة وما بعد الحياة ، كان ذلك دافعا للتفكر والتروي ، مما قد يؤدي إلى قبول الحق والإذعان له ؛ وما حاور الأنبياء والرسل أقوامهم إلا من أجل ذلك .

٢ - إزالة الغموض وإزاحة الشبهة

كم من حوار كان سببا في تصحيح مفهوم ، أو في إزالة شبهة ، أو في هداية إنسان إلى الحق ؛ والأمثلة على ذلك كثيرة يصعب إحصاؤها ؛ من ذلك ما رواه ابن إسحاق أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد ؛ فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر على بئر يقال لها بئر مرق ، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم - وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما وكلاهما مشرك - فلما سمعا بهما قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أن يأتيا دارنا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما ؛ فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما فلما رآه أسعد قال لمصعب : هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ؛ قال مصعب : إن يجلس أكلمه ،

قال : فوقف عليهما متشتما ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة ؛ فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا - فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ .. فعلماه ، وكذلك حدث مع سعد بن معاذ ..(١) فانظر كيف كان للحوار الأثر البالغ في إزالة الغموض الذي كان عند هذين الجليلين فلما حاورهما مصعب زال الغموض .. وأسلما .

ومن ذلك أيضا ما كان من مناظرة ابن عباس للخوارج ؛ فقد روى عبد الرزاق وغيره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار - على حدتهم - وهم ستة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب وأصحاب النبي ﷺ معه ، قال : جعل يأتيه الرجل فيقول : يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك ، قال : دعهم حتى يخرجوا فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون . فلما كان ذات يوم قلت لعلي : يا أمير المؤمنين : أبرد عن الصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم فأكلمهم ، قال : إني أتخوفهم عليك . قلت : كلا إن شاء الله تعالى وكنت حسن الخلق لا أوذي أحدًا . قال : فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية - وكان ابن عباس جميلًا جهيرًا - قال : ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة . قال : فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهادًا منهم ، أيديهم كأنها ثفن(٢) الإبل ، وجوههم معلمة من آثار السجود ، عليهم قمص مرحضة ، وجوههم مسهمة من السهر . قال : فدخلت . فقالوا : مرحبًا بك يا ابن عباس ! ما جاء بك ؟ وما هذه الحلة ، قال : قلت ما تعيبون علي ؟ لقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلل ، ونزلت : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ

---

(١) انظر القصة بتمامها في السيرة النبوية لابن هشام : ٢ / ٢٨٤، ٢٨٥، وتاريخ الطبري : ١ / ٥٦٠.

(٢) ثَفِن : مفردها (ثفنة) بكسر الفاء : وهي ما ولى الأرض من كل ذات أربع إذا بركت ، كالركبتين وغيرهما ، ويحصل فيه غلظ من آثار البروك ، وتجمع أيضًا على ثفنات (النهاية ١/٢١٥) .

لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ [الأعراف: ٣٢] ، قالوا : فما جاء بك ؟ قال : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ ومن عند صهر رسول اللَّه ﷺ ؛ عليهم نزل الوحي وهم أعلم بتأويله ، وليس فيكم منهم أحد ، فقال بعضهم : لا تخاصموا قريشًا فإن اللَّه تعالى يقول : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] ، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم . قال : قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول اللَّه ﷺ وختنه ، وأول من آمن به ، وأصحاب رسول اللَّه معه ؟ قالوا : ننقم عليه ثلاثًا . قال : وما هنّ ؟ قالوا : أولهن أنه حكّم الرجال في دين اللَّه ، وقد قال اللَّه : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠، ٦٧] ، فما شأن الرجال والحكم بعد قول اللَّه ﷻ ؟ قال : قلت وماذا ؟ قالوا : وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم ، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم ؟ ! قال : قلت وماذا ؟ قالوا : محا نفسه من أمير المؤمنين . فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ! قال : قلت : أعندكم سوى هذا ؟ قالوا : حسبنا هذا . قال : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب اللَّه المحكم ، وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تنكرون ، أترجعون ؟ قالوا : نعم .

قال : قلت أما قولكم : حكَّم الرجال في دين اللَّه ، فإن اللَّه تعالى يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾ إلى قوله : ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] ؛ وقال في المرأة وزوجها : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥] . أنشدكم اللَّه أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم ، وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم ، وفي بضع امرأة ؟ ! وأن تعلموا أن اللَّه لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال ؟ ! قالوا : اللهم في حقن دمائهم ، وإصلاح ذات بينهم . قال : أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم : قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أتسبون أمكم عائشة ؟ أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ ! فقد كفرتم ، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام ، إن اللَّه يقول : ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ [الأحزاب: ٦] ، فأنتم مترددون بين ضلالتين ، فاختاروا أيهما شئتم ؟ أخرجت من

هذه ؟ فنظر بعضهم إلى بعض ؛ قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين ، فأنا آتيكم بما ترضون ، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابًا ، فكاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان . فقال : اكتب يا علي هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال : والله إني لرسول الله حقًا وإن كذبتموني ، اكتب يا علي : محمد بن عبد الله ، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي رضي الله عنه وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه . أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم .. فرجع منهم ألفان ، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة[1] .

لقد أوتي الخوارج من قبل فهمهم السقيم لنصوص الشرع ، فإن أصل الضلال - كما يقول الشاطبي - رحمه الله : يرجع إلى الجهل بمقاصد الشريعة ، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت ، أو الأخذ فيها بالنظر الأول ، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم[2] . فلما حاورهم ابن عباس رضي الله عنهما لم يجدوا بدا من التسليم له ؛ ورجع إلى الحق منهم ألفان .

وكثير من حوارات كبار علماء الإسلام مع الفرق الضالة أزاحت اللثام عن شبههم ، وكشفت زيف أفكارهم ، وأحبطت حجج المتطرفين والمتعدين منهم .

٣ - التسليم للحق :

من ثمرات الحوار أن يسلِّم المحاوَر للحق ؛ ومن أوضح الأمثلة لهذه الثمرة ما رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٨٦٧٨) ومن طريقه الطبراني في الكبير : ١٠ / ٢٥٧ (١٠٥٩٨) وأبو نعيم في الحلية : ١/ ٣١٨، وأخرجه البيهقي في (السنن الكبرى ١٧٩/٨)، والحاكم في المستدرك : ٢/ ١٥٠: ١٥٢، وأخرج بعضه الإمام أحمد في المسند : ١ / ٣٤٢، ٥/ ٦٧ رقم ٣١٨٧، طبعة شاكر) وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، ورواه الضياء في المختارة : ١٠ / ٤١٣: ٤١٦؛ ونسبه الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٦ / ٢٤١، إلى أحمد والطبراني ، وقال : رجالهما رجال الصحيح ا.هـ .

(٢) الاعتصام للشاطبي : ٢ / ١٨٢.

لِي بِالزِّنَا ! فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا : مَهْ ، مَهْ ! فَقَالَ : « **ادْنُهْ** » فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا فَجَلَسَ ، قَالَ : « **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟** » قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : « **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ** » قَالَ : « **أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟** » قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : « **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ** » قَالَ : « **أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ** » قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : « **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ** » قَالَ : « **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟** » قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : « **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ** » قَالَ : « **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟** » قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : « **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ** » قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ** » فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[1] .

ما أروعه من حوار ؛ إنه الحوار الإقناعي الذي لا يجد المحاور معه إلا أن يسلم للحق .. وقد كان .

٤ - دمغ الباطل ودحضه :

الحوار بين الحق والباطل دائم ديمومة وجودهما ، وأهل الباطل دائمًا أهل تزوير واختلاق ، والحوار بالحق يظهر باطلهم ويدحضه ؛ وقد وضح ذلك في الحوارات التي حكاها القرآن الكريم عن رسل الله تعالى مع أقوامهم ؛ ومن أمثلة ذلك ما عابه الله ﷻ على بني إسرائيل من المحاجة بغير الحق ، فقال تعالى : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران : ٦٥: ٦٧] ، ذلك عندما تحاج كل من اليهود والنصارى عند رسول الله ﷺ ، فقالت يهود : ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا !

والأمثلة في كتاب الله تعالى كثيرة جدا ؛ وكذلك في سنة رسوله ﷺ فكل حواراته

---

(١) أحمد : ٥ / ٢٥٦، والطبراني في الكبير : ٨ / ١٦٢ (٧٦٧٩) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ١ / ١٢٩: رجاله رجال الصحيح . ا.هـ ، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٠) .

مع المشركين ومع أهل الكتاب قذف بالحق على الباطل كما قال الله تعالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ومن حوارات القذف بالحق على الباطل ما كان من حوار جعفر ابن أبي طالب مع النجاشي ردًا على ما جاء به عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من كيد ومكر ليردوا مهاجري الحبشة إلى قريش ؛ روى أحمد وابن خزيمة عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا ، وَعَبَدْنَا اللَّهَ لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ ؛ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا ، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً ، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ وَقَالُوا لَهُمَا : ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ ؛ قَالَتْ : فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ : إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُمَا : نَعَمْ ؛ ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا ، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ ؛ قَالَتْ : وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ - فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ : صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ : قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ ،

فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ ؛ فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ : لَا هَا اللَّهِ ايْمُ اللَّهِ إِذَنْ ، لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا ، وَلَا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ ؛ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا ، وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ ؛ وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي ؛ قَالَتْ : ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمَنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ ، فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ : مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ ؟ قَالَتْ : فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ : نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ .. فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ - فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ؛ فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا ، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا ، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ ؛ أَيُّهَا الْمَلِكُ . قَالَتْ : فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ : فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ ؛ فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كهيعص .. قَالَتْ : فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ : إِنَّ هَذَا

وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ ، انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أُكَادُ ؛ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : وَاللَّهِ لَأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ ! قَالَتْ : فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا : لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ . قَالَتْ : ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ ! قَالَتْ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ ، قَالَتْ : وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ ؟ قَالُوا : نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ ؛ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ : مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ ؛ قَالَتْ : فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ، ثُمَّ قَالَ : مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ ؛ فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ ، فَقَالَ : وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ ؛ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ الْآمِنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي ؛ فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ ؛ قَالَتْ : فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ ..(١) .

فانظر كيف كان تأثير الحوار بقذف الحق الذي مع صحابة رسول الله ﷺ على الباطل الذي جاء به عمرو بن العاص ؛ وكيف دمغه ودحضه ، وكيف كان وقع ذلك على جميع الحضور .

---

(١) أحمد : ١ / ٢٠١ : ٢٠٣ ، ٥ / ٢٩٠ : ٢٩٢ ، وابن خزيمة (٢٢٦٠) عن أم سلمة ؛ ورواه أحمد : ١ / ٤٦١ ، والحاكم ٢ / ٦٢٤ عن ابن مسعود بنحوه ؛ ورواه ابن أبي شيبة (٣٦٦٤٠) ، وعبد بن حميد (٥٥٠) ، وأبو نعيم في الحلية : ١ / ١١٤ عن أبي موسى .

٥ - الحد من غلواء التعصب

هذا من ثمرت الحوار النافعة ، فإن في الحوار تخفيفا لحدة التعصب الأعمى ، لا سيما إن كان المتحاوران قد تجردا للحق .

بل قد يغير المحاوَر - وإن كان كافرا - فهمه وإن أبى التسليم للحق لغرض في نفسه ؛ رأينا ذلك في ما حدث بين رسول اللّٰه ﷺ والْعَاقِبِ وَالسَّيِّدِ بعد الحوار فدعاهما النبي ﷺ إلى المباهلة ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : لَا تَفْعَلْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا ؛ قَالَا : إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا .. الحديث[١] . ورأيناه في كلام عتبة بن ربيعة بعد حواره مع رسول اللّٰه ﷺ ، ورجوعه إلى قريش ، قالوا له : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني واللّٰه قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط ، واللّٰه ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة ؛ يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي : خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، واعتزلوه ، فواللّٰه ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك واللّٰه يا أبا الوليد بلسانه فقال : هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم[٢] . والأمثلة في ذلك كثيرة أيضا .

٦ - إقامة الحجة على المخالف

هذا أيضا من ثمرات الحوار ، إذ الحوار عرض لآراء كل من المتحاورين وبيان كل لحجته ، والحق أبلج والباطل لجج ، ومهما كان مع الباطل من قوة فإن الحق يعلو ولا يعلى عليه ، وإذا أقيمت الحجة على المخالف بالبلاغ والبرهان لم يعد له عذر .

وإقامة الحجة على المخالف مهمة الرسل وأتباعهم ؛ قال اللّٰه تعالى : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] ؛ وقال هود ﷺ لقومه بعدما أقام عليهم الحجة ثم كذبوه فأخذهم العذاب : ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا

---

(١) متفق عليه من حديث حذيفة : البخاري (٤٣٨٠، ٤٣٨١) ، ومسلم (٢٤٢٠) .

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة : ٢ / ٢٠٤؛ وانظر سيرة ابن هشام : ١ / ٢٦١، ٢٦٢.

تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف : ٧٩] ، وقال شعيب ﷺ لقومه : ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف : ٩٣] .

٧ - قطع عذر المخالف بعد محاجته

هذا أيضا من ثمرات الحوار العظيمة وهو مما يترتب على إقامة الحجة ، ولعل أبرز الأمثلة لهذه الثمرة الحوار قبل القتال ، وقد تقدم دليله ؛ وكذلك الحوار مع المرتد ، فمن ارتد عن الإسلام يستتاب ثلاثة أيام ويحاور فيما عنده من شبهات طرأت عليه ، وتقام عليه الحجة وتوضح له المحجة ، فإن أبى إلا الكفر ، فقد قطع العذر وحل دمه بتطبيق حد اللّٰه تعالى فيه .

٨ - استبانة طريق المفسدين ليحذرها الناس

وهذا من أعظم ثمرات الحوار أيضا ، وقد قال اللّٰه تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام : ٥٥] ؛ فوضوح هذه السبيل للناس مهم جدا في اتباع الحق ، إذ عدم وضوحها وبيانها يجعل الأمر ملتبسا لا يدرى الحق من الباطل ، فيكون ذلك سببا في ضلال كثير من الناس ؛ ولذلك أرسل اللّٰه الرسل وأنزل الكتب ، وبين سبيل الحق ودعا إليها ، وأوضح سبيل الباطل وحذر منها ، وأمر رسله ببيان ذلك للناس ، فقال تعالى : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم : ١] ، وقال صالح ﷺ لقومه : ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء : ١٥١، ١٥٢] .

٩ - التعارف :

قال اللّٰه تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ (الحجرات : ١٣) ، وهذا التعارف إنما يتم عن طريق الحوار ، وهذه مسألة حياتية تكاد تكون يومية ، فقبل أن يبدأ الإنسان العمل مع أي شخص أو مؤسسة لا بد أن يكون فاتحة العهد بينهما (الحوار) ، فهو الذي يعرّف كلا منهما بالآخر ؛ ثم يترتب على هذا التعارف أمور دعوية إما عن طرق الحوار ، وإما عن طريق المعاملة والأخلاق .

المبحث الثاني :
من ثمرات الحوار في التربية

التربية في اللغة : مشتقةٌ من الفعل (رَبَب) ، والاسم (الرَّبُّ) ويُطْلَق في اللغة على المالكِ والسَّيِّدِ والمُدَبِّر والمُرَبِّي والقَيِّم والمُنْعِم ؛ قال الراغب : الرب في الأصل : التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام[(١)] . ورَبَّ ولَدَه والصَّبِيَّ يَرُبُّهُ رَبًّا ورَبَّبه تَرْبِيبًا وتَرِبَّةً ، بمعنى رَبَّاه ؛ وتَرَبَّبه وارْتَبَّه ورَبَّاه تَرْبِيَةً : أَحسَنَ القِيامَ عليه وَوَلِيَه حتى يُفارِقَ الطُّفُولِيَّةَ ، كان ابْنَه أَو لم يكن ؛ والسَّحَابُ يَرُبُّ المَطَر أَي يَجْمَعُه ويُنَمِّيهِ ؛ والرَّبِيبةُ الحاضِنةُ ؛ لأَنها تُصْلِحُ الشيءَ وتَقُوم به وتَجْمَعُه ، ورَبَّبها نَمَّاها وزادَها وأَتَمَّها وأَصْلَحَها[(٢)] .

والتربية في الاصطلاح الدعوي - كما يقول فريد الأنصاري : تعهد الفرد المسلم بالتكوين المنتظم بما يرقيه في مراتب التدين تصورا وممارسة[(٣)] .

وطريقة الإسلام في التربية - كما يقول الأستاذ محمد قطب : معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة ، لا تترك فيه شيئا ، ولا تغفل عن شيء : جسمه وعقله وروحه .. حياته المادية والمعنوية .. وكل نشاط على الأرض[(٤)] .

ومن أساليب التربية : التربية بالحوار ؛ وهو أسلوب يدخل في جل أنواع التربية ؛ فالتربية بالموعظة تحتاج إلى الحوار ، والتربية بالترغيب والترهيب يدخل فيها الحوار ، والتربية بالملاحظة تحتاج الحوار كذلك .. وهكذا ما من نوع في التربية يحتاج إلى كلام إلا كان للحوار فيه مدخل .

لذلك فثمرات الحوار في التربية كثيرة ومتعددة ، ومنها :

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن مادة (رب ب) .
(٢) انظر لسان العرب باب الباء فصل الراء ، والنهاية في غريب الحديث ومختار الصحاح مادة (ر ب ب) .
(٣) انظر (التوحيد والوساطة في التربية الدعوية) لفريد الأنصاري - كتاب الأمة (٤٧) .
(٤) منهج التربية الإسلامية : ١ / ١٩.

١- **بناء الشخصية** التي تعتمد على الثقة بالنفس واحترام الذات بعيدا عن الغرور والكبر والعجب ؛ وهذا من أخلاقيات المحاور ، وممارسة الحوار تكسبه رسوخًا لهذه الصفات التي تبني الشخصية ؛ وتنتقل هذه الصفات إلى من يتولى تربيته ، إذ الأبناء والتلاميذ يكتسبون من آبائهم وأساتذتهم هذه الأخلاقيات بالاقتداء ، وهذا أمر واضح ؛ كما أنهم بالحوار معهم يصقلون هذه الشخصية أيضًا .

٢ – **ترسيخ أخلاقيات التعامل المبنية على احترام الآخرين** ، وتقدير آرائهم والأدب في مناقشتهم ومحاورتهم ، وإعطاء كل ذي حق حقه .

٣ – **تربية العواطف المؤمنة** ؛ وقد اهتم الإسلام ببناء هذه العاطفة الخيرة التي تقبل الحق وتذعن له ، حتى إن تأثرت بظاهر أمر فإنها ترجع إلى الحق بمجرد أن تذكر به ؛ وللحوار دور كبير في تربية العواطف المؤمنة ، كما حدث لرسول الله ﷺ حين أعطى من غنائم هوازن وسباياها لمسلمة الفتح تأليفا لقلوبهم ، ولم يعط الأنصار منها شيئا ، فوجد الأنصار لذلك ، فحاورهم النبي ﷺ مخاطبا عاطفتهم المؤمنة ومربيا لها ؛ روى أحمد وابن أبي شيبة عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ : لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ ! فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ ؟ ! قَالَ : « **فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ** » قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي ، قَالَ : « **فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ** » – فلما جمعهم – أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ : « **يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ ؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟** » قَالُوا : بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ ؛ قَالَ : « **أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؟** » قَالُوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ ؟ ! قَالَ : « **أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ**

فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ : أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ؟ ! أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ؛ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ » قَالَ : فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا[1] .

٤ - **تنمية القدرات العقلية** ؛ وهذه الثمرة من أهم أهداف العملية التربوية ، وفي الحوار مجال عظيم لإعمال النظر والفكر مما يساعد على هذه التنمية ؛ وتنشئة الجيل على إعمال عقله والنظر في المعطيات والمقدمات والنتائج ، ومناقشة القضايا التي تتناسب مع قدراته العقلية والذهنية مع الترقية به في هذا الجانب ، له دور عظيم في تنمية القدرات العقلية .

٥ - **تربية الوعي على فهم الحقائق** ؛ فالحوار يطرح الرأي والرأي الآخر ، وقد يكونا متقاربين أو متباعدين ، أو متنافرين ، وفهم ذلك لا يكون اعتباطا إنما يكون بالبرهان والدليل ، وتربية الجيل من خلال هذا الطرح يربي فيه فهم الحقائق بإنصاف وتعقل وروية ، دونما تسرع وعجلة .

٦ - **تربية النفس على قبول النصح وإن كان نقدا** ؛ وهذا أمر مهم في بناء الشخصية السوية ، لأن الإنسان ليس معصوما ، ولا بد أن يدرك الإنسان أنه قد يرى ما ليس صوابًا صوابا ، فإذا ما نصح فيجب عليه أن يتقبل النصح ، ولا يحفل بذات من يوجه إليه النصح أو النقد ؛ ورحم اللَّه عمر قال : رحم اللَّه من أهدى إلي عيوبي . وفي الحوار مجال رحب لتربية هذه القابلية في النفس ؛ إذ بالحوار يطلع المحاور على جوانب من الموضوع لعله لو اطلع عليها قبل الحوار لتغير رأيه ، فعندما تظهر له أثناء الحوار يرجع إلى الحق ويقبل النصح .

---

(١) أحمد ٣ / ٧٦، وابن أبي شيبة (٣٦٩٩٧) .

٧ - **تربية النشء على إبداء رأيه من غير خوف** ؛ مما يربي فيه الشجاعة والجرأة في الحق مع الأدب ، ففي الصحيحين عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ : أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ هُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ ، وَالْأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ ؛ قَالَ : « **يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ الْأَشْيَاخَ ؟** » فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ[1] .

هذه ثمرات مهمة في الحوار ولعل الناظر في ثمرات الحوار التي ذكرناها في الدعوة يرى - أيضًا - أن ما ذكرناه من التسليم للحق والحد من غلواء التعصب من الثمار التربوية ؛ فلا شك أن لهما علاقة وثيقة بتربية الجيل على التسليم للحق إن ظهر دليله وعلى ألا يتعصب الإنسان تعصبا ممقوتا .

* * *

(١) البخاري (٢٣٦٦) ، ومسلم (٢٠٣٠) .

المبحث الثالث :

من ثمرات الحوار في الثقافة

تقدم تعريف الثقافة في الباب السابق ؛ ولا شك أن للحوار ثمرات في ثقافة المحاور ، بل وفي ثقافة مشاهدي المحاورة ؛ ولذا قد يسمي البعض الحوار بالمثاقفة ؛ ذلك لأن كلًّا من المتحاورين يظهر ثقافته فيطلع الآخر عليها ويستفيد كل منهما من الآخر .

وإذا كان الشق النظري للثقافة هو العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها ، فإن للحوار دورًا ضالعًا في هذا الحذق ؛ وإذا أضيف إلى ذلك استخدام هذه العلوم والمعارف في ممارسة الحياة على نحو جيد ، وهو الشق العملي للثقافة ، فللحوار أيضا شأن في تفعيل أخلاق التعامل واحترام الآخرين ، وهو جانب عظيم من الشق العملي للثقافة .

وعلى كل حال فللحوار ثمرات كثيرة أيضا في الثقافة ، ومنها :

١ - **بالحوار تعرف أطروحات الطرف الآخر ووجهات نظره وحججه في** القضايا التي هي موضوع الحوار ؛ مما يفيد في معرفة ثقافة الآخر والرد عليها .

٢ - **ومن ثمرات الحوار الثقافية تعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه** أو يلتبس عليه من المعلومات ووجهات النظر والبراهين في القضايا التي هي موضوع الحوار ، مما يجعله يقف على أبعاد القضية بمعرفة وواقعية أفضل مما كان عليه .

٣ - **العمل على استكشاف ما لدى الطرف الآخر من حقائق وإيجابيات** والاعتراف بها وقبولها والاستفادة منها طالما (أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها) ؛ ومن هذا الباب استفاد النبي ﷺ والمسلمون من طرح سلمان رضي الله عنه حفر الخندق للحيلولة دون وصول المشركين إلى المدينة ، ولم يكن هذا الأمر معروفا في ثقافة العرب .

٤ - **يساعد الحوار على التوقد الذهني وتنمية البديهة** ؛ وهي صفة ملازمة لأجواء التحدي الفكري والحوار المتبادل ، مما يكون له الأثر البالغ في الاستفادة الدائمة .

٥ - **اكتساب بعض المهارات** ؛ فبممارسة الحوار يمكن استفادة مهارة إدارة الحوار ، وكيفية المحاورة الجيدة مع المحاور المراوغ ، مع اكتساب مهارة فهم طرق المحاورة وكيفية التعامل مع كل طريقة . وهذه المهارات يمكن أن تكون ثقافة عامة في حياة الإنسان ، فيواجه بها ما يشابهها في معترك الحياة .

٦ - **للحوار أثر واضح في تبادل الثقافات** الذي يثري الحضارات المختلفة ويلقحها بما هو مفيد بعضها من بعض ؛ وهكذا رأينا عبر التاريخ تأثر الحضارات بعضها ببعض عبر الطرق المختلفة لانتقال الثقافات وتلاقحها والتي منها الحوار ، وقد أثرت الحضارة الإسلامية بثقافتها الأصيلة في جميع ما اتصلت به من حضارات ؛ وقد اعترف بذلك من عنده شيء من الإنصاف من كتاب ومفكري الحضارة الغربية ، وشهدوا بأن الحضارة الغربية إنما نمت في ظل الحضارة الإسلامية التي كانت أكثر رقيا منها وقتئذ ؛ يقول ديورانت في (قصة الحضارة) والعلماء العرب (أي المسلمون) هم الذين احتفظوا بما كان عند اليونان من علوم الرياضة والطبيعة والكيمياء والفلك والطب ، وارتقوا بها ونقلوا هذا التراث اليوناني - بعدما أضافوا إليه من عندهم ثروة عظيمة جديدة - إلى أوربا ، ولا تزال المصطلحات العلمية العربية تملأ اللغات الأوربية .ا.هـ ثم ذكر أمثلة من هذه المصطلحات ... قال : ولقد أخذ صناع الحديد والزجاج في البندقية ، ومجلدو الكتب في إيطاليا ، وصانعو الدروع والسلاح في إسبانيا .. أخذ كل هؤلاء فنونهم عن الصناع المسلمين ، وكان النساجون في جميع أنحاء أوروبا تقريبا يتطلعون إلى بلاد الإسلام ليأخذوا عنهم النماذج والرسوم[(١)] .

٧ - **التحصين الثقافي للأمة** ؛ فمما لا شك فيه أن الحوار الجاد يسهم في الإحاطة بالثقافات الدخيلة والرد عليها ، وبيان عورها ، وتوضيح ما يمكن الاستفادة منه مما لا يخالف ثقافة الأمة ؛ وبالتالي تكتسب الأمة حصانة منيعة ضد ثقافة الاختراق التغريبي ؛

---

(١) انظر قصة الحضارة - ول ديورانت : ١٣ / ٣٨٤، ٣٨٥ - ترجمة محمد بدران - نشر جامعة الدول العربية .

وتقف شامخة بتميزها واستعلائها عن التأثر بالثقافات الأخرى المخالفة لأصول ثقافة الأمة .

٨ - **كما أن للحوار دورًا فعالًا في إرجاع المتأثرين بالفكر الدخيل إلى الفكر الأصيل** ؛ وكم من حوار ساهم في توبة عاص ، وفي عودة منحرف فكريًا إلى الصواب ؛ فالفكر يواجه بالفكر لا بالعنف ؛ ذلك لأن مواجهة الفكر بالعنف هي التي تولد العنف المضاد ؛ وآفة أصحاب الفكر المنحرف إنما هي في رؤوسهم وأفكارهم ، فيقابل الفكر بالفكر لتصحيح الأفكار المنحرفة ، ولا يقاوم عنف بعنف مضاد إلا بمقدار ما تمليه الضرورة وتسمح به الشريعة ؛ يقول د أحمد كمال أبو المجد : كفوا عن استخدام عصا الأمن في مواجهة الأفكار ، مادام أصحابها لا يتجاوزون دائرة التعبير الهادئ والدعوة بالكلمة المقروءة والمسموعة ، واذكروا أن الغلو الذي ندينه جميعا ظاهرة مركبة لها أبعادها الاجتماعية والاقتصادية ، وأنه لا يصلح في علاجها أسلوب العنف والملاحقة بالأذى ؛ وراجعوا سجلاتكم وسجلات الحكومات في كل مكان ، وسوف تجدون أن العنف لم يولد إلا عنفا ، وأن تجاوز الحدود في ملاحقة أصحاب الفكر - أيا كان صواب هذا الفكر أو خطؤه - لا يزيدهم إلا إصرارا ، ولا يزيد دعوتهم إلا انتشارا[١] .

٩ - **استخدام أسلوب الحوار في تربية النشء يخلق روح المنافسة بين الأطفال** فيحملهم على الدخول في ميادين المناقشة العلمية ، مما يكون له الأثر في بناء جيل يحمل ثقافة جيدة .

* * *

(١) انظر الحركات الإسلامية والحكومات - رؤى إسلامية معاصرة - كتاب العربي ص ١٩.

المبحث الرابع :
من ثمرات الحوار في الإعلام

في اللغة : أعلمته وعلمته في الأصل واحد ؛ إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع ؛ والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم ؛ ويقال : اسْتَعْلِمْ لي خَبَرَ فلان وأَعْلِمْنيه حتى أَعْلَمَه ، واسْتَعْلَمَني الخبرَ فأَعْلَمْتُه إياه(١) .

إذًا فالمفهوم اللغوي للإعلام هو : إحاطة الغير علمًا بشيء ليدرك حقيقته .

وبإضافة كلمة واحدة على ما سبق يقترب المعنى اللغوي من **المعنى الاصطلاحي** وهو : إحاطة الغير علمًا بشيء ليدرك حقيقته بقصد التأثير .

ومحصلة المفهوم إجمالًا هي : تلك الأدوات المستخدمة في نقل المعلومات والمفاهيم والمشاعر والعواطف وغيرها مما يؤثر في حياة الناس(٢) .

وليست مهمة الإعلام الإسلامي إلا تبليغ رسالة الإسلام وتوضيح صورتها أمام من جهلها ، والذود عنها ضد من عاداها ؛ وما كان رسولنا الكريم ﷺ إلا مبلغًا لهذه الرسالة عندما نزلت من السماء وفق الأمر الإلهي في قوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٧] . ولذلك يمكن القول : إن الثمرات السابقة التي سردناها في الدعوة والتربية والثقافة يمكن أن تكون مجموعة هنا في الإعلام ، إذا كان هذا الإعلام إسلاميًا ؛ فللإعلام كما يقول - د عمارة نجيب - صلة وثيقة بالدعوة ؛ ورجل داعية كرجل إعلام إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ؛ ودعوة الإسلام إعلام بطريق الحق والهدى وإرشاد إلى دين اللّه ووحيه(٣) .

---

(١) انظر لسان العرب باب الميم فصل العين ، ومفردات الراغب (مادة ع ل م) .

(٢) انظر مقال (المرحلة الإعلامية والشريط الإسلامي) خالد بن صالح السيف - مجلة البيان - العدد (٣٧) ص ٨٥ - رمضان ١٤١١هـ - مارس ١٩٩١ م .

(٣) انظر الإعلام في ضوء الإسلام - د عمارة نجيب - مكتبة المعارف - الرياض .

وأجدني مضطرا عند النظر في أثر الحوار في الإعلام والحديث عن ثمراته ، أن أستطرد قليلا مع العملية الإعلامية ؛ فكما يقول عبد الرحمن نموس : للإعلام - الذي يمكن أن يسمى تخصيصًا بالعملية الإعلامية ، من حيث البث والاستقبال وأدوات البث- عدة عناصر :

أ - رسالة تشكل محور العملية الإعلامية .

ب - مرسِل يقوم على بث هذه الرسالة .

ج - وسيلة يتم بها الإرسال .

د - مستقبِل هو المستهدَف من هذه الرسالة .

والرسالة : هي مجموعة الأفكار التي يتم التعبير عنها بإشارات لغوية تكون في الغالب على شكل أحرف أو كلمات تتحول إلى جمل مفيدة تترك أثرًا في نفس مستقبليها سلبًا أو إيجابًا ، ويسعى المرسِل من خلالها إلى تحقيق هدف معين .

أما المرسِل ؛ فهو الشخص الذي يبث الرسالة الإعلامية عبر وسيلته المناسبة بغية تحقيق أهداف معينة قد تكون تعزيز مبادئ وأفكار معينة ، أو تعديلها ، أو محاربتها ، أو تأييدها . ومستقبل الرسالة هو كل من يتلقاها وتترك فيه انطباعًا ما ، سلبًا أو إيجابًا ، أما انعدام الأثر بالكلية بالنسبة للمستقبل فلا يعد استقبالًا لها ولو سمعها أو قرأها ، لأن للتفاعل معها دورا أساسيًا .

والوسيلة ؛ هي الشيء الذي يتم من خلاله نقل الرسالة ، كالصحيفة أو المذياع .. ويختار المرسل عادة الأسلوب الذي يراه جيدًا لإيصال رسالته إلى أذهان مستقبليها وهو في ذلك لا يخرج عن أحد الأساليب الثلاثة التالية :

١- التعرض للفكرة أو الظاهرة المطروحة في الرسالة من خلال بعدها الوصفي ، كأن يتناول ظاهرة اجتماعية معينة ويصفها وصفًا دقيقًا من خلال واقعها ، دون أن يزيد على ذلك أو يضع آراء من عنده تبين سلبية أو إيجابية هذه الظاهرة ، وبالتالي يترك القرار النهائي للمستقبل في أن يستوعب هذا الوصف ويقيمه من منظوره الخاص ، ويخلص إلى نتيجة هذا التقييم بنفسه دون تدخل مباشر من المرسل ، الذي قد يلجًا إلى الإيحاء الخفي في إبداء ما يريده من وصف تلك الظاهرة .

٢- التعرض للفكرة من خلال بعدها الوصفي مع إضافة تقييم موضوعي لهذا الوصف ، وذلك بأن يتعرض المرسل للفكرة أو الظاهرة فيصبغها بالوصف الدقيق كما في الفقرة الأولى ، ثم يتبع هذا الوصف بتقييم موضوعي يبين فيه الجوانب المضيئة في الظاهرة والجوانب المظلمة ، وقد يجري موازنة بين هذه وتلك ، ثم يتوقف تاركًا للمستقبِل التوصل إلى النتيجة التي يريدها هو ويريد للمستقبِل أن يصل إليها . أو قد يزيد على ذلك بأن يقدم النتيجة التي وصل إليها بعد التقييم بنفسه ، ولكنه يترك للمستقل حرية الالتزام أو عدم الالتزام بها .

٣- التعرض للفكرة أو الظاهرة وتبيان أبعادها ولو بصورة موجزة ، ثم التزام موقف حيالها وحض أو تحريض المستقبل صراحة على تبني موقف المرسل من الظاهرة .

وذلك بأن يعرض المرسل للظاهرة أو الفكرة من منظوره الخاص ، ويقيمها ويصل إلى نتيجة ، ويؤكد أن نتيجته هي الصحيحة وما سواها خطأ ، ويلزم بالتالي المستقبِل على الأخذ بما قدمه له على أنه الصحيح ، ولا يترك له الحرية للتفكير جيدًا بها ، بل قد يهمل المرسل الذي يلجأ إلى هذا الأسلوب الوصف والتقييم الموضوعيين ، ويقدم النتيجة التي يريدها ، ويضع لها من المبررات ما يشاء حتى يقنع المستقبل بها ، ويحضه على تبنيها ، الأمر الذي قد يصل إلى حد ازدراء آراء المستقبِل وخلفيته الثقافية وقدراته على تقييم الظواهر والأفكار ، مما يؤدي بدوره إلى رد فعل سلبي عند المستقبِل قد يجعله في الموقف المضاد -إن استطاع- وفي موقف السكوت على مضض إن لم يستطع[١] .

هذه هي العملية الإعلامية في صورتها العامة ؛ فإذا كانت **الرسالة** هي الإسلام ، **والمرسِل** هو الإعلامي المسلم الواعي ، **والوسيلة** كل ما هو متاح مباح من صحف ومجلات وإذاعة مسموعة ومرئية وشبكة عنكبوتية مع الخطب والمحاضرات والندوات واللقاءات ، فإن النتيجة التي يمكن أن تتصور : خير عام لجميع البشر ... وهذا الذي يجب أن يكون عليه الإعلام في بلاد المسلمين .

---

(١) انظر مقال (مهمة الإعلام الإسلامي) عبد الرحمن نموس - مجلة البيان العدد ٩ ص ٣٩ - ربيع الآخر ١٤٠٨ - ديسمبر ١٩٨٧.

إن وسائل الإعلام المختلفة هي وسائل فعالة في المجتمع لنشر العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة والقيم الجليلة ؛ فإن استعملت في الخير وتبصير الناس بدينهم ومصالح دنياهم ، كانت من أفضل الوسائل وأنفعها ، وإن استعملت في ضد ذلك كانت من أضر الوسائل وأفسدها ؛ وذلك - كما يقول د تيسير أبو عرجة : يعتمد على التوجيه الذي يُعنى الإعلام بالإلحاح عليه والأفكار التي يعرضها عبر أجهزته وصفحاته وشاشاته ؛ فهو قوة خطيرة إن استخدم لتحقيق الإيجابيات والأهداف النبيلة ، حيث يكون قادرا على تثبيتها وإنجاحها ؛ وتتمثل هذه القوة في قدرة الإعلام وأجهزته على الوصول إلى مختلف فئات المجتمع ، وفي القدرة على احتلال مساحات شاسعة من وقت الإنسان المستهدف بالوسائل الإعلامية ، وفي القدرة على تشكيل الرأي العام والإسهام الفعلي في تكوينه من خلال الإلحاح على الفكرة وتكرارها ، وتقديمها بوسائل وأساليب قادرة على غرس الفكرة وتثبيتها ؛ وهي القدرة الإقناعية التي يوظف من أجلها إمكانيات تقنية كبيرة في الصوت والصورة والحركة خاصة في الإذاعة المسموعة والمرئية .. وفي القدرة على مخاطبة الفئات العمرية المختلفة ، وخاصة الناشئة الذين تستطيع وسائل الإعلام التأثير فيهم لكونهم خميرة سهلة طرية العود لم تكوّن لها ظهرًا قويًا أو سياجا يحميها مما تُلقَنه صباح مساء .

وإذا كان الفرد يتعرض لهذا الزخم الإعلامي الكثيف ، فإن المجموع ينعكس عليه هذا التعرض وهذا التأثير .. بحسبان أن الفرد قاعدة المجموع ، وبحسبان أن الوجدان العام يأخذ طريقه من الوجدان الفردي .. وهكذا .

من هنا نجد أن الإعلام يتحمل المسئولية إزاء قضية الهوية الثقافية أو الذاتية الثقافية ، التي قوامها عدد من الركائز الأساسية تتمثل في الدين واللغة العربية والانتماء إلى تراث حضاري وثقافي له أساسه وملامحه الواضحة والثابتة .

والإعلام هنا يجب أن يكون درعا واقيا يصون هذه الهوية ويحميها مما يداهمها من محاولات الغزو الفكري والإعلامي التي تأخذ أشكالا وألوانا متعددة لكي تظل هذه الهوية الثقافية بمنأى عن الاختراق ، ولكي تظل منسجمة مع نفسها ومع رسالتها ، ومع دور هذه

الأمة ومكانتها على خريطة البشرية[١] .

وللحوار أثر بالغ وثمرات واضحة في تكوين هذا الدرع الواقي ، إذ البرامج الحوارية الجادة التي هدفها إظهار الحق وإبطال الباطل ، وكشف الزيوف بالحجج والبراهين ، لها دور بارز في تحقيق ذلك ، وبجانب **ذلك فهي تشارك في بناء الثقافة العامة للناس** ؛ كما **تشارك في البناء التربوي** أيضا ؛ وتقوم بتنشيط العقل الإسلامي وتحريك طاقاته الإنتاجية والعملية الجادة المفيدة ؛ وهي لون من ألوان الدعوة وبالتالي فإن الثمرات التي ذكرناها آنفًا في الدعوة والتربية والثقافة يمكن أيضا أن تكون من ثمرات الحوار في الإعلام .

إذًا ؛ فالإعلام من هذا المنطق ليس مرتعًا مستهجنًا لترفيه فاحش ، وليس مرآة ينعكس على أثرها الواقع بتجاوزاته المرية ؛ إنما هو وسيلة صالحة ذات قدرة فاعلة على التصحيح والتقويم في مسار أمة وفق منهج راشد يستشرفه الخلص من أبناء الأمة[٢] .

ماذا بعد ؟ !

وعقب سبات من نوم غطت فيه أمتنا أفاقت على إثر غزو سافر لم تألفه من ذي قبل إمعانًا في إشاعة الفجور !! ومحاولة حثيثة في سلب أثمن ما تملكه الأمة – إسلامها – بكل وسيلة ؛ من قِبَل من لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة !

ونجم عن هذه الإفاقة المتأخرة جهود لا تزال في بدايتها ، بيد أن هذا لا يبرر لنا البتة – بقاءنا في المؤخرة .. ونروح من حينها ننحو باللائمة على المادة ، وعدم تناسبها مع طبيعة الوسيلة .. عند ذلك تقصر بنا الهمة عن تجاوز العقبات متذرعين بحجج واهية لا تنهض لمدَّعٍ عادةً ! ولست أدري من لهذه الثغور ، إن زهد بها المقتدرون ممن يقع على كواهلهم تبعات الواجب ؟ ! وليس ثمة نفل يُمَنُّ به .

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصد

---

(١) انظر الإعلام والثقافة العربية .. الموقف والرسالة – د تيسير أبو عرجة – دار مجدلاوي – الأردن ، ص ٤٥، ٤٦.

(٢) انظر مقال (المرحلة الإعلامية والشريط الإسلامي) خالد بن صالح السيف – مجلة البيان – العدد (٣٧) ص ٨٥.

ومع ما سلف فإنا نربأ بأنفسنا أن يغشانا التشاؤم ونحن أمة فأل تربينا على منهجه السوي وما ارتضينا به بديلًا ؛ وإنا ننتظر يومًا تتوافر فيه جهود علمائنا وطلاب العلم وذوي التخصص والاقتدار في هذا المجال للانتقال بوسائل الإعلام نحو الرقي المطلوب حتى تؤدي دورها في التربية والبناء[١] .

إن الدعوة إلى الله تعالى والأخذ بيد البشرية إلى الخير والنجاة مهمة أمة الإسلام ؛ من هنا أصبح لزامًا عليها أن تنظر للإعلام باعتباره قوة لمسيرة المسلمين واتجاهاتهم الفكرية والعقدية أمام هذا الغزو التغريبي الإنحلالي الإلحادي ، والذي لا يمثل بالطبع النموذج المطلوب وفق الهدي الإسلامي .. مما يتطلب محاولات جادة لتأصيل الإعلام ، ليكون عنصرًا فاعلًا في مسيرة الدعوة الإسلامية ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ؛ ومن هنا يعرف د عمارة نجيب الإعلام الإسلامي بقوله : بيان الحق وتزيينه للناس بكل الطرق والأساليب والوسائل المشروعة ، مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة ، بقصد جلب العقول إلى الحق ، وإشراك الناس في نوال خير الإسلام وهديه ، وإبعادهم عن الباطل ، أو إقامة الحجة عليهم[٢] .

إن الإعلام يعتبر من أهم أدوات الأمة داخليًا وخارجيًا ، ويعكس بالضرورة حقيقة الأوضاع السياسية والفكرية ، ويقود الرأي العام في الداخل نحو التماسك الاجتماعي ، مما يتطلب ضرورة الوصول إلى برنامج عام متميز يحقق إبراز رموز الأمة وحَمَلة الفكر فيها ، مع افتراض درجة عالية من النقاء والوضوح ؛ وتظهر الأهمية أكثر عندما يكون للأمة فكر وعقيدة تسعى لنشرها وحمايتها عن إيمان وصدق ويقين ؛ وأمة المسلمين تحمل عقيدة الإسلام ورسالة التوحيد ، فهي ولا شك في حاجة إلى تبليغ ما تحمله ، ليس عن رغبة في الظهور ، ولكن عن يقين وإيمان بأن ما تقدمه للناس هو الأصلح لهم والأنفع لدنياهم وآخرتهم[٣] . والله وحده الهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) المصدر السابق بتصرف .

(٢) انظر الإعلام في ضوء الإسلام - د عمارة نجيب - مكتبة المعارف - الرياض .

(٣) انظر مقال (الإعلام من المنطلق الغربي إلى التأصيل الإسلامي) - أحمد حسن محمد - مجلة البيان العدد ١٠٩ ص ٣٨ - رمضان ١٤١٧هـ - فبراير ١٩٩٧م .

الخاتمة

هذا ما يسره اللّٰه الكريم في كتابة هذه السطور ، وقد حاولت جهدي أن أقرأ كل ما وقفت عليه في الحوار وما يتعلق به من مباحث ، فقرأت للموافق والمخالف ، وحاولت أن أستفيد مما يمكن الاستفادة منه ولو بعبارة أو جملة أدخلها في سياق الكلام تفيد المعنى ، فجاء هذا البحث على هذا النسق بتوفيق من اللّٰه تعالى فما كان فيه من صواب ؛ وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان وأستغفر اللّٰه العظيم منه ، وعذري أن الحق أردت .. وقد بذلت جهدي .

والحق أن بعض المباحث قد يحتاج إلى بسط لا يتسع له المنهج الذي كتب له هذا الكتاب ؛ ولكني أحسب أن هذا المختصر يحمل مجمل رسالة البسط .

وإني سائل أخا وقف فيه على خطأ أن يدلني على الصواب فيه ، أو اطلع فيه على غلط أن يبين لي الصحيح فيه ، وأنا - بإذن اللّٰه تعالى - راجع عن كل خطأ وغلط ؛ وأبى اللّٰه تعالى العصمة للكتب إلا لكتابه ، وللبشر إلا لرسله ؛ وقد قيل :

والنقص في أصل الطبيعة كامن   فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوما جهولا ؟

لكن قدرة مثلي غير خافية   والنمل يعذر في القدر الذي حملا

كما أسأل كل أخ استفاد منه إفادة أن يدعو لي ولوالدي ولمشايخي وللمسلمين والمسلمات ؛ وأن يجتهد في دعائه بأن يرفع اللّٰه الغمة عن الأمة ، وأن يردها إلى دينها ردا جميلا .

والحمد للّٰه أولا وأخيرا كما ينبغي لكرم وجهه وعظيم سلطانه ، حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده كما يحب ربنا ويرضى ، وصلى اللّٰه وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله .

وكتبه

أفقر العباد إلى عفو رب البرية

محمد بن محمود بن إبراهيم عطية

المصادر والمراجع

١ - أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم) - صديق بن حسن القنوجي - طبعة بهوبال ١٢٩٥ هـ .

٢ - الإبهاج في شرح المنهاج - علي بن عبد الكافي السبكي - دار الكتب العلمية - بيروت ط١ - ١٤٠٤هـ .

٣ - إجابة السائل شرح بغية الآمل - محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني - تحقيق : حسين بن أحمد السياغي وحسن محمد مقبولي الأهدل - مؤسسةالرسالة - بيروت ط١ - ١٩٨٦م .

٤ - أحكام أهل الذمة - ابن القيم - تحقيق يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري - دار ابن حزم - بيروت .

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٥ - الإحكام في أصول الأحكام - علي بن أحمد بن حزم - دار الحديث - القاهرة الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .

٦ - إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - دار الكتب العلمية - بيروت .

٧ - أدب الحوار - سلمان بن فهد العودة - دار الرشد - الرياض .

٨ - الإرهاب الأسباب والعلاج - إعداد د عصام بن هاشم الجفري .

٩ - أزمة الحوار الدينى نقد كتاب (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) - جمال سلطان - مكتبة السنة ، توزيع دار الصفا - القاهرة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٠ - الإسلام والتعايش السلمي مع الآخر - د طه العلواني - ضمن كتاب (سلسة محاضرات حوار الحضارات الجزء الثاني - خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات) .

١١ - الإسلام والحضارة الغربية - د محمد محمد حسين - مؤسسة الرسالة - بيروت ط٤ - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

١٢- الإسلام والغرب - حوار مع د القرضاوي - حسن علي دبا - دار البشير للثقافة والعلوم - طنطا - مصر - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

١٣ - الإسلام وصراع الحضارات - د أحمد القديدي - تقديم د عمر عبيد حسنة - كتاب الأمة رقم ٤٤.

١٤ - الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية .. النظرية والتطبيق - أبحاث ووقائع اللقاء الثالث للندوة

العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض بتاريخ : ٢٣ من شوال ١٣٩٦هـ - ١٦ من أكتوبر ١٩٧٦ م .

١٥ الإعلام في ضوء الإسلام - د عمارة نجيب - مكتبة المعارف - الرياض - ط١ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

١٦ - إعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن القيم - تحقيق طه عبد الرءوف سعد - دار الجيل - بيروت ١٩٧٣م .

١٧ - الإعلام والثقافة العربية .. الموقف والرسالة - د تيسير أبو عرجة - دار مجدلاوي - الأردن ط١ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

١٨ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - ابن القيم - دار الثقافة - بيروت .

١٩ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - ابن تيمية - تحقيق محمد حامد الفقي - دار المعرفة - بيروت .

٢٠ - بدائع الفوائد - لابن القيم - تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد - مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ط ١ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م) .

٢١ - البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - مكتبة المعارف - بيروت .

٢٢ - تاريخ مدينة دمشق - لابن عساكر - دار الفكر - بيروت - لبنان ط١- ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .

٢٣ - التعريفات - علي بن محمد بن علي الجرجاني - تحقيق : إبراهيم الأبياري - دار الكتاب العربي - بيروت - ط١ ١٤٠٥هـ .

٢٤ - تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام - لابن جماعة - تحقيق ودراسة د فؤاد عبد المنعم - من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر .

٢٥ - تعايش الثقافات .. مشروع مضاد لهنتنغتون هارالد مولر - ترجمة د إبراهيم أبو هشهش - دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت .

٢٦ - التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام - محمد الغزالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - ط٢ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .

٢٧ - تفسير التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور .

٢٨ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - دار الفكر - بيروت .

٢٩ - التمهيد في تخريج الفروع على الأصول - عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي - تحقيق د محمد

حسن هيتو - مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١ - ١٤٠٠هـ.
٣٠ - التوحيد والوساطة في التربية الدعوية - فريد الأنصاري - كتاب الأمة (٤٧) جمادى الأولى ١٤١٦ هـ.
٣١ - تيسير الكريم الرحمن - السعدي - دار العاصمة - الرياض.
٣٢ - جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري - دار الفكر بيروت.
٣٣ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - دار الشعب - مصر.
٣٤ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع - الخطيب البغدادي - مكتبة المعارف.
٣٥ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمية - تحقيق د علي حسن ناصر وآخرون - دار العاصمة - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٣٦ - حتى لا تكون فتنة - د عمر عبيد حسنة - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
٣٧ - حلية الأولياء - أبو نعيم الأصفهاني - دار الكتاب العربي - بيروت.
٣٨ - الحوار الحضاري والثقافي : أهدافه ومجالاته - د عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.
٣٩ - الحوار الذات والآخر - د عبد الستار الهيتي - تقديم د عمر عبيد حسنة - كتاب الأمة رقم ٩٩.
٤٠ - الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه - د أحمد بن سيف الدين تركستاني.
٤١ - الحوار والتفاعل من منظور إسلامي - د عبد العزيز التويجري.
٤٢ - خطابنا الإسلامي في عصر العولمة - د القرضاوي - بحث قدم بحث قدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي - مؤتمر الفقه الإسلامي - الدورة الرابعة عشرة ١١- ١٦ / ١ / ٢٠٠٣ م - الدوحة.
٤٣ - الحضارة صراع أم حوار - د أحمد حمد - ضمن كتاب (الإسلام وحوار الحضارات) كتاب المؤتمر الدولي الخامس للفلسفة الإسلامية - ٢٧، ٢٨ من المحرم ١٤٢١ هـ.
٤٤ - درء تعارض العقل والنقل - ابن تيمية - تحقيق : محمد رشاد سالم - دار الكنوز الأدبية - الرياض ١٣٩١هـ.
٤٥ - الرد على المنطقيين - ابن تيمية - دار المعرفة - بيروت.
٤٦ - زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم - تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت- الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ - ١٩٨٦م.

٤٧ - الزهد - عبد الله بن المبارك - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - دار الكتب العلمية - بيروت .
٤٨ - سلسلة محاضرات حول الحضارات (٢) - خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات - تحرير د نادية محمود مصطفى ، د علا أبو زيد - طبعة أولى (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - مصر .
٤٩ - سنن ابن ماجة / دار الفكر - بيروت .
٥٠ - سنن أبي داود / دار الفكر - بيروت .
٥١ - سنن البيهقي الكبرى - الحافظ أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي الناشر - تحقيق : محمد عبد القادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ،
٥٢ - سنن الترمذي / دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٥٣ - سنن الدارقطني - الحافظ علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني - تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني - دار المعرفة - بيروت ، ١٣٨٦ - ١٩٦٦م .
٥٤ - سنن الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت : ٢٥٥ هـ) دار الفكر - بيروت .
٥٥ - السنن الكبرى / النسائي / دار الكتب العلمية - بيروت .
٥٦ - سنن النسائي / تحقيق أبو غدة / مكتب المطبوعات الإسلامية - بيروت .
٥٧ - سير أعلام النبلاء - الحافظ الذهبي - تحقيق الأرناؤط وآخرين - مؤسسة الرسالة - بيروت .
٥٨ - السيرة النبوية - ابن هشام - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - دار الجيل - بيروت .
٥٩ - شرح أدب الكاتب - الجواليقي - دار الكتاب العربي - بيروت .
٦٠ - شرح العقيدة الطحاوية - لابن أبي العز الحنفي - الكتب الإسلامي - بيروت .
٦١ - شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير - لابن النجار الحنبلي - العبيكان - الرياض .
٦٢ - الشرح الممتع - محمد الصالح العثيمين - دار البصيرة - الإسكندرية .
٦٣ - الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول - ابن تيمية - عالم الكتب - بيروت .
٦٤ - صحيح البخاري مع فتح الباري / دار المعرفة - بيروت .
٦٥ - صحيح مسلم / دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٦٦ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة - لابن القيم - تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله - دار العاصمة - الرياض - ط ٣ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م) .
٦٧ - صيد الخاطر - لابن الجوزي - دار الإسلام للنشر والتوزيع - عمان الأردن .

٦٨ - العولمة والإرهاب (حرب أمريكا على العالم) نعوم تشومسكي وآخرون - ترجمة د حمزة المزيني - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط١ ٢٠٠٣ م .

٦٩ - عون المعبود شرح سنن أبي داود - محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٥ هـ .

٧٠ - العين- الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق : د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال .

٧١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - الحافظ ابن حجر - دار المعرفة - بيروت .

٧٢ - الفقيه والمتفقه - الخطيب البغدادي .

٧٣ - في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق .

٧٤ - قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله - لجلال العالم .

٧٥ - قصة الحضارة - ول ديورانت - ج١٣ - ترجمة محمد بدران - نشر جامعة الدول العربية .

٧٦ - القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام - علي بن عباس البعلي الحنبلي- تحقيق : محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م .

٧٧ - الكليات - لأبي البقاء العكبري - مؤسسة الرسالة - ط ٢ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٧٨ - لسان العرب - لابن منظور .

٧٩ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - دار الفكر- بيروت - ١٤١٢ هـ .

٨٠ - مجموع الفتاوى - ابن تيمية - جمع عبد الرحمن النجدي وابنه محمد - دار الثقافة الدينية .

٨١ - المحرر الوجيز - ابن عطية - من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر .

٨٢ - محمد ﷺ في الكتاب المقدس - عبد الأحد داود ترجمة فهمي شمّا - من مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - دولة قطر ط ٤ - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٨٣ - محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية - تحقيق ومراجعة محمد الحبيب ابن الخوجة - طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر .

٨٤ - مختار الصحاح - الفيروزأبادي .

٨٥ مدارج السالكين - ابن القيم - تحقيق محمد حامد الفقي - دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .

٨٦ – المدخل إلى علم الدعوة – د محمد أبو الفتح البيانوني – من مطبوعات إدارة الشئون الإسلامية – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – دولة قطر ط ٤ – ١٤١٨ هـ .

٨٧ – المستدرك على الصحيحين – أبو عبد الله الحاكم النيسابوري – تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١ (١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م) .

٨٨ – المسلمون وتحديات العولمة – د مانع الجهني – بحث قدمه للمؤتمر الإسلامي الرابع – رابطة العالم الإسلامي – والذي عقد بمكة في شهر المحرم ١٤٢٣ هـ – أبريل ٢٠٠٢ م .

٨٩ – مسند الإمام أحمد بن حنبل – مؤسسة قرطبة – القاهرة .

٩٠ – مصنف ابن أبي شيبة – تحقيق كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشد – الرياض .

٩١ – مصنف عبد الرزاق – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي – المكتب الإسلامي – بيروت .

٩٢ – المعجم الأوسط – للطبراني – دار الحرمين – القاهرة .

٩٣ – المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية ، دار المعارف ط ٣.

٩٤ – المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني .

٩٥ – مقدمة ابن خلدون – الدار التونسية للنشر والتوزيع .

٩٦ – المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب – د سالم أحمد محل – كتاب الأمة رقم ٦٠ .

٩٧ – منهاج السنة النبوية – ابن تيمية – تحقيق د محمد رشاد سالم – مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٩٨ – المنهاج شرح مسلم بن الحجاج – النووي – دار الفكر – بيروت .

٩٩ – المنهج النبوي والتغيير الحضاري – برغوث عبد العزيز بن المبارك – كتاب الأمة ٤٣.

١٠٠ – الموافقات – للشاطبي – دار المعرفة – بيروت .

١٠١ – مواقعنا المتأخرة وسبيل التقدم – للشيخ محمود شاكر – المكتب الإسلامي – بيروت .

١٠٢ – الموسوعة الإعلامية – د محمد منير حجاب – دار الفجر – القاهرة – ط١ ٢٠٠٣ م .

١٠٣ – موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين – مصطفى صبري – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٠٤ – نحن والآخر (دراسة على ضوء الكتاب والسنة والفكر الإسلامي) د علي القرة داغي – بحث قدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي – مؤتمر الفقه الإسلامي – الدورة السادسة عشرة : ٩ – ١٤ / ٤ / ٢٠٠٥ م – دبي .

١٠٥ - نحن والحضارة والشهود - د نعمان السامرائي - تقديم د عمر عبيد حسنة - كتاب الأمة رقم ٨٠.
١٠٦ - نحو ثقافة إسلامية أصيلة - د عمر سليمان الأشقر - مكتبة الفلاح - الكويت ط١ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٠٧ - نحو كلمة سواء وحوار كريم - الشيخ عبد الله نجيب سالم - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - طبعة أولى ذو الحجة ١٤٠٥ هـ - أغسطس ١٩٨٥ م.
١٠٨ - النظام العالمي الجديد والعولمة - الشيخ خليل الميس - بحث قدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي - الدورة الرابعة عشرة (١١ / ١ / ٢٠٠٣ - ١٦ / ١ / ٢٠٠٣) ص ٥.
١٠٩ - نظرات في مسيرة العمل الإسلامي - د عمر عبيد حسنة - المكتب الإسلامي - بيروت.
١١٠ - النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير - تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١١١ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - محمد بن أبي بكر أبو عبد الله - الناشر : الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.

هذا بخلاف ما قد ذكرته في الحواشي ولم أذكره هنا.

الجرائد والمجلات :

١ - مقال (إنما أعظكم بواحدة) عبد العزيز بن ناصر السعد - مجلة البيان عدد البيان العدد ٢٣ ص ١٧ - جمادى الأولى ١٤١٠هـ - ديسمبر ١٩٨٩م.
٢ - مقال (الحوار الإسلامي النصراني أو الحوار بين مسلمين ونصارى) د أحمد بن عبد الرحمن القاضي - مجلة البيان - العدد (١٨٤) ص ٢٠ - ذو الحجة ١٤٢٣ هـ - فبراير ٢٠٠٣ م.
٣ - مقال (التجرد في الحوار) لأحمد عبد الرحمن الصويان - مجلة البيان العدد ٧١ ص ١٥ - رجب ١٤١٤ هـ - ديسمبر ١٩٩٣ م.
٤ - مقال (الحوار .. مجادلة جادة لا مداهنة) د جعفر شيخ إدريس - مجلة البيان عدد (١٩٠) ص ٤٤، جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ - أغسطس ٢٠٠٣ م.
٥ - مقال (لمحات في فن الحوار الحلقة الثالثة [معوقات الحوار]) لمحمد محمد بدري - مجلة البيان (٨٩) ص ٥٢ - المحرم ١٤١٦ هـ - يونيو ١٩٩٥ م.
٦ - مقال (قضية الآخر في كتابات المثقفين العرب) د محمد يحيى - مجلة البيان العدد (٧٥) ص١٠٨ - ذو القعدة ١٤١٤هـ - أبريل ١٩٩٤ م.

٧ - تلخيص (مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي) للأستاذ جمال سلطان - مقال للدكتور حسن حسن إبراهيم -
مجلة البيان (عدد ٤١) ص ٥٧ - المحرم ١٤١٢ هـ - يوليو١٩٩١ م .
٨ - مقال (بدعة جديدة تفسير التاريخ أصوليًا) للدكتور عبد الله عمر سلطان - مجلة البيان العدد (٨٨) ص٧٢ - ذو الحجة ١٤١٥ هـ - مايو ١٩٩٥ م .
٩ - مقال (حاجة الدعاة المسلمين إلى المراجعة) - د محمد رشاد خليل - مجلة البيان عدد (٩) ص ٣٠ .
١٠ - مقال (قراءة نقدية لمفهوم تصادم الحضارات) د .أحمد محمد العيسى - البيان (٧١) ص٨٩ - رجب ١٤١٤ هـ - ديسمبر ١٩٩٣ م .
١١ - مقال (قصة العلاقة بين الإسلام والنصرانية) إبراهيم الحقيل - مجلة البيان العدد ١٥٤ ص ٥٢ - جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ - سبتمبر ٢٠٠٠ م .
١٢ - مقال (الحداثة بين التعمير والتدمير) د حسن بن فهد الهويمل - مجلة البيان - العدد (٦٤) ص ٤٤ - ذو الحجة ١٤١٣ هـ - يونيو ١٩٩٣ م .
١٣ - مقال (رؤية في مسألة التعددية - عرض ونقد) - د محمد يحيى - مجلة البيان العدد ٧٧ ص ٩١ - المحرم ١٤١٥ هـ - يونيو ١٩٩٤ م .
١٤ - مقال (جذور الصراع) د عبد الله سلطان - مجلة البيان العدد ٥٨ ص ٧٨ - جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ - ديسمبر ١٩٩٢ م .
١٥ - مقال (تفعيل صراع الحضارات .. هل يبدأ من كشمير ؟) لعبد العزيز كامل - مجلة البيان العدد ١٧٧ ص ٦٨ - جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ - أغسطس ٢٠٠٢ هـ .
١٦ - مقال (من الرجعية إلى الأصولية (٢)) لمحمد بن حامد الأحمري - مجلة البيان العدد ٥٩ ص٩٨ - رجب ١٤١٣ هـ - يناير ١٩٩٣ م .
١٧ - مقال (الانفراط العظيم) أ . د . جعفر شيخ إدريس رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة - مجلة البيان ، العدد (١٤٢) ص ٦٠ - جمادى الآخرة ١٤٢٠ هـ - أكتوبر ١٩٩٩ م .
١٨ - مقال (صراع الحضارات أم هيمنة الحضارة الغربية ؟) د . محمد يحيى - مجلة البيان العدد ١٢٥ ص ١٣٢ -المحرم ١٤١٩ هـ - مايو ١٩٩٨ م .
١٩ - مقال (صراع الحضارات مرة أخرى) د . محمد يحيى - مجلة البيان العدد ١٢٦ ص ٩٢ - صفر ١٤١٩ هـ - يونيو ١٩٩٨ م .

٢٠ - مقال (جذور العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي) خالد أبو الفتوح - مجلة البيان ، العدد ١٥٩ ص ٤٦ - ذو القعدة ١٤٢١هـ - فبراير ٢٠٠١م .

٢١ - مقال (الهَجْمةُ على اللُّغةِ العربيّةِ) لإبراهيم بن سعد الحقيل - نشر بمجلة البيان العدد (١٤٧) ص ٤٦ - ذو القعدة ١٤٢٠هـ - مارس ٢٠٠٠م .

٢٢ - مقال (الثقافة والذوبان) د . محمد عبد الله الشباني - مجلة البيان العدد ٧١ ص ٢٨ - رجب ١٤١٤ هـ - ديسمبر ١٩٩٣ م .

٢٣- مقال (المرحلة الإعلامية والشريط الإسلامي) خالد بن صالح السيف - مجلة البيان - العدد (٣٧) ص ٨٥ - رمضان ١٤١١هـ - مارس ١٩٩١ م .

٢٤ - مقال (مهمة الإعلام الإسلامي) عبد الرحمن نموس - مجلة البيان العدد ٩ ص ٣٩ - ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ - ديسمبر ١٩٨٧ م .

٢٥ - افتتاحية مجلة البيان - العدد ١٤٢ ص ٤ - جمادى الآخرة ١٤٢٠ هـ - أكتوبر ١٩٩٩ م .

٢٦ - ندوة (هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق) - الحلقة الثانية - إعداد وائل عبد الغني - مجلة البيان عدد (١٢٩) ص ٤٢ - جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - سبتمبر ١٩٩٨ م .

٢٧ - ندوة (هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق) - الحلقة الثالثة - إعداد وائل عبد الغني - مجلة البيان عدد (١٣٠) ص ٤٢ - جمادى الأخرة ١٤١٩ هـ - أكتوبر ١٩٩٨ م .

٢٨ - مقال (إنه الجهاد من أجل التربية) للدكتور علي بن محمد التويجري - مجلة (رسالة الخليج العربي) العدد الثاني السنة الرابعة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٢٩- مقال (هل تحذر الأمة سلاح الفتن والتشرذم) د توفيق الواعي - مجلة (المجتمع) العدد (١٣٨٩) ص ٤٣.

٣٠ - حوار مع المفكر والسفير الألماني السابق مراد هوفمان - مجلة (المجتمع) العدد ١٤٨٦ ص ٤١ - ١٣ ذو القعدة ١٤٢٢ هـ - ٢٦ / ١ / ٢٠٠٢ م .

٣١ - حوار مع جون فول بمجلة المجتمع - العدد ١٢٧٤ - ٤ من رجب ١٤١٨ - ٤/١١ / ١٩٩٧.

٣٢ - مقال (الخطة الأمريكية لتحديد النسل في البلاد الإسلامية) د تنسيم إبراهيم - مجلة المجتمع العدد (١٢٧٤) ص٢٠ - رجب ١٤١٨ - نوفمبر ١٩٩٧م .

٣٣ - مقال (شاهد عيان على ما جرى في مؤتمر حوار الأديان) لإدريس المراكشي - مجلة الاستقامة

العدد (٣٢) رمضان ١٤٢٦ – مجلة شهرية تصدر عن قسم البحوث والدراسات بمركز الشيخ عيد الإعلامي التابع لمؤسسة عيد الخيرية – قطر .

٣٤ – مقال (جدل الأنا والآخر في الوعي الإسلامي) لعبد الرضا جبارة ، بتصرف – مجلة (الإسلام والديمقراطية) العدد (١٥) آيار ٢٠٠٦ – مجلة شهرية فكرية مستقلة تصدر عن منظمة الإسلام والديمقراطية .

٣٥ – (الإسلام والغرب ، من النزاع إلى الحوار) ترجمة أحمد علي بقادي لبحث ألقاه هنتنجتون على مؤتمر (الإسلام السياسي والغرب) الذي عقد في نيقوسيا بقبرص ، جريدة الاتحاد ، عدد (٨٢٨٩) ، ١٩٩٨/١/٧م .

٣٧ – مقال (صراع الحضارات – الأزمة وما حولها حتى الرسوم الدانماركية) – محمد حسنين هيكل – جريدة العربي (جريدة الحزب الناصري المصرية) عدد ١٠٠٠ – ١٢ مارس ٢٠٠٦.

مواقع الشبكة العنكبوتية

١ – حوار مع سلمان العودة أجراه موقع الإسلام اليوم .

٢ – آلية الحوار : قراءة لمفهوم الحوار في ضوء سنتي التنوع والتدافع – زهير بن أحمنة – موقع الشهاب للإعلام .

٣ – حسن حنفي من حوار له نشر في موقع قنطرة الإليكتروني .

٤ – مجلة فكر ونقد ، موقع الجابري الإليكتروني .

محاضرات :

١ – محاضرة بعنوان (الإسلام وحوار الحضارات) للشيخ صالح بن عبد الله بن حميد ألقاها مساء يوم الاثنين

١٤٢٣/٧/٢٣هـ في إطار فعاليات معرض الكتاب الدولي الذي نظمته جامعة الملك سعود في مقرها بالرياض .

٢ – محاضرة ألقاها مهاتير محمد عن العولمة في كوالا لامبور بتاريخ : ٢٤ / ٧ / ١٩٩٦ – المصدر موقع : إسلام أون لاين .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه

وكان الفراغ من آخر نظرة فيه ليلة السبت السادس والعشرين من جمادى الآخرة من سنة سبع وعشرين وأربعمائة وألف لهجرة خير البرية محمد صلى اللّٰه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .



صدر للمؤلف

١ - فتـح الجـواد الكريـم في اختصـار وتحقيـق تفسير القـرآن العظيم للحـافظ ابن كثير (٤ مجلدات) .
٢ - فقه الدعاء : مجلد - طبع مكتبة البلد الأمين - القاهرة .
٣ - منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال للحافظ السيوطي - تحقيق وتعليق - طبع دار ابن حزم - بيروت .
٤ - الانتباه لما قال الحاكم ولم يخرجاه وهو عند أحدهما أو روياه - طبع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف - قطر .
٥ - المعجزات والحجج البينات في الرد على منكريها - طبع دار بن حزم - بيروت .
٦ - المختصر النفيس في أحكام الوقف و التحبيس - طبع دار بن حزم - بيروت .
٧ - تبرئة الذمة من تحذير الأمة من الحسد - طبع المركز العربي للكتاب - الشارقة .
٨ - عدة النصر وواجبات المقاتل - طبع وزارة الدفاع بدولة الإمارات العربية المتحدة .
٩ - المختار من الأدعية والأذكار - طبع وزارة الدفاع بدولة الإمارات العربية المتحدة .
١٠ - الحياء خلق الإسلام - طبع مؤسسة العين للإعلان .
١١ - جزء في حديث النملة والرد على من ضعفه . طبع على نفقة المؤلف .
١٢ - الختان في شريعة الرحمن .
١٢- الإلمام بما في شهر رمضان من الفضل والأحكام .
١٣ - المنهج في أعمال العمرة والحج .
١٤ - زاد الحجاج والعمار من الأدعية والأذكار .
١٥ - خطر التكفير .
١٦ - مشاهد من يوم القيامة .
١٧ - قطوف من شعر الحكمة .
١٨ - قطوف للصائمين .
١٩ - حاجتنا إلى الاستغفار .

٢٠ - الحجة في فضل العشر من ذي الحجة .

٢١ - خمسون حديثا في شمائل النبي ﷺ .

٢٢ - الأربعون النسائية .

٢٣ - منحة الباري في ترجمة خادم العلم عبد الله الأنصاري - البحث الحائز على الجائزة الأولى لمسابقة أعلام من قطر .

• سلسلة الآداب في الإسلام - طبع منها :

٢٤ - الأدب حقيقته وأنواعه .

٢٥- الأدب مع الله تعالى .

٢٦ - الأدب مع القرآن العظيم .

٢٧ - الأدب مع الرسول الأعظم ﷺ .

٢٨ - الأدب مع النفس .

٢٩ - الأدب مع الوالدين .

٣٠ - الأدب بين الصغير والكبير .

٣١ - الأدب بين الزوجين .

٣٢ - الأدب مع الأبناء .

٣٣ - الأدب مع ذوي القربى .

٣٤ - الأدب مع الجيران .

• تحت الطبع .

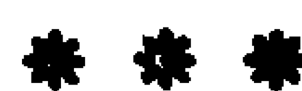
١ - تيسير تفسير ابن كثير .

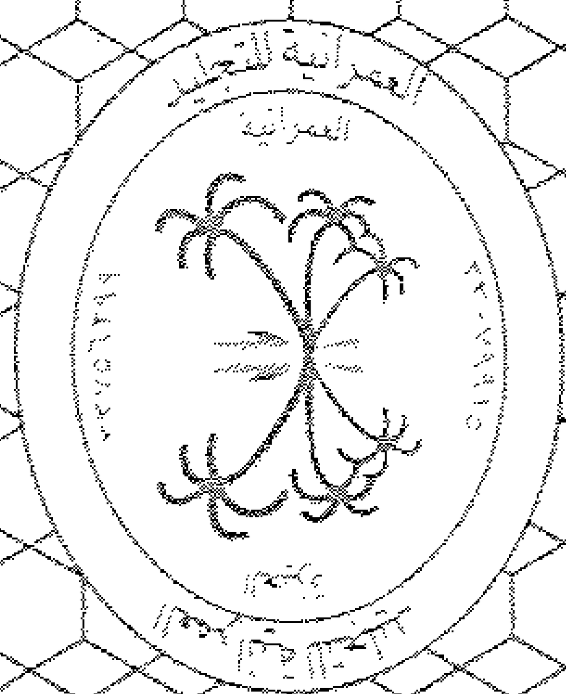
٢ - تحرير المقال في الرمي قبل الزوال .

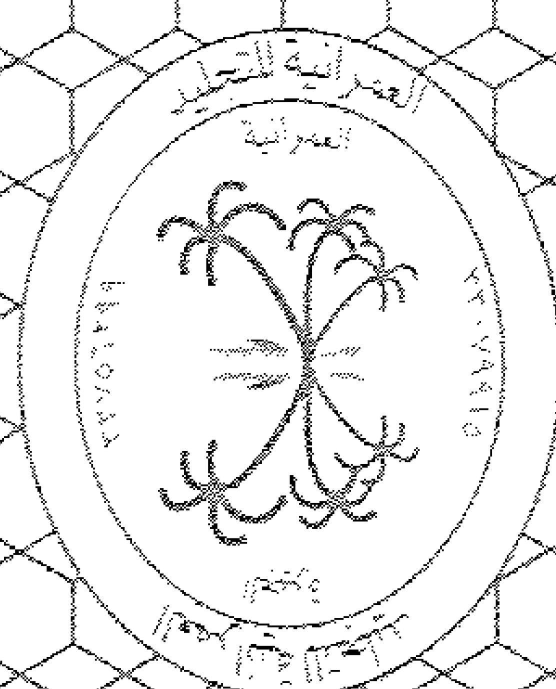
• كتب جاهزة للطباعة

١ - الفتوى بين التأصيل ومتغيرات العصر .

٢ - فتح العزيز في تقريب المحرر الوجيز (ثلاث مجلدات) .

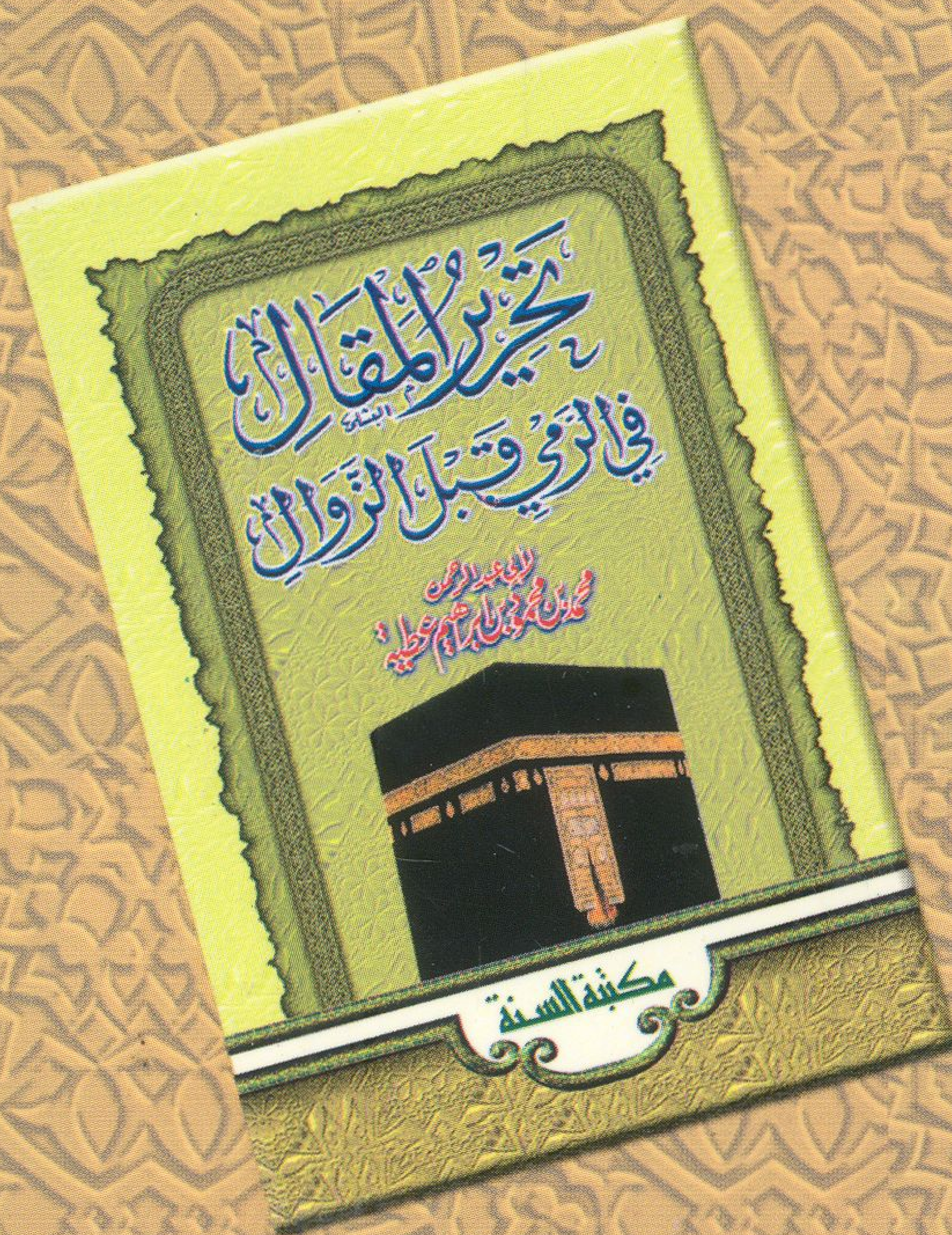


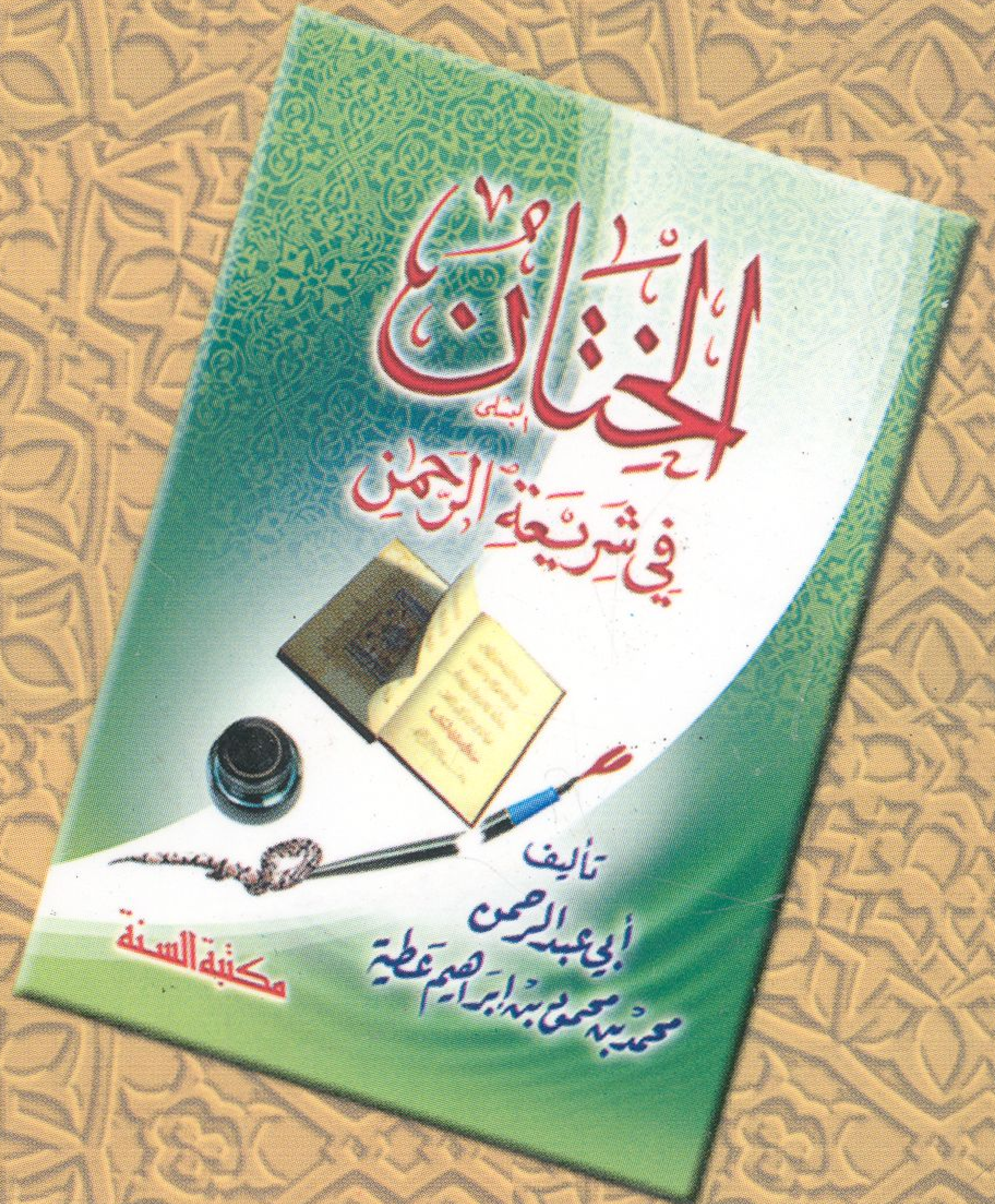




من منشوراتنا

٧/٦





مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم



NA LIBRARY
ers

٨١ ش البستان - ناصية ش الجمهورية - ميدان عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٠٠٣١٨ فاكس: ٢٣٩١٣٥٣٢ تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB

, Abdeen Square - Cairo - EGYPT
ax : 23913532 Tlex : 21719 TLTHRB
E-mail:sounna_bookshop@hotmail.com